هذا الكتاب وقف الشيخ مصطفى

غفر الله لوالديه واصطفى

يا مريد الاستفادة من هذا الكتاب

اقرأ للواقف كل اسبوع فاتحة





وقف



بسم الله الرحمن الرحيم • كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا إذ نادى
ربه نداء خفيا • كهيعص بفتح الهاء وكسر الياء حمزة وبكسرهما عاصم وبضمهما الحسن
ذكر رحمة ربك أي هذا المتلو من القرآن ذكر رحمة ربك وقرئ ذكّر على الأمر راعى سنة الله في
إخفاء دعوته لأن الجهر والإخفاء عند الله سيان فكان الإخفاء أولى لأنه أبعد من الرياء و
أدخل في الإخلاص وعن الحسن نداء لا رياء فيه أو أخفاه لئلا يلام على طلب الولد في زمان
الكبرة والشيخوخة أو أسره من مواليه الذين خافهم أو خفت صوته لضعفه وهرمه كما جاء
في صفة الشيخ صوته خفات وسمعه تارات واختلف في سن زكريا عليه السلام فقيل ستون وخمس
وستون وسبعون وخمس وسبعون وثمانون • قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا
ولم أكن بدعائك رب شقيا • قرئ وهن بالحركات الثلاث وإنما ذكر العظم لأنه عمود البدن
به قوامه وهو أصل بنائه فإذا وهن تداعى وتساقطت قوته ولأنه أشد ما فيه وأصلبه فإذا وهن
كان ما وراءه أوهن ووحده لأن الواحد هو الدال على معنى الجنسية وقصده إلى أن هذا الجنس الذي
هو العمود والقوام وأشد ما تركب منه الجسد قد أصابه الوهن ولو جمع لكان قصدا إلى معنى
وهو أنه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها • إدغام السين في الشين عن أبي عمرو • شبه الشيب
بشواظ النار في بياضه وإنارته وانتشاره في الشعر وفشوه فيه وأخذه منه كل مأخذ باشتعال
النار ثم أخرجه مخرج الاستعارة ثم أسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس وأخرج
الشيب مميزا ولم يضف الرأس اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكريا عليه السلام فمن ثم فصحت هذه
الجملة وشهد لها بالبلاغة • توسل إلى الله بما سلف له معه من الاستجابة وعن بعضهم أن محتاجا

سأله وقال أنا الذي أحسنت إلي وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا إلينا وقضى حاجته • و
إني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا • كان مواليه وهم
عصبته إخوته وبنو عمه شرار بني إسرائيل فخافهم على الدين أن يغيروه ويبدلوه وأن لا يحسنوا
الخلافة على أمته فطلب عقبا من صلبه صالحا يقتدي به في إحياء الدين ويرتسم مراسمه فيه
من ورائي بعد موتي وقرأ ابن كثير من وراي بالقصر وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لفساد
المعنى ولكن بمحذوف أو بمعنى الولاية في الموالي أي خفت فعل الموالي وهو تبديلهم وسوء خلافتهم
من ورائي أو خفت الذين يلون الأمر من ورائي وقرأ عثمان ومحمد بن علي وعلي بن الحسين رضي
الله عنهم خفّت الموالي من ورائي وهذا على معنيين أحدهما أن يكون ورائي بمعنى خلفي وبعدي
فيتعلق الظرف بالموالي أي قلوا وعجزوا عن إقامة أمر الدين فسأل ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولي
يرزقه • والثاني أن يكون بمعنى قدامي فيتعلق بخفت ويريد أنهم خفوا قدامه ودرجوا ولم يبق
منهم من به تقوٍّ واعتضاد • من لدنك تأكيد لكونه وليا مرضيا بكونه مضافا إلى الله وصادرا من
عنده [illegible] وليا يرثني كافيا أو أراد اختراعا منك بلا سبب لأني وامرأتي لا نصلح للولادة
[illegible] ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا • يرثني ويرث [illegible] جواب الدعاء والرفع صفة
ونحوه ردءا يصدقني وعن ابن عباس والجحدري يرثني وارث آل يعقوب وعن الجحدري أو يرث
بتصغير وارث وقال أغليم صغير • وعن علي رضي الله عنه وجماعة وارث من آل يعقوب أي يرثني
به وارث ويسمى التجريد في علم البيان والمراد بالإرث إرث الشرع والعلم لأن الأنبياء لا تورث
وقيل يرثني الحبورة وكان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك يقال ورثته وورثت منه
وقيل من للتبعيض لا للتعدية لأن آل يعقوب لم يكونوا كلهم أنبياء ولا علماء وكان زكريا
من نسل يعقوب بن إسحق وقيل هو يعقوب بن ماثان أخو زكريا وقيل يعقوب هذا وعمران أبو
مريم أخوان من نسل سليمان بن داود عليهما السلام • يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له
من قبل سميا • لم يسم أحد بيحيى قبله وهذا شاهد على أن الأسامي السنع جديرة بالأثرة وإياها

كانت العرب تتنحى في التسمية لكونها أنبه وأنوه وأنزه عن النبز حتى قال القائل في مدح قوم شنع الاسامي
مسبلي ازر حمر تمس الارض بالهدب وقال رؤبة للنسابة البكري وقد سأله عن نسبه انا ابن
العجاج فقال قصرت وعرفت وقيل مثلا وشبيها عن مجاهد كقوله هل تعلم له سميا وانما قيل للمثل
سمي لان كل متشاكلين يسمى كل واحد منهما باسم المثل والشبيه والشكل والنظير فكل واحد منهما
سمي لصاحبه ونحو يحيى في اسمائهم يعمر ويعيش ان كانت التسمية عربية وقد سموا بيموت ايضا وهو يموت
بن المزرع قالوا لم يكن له مثل في انه لم يعص ولم يهم بمعصية قط وانه ولد بين شيخ فان وعجوز عاقر
وانه كان حصورا • قال رب انى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا • اي كانت
على صفة العقر حين انا شاب وكهل فما رزقت الولد لاختلال احد السببين افحين اختل السببان
جميعا ارزقه فان قلت لم طلب اولا وهو وامرأته على صفة العتي والعقر فلما اسعف بطلبته
استبعد واستعجب قلت ليجاب بما اجيب به فيزداد المؤمنون ايقانا ويرتدع المبطلون والا فمعتقد زكريا اولا
وآخرا كان على منهاج واحد ان الله غني عن الاسباب اي بلغت عتيا وهو اليبس والجساوة في المفاصل
والعظام كالعود القاحل يقال عتا العود وعسا من اجل الكبر والطعن في السن العالية او بلغت
من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا وقرأ ابن وثاب وحمزة والكسائي بكسر العين وكذلك صليا
وابن مسعود بفتحهما فيهما وقرأ ابي ومجاهد عسيا • قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك
من قبل ولم تك شيئا • كذلك الكاف رفع اي الامر كذلك تصديق له ثم ابتدأ قال ربك او نصب
بقال وذلك اشارة الى مبهم يفسره هو علي هين ونحوه وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع
مصبحين وقرأ الحسن وهو علي هين ولا يخرج هذا الا على الوجه الاول اي الامر كما قلت وهو علي ذلك
يهون علي ووجه آخر وهو ان يشار بذلك الى ما تقدم من وعد الله لا الى قول زكريا وقال محذوف
في كلتا القراءتين اي قال هو علي هين قال وهو علي هين وان شئت لم تنوه لان الله هو المخاطب
والمعنى انه قال ذلك ووعده وقوله الحق شيئا لان المعدوم ليس بشيء او شيئا يعتد به كقولهم عجبت
من لا شيء وقوله اذا رأى غير شيء ظنه رجلا • وقرأ الاعمش والكسائي وابن وثاب خلقناك • قال

رب اجعل لي آية قال آيتك الا تكلم الناس ثلاث ليال سويا • اي اجعل لي علامة اعلم بها وقوع
ما بشرت به قال علامتك ان تمنع الكلام فلا تطيقه وانت سليم الجوارح سوي الخلق ما بك
خرس ولا بكم دل ذكر الليالي هنا والايام في آل عمران على ان المنع من الكلام استمر به ثلاثة
ايام ولياليهن • فخرج على قومه من المحراب فأوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا • اوحى اشار عن
مجاهد ويشهد له الا رمزا وعن ابن عباس كتب لهم على الارض سبحوا صلوا او على الظاهر وان هي المفسرة
يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا • اي خذ التوراة بجد واستظهار بالتوفيق والتأييد
الحكم الحكمة ومنه واحكم كحكم فتاة الحي يقال حكم حكما كحلم حلما وهو الفهم للتوراة والفقه في الدين
عن ابن عباس وقيل دعاه الصبيان الى اللعب وهو صبي فقال ما للعب خلقنا وعن معمر
وقيل النبوة لان الله احكم عقله في صباه واوحى اليه • وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا
وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا • حنانا رحمة لابويه وغيرهما وتعطفا وشفقة انشد سيبويه
فقالت حنان ما اتى بك ههنا اذو نسب ام انت في الحي عارف وقيل حنانا من الله عليه وحن في معنى
ارتاح واشتاق ثم استعمل في العطف والرأفة وقيل لله حنان كما قيل رحيم على سبيل الاستعارة والزكاة
الطهارة وقيل الصدقة اي يتعطف على الناس ويتصدق عليهم • وسلام عليه يوم ولد
ويوم يموت ويوم يبعث حيا • سلم الله عليه في هذه الاحوال قال ابن عيينة انها اوحش المواطن
واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا • اذ بدل من مريم بدل الاشتمال لان
الاحيان مشتملة على ما فيها وفيه ان المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا لوقوع هذه القصة العجيبة
فيه والانتباذ الاعتزال والانفراد تخلت للعبادة في مكان مما يلي شرقي بيت المقدس او من دارها
معتزلة عن الناس وقيل قعدت في مشرقة للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط او بشيء يسترها وكان
موضعها المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها فاذا طهرت عادت الى المسجد فبينا
هي في مغتسلها اتاها الملك في صورة آدمي شاب امرد وضيء الوجه جعد الشعر • فاتخذت من
دونهم حجابا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا • سويا سوي الخلق لم ينتقص من الصورة

الآدمية شيئا او حسن الصورة مستوي الخلق وانما مثل لها في صورة الانسان لتستأنس
بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في الصورة الملكية لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه ودل
على عفافها وورعها انها تعوذت بالله من تلك الصورة الجميلة الفائقة الحسن وكان تمثيله
على تلك الصفة ابتلاء لها وسبرا لعفتها وقيل كانت في منزل زوج اختها زكريا ولها محراب
على حدة تسكنه وكان زكريا اذا خرج اغلق عليها الباب فتمنت ان تجد خلوة في الجبل لتفلي رأسها
فانفرج السقف لها فخرجت فجلست في المشرفة وراء الجبل فاتاها الملك وقيل قام بين يديها في
صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وقيل ان النصارى اتخذت المشرق قبلة
لانتباذ مريم مكانا شرقيا الروح جبرئيل لان الدين يحيا به وبوحيه او سماه الله روحه على
المجاز محبة له وتقريبا كما تقول لحبيبك انت روحي وقرأ ابو حيوة روحنا بالفتح لانه سبب لما فيه
روح العباد واصابة الروح عند الله الذي هو عدة المقربين في قوله تعالى فاما ان كان من المقربين
فروح وريحان او لانه من المقربين وهم الموعودون بالروح اي مقربنا وذا روحنا • قالت اني
اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا • اردت ان كان يرجى منك ان تتقي الله وتخشاه وتحفل
بالاستعاذة به فاني عائذة به منك كقوله تعالى بقيت الله خير لكم ان كنتم مؤمنين • قال انما انا رسول
ربك لاهب لك غلاما زكيا • اي انما انا رسول من استعذت به لاهب لك لاكون سببا في
هبة الغلام بالنفخ في الدرع وفي بعض المصاحف انما انا رسول ربك امرني ان اهب لك او
هي حكاية لقوله عز وجل • قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا • جعل المس
عبارة عن النكاح الحلال لانه كناية عنه كقوله من قبل ان تمسوهن او لامستم النساء والزنا ليس كذلك
انما يقال فيه فجر بها وخبث وما اشبه ذلك وليس بقمن ان تراعى فيه الكنايات والآداب
البغي الفاجرة التي تبغي الرجال وهي فعول عند المبرد بغوي فادغمت الواو في الياء وقال
ابن جني في كتاب التمام هي فعيل ولو كانت فعولا لقيل بغو كما قيل فلان نهو عن المنكر • قال
كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان امرا مقضيا • ولنجعله تعليل

معلله

معلله محذوف اي ولنجعله آية للناس فعلنا ذلك او هو معطوف على تعليل مضمر اي لنبين به
قدرتنا ولنجعله آية ونحوه وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت
وقوله وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه • مقضيا مقدرا مسطورا في اللوح لا بد لك من
جريه عليك او كان امرا حقيقا بان يكون ويقضى لكونه آية ورحمة والمراد بالآية العبرة و
البرهان على قدرة الله تعالى وبالرحمة الشرائع والالطاف وما كان سببا في قوة الاعتقاد والتوصل
الى الطاعة والعمل الصالح فهو جدير بالتكوين • فحملته فانتبذت به مكانا قصيا • عن ابن عباس
فاطمأنت الى قوله فدنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة الى بطنها فحملت وقيل كانت
مدة الحمل ستة اشهر وعن عطاء وابي العالية والضحاك سبعة اشهر وقيل ثمانية ولم يعش مولود
وضع لثمانية الا عيسى وقيل ثلث ساعات وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته
في ساعة حين زالت الشمس من يومها وعن ابن عباس كانت مدة الحمل ساعة واحدة كما حملته نبذته
وقيل حملته وهي بنت ثلث عشرة سنة وقيل بنت عشر وقد كانت حاضت حيضتين قبل ان تحمل و
قالوا ما من مولود الا يستهل غيره • فانتبذت به اي اعتزلت وهو في بطنها كقوله تدوس بنا الجماجم والترب
اي تدوس الجماجم ونحن على ظهورها ونحوه قوله تعالى تنبت بالدهن اي تنبت ودهنها فيها فالجار والمجرور
موضع الحال قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار وقيل كانت سميت لابن عم لها اسمه يوسف
فلما قيل حملت من الزنا خاف عليها قتل الملك فهرب بها فلما كان ببعض الطريق حدثته نفسه بان
يقتلها فاتاه جبرئيل فقال انه من روح القدس فلا تقتلها فتركها • فاجاءها المخاض الى جذع النخلة
قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا • اجاء منقول من جاء الا ان استعماله قد تغير بعد النقل
الى معنى الالجاء الا ترى انك لا تقول جئت المكان واجاءنيه زيد كما تقول بلغته وابلغنيه ونظيره
اتى حيث لم يستعمل الا في الاعطاء ولم يقل اتيت المكان واتانيه فلان وقرأ ابن كثير في رواية المخاض
بالكسر يقال مخضت الحامل مخاضا ومخاضا وهو تمخض الولد في بطنها طلبت الجذع لتستتر به وتعتمد
عليه عند الولادة وكان جذع نخلة يابسة في الصحراء ليس لها رأس ولا ثمرة ولا خضرة وكان الوقت

شيآء والتعريف لا يخلو اما ان يكون من تعريف الاسماء الغالبة كتعريف النجم وابن الصعق كان تلك الصحراء
كان فيها جذع نخلة متعالم عند الناس فاذا قيل جذع النخلة فهم منه ذاك دون غيره من جذوع النخل
واما ان يكون تعريف الجنس اى جذع هذه الشجرة خاصة كان الله تعالى انما ارشدها الى النخلة ليطعمها
منها الرطب الذى هو خرسة النفساء الموافقة لها ولانها اقل شى صبرا على البرد وثمارها انما هو من جمارها
فلموافقتها لها مع جميع الآيات فيها اختارها لها والجاءها اليها قرئ مت بالضم والكسر يقال مات
يموت ومات يمات النسى ما من حقه ان يطرح وينسى كخرقة الطامث ونحوها كالذبح اسم
ما من شانه ان يذبح فى قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم وعن يونس العرب اذا ارتحلوا عن الدار قالوا
انظروا انساءكم اى الشى اليسير نحو العصا والقدح والشظاظ تمنت لو كانت شيئا تافها لا يؤبه له
من شانه وحقه ان ينسى فى العادة وقد نسى وطرح فوجد فيه النسيان الذى هو حقه وذلك
لما لحقها من فرط الحياء والتشور من الناس على حكم العادة البشرية لا كراهة لحكم الله او لشدة التكليف
عليها اذ بهتوها وهى عارفة ببراءة الساحة وبضد ما قرفت به من اختصاص الله تعالى اياها بغاية
الاجلال والاكرام لانه مقام دحض قلما تثبت عليه الاقدام ان تعرف اغتباطك بامر عظيم وفضل
باهر تستحق به المدح وتستوجب التعظيم ثم تراه عند الناس لجهلهم به عيبا تعاب به وتعنف بسببه او
لخوفها على الناس ان يعصوا الله بسببها وقرأ ابن وثاب والاعمش وحمزة نسيا بالفتح قال الفراء هما لغتان
كالوتر والوتر والجسر والجسر ويجوز ان يكون مسمى بالمصدر كالحمل وقرأ محمد بن كعب القرظى نسأ
بالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء ينسأه اهله لقلته ونزارته وقرأ الاعمش منسيا بالكسر على الاتباع كالمغيرة
والمنخر ● فناداها من تحتها الا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا ● من تحتها هو جبريل عليه السلام قيل
كان يقبل الولد كالقابلة وقيل هو عيسى وهى قراءة عاصم وابى عمرو وقيل تحتها اسفل من مكانها
كقوله تجرى من تحتها الانهار وقيل كان اسفل منها تحت الاكمة فصاح بها الا تحزنى وقرأ نافع وحمزة
والكسائى وحفص من تحتها وفى ناداها ضمير الملك او عيسى وعن قتادة الضمير فى تحتها للنخلة وقرأ
زر وعلقمة فخاطبها من تحتها سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن السرى فقال هو الجدول قال لبيد فتوسطا

عرض السرى فصدعا مسجورة متجاورا قلامها ● وقيل هو من السرو والمراد عيسى وعن الحسن كان و
الله عبدا سريا فان قلت ما كان حزنها لفقد الطعام والشراب حتى تسلى بالسرى والرطب قلت
لم تقع التسلية بهما من حيث انهما طعام وشراب ولكن من حيث انهما معجزتان تريان الناس انها من اهل
العصمة والبعد من الريبة وان مثلها مما قرفوها به بمعزل وان لها امورا الهية خارجة عن العادات
خارقة لما الفوا واعتادوا حتى يتبين لهم ان ولادها من غير فحل ليس ببدع من شانها ● وهزى
اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ● تساقط فيه تسع قراءات تساقط بادغام التاء وتتساقط
باظهار التاءين وتساقط بطرح التاء الثانية ويساقط بالياء وادغام التاء وتساقط وتسقط و
يسقط وتسقط التاء للنخلة والياء للجذع ورطبا تمييز او مفعول على حسب القراءة وعن المبرد
جواز انتصابه بهزى وليس بذاك والباء فى بجذع النخلة صلة للتاكيد كقوله ولا تلقوا بايديكم الى
التهلكة او على معنى افعلى الهز به كقوله يجرح فى عراقيبها نصلى ● قالوا التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت
وكذلك التحنيك وقالوا كان من العجوة وقيل ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل وقيل
اذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب ● فكلى واشربى وقرى عينا فاما ترين من البشر احدا ● عن طلحة بن
سليمان جنيا بكسر الجيم للاتباع اى جمعنا لك فى السرى والرطب فائدتين احديهما الاكل والشرب
والثانية سلوة الصدر لكونهما معجزتين وهو معنى قوله فكلى واشربى وقرى عينا اى وطيبى نفسا ولا تغتمى
وارفضى عنك ما احزنك واهمك وقرئ وقرى بالكسر لغة نجد ترئن بالهمز ابن الرومى عن ابى عمرو وهذا
من لغة من يقول لبأت بالحج وحلأت السويق وذلك لتآخ بين الهمزة وحروف اللين فى الابدال ●
فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا ● صوما صمتا وفى مصحف عبد الله صمتا وعن انس
بن مالك مثله وقيل صياما الا انهم كانوا لا يتكلمون فى صيامهم وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت
لانه نسخ فى امته امرها الله بان تنذر الصوم لئلا تشرع مع البشر المتهمين لها فى الكلام لمعنيين احدهما ان
عيسى صلوات الله عليه يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها والثانى كراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم وفيه
ان السكوت عن السفيه واجب ومن اذل الناس سفيه لم يجد مسافها فقيل اخبرتهم بانها نذرت الصوم

بالاشارة وقيل سوغ لها ذلك بالنطق انسيا اى اكلم الملائكة دون الانس ● فاتت به قومها تحمله
قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا يا اخت هرون ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا ●
الفرى البديع وهو من فرى الجلد هرون كان اخاها من ابيها من امثل بنى اسرائيل وقيل هو اخو
موسى صلوات الله عليهما وعن النبى صلى الله عليه وسلم انما عنوا هرون النبى وكانت من اعقابه فى طبقة الاخوة
وبينها وبينه الف سنة واكثر وعن السدى كانت من اولاده وانما قيل اخت هرون كما يقال يا اخا
همدان اى يا واحدا منهم وقيل رجل صالح او طالح فى زمانها شبهوها به اى كنت عندنا مثله فى الصلاح او
شتموها به ولم ترد اخوة النسب ذكر ان هرون الصالح تبع جنازته اربعون الفا كلهم يسمى هرون تبركا
به وباسمه فقالوا كنا نشبهك بهرون هذا وقرأ عمرو بن لجاء التيمى ما كان اباك امرؤ سوء وقيل احتمل
يوسف النجار مريم وابنها الى غار فلبثوا فيه اربعين يوما حتى تعلت من نفاسها ثم جاءت تحمله فكلمها
عيسى فى الطريق فقال يا اماه ابشرى فانى عبد الله ومسيحه فلما دخلت به على قومها وهم اهل بيت
صالحون تباكوا وقالوا ذلك وقيل هموا برجمها حتى تكلم عيسى فتركوها ● فاشارت اليه قالوا كيف نكلم
من كان فى المهد صبيا ● فاشارت اليه اى هو الذى يجيبكم اذا ناطقتموه وقيل كان المستنطق لعيسى زكريا
صلوات الله عليه وعن السدى لما اشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا اشد علينا من زناها وروى
انه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره واشار بسبابته وقيل
كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان كان لايقاع مضمون الجملة فى زمان ماض مبهم يصلح
لقريبه وبعيده وهو هنا لقريبه خاصة والدليل عليه معنى الكلام وانه مسوق للتعجب وصبيا خبر آخر ان
يكون نكلم حكاية حال ماضية اى كيف عهد قبل عيسى ان نكلم الناس صبيا فى المهد فيما سلف من الزمان
حتى نكلم هذا ● قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا اينما كنت واوصانى
بالصلوة والزكوة ما دمت حيا وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا ● انطقه الله اولا بانه عبد الله
ردا لقول النصارى والكتاب هو الانجيل واختلفوا فى نبوته فقيل اعطيها فى طفوليته اكمل الله عقله
واستنبأه طفلا نظرا فى ظاهر الاية وقيل معناه ان الله سبق فى قضائه او حكم فى الازلى لا محالة كانه وجد

مباركا

6

مباركا اينما كنت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نفاعا حيث كنت وقيل معلما للخير وقرئ وبرا عن ابى
نهيك جعل ذاته برا لفرط بره او نصبه بفعل فى معنى اوصانى وهو كلفنى لان اوصانى بالصلوة وكلفنيها
واحد ● والسلام على يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا ● والسلام على قيل ادخل لام التعريف
لتعرفه بالذكر قبله كقولك جاءنا رجل فكان من فعل الرجل كذا والمعنى وذلك السلام الموجه الى يحيى
فى المواطن الثلثة موجه الى والصحيح ان يكون هذا التعريف تعريضا باللعنة على متهمى مريم عليها السلم
واعدائها من اليهود وتحقيقه ان اللام للجنس فاذا قال وجنس السلام على خاصة فقد عرض بان ضده
عليكم ونظيره قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى يعنى ان العذاب على من كذب وتولى وكان المقام مقام
مناكرة وعناد فهو مئنة لنحو هذا من التعريض ● ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون ● قرأ
عاصم وابن عامر قول الحق بالنصب وعن ابن مسعود قال الحق وقال الله وعن الحسن قول الحق بضم القاف
وكذلك فى الانعام قوله الحق والقول والقال والقول فى معنى واحد كالرهب والرهب والرهب
وارتفاعه على انه خبر بعد خبر او بدل او خبر مبتدأ محذوف واما انتصابه فعلى المدح ان فسر بكلمة الله
وعلى انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة ان اريد قول الثبات والصدق كقولك هو عبد الله الحق
لا الباطل وانما قيل لعيسى كلمة الله وقول الحق لانه لم يولد الا بكلمة الله وحدها وهى قوله كن من غير واسطة
اب تسمية للمسبب باسم السبب كما سمى العشب بالسماء والشحم بالندى ويحتمل اذا اريد بقول الحق عيسى ان
يكون الحق اسم الله عز وجل وان يكون بمعنى الثبات والصدق ويعضده قوله الذى فيه يمترون اى امره
حق يقين وهم فيه شاكون يمترون يشكون والمرية الشك او يتمارون يتلاحون قالت اليهود ساحر كذاب
وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلثة وقرأ على بن ابى طالب رضى الله عنه تمترون على الخطاب وعن ابى بن كعب
قول الحق الذى كان الناس فيه يمترون ● ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له
كن فيكون ● تكذيب للنصارى وتبكيتهم بالدلالة على انتفاء الولد عنه وانه مما لا يأتى ولا يتصور فى العقول
وليس بمقدور عليه فان المحال غير المستقيم ان تكون ذاته كذات من ينشأ منه الولد ثم بين احالة ذلك
بان من اذا اراد شيئا من الاجناس كلها اوجده بكن كان منزها عن شبه الحيوان الوالد والقول هنا مجاز

ومعناه ان ارادته للشيء يتبعها كونه لا محالة من غير توقف فشبه ذلك بامر الآمر المطاع اذا ورد
على المأمور الممتثل • وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم • قرأ المدنيون وابو عمرو بفتح
ان ومعناه ولانه ربي وربكم فاعبدوه وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا والشاميون والكوفيون
بالكسر على الابتداء وفي حرف ابي ان الله بالكسر بغير واو وبان الله اى بسبب ذلك فاعبدوه • فاختلف
الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم • الاحزاب اليهود والنصارى عن الكلبي و
قيل النصارى لتحزبهم ثلث فرق نسطورية ويعقوبية وملكانية وعن الحسن الذين تحزبوا على
الانبياء لما قص عليهم قصة عيسى اختلفوا فيه من بين الناس من مشهد يوم عظيم اى من شهودهم
هول الحساب والجزاء في يوم القيمة او من مكان الشهود فيه وهو الموقف او من وقت الشهود او من
شهادة ذلك اليوم العظيم عليهم وان تشهد عليهم الملائكة والانبياء والسنتهم وايديهم وارجلهم
بالكفر وسوء الاعمال او من مكان الشهادة او وقتها وقيل هو ما قالوه وشهدوا به في عيسى وامه • اسمع
وابصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين • لا يوصف الله بالتعجب وانما المراد ان اسماعهم
وابصارهم يومئذ جدير بان يتعجب منهما بعدما كانوا صما عميا وقيل معناه التهديد بما سيسمعون وسيبصرون
بما يسوءهم ويصدع قلوبهم اوقع الظاهر اعنى الظالمين موقع الضمير اشعارا بان لا ظلم اشد من ظلمهم
اغفلوا الاستماع والنظر حين يجدي عليهم ويسعدهم والمراد بالضلال المبين اغفال النظر والا...
وانذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون • قضى الامر فرغ من الحساب وتصادر
الفريقان الى الجنة والنار وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عنه فقال حين يذبح الكبش والفريقان
ينظران واذ بدل من يوم الحسرة او منصوب بالحسرة وهم في غفلة متعلق بقوله في ضلال مبين عن الحسن
وانذرهم اعتراض او هو متعلق بانذرهم اى وانذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين • انا نحن نرث
الارض ومن عليها والينا يرجعون • يحتمل انه يميتهم ويخرب ديارهم وانه يفني اجسادهم ويفني الارض
ويذهب بها • واذكر في الكتاب ابرهيم انه كان صديقا نبيا • الصديق من ابنية المبالغة ونظيره الضحيك
والنطيق والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله وكان الرجحان

والغالبة في هذا التصديق للكتب والرسل اى كان مصدقا لجميع الانبياء وكتبهم وكان نبيا في نفسه كقوله
تعالى بل جاء بالحق وصدق المرسلين او كان بليغا في الصدق لان ملاك امر النبوة الصدق ومصدق
الله باياته ومعجزاته حرى ان يكون كذلك وهذه الجملة وقعت اعتراضا بين المبدل منه وبدله اعنى
ابرهيم واذ قال نحو قولك رأيت زيدا ونعم الرجل اخاك • اذ قال لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر
ولا يغني عنك شيئا • ويجوز ان يتعلق اذ بكان او بصديقا نبيا اى كان جامعا لخصائص الصديقين و
الانبياء حين خاطب اباه تلك المخاطبات والمراد بذكر الرسول اياه وقصه في الكتاب ان يتلوه لك على
الناس ويبلغه اياهم كقوله واتل عليهم نبأ ابرهيم والا فالله عز وعلا هو ذاكره ومورده في تنزيله التاء
في يا ابت عوض من ياء الاضافة ولا يقال يا ابتي لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه وقيل يا ابتا لكون
الالف بدلا من الياء وشبه ذلك سيبويه باينق وتعويض الياء فيه بدلا عن الواو الساقطة انظر حين
اراد ان ينصح اباه ويعظه فيما كان متورطا فيه من الخطاء العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصى فيه
امر العقل وانسلخ من قضية التمييز ومن الغباوة التي ليس بعدها غباوة كيف رتب الكلام معه في احسن اتساق
وساقه ارشق مساق مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والادب الجميل والخلق الحسن منتصحا
في ذلك بنصيحة ربه جل وعلا حدث ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوحى الله الى ابرهيم انك
خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار فان كلمتي سبقت لمن حسن خلقه ان اظله تحت عرشي
واسكنه حظيرة القدس وادنيه من جواري وذلك انه طلب منه اولا العلة في خطائه طلب منبه على
تماديه موقظ لافراطه وتناهيه لان المعبود لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على الثواب والعقاب
نافعا ضارا الا انه بعض الخلق لاستخف عقل من اهله للعبادة ووصفه بالربوبية ولسجل عليه بالغي
المبين والظلم العظيم وان كان اشرف الخلق واعلاهم منزلة كالملائكة والنبيين قال الله تعالى ولا يأمركم
ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ايأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون وذلك ان العبادة هي غاية التعظيم
فلا تحق الا لمن له غاية الانعام وهو الخالق الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب الذي منه اصول النعم
وفروعها فاذا وجهت الى غيره وتعالى علوا كبيرا ان تكون هذه الصفة لغيره لم يكن الا ظلما وعتوا وغيا

وكفر كونه جمادا وخروجا عن صحيح النظر الى الفاسد المظلم فاظنك بمن وجه عبادته الى جماد ليس به
حس ولا شعور فلا يسمع يا عابده ذكرك له وثناءك عليه ولا يرى هيات خضوعك وخشوعك له فضلا
ان يغني عنك بان تستدفعه بلاء فيدفعه او تسنح لك حاجة فيكفيكها • يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم
ياتك فاتبعني اهدك صراطا سويا • ثم ثنى بدعوته الى الحق مترفقا به متلطفا فلم يسم اباه بالجهل المفرط
ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال ان معي طائفة من العلم وشيئا منه ليس معك وذلك علم الدلالة
على الطريق السوي فلا تستنكف وهب اني واياك في مسير وعندي معرفة بالهداية دونك فاتبعني
انجك من ان تضل وتتيه • يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا • ثم ثلث بتثبيطه
ونهيه عما كان عليه بان الشيطان الذي استعصى على ربك الرحمن الذي جميع ما عندك من النعم من عنده
وهو عدوك الذي لا يريد بك الا كل هلاك وخزي ونكال وعدو ابيك آدم وابناء جنسك كلهم
الذي ورطك في هذه الضلالة وامرك بها وزينها لك فانت ان حققت النظر عابد الشيطان الا ان
ابرهيم عليه السلم لامعانه في الاخلاص وارتقاء همته في الربانية لم يذكر من جنايتي الشيطان الا التي
تختص منهما برب العزة من عصيانه واستكباره ولم يلتفت الى ذكر معاداته لآدم وذريته كان
النظر في عظم ما ارتكب من ذلك غمر فكره واطبق على ذهنه • يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من
الرحمن فتكون للشيطان وليا • ثم ربع بتخويفه سوء العاقبة وما يجره ما هو فيه من التبعة والوبال
ولم يخل ذلك من حسن الادب حيث لم يصرح بان العقاب لاحق له وان العذاب لاصق به ولكنه
قال اخاف ان يمسك عذاب فذكر الخوف والمس ونكر العذاب وجعل ولاية الشيطان ودخوله في
جملة اشياعه واوليائه اكبر من العذاب وذلك ان رضوان الله اكبر من الثواب نفسه وسماه الله المشهود
له بالفوز العظيم حيث قال ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم فكذلك ولاية الشيطان التي هي
معارضة رضوان الله اكبر من العذاب نفسه واعظم وصدر كل نصيحة من النصائح الاربع بقوله يا ابت
توسلا اليه واستعطافا ما في لا يسمع وما لم يبصر يجوز ان يكون موصولة وموصوفة والمفعول في لا يسمع
ولا يبصر منسي غير منوي كقولك ليس به استماع ولا ابصار وشيئا يحتمل وجهين احدهما ان يكون في موضع

المصدر اي شيئا من الغناء ويجوز ان يقدر نحوه مع الفعلين السابقين والثاني ان يكون مفعولا به
من قولهم اغن عني وجهك قد جاءني فيه تجدد العلم عندي • قال اراغب انت عن آلهتي يا ابرهيم لئن
لم تنته لارجمنك واهجرني مليا • لما اطلعه على سماجة صورة امره وهدم مذهبه بالحجج القاطعة
وناصحه المناصحة العجيبة مع تلك الملاطفات اقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر وغلظة العناد
فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بني وقدم الخبر على الابتداء في قوله اراغب انت عن آلهتي لانه كان
اهم عنده وهو عنده اعنى وفيه ضرب من التعجب والانكار لرغبته عن آلهته وان آلهته ما ينبغي ان يرغب
عنها احد وفي هذا سلوان وثلج لصدر رسول الله صلعم عما كان يلقى من مثل ذلك من كفار قومه لارجمنك
لارمينك بلساني يريد الشتم والذم ومنه الرجيم المرمي باللعن او لاقتلنك من رجم الزاني او لاطردنك
رجما بالحجارة واصل الرجم الرمي بالرجام مليا زمانا طويلا من الملاوة او مليا بالذهاب عني والهجران
قبل ان اثخنك بالضرب حتى لا تقدر ان تبرح فلان ملي بكذا اذا كان مطيقا له مضطلعا به فان قلت
علام عطف واهجرني قلت على معطوف عليه محذوف يدل عليه لارجمنك اي فاحذرني واهجرني لئلا ارجمنك
تهديدا وتقريعا • قال سلام عليك ساستغفر لك ربي انه كان بي حفيا • سلام عليك سلام توديع و
متاركة كقوله تعالى لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا
سلاما وهذا دليل على جواز متاركة المنصوح والحال هذه ويجوز ان يكون قد دعا له بالسلامة استمالة له
الا ترى انه وعده الاستغفار فان قلت كيف جاز له ان يستغفر للكافر وان يعده ذلك قلت قالوا اراد
اشتراط التوبة عن الكفر كما ترد الاوامر والنواهي الشرعية على الكفار والمراد اشتراط الايمان وكما يؤمر
المحدث والفقير بالصلوة والزكوة ويراد اشتراط الوضوء والنصاب وقالوا انما استغفر له بقوله واغفر
لابي انه كان من الضالين لانه وعده ان يؤمن واستشهدوا عليه بقوله وما كان استغفار ابرهيم لابيه
الا عن موعدة وعدها اياه ولقائل ان يقول الذي منع من الاستغفار للكافر انما هو السمع فاما القضية
العقلية فلا تاباه فيجوز ان يكون الوعد بالاستغفار والوفاء به قبل ورود السمع بناء على قضية العقل
والذي يدل على صحته قوله تعالى الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك فلو كان شارطا للايمان لم يكن مستنكرا

ومستغنى عما حجبت فيه واما عن موعدة وعدها اياه فالواعد هو ابرهيم لا آزر اى ما قال لاغفرن
لابى الا عن قوله لاستغفرن لك وتشهد له قراءة حماد الراوية وعدها اباه والله اعلم الحفى البليغ
في البر والالطاف حفى به وتحفى به • واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعوا ربى عسى الا اكون
بدعاء ربى شقيا فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا
اراد بالاعتزال المهاجرة الى الشام المراد بالدعاء العبادة لانه منها ومن وسائطها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
الدعاء هو العبادة ويدل عليه قوله فلما اعتزلهم وما يعبدون ويجوز ان يراد الدعاء الذى حكاه الله في
سورة الشعراء عرض بشقاوتهم بدعاء آلهتهم في قوله عسى الا اكون بدعاء ربى شقيا مع التواضع لله
في كلمة عسى وما فيه من هضم النفس ما خسر على الله احد ترك الكفار الفسقة لوجهه فعوضه اولادا
مومنين انبياء • ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا • من رحمتنا هي النبوة
الكلبى المال والولد وتكون عامة في كل خير دينى ودنيوى اوتوه لسان الصدق الثناء الحسن وعبر
عما يوجد باللسان كما عبر بما يطلق باليد وهى العطية قال انى اتتنى لسان لا اسر بها • يريد
الرسالة ولسان العرب لغتهم وكلامهم استجاب الله دعوته واجعل لى لسان صدق في الآخرين فصيره
قدوة حتى ادعاه اهل الاديان كلهم وقال عز وجل ملة ابيكم ابرهيم وملة ابرهيم حنيفا ثم اوحينا اليك
ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا واعطى ذلك ذريته فاعلى ذكرهم واثنى عليهم كما اعلى ذكره واثنى عليه • واذكر
في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا • المخلص بالكسر الذى اخلص العبادة عن الشرك
والرياء او اخلص نفسه واسلم وجهه لله وبالفتح الذى اخلصه الله الرسول الذى معه كتاب
والنبى الذى ينبئ عن الله عز وجل وان لم يكن معه كتاب كيوشع • وناديناه من جانب الطور الايمن
نجيا • الايمن من اليمين اى من ناحيته اليمنى او من اليمن صفة للطور او للجانب شبهه بمن قربه بعض العظماء
للمناجاة حيث كلمه بغير واسطة ملك وعن ابى العالية قربه حتى سمع صريف القلم الذى كتبت به التورية
ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا • من رحمتنا من اجل رحمتنا له وترؤفنا عليه وهبنا له هرون
او بعض رحمتنا كما في قوله ووهبنا له من رحمتنا واخاه على هذا الوجه بدل وهرون عطف بيان له

8

رأيت رجلا اخاك زيدا وكان هرون اكبر من موسى فوقعت الهبة على معاضدته وموازرته كذا عن
ابن عباس رضى الله عنه • واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا • ذكر
اسمعيل عليه السلم بصدق الوعد وان كان موجودا في غيره من الانبياء تشريفا له واكراما كالتلقيب بنحو
الحليم والاواه والصديق ولانه المشهور المتواصف من خصاله عن ابن عباس انه وعد صاحبا له ان ينتظره
في مكان فانتظره سنة وناهيك انه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى حيث قال ستجدنى ان شاء
الله من الصابرين • وكان يامر اهله بالصلوة والزكوة وكان عند ربه مرضيا • كان يبدأ باهله في الامر
بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن وراءهم ولانهم اولى من سائر الناس وانذر عشيرتك الاقربين
وامر اهلك بالصلوة قوا انفسكم واهليكم نارا الا ترى انهم احق بالتصدق عليهم فالاحسان الدينى
اليهم اولى وقيل اهله امته كلهم من القرابة وغيرهم لان امم النبيين في عداد اهاليهم وفيه ان من حق الصالح
ان لا يالو نصحا للاجانب فضلا عن الاقارب والمتصلين به وان يحظيهم بالفوائد الدينية ولا يفرط
في ذلك • واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا • وقيل سمى ادريس لكثرة دراسته كتاب الله
وكان اسمه اخنوخ وهو غير صحيح لانه لو كان افعيلا من الدرس لم يكن فيه الا سبب واحد وهو العلمية وكان
منصرفا فامتناعه من الصرف دليل العجمة وكذلك ابليس اعجمى وليس من الابلاس كما يزعمون ولا يعقوب
من العقب ولا اسرائيل باسرائل كما زعم ابن السكيت ومن لم يحقق ولم يتدرب بالصناعة كثرت
منه امثال هذه الهنات ويجوز ان يكون معنى ادريس في تلك اللغة قريبا من ذلك فحسبه الراوى مشتقا
من الدرس • ورفعناه مكانا عليا • المكان العلى شرف النبوة والزلفى عند الله وقد انزل الله عليه ثلثين صحيفة
وهو اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب واول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون
الجلود وعن انس بن مالك يرفعه انه رفع الى السماء الرابعة وعن ابن عباس الى السماء السادسة وعن الحسن
الى الجنة لا شىء اعلى من الجنة وعن النابغة الجعدى انه لما انشد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعر الذى
آخره بلغنا السماء مجدنا وسناءنا وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا • قال له رسول الله صلعم الى اين يا ابا ليلى قال
الى الجنة • اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابرهيم

وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا • أولئك إشارة إلى
المذكورين في السورة من لدن زكريا إلى إدريس ومن في من النبيين للبيان مثلها في قوله تعالى في آخر
سورة الفتح وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لأن جميع الأنبياء منعم عليهم ومن الثانية
للتبعيض وكان إدريس من ذرية آدم لقربه منه لأنه جد أبي نوح وإبرهيم من ذرية من حمل مع نوح
لأنه من ولد سام بن نوح وإسمعيل من ذرية إبرهيم وموسى وهرون وزكريا ويحيى من ذرية
إسرائيل وكذلك عيسى لأن مريم من ذريته وممن هدينا يحتمل العطف على من الأولى والثانية
إن جعلت الذين خبرا لأولئك كان إذا تتلى كلاما مستأنفا وإن جعلته صفة له كان خبره وقرئ
يتلى بالتذكير لأن التأنيث غير حقيقي مع وجود الفاصل والبكي جمع باك
كالسجود والقعود في جمع ساجد وقاعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فإن
لم تبكوا فتباكوا وعن صالح المري قرأت القرآن على رسول الله صلعم في المنام فقال لي يا صالح هذه
القراءة فأين البكاء وعن ابن عباس إذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فإن لم
تبك عين أحدكم فليبك قلبه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه
فتحازنوا وقالوا ينبغي أن يدعو في سجدة التلاوة بما يليق بآيتها فإن قرأ آية تنزيل السجدة قال اللهم اجعلني
من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك وإن
قرأ سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين إليك الخاشعين لك وإن قرأ هذه قال اللهم اجعلني
من عبادك المنعم عليهم المهديين الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك • فخلف من بعدهم
خلف أضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا • خلفه إذا عقبه ثم قيل في
عقب الخير خلف بالفتح وفي عقب السوء خلف بالسكون كما قالوا وعد في ضمان الخير ووعيد
في ضمان الشر عن ابن عباس رضه هم اليهود تركوا الصلوة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الأخت
من الأب وعن إبرهيم ومجاهد أضاعوها بالتأخير ويؤيد الأول قوله إلا من تاب وآمن يعني الكفر
وعن علي رضي الله عنه في قوله واتبعوا الشهوات من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور وغي

قتادة هو في هذه الأمة وقرأ ابن مسعود والحسن الصلوات بالجمع كل شر عند العرب غي وكل خير
رشاد قال من يلق خيرا يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما • وعن الزجاج جزاء غي كقوله
يلق أثاما أي مجازاة آثام أو غيا عن طريق الجنة وقيل غي واد في جهنم تستعيذ منه أوديتها وركب
الأخفش يلقون • إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا •
وقرئ يدخلون ويدخلون أي لا ينقصون شيئا من جزاء أعمالهم ولا يمنعونه بل يضاعف لهم بيانا لأن
تقدم الكفر لا يضرهم إذا تابوا من قولك ما ظلمك أن تفعل كذا بمعنى ما منعك ولا يظلمون البتة أي شيئا
من الظلم • جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب إنه كان وعده مأتيا • لما كانت الجنة مشتملة
على جنات عدن أبدلت منها كقولك أبصرت دارك القاعة والعلالي وعدن معرفة علم لمعنى العدن
وهو الإقامة كما جعلوا فينة وسحر وأمس فيمن لم يصرفه أعلاما لمعاني الفينة والسحر والأمس فجرى
مجرى العدن لذلك أو هو علم لأرض الجنة لكونها مكان إقامة ولولا ذلك لما ساغ الإبدال لأن
النكرة لا تبدل من المعرفة إلا موصوفة ولما ساغ وصفها بالتي وقرئ جنات عدن وجنة عدن بالرفع
على الابتداء أي وعدها وهي غائبة عنهم غير حاضرة أو هم غائبون عنها لا يشاهدونها أو بتصديق الغيب
والإيمان به قيل في مأتيا مفعول بمعنى فاعل والوجه أن الوعد هو الجنة وهم يأتونها أو هو من قولك
أتى إليه إحسانا أي كان وعده مفعولا منجزا • لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة
وعشيا • اللغو فضول الكلام وما لا طائل تحته وفيه تنبيه ظاهر على وجوب تجنب اللغو واتقائه
حيث نزه الله عنه الدار التي لا تكليف فيها وما أحسن قوله وإذا مروا باللغو مروا كراما وإذا
سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين نعوذ بالله
من اللغو والجهل والخوض فيما لا يعنينا إلا سلاما أي لكن تسليم بعضهم على بعض وتسليم الملائكة عليهم أو لا
يسمعون لغوا إلا ذلك فهو من وادي قوله • ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
أو لا يسمعون فيها إلا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة على الاستثناء المنقطع أو لأن معنى السلام
هو الدعاء بالسلامة ودار السلام هي دار السلامة وأهلها عن الدعاء بالسلامة أغنياء فكان ظاهره

من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الاكرام ومن الناس من يأكل الوجبة ومنهم
يأكل متى وجد وهي عادة المنهومين ومنهم من يتغدى ويتعشى وهي العادة الوسطى المحمودة ولا
يكون ثم ليل ولا نهار ولكن على التقدير ولان المتنعم عند العرب من وجد غداء وعشاء وقيل
اراد دوام الرزق ودروره كما تقول انا عند فلان صباحا ومساء وبكرة وعشيا تريد الديمومة
ولا تقصد الوقتين المعلومين • تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا • نورث ونورّث
نورث استعارة اي نبقي عليه الجنة كما نبقي على الوارث مال الموروث ولان الاتقياء يلقون ربهم
يوم القيمة قد انقضت اعمالهم وثمرتها باقية وهي الجنة فاذا ادخلهم الجنة فقد اورثهم من تقويهم كما يورث
الوارث المال من المتوفى وقيل اورثوا من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو اطاعوا • وما
نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا • وما نتنزل حكاية
قول جبريل صلوات الله عليه حين استبطأه رسول الله صلى الله عليه وسلم روي انه احتبس اربعين يوما
وقيل خمسة عشر يوما وذلك حين سئل عن قصة اصحاب الكهف وذي القرنين والروح فلم يدر كيف
يجيب ورجا ان يوحى اليه فيه فشق ذلك عليه مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه
فلما نزل جبريل قال له النبي صلعم ابطأت حتى ساء ظني واشتقت اليك قال اني كنت اشوق ولكني
عبد مامور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست وانزل الله هذه الآية وسورة الضحى
والتنزل على معنيين معنى النزول على مهل ومعنى النزول على الاطلاق كقوله فلست لانسي ولكن لملأك
لكن لملأك تنزل من جو السماء يصوب لانه مطاوع نزل ونزل يكون بمعنى انزل [illegible]
بهذا الموضع هو النزول على مهل والمراد ان نزولنا في الاحايين وقتا غب وقت ليس الا بامر الله
وعلى ما يراه صوابا وحكمة وله ما قدامنا وما خلفنا من الجهات والاماكن وما نحن فيها فلا نتمالك
ان ننتقل من جهة الى جهة ومكان الى مكان الا بامر المليك ومشيئته وهو الحافظ العالم بكل حركة وسكون
وما يحدث ويتجدد من الاحوال لا يجوز عليه الغفلة والنسيان فانى لنا ان نتقلب في ملكوته الا اذا
اذا رأى ذلك مصلحة وحكمة [illegible] ما سلف من امر الدنيا [illegible]

الآخرة

الآخرة وما بين ذلك وما بين النفختين وهو اربعون سنة وقيل ما مضى من اعمارنا وما غبر منها والحال
التي نحن فيها وقيل ما قبل وجودنا وما بعد فنائنا وقيل الارض التي بين ايدينا اذا نزلنا والسماء التي وراءنا
وما بين السماء والارض والمعنى انه المحيط بكل شيء لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة فكيف
نقدم على فعل نحدثه الا صادرا عما توجبه حكمته ويأمرنا به ويأذن لنا فيه وقيل معنى وما كان ربك
نسيا وما كان تاركا لك كقوله ما ودعك ربك وما قلى اي ما كان امتناع النزول الا لامتناع الامر به
واما احتباس الوحي فلم يكن عن ترك الله لك وتوديعه اياك ولكن لتوقفه على المصلحة وقيل هي حكاية
قول المتقين حين يدخلون الجنة اي وما ننزل الجنة الا بامر من الله علينا بثواب اعمالنا وامرنا بدخولها
وهو المالك لرقاب الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة اللاطف في اعمال الخير والموفق لها و
المجازي عليها ثم قال الله تعالى تقريرا لقولهم وما كان ربك نسيا لاعمال العاملين غافلا عما يجب ان يثابوا
اي لا يكون قدرته وما كان ربك نسيا من حكاية كلام المتقين
به وكيف يجوز النسيان والغفلة على ذي ملكوت السماء والارض وما بينهما ثم قال لرسوله صلى الله عليه وسلم
يحيى عزته على هذه الصفة فاقبل على العمل واعبده يثبك كما اثاب غيرك من المتقين وقرأ الاعرج
وما يتنزل بالياء على الحكاية عن جبرئيل والضمير للوحي وعن ابن مسعود الا بقول ربك يجب ان يكون
لمحمد صلعم النسي مثله في البغي • رب السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم
رب السموات والارض بدل من ربك ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي هو رب السموات
مبتدأ كقوله وقائله خولان فانكح فتاتهم وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون وما كان ربك نسيا
[illegible] من كلام رب العزة فان قلت هلا عدي اصطبر بعلى التي هي صلته كقوله واصطبر
عليها قلت لان العبادة جعلت بمنزلة القرن في قولك للمحارب اصطبر لقرنك اي اثبت له فيما يورد
عليك من شداته اريد ان العبادة تورد عليك شدائد ومشاق فاثبت لها ولا تهن ولا يضق
اي انهم سألوا عن اصحاب الكهف وذي القرنين والروح
صدرك عن القاء عداتك من اهل الكتاب اليك الاغاليط وعن احتباس الوحي عليك مدة وشماتة
المشركين بك اي لم يسم شيء بالله قط وكانوا يقولون لاصنامهم آلهة والعزى اله واما الذي عوض
فيه الالف واللام من الهمزة فمخصوص به المعبود الحق غير مشارك فيه وعن ابن عباس لا يسمى احد الرحمن

غيره ووجه آخر هل تعلم من سمي باسمه على الحق دون الباطل لأن التسمية على الباطل في كونها غير معتد
بها كلا تسمية وقيل مثلا وشبيها اى اذا صح أن لا معبود يوجه إليه العباد العبادة الا هو وحده لم
يكن بد من عبادته والاصطبار على مشاقها وتكاليفها • ويقول الانسان ائذا ما مت لسوف اخرج حيا
يحتمل أن يراد بالانسان الجنس بأسره وأن يراد بعض الجنس وهم الكفرة فان قلت لم جازت ارادة الاناسي
كلهم وكلهم غير قائلين ذلك قلت لما كانت هذه المقالة موجودة فيمن هو من جنسهم صح اسناده الى جميعهم كما
يقولون بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل رجل منهم قال الفرزدق • فسيف بني عبس وقد ضربوا به نبا
بيدي ورقاء عن رأس خالد فقد اسند الضرب الى بني عبس مع قوله نبا بيدي ورقاء وهو ورقاء بن
زهير بن جذيمة العبسي فان قلت بم انتصب اذا وانتصابه باخرج ممتنع لاجل اللام لا تقول اليوم
لزيد قائم قلت بفعل مضمر يدل عليه المذكور فان قلت لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال
فكيف جامعت حرف الاستقبال قلت لم تجامعها الا مخلصة للتوكيد كما اخلصت الهمزة في يا الله للتعويض
واضمحل عنها معنى التعريف وما في اذا ما للتوكيد ايضا فكأنهم قالوا أحقا انا سنخرج احياء حين يتمكن فينا
الموت والهلاك على وجه الاستنكار والاستبعاد والمراد الخروج من الارض او من حال الفناء او هو من
قولهم خرج فلان عالما وخرج شجاعا اذا كان نادرا في ذلك يريد ساخرج حيا نادرا على سبيل الهزء وقرأ
الحسن وابو حيوة لسوف اخرج وعن طلحة بن مصرف لساخرج كقراءة ابن مسعود ولسيعطيك وتقديم
الظرف وايلاؤه حرف الانكار من قبل أن ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكرة ومنه جاء انكارهم
فهو كقولك للمسيء الى المحسن أحين تمت عليك نعمة فلان اسأت اليه • اولا يذكر الانسان انا خلقناه
من قبل ولم يك شيئا • الواو عطفت لا يذكر على يقول ووسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه و
حرف العطف يعني أيقول ذلك ولا يتذكر حال النشأة الاولى حتى لا ينكر الاخرى فان تلك اعجب
واغرب وادل على قدرة الخالق حيث اخرج الجواهر والاعراض من العدم الى الوجود ثم اوقع التأليف
مشحونا بضروب الحكم التي تحار الفطن فيها من غير حذو على مثال واقتداء بمؤلف ولكن اختراعا وابداعا
من عند قادر جلت قدرته ودقت حكمته واما الثانية فقد تقدمت نظيرتها وعادت لها كالمثال

المحتذى عليه وليس فيها الا تأليف الاجزاء الموجودة الباقية وتركيبها وردها الى ما كانت عليه مجموعة
بعد التفكيك والتفريق وقوله ولم يك شيئا دليل على هذا المعنى وكذلك قوله وهو اهون عليه على ان رب
العزة سواء عليه النشأتان لا يتفاوت في قدرته الصعب والسهل ولا يحتاج الى احتذاء على مثال ولا استعانة
بحكيم ولا نظر في مقياس ولكن يواجه جاحد البعث بذلك دفعا في نحره بما تدبره وكشفا عن صفحة جهله
القراء كلهم على لا يذكر بالتشديد الا نافعا وابن عامر وعاصما فقد خففوا وفي حرف أبي يتذكر من
قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه • في اقسام الله تعالى باسمه تقدست اسماؤه مضافا الى رسول الله صلعم
تفخيم لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع منه كما رفع من شأن السماء والارض في قوله فورب السماء
والارض انه لحق • فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا • والواو في والشياطين
يجوز ان تكون للعطف وبمعنى مع وهي بمعنى مع اوقع والمعنى انهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين
اغووهم يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة فان قلت هذا اذا اريد بالانسان الكفرة خاصة فان
اريد الاناسي على العموم فكيف يستقيم حشرهم مع الشياطين قلت اذا حشر جميع الناس حشرا واحدا
وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا مع الشياطين كما حشروا مع الكفرة فان قلت هلا عزل
السعداء عن الاشقياء في الحشر كما عزلوا عنهم في الجزاء قلت لم يفرق بينهم وبينهم في المحشر واحضروا
حيث تجاثوا حول جهنم واوردوا معهم النار ليشاهد السعداء الاحوال التي نجاهم الله منها وخلصهم
فيزدادوا لذلك غبطة الى غبطة وسرورا الى سرور ويشمتوا باعداء الله واعدائهم فتزداد مساءتهم
وحسرتهم وما يغيظهم من سعادة اولياء الله وشماتتهم بهم فان قلت ما معنى احضارهم جثيا قلت
اذا فسر الانسان بالخصوص فالمعنى انهم يعتلون من المحشر الى شاطئ جهنم عتلا على حالهم التي
كانوا عليها في الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على اقدامهم وذلك ان اهل الموقف وصفوا بالجثو
قال الله تعالى وترى كل امة جاثية على العادة المعهودة في مواقف المقاولات والمناقلات من تجاثي
اهلها على الركب لما في ذلك من الاستيفاز والقلق واطلاق الحبى وخلاف الطمأنينة او لما يدهمهم من
شدة الامر التي لا يطيقون معها القيام على ارجلهم فيحبون على ركبهم حبوا وان فسر بالعموم فالمعنى

انهم يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم على ان جثيا حال مقدرة كما كانوا في الموقف متجاثين لان من
توابع التواقف للحساب قبل التوصل الى الثواب والعقاب ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن
عتيا ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا المراد بالشيعة وهي فعلة كفرقة وفئة الطائفة
التي شاعت اي تبعت غاويا من الغواة قال الله تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا يريد نمتاز
من كل طائفة من طوائف الغي والفساد اعصاهم فاعصاهم واعتاهم فاعتاهم فاذا اجتمعوا
طرحناهم في النار على الترتيب نقدم اولاهم بالعذاب فاولاهم او اراد بالذين هم اولى بها صليا المنتزعين
كما هم كانه قال ثم لنحن اعلم بتصلية هؤلاء وهم اولى بالصلي من بين سائر الضالين ودركاتهم اسفل
وعذابهم اشد ويجوز ان يريد باشدهم عتيا رؤساء الشيع وائمتهم لتضاعف جرمهم بكونهم ضلالا
ومضلين قال الله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون
وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم واختلف في اعراب ايهم اشد فعن الخليل انه مرتفع على الحكاية
تقديره لننزعن الذين يقال فيهم ايهم اشد وعن سيبويه على انه مبني على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي
صلته حتى لو جيء به لاعرب وقيل ايهم هو اشد ويجوز ان يكون النزع واقعا على من كل شيعة كقوله
ووهبنا لهم من رحمتنا اي لننزعن بعض كل شيعة فكان قائلا قال من هم فقيل ايهم اشد عتيا وايهم اشد
بالنصب عن طلحة بن مصرف وعن معاذ بن مسلم الهراء استاذ الفراء فان قلت بم يتعلق على والباء
فان تعلقهما بالمصدرين لا سبيل اليه قلت هما للبيان لا للصلة او يتعلقان بافعل اي عتوهم اشد على
الرحمن وصليهم اولى بالنار كقولهم هو اشد على خصمه وهو اولى بكذا وان منكم الا واردها كان على
ربك حتما مقضيا وان منكم التفات الى الانسان يعضده قراءة ابن عباس وعكرمة وان منهم او
خطاب للناس من غير التفات الى المذكور فان اريد الجنس كله فمعنى الورود دخولهم فيها وهي جامدة
فيعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم عن ابن عباس يردونها كانها اهالة وروي دواية وعن جابر بن عبد الله
انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا
ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة وعنه رضي الله عنه انه سئل عن هذه الاية فقال سمعت

الدواية والدواية الجليدة التي تعلو اللبن والمرق وقد دوّى اللبن وتدوّى ... ادوّيته اذا اكلت الدواية

12

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا
وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى ان للنار ضجيجا من بردها واما قوله اولئك عنها مبعدون فالمراد
عن عذابها وعن ابن مسعود والحسن وقتادة هو الجواز على الصراط لان الصراط ممدود عليها وعن ابن عباس قد
يرد الشيء الشيء ولم يدخله كقوله ولما ورد ماء مدين ووردت القافلة البلد وان لم تدخله ولكن
قربت منه وعن مجاهد ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده في الدنيا لقوله صلى الله عليه وسلم الحمى من
فيح جهنم وفي الحديث الحمى حظ كل مؤمن من النار ويجوز ان يراد بالورود جثوهم حولها وان اريد الكفار
خاصة فالمعنى بين الحتم مصدر حتم الامر اذا اوجبه فسمي به الموجب كقولهم خلق الله وضرب الامير
اي ان ورودهم واجبا على الله اوجبه على نفسه وقضى به وعزم على ان لا يكون غيره ثم ننجي الذين اتقوا ونذر
الظالمين فيها جثيا قرئ ننجي وننجي وينجي وينجى على ما لم يسم فاعله ان اريد الجنس باسره فهو ظاهر وان اريد
الكفرة وحدهم فمعنى ثم ننجي الذين اتقوا ان المتقين يساقون الى الجنة عقيب ورود الكفار لا انهم يواردونهم
ثم يتخلصون وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس والجحدري وابن ابي ليلى ثم ننجي بفتح الثاء اي هناك وقوله ونذر
الظالمين فيها جثيا دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون الكفرة الى الجنة
بعد تجاثيهم وتبقى الكفرة في مكانهم جاثين واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا للذين امنوا اي
الفريقين خير مقاما واحسن نديا بينات مرتلات الالفاظ ملخصات المعاني مبينات المقاصد اما محكمات
او متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات او تبيين الرسول قولا او فعلا او ظاهرات الاعجاز تحدي
بها فلم يقدر على معارضتها او حججا وبراهين والوجه ان تكون حالا مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا
اذ ايات الله لا تكون الا واضحة وحججا للذين امنوا يحتمل انهم يناطقون المؤمنين بذلك ويواجهونهم
به وانهم يفوهون به لاجلهم وفي معناهم كقوله تعالى وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا
قرأ ابن كثير مقاما بالضم وهو موضع الاقامة والمنزل والباقون بالفتح وهو موضع القيام والمراد
المكان والموضع والندي المجلس ومجتمع القوم وحيث ينتدون والمعنى انهم اذا سمعوا الايات
[illegible] لا يعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم قالوا اي الفريقين من المؤمنين

بالآيات والجاحدين لها اوفر حظا من الدنيا حتى يجعل ذلك عيارا على الفضل والنقص والرفعة
والضعة ويروى انهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون ويتطيبون ويتزينون بالزين الفاخرة
ثم يدعون مفتخرين على فقراء المسلمين انهم اكرم على الله منهم • وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا
ورئيا • كم مفعول اهلكنا ومن تبيين لابهامها اي كثيرا من القرون اهلكنا وكل اهل عصر قرن لمن بعدهم
لانهم يتقدمونهم وهم احسن في محل النصب صفة لكم الا ترى انك لو تركت هم لم يكن لك بد من نصب احسن
على الوصفية الاثاث متاع البيت وقيل هو ما جد من الفرش والخرثي ما لبس منها وانشد الحسن بن علي
الطوسي • تقادم العهد من ام الوليد بنا دهرا وصار اثاث البيت خرثيا • قرئ على خمسة اوجه رئيا و
هو المنظر والهيئة فعل بمعنى مفعول من رأيت ورئيا على القلب كقولهم راء في رأى وريا على قلب همزته
ياء والادغام او من الري الذي هو النعمة والترفه من قولهم ريان من النعيم وريا على حذف الهمزة رأسا
ووجهه ان يخفف المقلوب وهو ريئا بحذف همزته والقاء حركتها على الياء الساكنة قبلها وزيا واشتقاقه
من الزي وهو الجمع لان الزي محاسن مجموعة والمعنى احسن من هؤلاء • قل من كان في الضلالة
فليمدد له الرحمن مدا • اي مد له الرحمن يعني امهله واملى له في العمر فاخرج على لفظ الامر ايذانا
بوجوب ذلك وانه مفعول لا محالة كالمأمور به الممتثل لتقطع معاذير الضال ويقال له يوم القيمة
اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر او كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما او من كان في الضلالة فليمدد
له الرحمن مدا في معنى الدعاء بان يمهله الله وينفس في مدة حياته • حتى اذا راوا ما يوعدون اما
العذاب واما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا • في هذه الاية وجهان احدهما ان
تكون متصلة بالاية التي هي رابعتها والايتان اعتراض بينهما اي قالوا اي الفريقين خير مقاما واحسن
نديا حتى اذا راوا ما يوعدون اي لا يبرحون يقولون هذا القول ويتولعون به لا يتكافون عنه الى
ان يشاهدوا الموعود رأي عين اما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا
واسرا واظهار الله دينه على الدين كله على ايديهم واما يوم القيمة وما ينالهم من الخزي والنكال فحينئذ
عند المعاينة ان الامر على عكس ما قدروه وانهم شر مكانا واضعف جندا لا خير مقاما واحسن نديا

وان

1B

وان المؤمنين على خلاف صفتهم والثاني ان تتصل بما يليها والمعنى ان الذين في الضلالة ممدود لهم في
ضلالتهم والخذلان لاحق بهم لعلم الله بهم وبان الالطاف لا تنفع فيهم وليسوا من اهلها والمراد بالضلالة
ما دعاهم من جهلهم وغلوهم في كفرهم الى القول الذي قالوه لا ينفكون عن ضلالتهم الى ان يعاينوا نصرة
الله المؤمنين او يشاهدوا الساعة ومقدماتها فان قلت حتى هذه ما هي قلت هي التي تحكى بعدها الجمل
الا ترى الجملة الشرطية واقعة بعدها وهي قوله اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون شر مكانا واضعف جندا
مقابلة خير مقاما واحسن نديا لان مقامهم هو مكانهم ومسكنهم والندي المجلس الجامع لوجوه
قومهم واعوانهم وانصارهم والجند هم الانصار والاعوان • ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات
الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا • يزيد معطوف على موضع فليمدد لانه واقع موقع الخبر تقديره
من كان في الضلالة مد او يمد له الرحمن ويزيد اي يزيد في ضلال الضال بخذلانه ويزيد المهتدين
هداية بتوفيقه والباقيات الصالحات اعمال الاخرة كلها وقيل الصلوات الخمس وقيل سبحان الله و
الحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اي هي خير ثوابا من مفاخرات الكفار وخير مردا اي مرجعا وعاقبة او
منفعة من قولهم ليس لهذا الامر مرد وهل يرد بكائي زندا فان قلت كيف قيل خير ثوابا كان لمفاخراتهم ثوابا حتى
يجعل ثواب الصالحات خيرا منه قلت كانه قيل ثوابهم النار على طريقة قوله • فاعتبوا بالصيلم • وقوله
شجعاء جرتها الذميل تلوكه اصلا اذا راح المطي غراثا • وقوله تحية بينهم ضرب وجيع • ثم بني عليه خير
ثوابا وفيه ضرب من التهكم الذي هو اغيظ للمتهدد من ان يقال له عقابك النار فان قلت فما وجه التفضيل
في الخبر كان لمفاخرهم شركا فيه قلت هذا من وجيز كلامهم يقولون الصيف احر من الشتاء اي ابلغ
في حره من الشتاء في برده • افرأيت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا اطلع الغيب ام اتخذ
عند الرحمن عهدا • لما كانت مشاهدة الاشياء ورؤيتها طريقا الى الاحاطة بها علما وصحة الخبر عنها
استعملوا ارأيت في معنى اخبر والفاء جاءت لافادة معناها الذي هو التعقيب كانه قال اخبر ايضا
بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث اولئك اطلع الغيب من قولهم اطلع الجبل اذا ارتقى الى
اعلاه وطلع الثنية قال جرير لاقيت مطلع الجبال وعورا • ويقولون مر مطلعا لذلك الامر اي عاليا له مالكا له

له ولاختيار هذه الكلمة شأن يقول أوقد بلغ من عظمة شأنه أن ارتقى الى علم الغيب الذي توحّد
الواحد القهار والمعنى أن ما ادّعى أن يؤتاه وتألّى عليه لا يتوصل اليه الا بأحد هذين الطريقين
إما علم الغيب وإما عهد من عالم الغيب فبأيّهما توصّل الى ذلك قرأ حمزة والكسائي وُلْدًا وهو جمع وَلَد
كأُسْد في أسد أو بمعنى الولد كالعُرب في العرب وعن يحيى بن يعمر وِلدًا بالكسر وقيل في العهد كلمة
الشهادة وعن قتادة هل له عمل صالح قدّمه فهو يرجو بذلك ما يقول وعن الكلبي هل عهد الله اليه أن
يؤتيه ذلك عن الحسن نزلت في الوليد بن المغيرة والمشهور أنها في العاص بن وائل قال خبّاب بن الأرت
كان لي عليه دين فاقتضيته فقال لا والله حتى تكفر بمحمد قلت لا والله لا أكفر بمحمد حيًا ولا ميتًا ولا حين
بُعثتَ قال فإني إذا متّ بعثت قلت نعم قال إذا بعثت جئتني وسيكون لي ثم مال وولد فأعطيك
وقيل صاغ له خبّاب حليًا فاقتضاه الأجر فقال إنكم تزعمون أنكم تبعثون وأن في الجنة ذهبًا وفضة
وحريرًا فأنا أقضيك ثم فإني أوتى مالًا وولدًا ج • كلا سنكتب ما يقول ونمدّ له من العذاب مدًّا • كلا
ردع وتنبيه على الخطأ أي هو مخطئ فيما يصوّره لنفسه ويتمنّاه فليرتدع عنه فان قلت كيف قيل
سنكتب بسين التسويف وهو كما قاله كُتب من غير تأخير قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب
عتيد قلت فيه وجهان أحدهما سنظهر له ونعلمه أنا كتبنا قوله على طريقة قوله • إذا ما انتسبنا لم تلدني
لئيمة • أي تبيّن وعلم بالانتساب أني لست بابن لئيمة والثاني أن المتوعّد يقول للجاني سوف أنتقم
منك يعني أنه لا يخلّ بالانتصار وإن تطاول به الزمان واستأخر فجرّد هاهنا لمعنى الوعيد ونمدّ له
من العذاب أي نطوّل له من العذاب ما يستأهله ونعذّبه بالنوع الذي يعذّب به المستهزئون
أو نزيده من العذاب ونضاعف له من المدد يقال مدّه وأمدّه بمعنى وتدل عليه قراءة علي بن أبي طالب
ونُمِدّ له بالضم وأكّد ذلك بالمصدر وذلك من فرط غضب الله نعوذ بالله من التعرض لما نستوجب به
غضبه • ونرثه ما يقول ويأتينا فردًا واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزًا • ونرثه ما يقول
أي نزوي عنه ما زعم أنه يناله في الآخرة ونعطيه من يستحقه والمعنى مسمّى ما يقول ومعنى ما يقول
المال والولد يقول الرجل أنا أملك كذا فتقول له ولي فوق ما تقول ويحتمل أنه قد تمنّى وطمع أن يؤتيه

الله في الدنيا مالًا وولدًا وبلغت أشعبيّته أن تألّى على ذلك في قوله لأوتينّ لأنه جواب قسم
مضمر ومن يتألّ على الله يكذبه فيقول الله عز وجل هب أنا أعطيناه ما اشتهاه أما نرثه منه في
العاقبة ويأتينا فردًا غدًا بلا مال ولا ولد كقوله عز وجل ولقد جئتمونا فرادى الآية فما يجدي عليه
تمنّيه وتألّيه ويحتمل أن هذا القول إنما يقوله ما دام حيًا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين أن يقوله
ويأتينا رافضًا له منفردًا عنه غير قائل له أو لا ننسى قوله هذا ولا نلغيه بل نثبته في صحيفته لنضرب
به وجهه في الموقف ونعيّره به ويأتينا على فقره ومسكنته فردًا من المال والولد لم نوله سؤله
ولم نؤته متمنّاه فيجتمع عليه الخطبان تبعة قوله ووباله وفقد المطموع فيه فردًا على الوجه الأول
حال مقدّرة نحو فادخلوها خالدين لأنه وغيره سواء في إتيانه فردًا حين يأتي ثم يتفاوتون بعد ذلك
أي ليعتزّوا بآلهتهم حيث يكونون لهم عند الله شفعاء وأنصارًا ينقذونهم من العذاب • كلا سيكفرون
بعبادتهم ويكونون عليهم ضدًا • كلا ردع لهم وإنكار لتعززهم بالآلهة وقرأ ابن نهيك كلًّا
سيكفرون بعبادتهم أي سيجحدون كلًّا سيكفرون بعبادتهم كقولك زيدًا مررت بغلامه وفي
محتسب ابن جني كَلًّا بفتح الكاف والتنوين وزعم أن معناه كلّ هذا الرأي والاعتقاد كلًّا
ولقائل أن يقول إن صحّت هذه الرواية فهي كلا التي هي للردع قلب الواقف عليها ألفها نونًا
في قوله قواريرًا والضمير في سيكفرون للآلهة أي سيجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون والله
ما عبدتمونا وأنتم كاذبون قال الله تعالى وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا
الذين كنا ندعو من دونك فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون أو للمشركين أي ينكرون لسوء
العاقبة أن يكونوا قد عبدوها قال الله تعالى ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين
ضدًا مقابل لهم عزًا والمراد ضد العز وهو الذل والهوان أي يكونون عليهم ضدًا لما
قصدوه وأرادوه كأنه قيل ويكونون عليهم ذلًا لا لهم عزًا أو يكونون عليهم عونًا والضد العون
يقال من أضدادكم أي أعوانكم وكأن العون سمي ضدًا لأنه يضادّ عدوك وينافيه بإعانته لك
عليه فإن قلت لم وحّد قلت وحّد توحيد قوله عليه السلام وهم يد على من سواهم لاتفاق كلمتهم وأنهم كشيء

توحيده

لفرط تضامهم وتوافقهم ومعنى كون الالهة عونا عليهم انهم وقود النار وحصب جهنم ولانهم
عذبوا بسبب عبادتها وان رجعت الواو في سيكفرون ويكونون الى المشركين فان المعنى ويكونون
عليهم اى على الهتهم ضدا اى كفرة بهم بعد ان كانوا يعبدونها • الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين
تؤزهم ازا • الازّ والهزّ والاستفزاز اخوات ومعناها التهييج وشدة الازعاج اى تغريهم على المعاصي
وتهيجهم لها بالوساوس والتسويلات والمعنى خلينا بينهم وبينهم ولم نمنعهم ولو شاء لمنعهم والمراد
تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الآيات التي ذكر فيها العتاة المردة من الكفار واقاويلهم وملاحتهم
ومعاندتهم للرسل واستهزاءهم بالدين من تماديهم في الغي وافراطهم في العناد وتصميمهم على الكفر و
اجتماعهم على دفع الحق بعد وضوحه وانتفاء الشك عنه وانهماكهم لذلك في اتباع الشياطين وما
تسول لهم • فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا • عجلت عليه بكذا اذا استعجلته منه اى لا تعجل عليهم بان
يهلكوا ويبيدوا حتى تستريح انت والمسلمون من شرورهم وتطهر الارض بقطع دابرهم فليس بينك و
بين ما تطلب من هلاكهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة كانها في سرعة تقضيها الساعة التي تعد
فيها لو عدت ونحوه قوله ولا تستعجل لهم كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار
وعن ابن عباس رضي الله عنه انه كان اذا قراها بكى وقال آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق اهلك آخر
العدد دخول قبرك وعن ابن السماك انه كان عند المأمون فقراها فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم
يكن لها مدد فما اسرع ما تنفد • يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا
نصب يوم بمضمر اى يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف او اذكر يوم نحشر ويجوز
ان ينتصب بلا يملكون ذكر المتقون بلفظ التبجيل وهو انهم يجمعون الى ربهم الذي غمرهم برحمته
وخصهم برضوانه وكرامته كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين للكرامة عندهم وعن علي رضي الله عنه ما
يحشرون والله على ارجلهم ولكنهم على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت وذكر
المجرمين بانهم يساقون الى النار باهانة واستخفاف كانهم نعم عطاش تساق الى الماء والورد العطاش لان من يرد
الماء لا يرده الا لعطش وحقيقة الورد المسير الى الماء قال [illegible]

اعجبها برد الماء فسمي به الواردون وقرأ الحسن يحشر المتقون ويساق المجرمون • لا يملكون الشفاعة الا
من اتخذ عند الرحمن عهدا • الواو في لا يملكون ان جعل ضميرا فهو للعباد ودل عليه ذكر المتقين والمجرمين
لانهم على هذه القسمة ويجوز ان تكون علامة للجمع كالتي في اكلوني البراغيث والفاعل من اتخذ لانه في
معنى الجمع ومحل من اتخذ رفع على البدل وعلى الفاعلية ويجوز ان ينتصب على تقدير حذف المضاف اى الا
شفاعة من اتخذ والمراد لا يملكون ان يشفع لهم واتخاذ العهد الاستظهار بالايمان والعمل وعن ابن
مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ذات يوم ايعجز احدكم ان يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا
قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اني اعهد
اليك باني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك وانك ان تكلني
الى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير واني لا اثق الا برحمتك فاجعل لي عهدا توفينيه يوم القيمة
انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيمة نادى
مناد اين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة وقيل كلمة الشهادة او يكون من عهد الامير
فلان بكذا اذا امره به اى لا يشفع الا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها وتعضده مواضع في التنزيل
وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى ولا تنفع الشفاعة عنده
الا لمن اذن له يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا • وقالوا اتخذ
الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا • قرئ ادا بالكسر والفتح قال ابن خالويه الاد والاد العجب وقيل
العظيم المنكر والادة الشدة وادني الامر واداني اثقلني وعظم علي ادا • تكاد السموات يتفطرن
منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا • تكاد قراءة الكسائي ونافع بالياء و
قرئ ينفطرن الانفطار من فطره اذا شققه والتفطر من فطره اذا شققه وكرر الفعل فيه وقرأ ابن
مسعود ينصدعن اى تهد هدا او مهدودة او مفعول له اى لانها تهد فان قلت ما معنى انفطار السموات
وانشقاق الارض وخرور الجبال ومن اين تؤثر هذه الكلمة في الجمادات قلت فيه وجهان احدهما
[illegible] يقول كدت افعل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا مني على

من تفوّه بها لولا حلمه ووقاره وأني لا أعجّل بالعقوبة كما قال إن الله يمسك السموات والأرض أن
تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليماً غفوراً والثاني أن يكون استعظاماً
للكلمة وتهويلاً من فظاعتها وتصويراً لأثرها في الدين وهدمها لأركانه وقواعده وأن مثال ذلك
الأثر في المحسوسات أن يصيب هذه الأجرام العظيمة التي هي قوام العالم ما تنفطر منه وتنشق وتخر
وفي قوله لقد جئتم وما فيه من المخاطبة بعد الغيبة وهو الذي يسمى الالتفات في علم البلاغة زيادة
تسجيل عليهم بالجرأة على الله والتعرض لسخطه وتنبيه على عظم ما قالوا في أن دعوا ثلاثة أوجه أن
يكون مجروراً بدلاً من الهاء في منه كقوله على حالة لو أن في القوم حاتماً على جوده لضنّ بالماء حاتم
ومنصوباً بتقدير سقوط اللام وإفضاء الفعل أي هدّاً لأن دعوا علّل الخرور بالهدّ والهدّ بدعاء
الولد للرحمن ومرفوعاً بأنه فاعل هدّاً أي هدّها دعاء الولد للرحمن وفي اختصاص الرحمن وتكريره
مرات من الفائدة أنه هو الرحمن لا يستحق هذا الاسم غيره من قبل أن أصول النعم وفروعها منه خلق
العالمين وخلق لهم جميع ما معهم كما قال بعضهم فلينكشف عن بصرك غطاؤه فأنت وجميع ما عندك عطاؤه
فمن أضاف إليه ولداً فقد جعله كبعض خلقه وأخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن هو من دعا بمعنى
سمّى المتعدي إلى مفعولين فاقتصر على أحدهما الذي هو الثاني طلباً للعموم والإحاطة بكل ما ادّعي
له ولداً أو من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ما في قوله عليه السلم من ادّعى إلى غير مواليه وقول الشاعر
إنا بني نهشل لا ندّعي لأب أي لا ننتسب إليه • وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً • انبغى مطاوع بغى
إذا طلب ما يتأتى له اتخاذ الولد وما ينطلب لو طلب مثلاً لأنه محال غير داخل تحت الصحة
أما الولادة المعروفة فلا مقال في استحالتها وأما التبني فلا يكون إلا فيما هو من جنس المتبنّي وليس للقديم
سبحانه جنس تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً • إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن
عبداً لقد أحصيهم وعدّهم عدّاً وكلهم آتيه يوم القيمة فرداً • من موصوفة لأنها وقعت بعد
كل نكرة وقوعها بعد رب في قوله رب من أنضجت غيظاً صدره وقرأ ابن مسعود وأبو حيوة آتٍ الرحمن
على أصله قبل الإضافة الإحصاء الحصر والضبط يعني حصرهم بعلمه وأحاط بهم وعدّهم عدّ الذي

اعتقدوا في الملائكة وعيسى وعزير أنهم أولاد الله كانوا بين كفرين أحدهما القول بأن الرحمن يصحّ
أن يكون والداً والثاني إشراك الذين زعموهم لله أولاداً في عبادته كما يخدم الناس أبناء الملوك
خدمتهم لآبائهم فهدم الله الكفر الأول فيما تقدم من الآيات ثم عقّبه بهدم الكفر الآخر والمعنى
ما من معبود لهم في السموات والأرض من الملائكة ومن الناس إلا وهو يأتي الرحمن أي يأوي إليه
ويلتجئ إلى ربوبيته عبداً منقاداً مطيعاً خاشعاً خاشياً راجياً كما يفعل العبيد وكما يجب عليهم لا
يدّعي لنفسه ما يدّعيه له هؤلاء الضلال ونحوه قوله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم
الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه وكلهم متقلبون في ملكوته مقهورون بقهره وهو
مهيمن عليهم محيط بهم وبجمل أمورهم وتفاصيلها وكيفيتهم وكميتهم لا يفوته شيء من أحوالهم وكل واحد منهم
آتيه يوم القيمة منفرداً ليس معه من هؤلاء المشركين أحد وهم براء منهم • إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات
سيجعل لهم الرحمن وداً • قرأ جناح بن حبيش وِدّاً بالكسر والمعنى سيحدث لهم في القلوب مودة ويزرعها
لهم فيها من غير تودد منهم ولا تعرض للأسباب التي تكتسب بها الناس مودات القلوب من قرابة أو صداقة
أو اصطناع بمبرة أو غير ذلك وإنما هو اختراع منه ابتداء اختصاصاً منه لأوليائه بكرامة خاصة كما
قذف في قلوب أعدائهم الرعب والهيبة إعظاماً لهم وإجلالاً لمكانهم والسين إما لأن السورة مكية
وكان المؤمنون حينئذ ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله ذلك إذا دجا الإسلام وإما أن يكون ذلك يوم القيمة
يحببهم إلى خلقه بما يعرض من حسناتهم وينشر من ديوان أعمالهم وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي
رضي الله عنه يا علي قل اللهم اجعل لي عندك عهداً واجعل لي في صدور المؤمنين مودة فأنزل الله هذه
الآية وعن ابن عباس يعني يحبهم الله ويحببهم إلى خلقه وعن رسول الله صلعم يقول الله عز وجل يا جبريل قد
أحببت فلاناً فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إن الله قد أحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل
السماء ثم يضع له المحبة في الأرض وعن قتادة ما أقبل العبد إلى الله إلا أقبل الله بقلوب العباد إليه •
فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لدّاً • هذه خاتمة السورة ومقطعها فكأنه قال
بلّغ هذا المنزل أو بشّر به وأنذر فإنما أنزلناه بلسانك أي بلغتك وهو اللسان العربي المبين

وسهلناه وفصلناه لتبشر به وتنذر واللد الشداد الخصومة بالباطل الآخذون في كل لديد اي
في كل شق من المراء والجدال لفرط لجاجهم يريد اهل مكة • وكم اهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من احد
او تسمع لهم ركزا • وقوله وكم اهلكنا تخويف لهم وانذار وقرئ تحس من حسه اذا شعر به ومنه الحواس
والمحسوسات وقرأ حنظلة تسمع مضارع اسمعت والركز الصوت الخفي ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه
في الارض والركاز المال المدفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم اعطي عشر حسنات بعدد من
كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وابرهيم واسحق ويعقوب وموسى وهرون واسمعيل و
ادريس وعشر حسنات بعدد من دعا الله في الدنيا وبعدد من لم يدع الله سورة طه مكية وهي مائة و ثلثون
اربعون واربع آيات بسم الله الرحمن الرحيم
طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى • ابو عمرو فخم الطاء لاستعلائها وامال الهاء
وفخمهما ابن كثير وابن عامر على الاصل والباقون اما لوهما وعن الحسن طه وفسر بانه امر بالوطء وان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يقوم في تهجده على احدى رجليه فامر بان يطأ الارض بقدميه معا وان الاصل طأ
فقلبت همزته هاء او قلبت في يطأ الفا فيمن قال لا هناك المرتع ثم بني عليه الامر والهاء للسكت ويجوز
ان يكتفى بشطري الاسمين وهما الدالان بلفظهما على المسميين والله اعلم بصحة ما يقال ان طاها في
لغة عك في معنى يا رجل ولعل عكا تصرفوا في يا هذا كانهم في لغتهم قالبون الياء طاء فقالوا في يا
اختصروا هذا فاقتصروا على ها واثر الصنعة ظاهر لا يخفى في البيت المستشهد به ان السفاهة
طاها في خلائقكم لا قدس الله اخلاق الملاعين • والاقوال الثلاثة في الفواتح اعني التي قدمتها في
اول الكاشف عن حقائق التنزيل هي التي يعول عليها الالباء المتقنون ما انزلنا ان جعلت طه
تعديدا لاسماء الحروف على الوجه السابق ذكره فهو ابتداء كلام وان جعلتها اسما للسورة احتمل ان يكون
خبرا عنها وهي في موضع المبتدأ والقرآن ظاهر اوقع موقع الضمير لانها قرآن وان يكون جوابا لها وهي
قسم وقرئ ما نزل عليك القرآن لتشقى لتتعب لفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على ان
كقوله فلعلك باخع نفسك والشقاء يجيء في معنى التعب ومنه المثل اتعب من رائض مهر واشقى من

مهر اي ما عليك الا ان تبلغ وتذكر ولم يكتب عليك ان يؤمنوا لا محالة بعد ان لم تفرط في اداء الرسالة
والموعظة الحسنة وقيل ان ابا جهل والنضر بن الحارث قالا له انك شقي لانك تركت دين آبائك
فاريد رد ذلك بان دين الاسلام وهذا القرآن هو السلم الى نيل كل فوز والسبب في درك كل سعادة و
ما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها وروي انه صلى الله عليه وسلم صلى بالليل حتى اسمغدت قدماه فقال له
جبريل ابق على نفسك فان لها عليك حقا اي ما انزلناه لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة الفادحة
وما بعثت الا بالحنيفية السمحة وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة للفعل الا ان الاول وجب مجيئه
مع اللام لانه ليس بفاعل لفعل المعلل ففاتته شريطة الانتصاب على المفعولية والثاني جاز قطع اللام
عنه ونصبه لاستجماعه الشرائط فان قلت اما يجوز ان تقول ما انزلنا عليك القرآن ان تشقى كقوله
ان تحبط اعمالكم قلت بلى ولكنها نصبة طارئة كالنصبة في واختار موسى قومه واما النصبة في تذكرة
فهي كالتي في ضربت زيدا لانه احد المفاعيل الخمسة التي هي اصول وقوانين لغيرها فان قلت هل يجوز
ان يكون تذكرة بدلا من محل لتشقى قلت لا لاختلاف الجنسين ولكنها نصب على الاستثناء المنقطع الذي
الا فيه بمعنى لكن ويحتمل ان يكون المعنى انا انزلنا عليك القرآن لتحتمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة
من اعداء الاسلام ومقاتلتهم وغير ذلك من انواع المشاق وتكاليف النبوة وما انزلنا عليك هذا
المتعب الشاق الا ليكون تذكرة وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون تذكرة حالا او مفعولا له لمن يخشى لمن
يؤول امره الى الخشية ولمن يعلم الله منه انه يبدل بالكفر ايمانا وبالفسوق خشية • تنزيلا ممن خلق الارض
والسموات العلى • في نصب تنزيلا وجوه ان يكون بدلا من تذكرة اذا جعل حالا لا اذا كان مفعولا له
لان الشيء لا يعلل بنفسه وان ينصب بانزلنا لان معنى ما انزلناه الا تذكرة انزلناه تذكرة وان ينصب على
المدح والاختصاص وان ينصب بيخشى مفعولا به اي انزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله وهو معنى حسن
واعراب بين وقرئ تنزيل بالرفع على خبر مبتدأ محذوف ما بعد تنزيلا الى قوله له الاسماء الحسنى تعظيم وتفخيم
لشأن التنزيل لنسبته الى من هذه افعاله وصفاته ولا يخلو من ان يكون متعلقه اما تنزيلا نفسه فيقع
صلة له واما محذوفا فيقع صفة له فان قلت ما فائدة النقلة من لفظ المتكلم الى لفظ الغائب قلت غير

واحد منها عادة الافتنان في الكلام وما يعطيه من الحسن والروعة ومنها ان هذه الصفات انما
تسردت مع لفظ الغيبة ومنها انه قال اولا انزلنا ففخم بالاسناد الى ضمير الواحد المطاع ثم ثنى بالنسبة
الى المختص بصفات العظمة والتمجيد فضوعفت الفخامة من طريقين ويجوز ان يكون انزلنا حكاية
لكلام جبريل والملائكة النازلين معه وصف السموات بالعلى دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها
في علوها وبعد مرتقاها • الرحمن على العرش استوى • قرئ الرحمن مجرورا صفة لمن خلق والرفع احسن
لانه اما ان يكون رفعا على المدح على تقدير هو الرحمن واما ان يكون مبتدأ مشارا بلامه الى من خلق
فان قلت الجملة التي هي على العرش استوى ما محلها اذا جررت الرحمن او رفعته على المدح قلت اذا جررت
فهي خبر مبتدأ محذوف لا غير وان رفعت جاز ان تكون كذلك وان تكون مع الرحمن خبرين للمبتدأ
لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا استوى فلان
على العرش يريدون ملك وان لم يقعد على السرير البتة وقالوه ايضا لشهرته في ذلك المعنى ومساواته
ملك في مؤداه وان كان اشرح وابسط وادل على صورة الامر ونحوه قولك يد فلان مبسوطة ويد فلان
مغلولة بمعنى انه جواد او بخيل لا فرق بين العبارتين الا فيما قلت حتى ان من لم يبسط يده قط بالنوال
او لم تكن له يد رأسا قيل فيه يده مبسوطة لمساواته عندهم قولهم جواد ومنه قول الله عز وجل وقالت
اليهود يد الله مغلولة اي هو بخيل بل يداه مبسوطتان اي هو جواد من غير تصور يد ولا غل ولا بسط والتفسير
بالنعمة والتمحل للتثنية من ضيق العطن والمسافرة عن علم البيان مسيرة اعوام • له ما في السموات وما
في الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى • ما تحت الثرى ما تحت سبع
الارضين عن محمد بن كعب وعن السدي هو الصخرة التي تحت الارض السابعة اي يعلم ما اسررته الى غيرك
واخفى من ذلك وهو ما اخطرته ببالك وما اسررته في نفسك واخفى منه وهو ما ستسره فيها
انا اخفى فعل يعني انه يعلم اسرار العباد واخفى عنهم ما يعلمه هو كقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا
يحيطون به علما وليس بذاك فان قلت كيف طابق الجزاء الشرط قلت معناه وان تجهر بذكر الله من دعاء او
غيره فاعلم انه غني عن جهرك فاما ان يكون نهيا عن الجهر كقوله واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون

من القول واما تعليما للعباد ان الجهر ليس لاسماع الله وانما هو لغرض آخر • الله لا اله الا هو له الاسماء
الحسنى • الحسنى تانيث الاحسن وصفت بها الاسماء لان حكمها حكم المؤنث كقولك الجماعة الحسنى ومثلها
مآرب اخرى ومن آياتنا الكبرى والذي فضلت به اسماؤه في الحسن سائر الاسماء دلالتها على معاني
التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والافعال التي هي النهاية في الحسن • وهل اتاك حديث موسى
قفاه بقصة موسى عليه السلام ليأتسي به في تحمل اعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد
حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود • اذ رأى نارا فقال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها
بقبس او اجد على النار هدى • يجوز ان ينتصب اذ ظرفا للحديث لانه حدث وللمضمر اي حين رأى نارا
كان كيت وكيت او مفعولا لاذكر استأذن موسى شعيبا عليهما السلام في الخروج الى امه وخرج باهله
فولد له في الطريق ابن في ليلة مظلمة شاتية مثلجة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده
وقدح فصلد زنده فرأى النار عند ذلك قيل كانت ليلة جمعة امكثوا اقيموا في مكانكم الايناس الابصار
البين الذي لا شبهة فيه ومنه انسان العين لانه يتبين به الشيء والانس لظهورهم كما قيل الجن
لاستتارهم وقيل هو ابصار ما يؤنس به لما وجد منه الايناس فكان مقطوعا متيقنا حققه لهم بكلمة ان ليوطن
انفسهم ولما كان الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين بنى الامر فيهما على الرجاء والطمع
وقال لعلي ولم يقطع فيقول اني آتيكم لئلا يعد ما ليس بمستيقن الوفاء به القبس النار المقتبسة في
رأس عود او فتيلة او غيرهما ومنه قيل المقبسة لما يقتبس فيه من سعفة او نحوها هدى اي قوما يهدونني
الطريق او ينفعونني بهداهم في ابواب الدين عن مجاهد وقتادة وذلك ان افكار الابرار مغمورة بالهمة الدينية
في جميع احوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والمعنى ذوي هدى او اذا وجد الهداة فقد وجد الهدى ومعنى
الاستعلاء في على النار ان اهل النار يستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيد
انه لصوق بمكان يقرب من زيد او لان المصطلين بها والمستمتعين اذا تكنفوها قياما وقعودا
كانوا مشرفين عليها ومنه قول الاعشى • وبات على النار الندى والمحلق • قرأ ابو عمرو وابن كثير اني بالفتح
اي نودي بأني انا ربك وكسر الباقون • فلما اتاها نودي يا موسى • اي نودي فقيل يا موسى او لان النداء

ضرب من القول نقول معاملته تكرير الضمير في اني انا ربك لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة
الشبهة روي انه لما نودي يا موسى قال من المتكلم فقال الله عز وجل انا ربك وان ابليس وسوس اليه
لعلك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله باني اسمعه من جميع جهاتي الست واسمعه بجميع
اعضائي وروي انه حين انتهى رأى شجرة خضراء من اسفلها الى اعلاها كأنها نار بيضاء تتقد وسمع تسبيح
الملائكة ورأى نوراً عظيماً فخاف وبهت فالقيت عليه السكينة ثم نودي وكانت الشجرة عوسجة وروي
كلما دنا او بعد لم يختلف ما كان يسمع من الصوت وعن ابن اسحق لما دنا استأخرت عنه فلما رأى ذلك
رجع واوجس في نفسه خيفة فلما اراد الرجعة دنت منه ثم كلم • اني انا ربك فاخلع نعليك انك
بالواد المقدس طوى • قيل امر بخلع النعلين لانهما كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ عن السدي وقتادة
وقيل ليباشر الوادي بقدميه متبركاً به وقيل لان الحفوة تواضع لله ومن ثم طاف السلف بالكعبة
حافين ومنهم من استعظم دخول المسجد بنعليه وكان اذا ندر منه الدخول تصدق والقرآن يدل
على ان ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها وتشريف لقدسها وروي انه خلع نعليه والقاهما من وراء
الوادي طوى بالضم والكسر منصرف وغير منصرف بتأويل المكان والبقعة وقيل مرتين نحو ثنى اي
نودي نداءين او قدس الوادي كرة بعد كرة • وانا اخترتك فاستمع لما يوحى • اخترتك اصطفيتك
للنبوة وقرأ حمزة وانا اخترناك لما يوحى للذي يوحى اليك او للوحي تعلق اللام باستمع او باخترتك انني
انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلوة لذكري • لذكري لتذكرني فان ذكري ان اعبد ويصلى
لي او لتذكرني فيها لاشتمال الصلوة على الاذكار عن مجاهد او لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها او
لان اذكرك بالمدح والثناء واجعل لك لسان صدق او لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيره
او لاخلاص ذكري وطلب وجهي لا ترائي بها ولا تقصد بها غرضاً آخر او لتكون لي ذاكراً غير ناس
المخلصين في جعلهم ذكر ربهم على بال منهم وتوكيل هممهم وافكارهم به كما قال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن
ذكر الله او لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلوة كقوله ان الصلوة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً واللام
مثلها في قولك جئتك لوقت كذا وكان ذلك لست ليال خلون ومنه قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي
اي الوقت ست ليال

على ذكر الصلوة بعد نسيانها من قوله صلى الله عليه وسلم من نام عن صلوة او نسيها فليصلها اذا ذكرها وكان حق
العبارة ان يقال لذكرها كما قال رسول الله صلعم اذا ذكرها ومن يتمحل له يقول اذا ذكر الصلوة فقد ذكر الله
او بتقدير حذف المضاف اي لذكر صلاتي او لان الذكر والنسيان من الله عز وجل في الحقيقة وقرأ رسول الله صلعم
للذكرى • ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى • اي اكاد اخفيها فلا اقول هي آتية لفرط
ارادتي اخفاءها ولولا ما في الاخبار باتيانها مع تعميه وقتها من اللطف لما اخبرت به وقيل معناه اكاد اخفيها
من نفسي ولا دليل في الكلام على هذا المحذوف ومحذوف لا دليل عليه مطرح والذي غرهم منه ان في مصحف
ابي اكاد اخفيها من نفسي وفي بعض المصاحف اكاد اخفيها من نفسي فكيف اظهركم عليها وعن ابي الدرداء
وسعيد بن جبير اخفيها بالفتح من خفاه اذا اظهره اي قرب اظهارها كقوله اقتربت الساعة وقد جاء في
بعض اللغات اخفاه بمعنى خفاه وبه فسر بيت امرئ القيس فان تدفنوا الداء لا نخفه وان تبعثوا الحرب لا
نقعد فاكاد اخفيها محتمل للمعنيين لتجزى متعلق بآتية بما تسعى بسعيها اي لا يصدنك عن تصديقها
والضمير للقيامة ويجوز ان يكون للصلوة • فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى فان
قلت العبارة لنهي من لا يؤمن عن صد موسى والمقصود نهي موسى عن التكذيب بالبعث وامره بالتصديق فكيف
مضاف الى المفعول اي صد الكافر موسى
صلحت هذه العبارة لاداء هذا المقصود قلت فيه وجهان احدهما ان صد الكافر عن التصديق بها
سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب والثاني ان صد الكافر مسبب عن رخاوة الرجل في الدين ولين
شكيمته فذكر المسبب ليدل على السبب كقولهم لا ارينك ههنا المراد نهيه عن مشاهدته والكون
بحضرته وذلك سبب رؤيته اياه فكان ذكر المسبب دليلاً على السبب كأنه قيل فكن شديد الشكيمة صليب
المعجم حتى لا يتلوح منك لمن يكفر بالبعث انه يطمع في صدك عما انت عليه يعني ان من لا يؤمن بالآخرة
هم الجم الغفير اذ لا شيء اطم على الكفرة ولا هم اشد له نكيراً من البعث فلا يهولنك وفور دهمائهم وعظم
سوادهم ولا تجعل الكثرة مزلة قدمك واعلم انهم وان كثروا تلك الكثرة فقدوتهم فيما هم فيه هو الهوى
واتباعه لا البرهان وتدبره وفي هذا حث عظيم على العمل بالدليل وزجر بليغ عن التقليد وانذار بان
الهلاك والردى مع التقليد واهله • وما تلك بيمينك • كقوله وهذا بعلي شيخاً في انتصاب الحال بمعنى الاشارة

ويجوز ان يكون تلك اسما موصولا صلته • وما تلك بيمينك يا موسى • بيمينك انما سأله ليريه عظم ما
يخترعه عز وعلا فى الخشبة اليابسة من قلبها حية نضناضة وليقرر فى نفسه المباينة البعيدة
بين المقلوب عنه والمقلوب اليه وينبهه على قدرته الباهرة ونظيره ان يريك الزراد زبرة من حديد
ويقول لك ما هى فتقول زبرة حديد ثم يريك بعد ايام لبوسا مسردا فيقول لك هى تلك الزبرة
صيرتها الى ما ترى من عجيب الصنعة وانيق السرد • قال هى عصاى اتوكأ عليها واهش بها على
غنمى ولى فيها مآرب اخرى • قرأ ابن اسحق عصى على لغة هذيل ومثله يا بشى ارادوا كسر ما
قبل ياء المتكلم فلم يقدروا عليه فقلبوا الالف الى اخت الكسرة وقرأ الحسن عصاى بكسر الياء لالتقاء
الساكنين وهو مثل قراءة حمزة بمصرخى وعن ابن ابى اسحق سكون الياء • اتوكأ عليها اعتمد عليها اذا اعييت
او وقفت على رأس القطيع وعند الطفرة هش الورق خبطه اى اخبطه على رؤس غنمى تأكله وعن
لقمن بن عاد • اكلت حقا وابن لبون وجذع • وهشة نخب وسيلا دفع • والحمد لله من غير شبع سمعته
غير واحد من العرب ونخب واد قريب من الطائف كثير السدر وفى قراءة النخعى أهش وكلاهما من
هش الخبز يهش اذا كان ينكسر لهشاشته وعن عكرمة اهس بالسين اى انحى عليها زاجرا لها والهس
زجر الغنم ذكر على التفصيل والاجمال المنافع المتعلقة بالعصا كانه احس بما يعقب هذا السؤال من
امر عظيم يحدثه الله فقال ما هى الا عصا لا تنفع الا منافع بنات جنسها وكما تنفع العيدان ليكون جوابه
مطابقا للغرض الذى فهمه من فحوى كلام ربه ويجوز ان يريد عز وجل ان يعدد المرافق الكثيرة
التى علقها بالعصا ويستكثرها ويستعظمها ثم يريه على عقب ذلك الآية العظيمة كانه يقول له اين انت من
هذه المنفعة العظمى والمأربة الكبرى المنسية عندها كل منفعة ومأربة كنت تعتد بها وتحتفل
بشأنها وقالوا انما سأله ليبسطه منه ويقلل هيبته وقالوا انما اجمل موسى ليسأله عن تلك المآرب
فيزيد فى اكرامه وقالوا انقطع لسانه بالهيبة فاجمل وقالوا اسم العصا نبعة وقيل فى المآرب كانت
ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن حناه بالمحجن واذا طلب كسره لواه بالشعبتين واذا
سار القاها على عاتقه فعلق بها ادواته من القوس والكنانة والحلاب وغيرها واذا كان فى البرية ركزها

وعرض

وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل واذا قصر رشاؤه وصله بها وكان
يقاتل بها السباع عن غنمه وقيل كان فيها من المعجزات انه كان يستقى بها فتطول بطول البئر وتصير
شعبتاها دلوا وتكونان شمعتين بالليل واذا ظهر عدو حاربت عنه واذا اشتهى ثمرة ركزها فاورقت
واثمرت وكان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه ويركزها فينبع الماء فاذا رفعها نضب و
كانت تقيه الهوام • قال القها يا موسى فالقاها فاذا هى حية تسعى • السعى المشى بسرعة وخفة حركة
فان قلت كيف ذكرت بالفاظ مختلفة بالحية والجان والثعبان قلت اما الحية فاسم جنس يقع على
الذكر والانثى والصغير والكبير واما الثعبان والجان فبينهما تناف لان الثعبان العظيم من الحيات
والجان الدقيق وفى ذلك وجهان احدهما انها كانت وقت انقلابها حية تنقلب حية صفراء دقيقة
ثم تتورم ويتزايد جرمها حتى تصير ثعبانا فاريد بالجان اول حالها وبالثعبان مآلها والثانى انها كانت
فى شخص الثعبان وسرعة حركة الجان والدليل عليه قوله فلما رآها تهتز كانها جان وقيل كان لها
عرف كعرف الفرس وقيل كان بين لحييها اربعون ذراعا • قال خذها ولا تخف سنعيدها
سيرتها الاولى • لما رأى ذلك الامر العجيب الهائل ملكه من الفزع والنفار ما يملك البشر عند
الاهوال والمخاوف وعن ابن عباس انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع الصخر والشجر فلما رآه يبتلع كل
شئ خاف ونفر وعن بعضهم انما خافها لانه عرف ما لقى آدم منها وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ
من ذهاب خوفه وطمأنينة نفسه ان ادخل يده فى فمها واخذ بلحييها • السيرة من السير
كالركبة من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت الى معنى المذهب و
الطريقة وقيل سير الاولين فيجوز ان ينتصب على الظرف اى سنعيدها فى طريقتها الاولى اى فى حال
ما كانت عصا وان يكون اعاد منقولا من عاده بمعنى عاد اليه ومنه بيت زهير • وعادك ان تلاقيها
عداء فيتعدى الى مفعولين ووجه ثالث حسن وهو ان يكون سنعيدها مستقلا بنفسه غير
متعلق بسيرتها بمعنى انها انشئت اول ما انشئت عصا ثم ذهبت وبطلت بالقلب حية
فسنعيدها بعد ذهابها كما انشأناها اولا ونصب سيرتها بفعل مضمر اى تسير سيرتها الاولى

يعني سنعيدها سيرتها الاولى حيث كنت تتوكأ عليها ولك فيها المآرب التي عرفتها واضمم
يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية اخرى لنريك من آياتنا الكبرى قيل لكل ناحيتين
جناحان كجناحي العسكر لمجنبتيه وجناحا الانسان جنباه والاصل المستعار منه جناحا الطائر
سميا جناحين لانه يجنحهما عند الطيران والمراد الى جنبك تحت العضد دل على ذلك قوله تخرج
السوء الرداءة والقبح في كل شئ فكني به عن البرص كما كني عن العورة بالسوءة وكان جذيمة صاحب
الزباء ابرص فكنوا عنه بالابرش والبرص ابغض شئ الى العرب وبهم عنه نفرة عظيمة واسماعهم
لاسمه مجاجة فكان جديرا بان يكنى عنه ولا ترى احسن ولا الطف ولا احز للمفاصل من كنايات القرآن
وآدابه يروى انه كان آدم فاخرج يده من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يغشي البصر بيضاء
وآية حالان معا ومن غير سوء من صلة البيضاء كما تقول ابيضت من غير سوء وفي نصب آية وجه آخر وهو ان
يكون باضمار نحو خذ ودونك وما اشبه ذلك حذف لدلالة الكلام وقد تعلق بهذا المحذوف لنريك
اي خذ هذه الآية ايضا بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الآيتين آياتنا الكبرى او لنريك بهما الكبرى
من آياتنا او لنريك من آياتنا الكبرى فعلنا ذلك اذهب الى فرعون انه طغى قال رب اشرح
صدري ويسر لي امري لما امره بالذهاب الى فرعون الطاغي لعنه الله عرف انه كلف امرا عظيما وخطبا
جسيما يحتاج معه الى احتمال ما لا يحتمله الا ذو جاش رابط وصدر فسيح فاستوهب ربه ان يشرح
صدره ويفسح قلبه ويجعله حليما حمولا يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد التي يذهب معها
صبر الصابر بجميل الصبر وحسن الثبات وان يسهل عليه في الجملة امره الذي هو خلافة الله في
ارضه وما يصحبها من مزاولة معاظم الشؤون ومقاساة جلائل الخطوب فان قلت لي في قوله اشرح
لي صدري ويسر لي امري ما جدواه والكلام بدونه مستتب قلت قد ابهم الكلام اولا فقيل اشرح
لي ويسر لي فعلم ان ثمة مشروحا وميسرا ثم بين ورفع الابهام بذكرهما فكان آكد لطلب الشرح
والتيسير لصدره وامره من ان يقول اشرح صدري ويسر امري على الايضاح الساذج لانه تكرير
للمعنى الواحد من طريقي الاجمال والتفصيل واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي روي ان في

كان في لسانه رتة لما روي من حديث الجمرة ويروى ان يده احترقت وان فرعون اجتهد في علاجها
فلم تبرأ ولما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي ابرأ يدي وقد عجزت عنها وعن بعضهم
انما لم تبرأ يده لئلا يدخلها مع فرعون في قصعة واحدة فتنعقد بينهما حرمة المواكلة واختلف في
زوال العقدة بكمالها فقيل بقي بعضها لقوله واخي هرون هو افصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين
وكان في لسان الحسين بن علي رضي الله عنهما رتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثها من عمه موسى و
قيل زالت لقوله قد اوتيت سؤلك يا موسى وفي تنكير العقدة وان لم يقل عقدة لساني انه طلب حل بعضها
ارادة ان يفهم عنه فهما جيدا ولم يطلب الفصاحة الكاملة ومن لساني صفة للعقدة كأنه قيل
عقدة من عقد لساني واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي الوزير من الوزر لانه يتحمل عن الملك
اوزاره ومؤنه او من الوزر لان الملك يعتصم برأيه ويلجئ اليه اموره او من الموازرة وهي المعاونة
عن الاصمعي قال وكان القياس ازير فقلبت الهمزة الى الواو ووجه قلبها ان فعيلا جاء في معنى مفاعل
مجيئا صالحا كقولهم عشير وجليس وقعيد وخليل وصديق ونديم فلما قلبت في اخيه قلبت فيه
وحمل الشئ على نظيره ليس بعزيز ونظرا الى يوازر واخواته والى الموازرة وزيرا وهرون مفعولا
قوله اجعل قدم ثانيهما على اولهما عناية بامر الوزارة او لي وزيرا مفعولاه وهرون عطف بيان للوزير
واخي في الوجهين بدل من هرون وان جعل عطف بيان آخر جاز وحسن اشدد به ازري واشركه
في امري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا قرأوا جميعا اشدد واشركه على الدعاء
وابن عامر وحده اشدد واشركه على الجواب وفي مصحف ابن مسعود اخي واشدد وعن ابي بن كعب اشركه
في امري واشدد به ازري ويجوز فيمن قرأ على لفظ الامر ان يجعل اخي مرفوعا على الابتداء واشدد به
خبره ويوقف على هرون الازر القوة وآزره قواه اي اجعله شريكي في الرسالة حتى نتعاون على
عبادتك وذكرك فان التعاون لانه مهيج الرغبات يتزايد به الخير ويتكاثر انك كنت بنا بصيرا
اي عالما باحوالنا وبان التعاضد مما يصلحنا وان هرون نعم المعين والشاد لعضدي بانه اكبر مني
سنا وافصح مني لسانا قال قد اوتيت سؤلك يا موسى ولقد مننا عليك مرة اخرى السؤل

الطلبة فعل بمعنى مفعول كقولك خبز بمعنى مخبوز واكل بمعنى مأكول اذ اوحينا الى امك ما يوحى الوحى
الى ام موسى اما ان يكون على لسان نبى فى وقتها كقوله واذ اوحيت الى الحواريين او يبعث اليها ملكا
لا على وجه النبوة كما الى مريم او يريها ذلك فى المنام فتتنبه عليه او يلهمها كقوله واوحى ربك الى النحل
اى اوحينا اليها امرا لا سبيل الى التوصل اليه ولا الى العلم به الا بالوحى وفيه مصلحة دينية فوجب ان
يوحى ولا يخل به اى هو مما يوحى لا محالة وهو امر عظيم مثله يحق بان يوحى ان هى المفسرة لان الوحى
بمعنى القول ان اقذفيه فى التابوت فاقذفيه فى اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لى وعدو له
والقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى القذف مستعمل فى معنى الالقاء والوضع ومنه قوله تعالى
وقذف فى قلوبهم الرعب وكذلك الرمى قال غلام رماه الله بالحسن يافعا اى حصل فيه الحسن ووضعه فيه
والضمائر كلها راجعة الى موسى ورجوع بعضها اليه وبعضها الى التابوت فيه هجنة لما يؤدى اليه من
تنافر النظم فان قلت المقذوف فى البحر هو التابوت وكذلك الملقى الى الساحل قلت ما ضرك لو قلت
المقذوف والملقى هو موسى فى جوف التابوت حتى لا تفرق الضمائر فيتنافر عليك النظم الذى هو ام
اعجاز القرآن والقانون الذى وقع عليه التحدى ومراعاته اهم ما يجب على المفسر لما كانت مشيئة
الله وارادته ان لا تخطى جرية ماء اليم الوصول به الى الساحل والقاءه اليه سلك فى ذلك سبيل
المجاز وجعل اليم كانه ذو تمييز امر بذلك ليطيع الامر ويمتثل رسمه فقيل فليلقه اليم بالساحل
روى انها جعلت فى التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه وجصصته وقيرته ثم القته فى
اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر كبير فبينا هو جالس على راس بركة مع آسية اذا بالتابوت
فامر به فاخرج ففتح فاذا صبى اصبح الناس وجها فاحبه عدو الله حبا شديدا لا يتمالك ان يصبر عنه
وظاهر اللفظ على ان البحر القاه بساحله وهو شاطئه لان الماء يسحله اى يقشره وقذفه فى البركة فاما
ان يكون قد القاه اليم بموضع من الساحل فيه فوهة نهر فرعون ثم اداه النهر الى حيث
البركة منى لا يخلو اما ان يتعلق بالقيت فيكون المعنى على انى احببتك ومن احبه الله احبته القلوب
واما ان يتعلق بمحذوف هو صفة لمحبة اى محبة حاصلة او واقعة منى قد ركزتها انا فى القلوب وزرعتها

فيها فلذلك احبك فرعون وكل من ابصرك روى انه كانت على وجهه مسحة جمال وفى عينيه ملاحة
لا يكاد يصبر عنه من رآه على عينى لتربى ويحسن اليك وانا مراعيك ومراقبك كما يراعى الرجل
الشئ بعينيه اذا اعتنى به وتقول للصانع اصنع هذا على عينى انظر اليك لئلا تخالف به عن
مرادى وبغيتى ولتصنع معطوف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك وترأم ونحوه او حذف
معلله اى ولتصنع فعلت ذلك وقرئ ولتصنع ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على انه امر
وقرئ ولتصنع بفتح التاء والنصب اى وليكون عملك وتصرفك على عين منى اذ تمشى اختك
فتقول هل ادلكم على من يكفله فرجعناك الى امك كى تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك
من الغم وفتناك فتونا العامل فى اذ تمشى القيت او تصنع ويجوز ان يكون بدلا من اذ اوحينا
فان قلت كيف يصح البدل والوقتان مختلفان متباعدان قلت كما يصح وان اتسع الوقت و
تباعد طرفاه ان يقول لك الرجل لقيت فلانا سنة كذا فتقول وانا لقيته اذ ذاك وربما لقيه هو
فى اولها وانت فى آخرها يروى ان اخته واسمها مريم جاءت متعرفة خبره فصادفتهم يطلبون
له مرضعة يقبل ثديها وذلك انه كان لا يقبل ثدى امرأة فقالت هل ادلكم فجاءت بالام فقبل
ثديها ويروى ان آسية استوهبته من فرعون وتبنته وهى التى اشفقت عليه وطلبت له
المراضع هى نفس القبطى الذى استغاثه عليه الاسرائيلى قتله وهو ابن اثنتى عشرة سنة اغتم
بسبب القتل خوفا من عقاب الله ومن اقتصاص فرعون فغفر الله له باستغفاره حين قال رب انى
ظلمت نفسى فاغفر لى ونجاه من فرعون ان ينشب فيه اظفاره حين هاجر به الى مدين فتونا يجوز
ان يكون مصدرا على فعول فى المتعدى كالثبور والشكور والكفور وجمع فتن او فتنة على ترك
الاعتداد بتاء التانيث كحجوز وبدور فى حجزة وبدرة اى فتناك ضربا من الفتن سال سعيد بن
جبير ابن عباس رضى الله عنهما عنه فقال خلصناك من محنة الى محنة ولد فى عام كان يقتل فيه
الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير والقته امه فى البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا واجر
نفسه عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه فى ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة

فهذه فتنة يا ابن جبير والفتنة المحنة وكل ما يشق على الانسان وكل ما يبتلي الله به عباده فتنة
قال ونبلوكم بالشر والخير فتنة • فلبثت سنين في اهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى واصطنعتك
لنفسي اذهب انت واخوك باياتي ولا تنيا في ذكري اذهبا الى فرعون انه طغى • مدين على
ثماني مراحل من مصر وعن وهب انه لبث عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة منها مهر ابنته وقضى
اوفى الاجلين اي سبق في قضائي وقدري ان اكلمك واستنبئك في وقت بعينه قد وقته لذلك
فما جئت الا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستأخر وقيل على مقدار من الزمان يوحى فيه الى
الانبياء وهو راس اربعين سنة هذا تمثيل لما خوله من منزلة التقريب والتكريم والتكليم مثل
حاله بحال من يراه بعض الملوك لجوامع خصال فيه وخصائص اهلا لئلا يكون احد اقرب منزلة منه اليه
ولا الطف محلا فيصطنعه بالكرامة والاثرة ويستخلصه لنفسه ولا يبصر ولا يسمع الا بعينه واذنه
ولا يأتمن على مكنون سره الا سواء ضميره الونى الفتور والتقصير وقرئ تنيا بكسر حرف المضارعة
للاتباع اي لا تنسياني ولا ازال منكما على ذكر حيثما تقلبتما واتخذا ذكري جناحا تطيران به مستمدين
بذلك العون والتأييد مني معتقدين ان امرا من الامور لا يتمشى لاحد الا بذكري ويجوز ان يريد بالذكر
تبليغ الرسالة فان الذكر يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة من اجلها واعظمها فكان جديرا
بان يطلق عليه اسم الذكر روي ان الله تعالى اوحى الى هرون وهو بمصر ان يتلقى موسى وقيل سمع
بمقبله وقيل الهم ذلك • فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى • قرئ لينا بالتخفيف والقول
اللين نحو قوله تعالى هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى لان ظاهره الاستفهام والمشورة
وعرض ما فيه الفوز العظيم وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع منه الا بالموت وان
تبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته وقيل لا تجبهاه بما يكره والطفا له في قولكما
لما له من حق تربية موسى ولما ثبت له من مثل حق الابوة وقيل كنياه وهو من ذوي الكنى الثلث
ابو العباس وابو الوليد وابو مرة والترجي لهما اي اذهبا على رجائكما وطمعكما وباشرا الامر مباشرة
من يرجو ويطمع ان يثمر عمله ولا يخيب سعيه فهو يجتهد بطوقه ويحتشد باقصى وسعه وجدوى

ارسالهما اليه مع العلم بانه لن يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة ولو انا اهلكناهم بعذاب من
قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك اي يتذكر ويتأمل فيبذل النصفة
من نفسه والاذعان للحق او يخشى ان يكون الامر كما تصفان فيجره انكاره الى الهلكة • قالا
ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى • فرط سبق وتقدم ومنه الفارط الذي يتقدم
الواردة وفرس فرط يسبق الخيل اي نخاف ان يعجل علينا بالعقوبة ويبادرنا بها وقرئ
يفرط من افرط غيره اذا حمله على العجلة خافا ان يحمله حامل على المعاجلة بالعقاب من شيطان
او من جبروته واستكباره وادعائه الربوبية او من حبه الرياسة او من قومه القبط المتمردين
الذين حكى عنهم رب العزة قال الملأ من قومه وقال الملأ من قومه وقرئ يفرط من الافراط في
الاذية نخاف ان يحول بيننا وبين تبليغ الرسالة بالمعاجلة او يجاوز الحد في معاقبتنا ان لم
يعاجل بناء على ما عرفا وجربا من شرارته وعتوه او ان يطغى بالتخطي الى ان يقول فيك ما لا ينبغي لجرأته
عليك وقسوة قلبه وفي المجيء به هكذا على الاطلاق وعلى سبيل الرمز باب من حسن الادب وتحاش
عن التفوه بالعظيمة • قال لا تخافا انني معكما اسمع وارى • اي حافظكما وناصركما اسمع وارى
ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فافعل ما يوجبه حفظي ونصرتي لكما فجائز ان يقدر اقوالكم
وافعالكم وجائز ان لا يقدر شيء وكانه قيل انا حافظ لكما وناصر سامع مبصر واذا كان الحافظ
والناصر كذلك تم الحفظ وصحت النصرة وذهبت المبالاة بالعدو • فأتياه فقولا انا رسولا
ربك فارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك باية من ربك والسلام على من اتبع الهدى انا
قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى • كانت بنو اسرائيل في ملكة فرعون والقبط يعذبونهم
بتكليف الاعمال الصعبة من الحفر والبناء ونقل الحجارة والسخرة في كل شيء مع قتل الولدان و
استخدام النساء قد جئناك باية من ربك جملة جارية من الجملة الاولى وهي انا رسولا ربك مجرى
البيان والتفسير لان دعوى الرسالة لا تثبت الا ببينتها التي هي المجيء بالاية انما وحد قوله باية
ولم يثن ومعه ايتان لان المراد في هذا الموضع تثبيت الدعوى ببرهانها فكانه قال قد جئناك

بمعجزة وبرهان وحجة على ما ادعيناه من الرسالة وكذلك قد جئتكم ببينة من ربكم فأت بآية ان كنت
الصادقين او لو جئتك بشيء مبين يريد والسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين وتوبيخ
خزنة النار والعذاب على المكذبين قال فمن ربكما يا موسى خاطب الاثنين ووجه النداء الى احدهما
وهو موسى لانه الاصل في النبوة وهرون وزيره وتابعه ويحتمل ان يحمله خبثه ودعارته على استدعاء
كلام موسى دون كلام اخيه لما عرف من فصاحة هرون والرتة في لسان موسى ويدل عليه قوله ام انا
خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى خلقه اول
مفعولي اعطى اي اعطى خليقته كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به او ثانيهما اي اعطى كل شيء
صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به كما اعطى العين الهيئة التي تطابق الابصار
والاذن الشكل الذي يوافق الاستماع وكذلك الانف واليد والرجل واللسان كل واحد منها مطابق
لما علق به من المنفعة غير ناب عنه او اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة حيث جعل الحصان و
الحجر زوجين والبعير والناقة والرجل والمرأة فلم يزاوج منهما شيء غير جنسه وما هو على خلاف خلقه
وقرئ خلقه صفة للمضاف او للمضاف اليه اي كل شيء خلقه الله لم يخله من عطائه وانعامه ثم
هدى اي عرف كيف يرتفق بما اعطى وكيف يتوصل اليه ولله در هذا الجواب ما اخصره وما اجمعه
وما ابينه لمن القى الذهن ونظر بعين الانصاف وكان طالبا للحق قال فما بال القرون الاولى
قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى سأله عن حال من تقدم وخلا من القرون وعن
شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد فاجابه بان هذا سؤال عن الغيب وقد استأثر الله به لا يعلمه
الا هو وما انا الا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرني به علام الغيوب وعلم احوال القرون مكتوب
عند الله في اللوح المحفوظ لا يجوز على الله ان يخطئ شيئا او ينساه يقال ضللت الشيء اذا اخطأته في
مكانه فلم تهتد له كقولك ضللت الطريق والمنزل وقرئ يضل من اضله اذا ضيعه وعن ابن
عباس لا يترك من كفر به حتى ينتقم منه ولا يترك من وحده حتى يجازيه ويجوز ان يكون فرعون قدح بذلك
في احاطة الله بكل شيء وتبينه لكل معلوم فتعنت وقال ما تقول في سوالف القرون وتمادي كثرتهم

وتباعد اطراف عددهم كيف احاط بهم وباجزائهم وجواهرهم فاجاب بان كل كائن محيط به علمه
وهو مثبت عنده في كتاب لا يجوز عليه الخطأ والنسيان كما يجوز عليك ايها العبد الذليل و
البشر الضئيل اي لا يضل كما تضل انت ولا ينسى كما تنسى يا مدعي الربوبية بالجهل والوقاحة الذي
جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السماء ماء فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى
كلوا وارعوا انعامكم ان في ذلك لآيات لاولي النهى الذي جعل مرفوع صفة لربي او خبر مبتدأ
محذوف او منصوب على المدح وهذا من مظانه ومجازه مهدا قراءة اهل الكوفة اي مهدها مهدا او
يتمهدونها فهي لهم كالمهد وهو ما يمهد للصبي وسلك من قوله تعالى ما سلككم في سقر سلكناه نسلكه في قلوب
المجرمين اي حصل لكم فيها سبلا ووسطها بين الجبال والاودية والبراري فاخرجنا التفت فيه من لفظ
الغيبة الى لفظ المتكلم المطاع لما ذكرت من الافتنان والايذان بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لامره
وتذعن الاجناس المتفاوتة لمشيئته لا يمتنع شيء على ارادته ومثله قوله تعالى وهو الذي انزل من السماء
ماء فاخرجنا به نبات كل شيء الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها امن
خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة وفيه تخصيص ايضا بانا
نحن نقدر على مثل هذا ولا يدخل تحت قدرة احد ازواجا اصنافا سميت بذلك لانها مزدوجة مقترن
بعضها مع بعض شتى صفة للازواج جمع شتيت كمريض ومرضى ويجوز ان يكون صفة للنبات والنبات
مصدر سمي به النابت كما سمي بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع يعني انها شتى مختلفة النفع والطعم
واللون والرائحة والشكل بعضها يصلح للناس وبعضها للبهائم قالوا من نعمته عز وعلا ان ارزاق
العباد انما تحصل بعمل الانعام وقد جعل الله علفها مما يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون على اكله اي قائلين
كلوا وارعوا حال من الضمير في فاخرجنا والمعنى اخرجنا اصناف النبات آذنين في الاستمتاع بها مبيحين ان
تأكلوا بعضها وتعلفوا بعضها منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى اراد بخلقهم من
الارض خلق اصلهم وهو آدم عليه السلام منها وقيل ان الملك لينطلق فيأخذ من تربة المكان الذي
يدفن فيه فيبددها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة معا واراد باخراجهم انه يؤلف

اجزاءهم المتفرقة المختلطة بالتراب بردهم كما كانوا احياء ونخرجهم الى المحشر يوم يخرجون من الاجداث
سراعا عدد الله عليهم ما علق بالارض من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا ومهادا يتقلبون عليها و
سوى لهم فيها مسالك يترددون فيها كيف شاؤا وانبت فيها اصناف النبات التي منها اقواتهم وعلوفات
بهائمهم وهي اصلهم الذي منه تفرعوا وامهم التي منها ولدوا ثم هي كفاتهم اذا ماتوا ومن ثم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم تمسحوا بالارض فانها بكم برة • ولقد اريناه اياتنا كلها فكذب وابى • اريناه بصرناه
او عرفناه صحتها ويقناه بها وانما كذب لظلمه كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا
وقوله لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر وفي قوله اياتنا كلها وجهان
احدهما ان يحذى بهذا التعريف الاضافي حذو التعريف باللام لو قيل الايات كلها اعني انها كانت لا
تعطي الا تعريف العهد والاشارة الى الايات المعلومة التي هي تسع الايات المختصة بموسى عليه السلام العصا
واليد وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل والثاني ان يكون موسى
قد اراه اياته وعدد عليه ما اوتيه غيره من الانبياء من اياتهم ومعجزاتهم وهو نبي صادق لا فرق بين
ما يخبر عنه وبين ما يشاهد به فكذبها جميعا وابى ان يقبل شيئا منها وقيل فكذب الايات وابى
قبول الحق • قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى • يلوح من جيب قوله اجئتنا لتخرجنا
من ارضنا بسحرك ان فرائصه كانت ترعد خوفا مما جاء به موسى عليه السلم لعلمه وايقانه انه على
الحق وان المحق لو اراد قود الجبال لانقادت له وان مثله لا يخذل ولا يقل ناصره وانه غالبه
على ملكه لا محالة وقوله بسحرك تعلل وتحير والا فكيف يخفى عليه ان ساحرا لا يقدر ان يخرج
ملكا مثله من ارضه ويغلبه على ملكه بالسحر • فلناتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا
لا نخلفه نحن ولا انت مكانا سوى قال موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى فتولى فرعون
فجمع كيده ثم اتى • لا يخلو الموعد في قوله اجعل بيننا وبينك موعدا من ان يجعل زمانا او مكانا
او مصدرا فان جعلته زمانا نظرا في ان قوله تعالى موعدكم يوم الزينة مطابق له لزمك شيئان ان
تجعل الزمان مخلفا وان يعضل عليك ناصب مكانا وان جعلته مكانا لقوله مكانا سوى لزمك

ايضا ان يوقع الاخلاف على المكان وان لا يطابق قوله موعدكم يوم الزينة وقراءة الحسن غير
مطابقة له مكانا وزمانا جميعا لانه قرا يوم الزينة بالنصب فبقي ان يجعل مصدرا بمعنى الوعد
ويقدر مضاف محذوف اي مكان موعد ويجعل الضمير في نخلفه للموعد ومكانا بدل من المكان
المحذوف فان قلت فكيف طابقه قوله موعدكم يوم الزينة ولا بد من ان تجعله زمانا والسؤال
واقع عن المكان لا عن الزمان قلت هو مطابق معنى وان لم يطابق لفظا لانه لا بد لهم من ان يجتمعوا يوم
الزينة في مكان بعينه مشتهر باجتماعهم فيه في ذلك اليوم فبذكر الزمان علم المكان واما قراءة الحسن
فالموعد فيها مصدر لا غير والمعنى انجاز وعدكم يوم الزينة وطباق هذا ايضا من طريق المعنى ويجوز
ان لا يقدر مضاف محذوف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لا نخلفه فان قلت فبم ينتصب
مكانا قلت بالمصدر او بفعل يدل عليه المصدر فان قلت فكيف يطابقه الجواب قلت اما على قراءة الحسن
فظاهر واما على قراءة العامة فعلى تقدير وعدكم وعد يوم الزينة ويجوز على قراءة الحسن ان يكون موعدكم
مبتدأ بمعنى الوقت وضحى خبره على نية التعريف فيه لانه ضحى ذلك اليوم بعينه وقيل في يوم الزينة يوم
عاشوراء ويوم النيروز ويوم عيد كان لهم في كل عام ويوم كانوا يتخذون فيه سوقا ويتزينون ذلك
اليوم قرئ نخلفه بالرفع على الوصف للموعد وبالجزم على جواب الامر وقرئ سوى وسوى بالكسر والضم
منونا وغير منون ومعناه منصفا بيننا وبينك عن مجاهد وهو من الاستواء لان المسافة من الوسط
الى الطرفين مستوية لا تفاوت فيها ومن لم ينون فوجهه ان يجري الوصل مجرى الوقف وقرئ وان
نحشر الناس بالتاء والياء يريد وان تحشر يا فرعون وان يحشر اليوم ويجوز ان يكون فيه ضمير فرعون
ذكره بلفظ الغيبة اما على العادة التي يخاطب بها الملوك او خاطب القوم بقوله موعدكم وجعل يحشر
لفرعون ومحل ان يحشر الرفع او الجر عطفا على اليوم او الزينة وانما واعدهم ذلك اليوم ليكون علو
كلمة الله وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل على رؤس الاشهاد وفي المجمع الغاص لتقوى
رغبة من رغب في اتباع الحق ويكل حد المبطلين واشياعهم ويكثر المحدث بذلك الامر العلم
في كل بدو وحضر ويشيع في جميع اهل الوبر والمدر • قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا

فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى فتنازعوا امرهم بينهم واسروا النجوى • لا تفتروا على الله كذبا
اى لا تدعوا آياته ومعجزاته سحرا قرئ فيسحتكم والسحت لغة اهل الحجاز والاسحات لغة اهل
نجد وبنى تميم ومنه قول الفرزدق الا مسحتا او مجلف في بيت لا تزال الركب تصطك في تسوية اعرابه
عن ابن عباس ان نجواهم ان غلبنا موسى اتبعناه وعن قتادة ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله
امر وعن وهب لما قال ويلكم الآية قالوا ما هذا بقول ساحر والظاهر انهم تشاوروا في السر وتجاذبوا
اهداب القول ثم قالوا ان هذان لساحران فكانت نجواهم في تلفيق هذا الكلام وتزويره خوفا
من غلبتهما وتثبيطا للناس عن اتباعهما • قالوا ان هذان لساحران ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما
ويذهبا بطريقتكم المثلى • قرأ ابو عمرو ان هذين لساحران على الجهة الظاهرة المكشوفة وابن كثير
وحفص ان هذان لساحران على قولك ان زيد لمنطلق واللام هي الفارقة بين ان النافية والمخففة
من الثقيلة وقرأ ابي ان ذان الا ساحران وقرأ ابن مسعود ان هذان ساحران بفتح ان وبغير
لام بدل من النجوى وقيل في القراءة المشهورة ان هذان لساحران هي لغة بلحارث بن كعب جعلوا
الاسم المثنى نحو الاسماء التي آخرها الف كعصا وسعدى فلم يقلبوها ياء في الجر والنصب وقال بعضهم
ان بمعنى نعم ولساحران خبر مبتدأ محذوف واللام داخلة على الجملة تقديره لهما ساحران وقد اعجب به
ابو اسحق سموا مذهبهم الطريقة المثلى والسنة الفضلى وكل حزب بما لديهم فرحون وقيل ارادوا
اهل طريقتكم المثلى وهم بنو اسرائيل لقول موسى ارسل معنا بنى اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه
الناس واشرافهم الذين هم قدوة لغيرهم يقال هم طريقة قومهم ويقال للواحد ايضا هو طريقة قومه
فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد افلح اليوم من استعلى قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون اول
من القى قال بل القوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى • فاجمعوا كيدكم يعضده
قوله فجمع كيده وقرئ فاجمعوا كيدكم اى ازمعوه واجعلوه مجمعا عليه حتى لا تختلفوا ولا يتخلف عنه
واحد منكم كالمسألة المجمع عليها امروا بان يأتوا صفا لانه اهيب في صدور الرائين وروي انهم كانوا
سبعين الفا مع كل واحد منهم حبل وعصا وقد اقبلوا اقبالة واحدة وعن ابي عبيدة انه فسر الصف بالمصلى

لان الناس يجتمعون فيه لعيدهم وصلواتهم مصطفين ووجه صحته ان يقع علما لمصلى بعينه فامروا
بان يأتوه او يراد ائتوا مصلى من المصليات وقد افلح اليوم من استعلى اعتراض يعني وقد فاز من غلب ان
مع ما بعده اما منصوب بفعل مضمر او مرفوع بانه خبر مبتدأ محذوف معناه اختر احد الامرين او الامر
القاؤك او القاؤنا وهذا التخيير منهم استعمال ادب حسن معه وتواضع له وخفض جناح وتنبيه
على اعطائهم النصفة من انفسهم وكأن الله عز وعلا الهمهم ذلك وعلم موسى صلوات الله عليه اختيار القائهم اولا مع
ما فيه من مقابلة ادب بادب حتى يبرزوا ما معهم من مكايد السحر ويستنفدوا اقصى طوقهم ومجهودهم فاذا
فعلوا اظهر الله سبحانه وقذف بالحق على الباطل فدمغه وسلط المعجزة على السحر فمحقته وكانت
آية نيرة للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين يقال في اذا هذه اذا المفاجأة والتحقيق فيها انها اذا الكائنة
بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف اليها خصت في بعض المواضع بان يكون ناصبها فعلا مخصوصا
وهو فعل المفاجأة والجملة ابتدائية لا غير فتقدير قوله تعالى فاذا حبالهم وعصيهم ففاجأ موسى وقت
تخييل سعي حبالهم وعصيهم وهذا تمثيل والمعنى على مفاجأته حبالهم وعصيهم مخيلة اليه السعي و
قرئ عصيهم بالضم وهو الاصل والكسر اتباع ونحوه دلي ودلي وقسي وقسي وقرئ تخيل
على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال قوله انها تسعى من الضمير بدل الاشتمال كقولك اعجبني زيد
كرمه وتخيل على كون الحبال والعصي مخيلة سعيها وتخيل بمعنى تتخيل وطريقه طريق تخيل وتخيل
ان الله هو المخيل للمحنة والابتلاء يروى انهم لطخوها بالزيبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت
فخيلت ذلك • فاوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك انت الاعلى والق
ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى فالقي السحرة سجدا
قالوا آمنا برب هرون وموسى • ايجاس الخوف اضمار شيء منه وكذلك توجس الصوت تسمع نبأة
يسيرة منه وكان ذلك لطبع الجبلة البشرية وانه لا يكاد يمكن الخلو من مثله وقيل خاف ان يخالج
الناس شك فلا يتبعوه انك انت الاعلى فيه تقرير لغلبته وقهره وتوكيد بالاستئناف وبكلمة التشديد
وبتكرير الضمير وبلام التعريف وبلفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة وبالتفضيل وقوله ما في يمينك

ولم يقل عصاك جائز ان يكون تصغيرا لها اى لاتبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الفرد
الصغير الجرم الذى فى يمينك فانه بقدرة الله يتلقفها على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها وجائز
ان يكون تعظيما لها اى لا تحتفل بهذه الاجرام الكبيرة الكثيرة فان فى يمينك شيئا اعظم منها كلها وهذه
على كثرتها اقل شئ وانزره عنده فالقه يتلقفها باذن الله ويمحقها وقرئ تلقف بالرفع على الاستئناف
او على الحال اى القها متلقفة وقرئ تلقف بالتخفيف صنعوا ههنا بمعنى زوروا وافتعلوا كقوله
تعالى تلقف ما يافكون قرئ كيد ساحر بالرفع والنصب فمن رفع فعلى ان ما موصولة ومن نصب فعلى
انها كافة وقرئ كيد سحر بمعنى ذى سحر او ذوى سحر او هم لتوغلهم فى سحرهم كانهم السحر بعينه و
بذاته او بين الكيد لانه يكون سحرا وغير سحر كما تبين المائة بدرهم ونحوه علم فقه وعلم نحو فان قلت
لم وحد ساحر ولم يجمع قلت لان القصد فى هذا الكلام الى معنى الجنسية لا الى معنى العدد فلو جمع لخيل
ان المقصود هو العدد الا ترى الى قوله ولا يفلح الساحر اى هذا الجنس فان قلت فلم نكر اولا و
عرف ثانيا قلت انما نكر من اجل تنكير المضاف لا من اجل تنكيره فى نفسه كقول العجاج • فى سعى دنيا
طالما قد مدت • وفى حديث عمر رضى الله عنه لا فى امر دنيا ولا فى امر آخرة المراد تنكير الامر كانه
قيل ان ما صنعوا كيد سحرى وفى سعى دنيوى وامر دنيوى وآخروى حيث اتى كقولهم حيث سير
واية سلك وايما كان سبحان الله ما اعجب امرهم قد القوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا
رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما اعظم الفرق بين الالقائين وروى انهم لم يرفعوا رؤسهم
حتى راوا الجنة والنار وراوا ثواب اهلها وعن عكرمة لما خروا سجدا اراهم الله فى سجودهم
منازلهم التى يصيرون اليها فى الجنة • قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم
السحر فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم فى جذوع النخل ولتعلمن اينا اشد
عذابا وابقى قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما انت قاض انما
تقضى هذه الحيوة الدنيا انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر والله خير و
ابقى انه من يات ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن ياته مؤمنا قد عمل

الصالحات

الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها
وذلك جزاء من تزكى • لكبيركم لعظيمكم يريد انه اسحرهم واعلاهم درجة فى صناعتهم او لمعلمكم
من قول اهل مكة للمعلم امرنى كبيرى وقال لى كبيرى كذا يريدون معلمهم واستاذهم فى القرآن
وفى كل شئ قرئ لاقطعن ولاصلبن بالتخفيف والقطع من خلاف ان تقطع اليد اليمنى
والرجل اليسرى لان كل واحد من العضوين خالف الآخر بان هذا يد وذاك رجل وهذا يمين
وذاك شمال ومن لابتداء الغاية لان القطع مبتدئ وناشئ من مخالفة العضو العضو لا
من وفاقه اياه ومحل الجار والمجرور النصب على الحال اى لاقطعنها مختلفات لانها اذا خالف بعضها
بعضا فقد اتصفت بالاختلاف شبه تمكن المصلوب فى الجذع بتمكن الشئ الموعى فى وعائه فلذلك
قيل فى جذوع النخل اينا يريد نفسه لعنه الله وموسى عليه السلام بدليل قوله آمنتم له واللام مع الايمان
فى كتاب الله لغير الله كقوله تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين وفيه نفاجة باقتداره وقهره وما الفه
وضرى به من تعذيب الناس بانواع العذاب وتوضيع لموسى واستضعاف له مع الهزء به لان موسى
عليه السلام لم يكن قط من التعذيب فى شئ والذى فطرنا عطف على ما جاءنا او قسم تقضى هذه
الحيوة الدنيا وجهها ان الحيوة فى القراءة المشهورة منتصبة على الظرف فاتسع فى الظرف باجرائه
مجرى المفعول به كقولك فى صمت يوم الجمعة صيم يوم الجمعة روى ان السحرة رؤسهم كانوا اثنين
وسبعين الاثنان من القبط والسائر من بنى اسرائيل وكان فرعون اكرههم على تعلم السحر وروى انهم
قالوا لفرعون ارنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر الساحر لان الساحر
اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه تزكى تطهر من ادناس الذنوب عن ابن عباس قال لا اله الا
الله قيل فى هذه الآيات الثلث هى حكاية قولهم وقيل خبر من الله تعالى لا على وجه الحكاية • ولقد
اوحينا الى موسى ان اسر بعبادى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى فاتبعهم فرعون
بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم واضل فرعون قومه وما هدى • فاضرب لهم طريقا فاجعل لهم
من قولهم ضرب له فى ماله سهما وضرب اللبن عمله اليبس مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا ونحوهما

العُدْم والعَدَم ومن ثَمّ وُصف به المؤنث فقيل شاتنا يَبَس وناقتنا يَبَس اذا جفّ لبنهما وقرئ

يَبْساً ويابساً ولا يخلو اليبْس من ان يكون مخففاً عن اليبَس او صفة على فَعْل او جمع يابس كصاحب

وصحب وُصف به الواحد تأكيداً كقوله ومِعاً جياعاً جعله لفرط جوعه كجماعة جياع لا تخاف حال

من الضمير في فاضرب وقرئ لا تخفْ على الجواب وقرأ ابو حيوة دَرْكاً بالسكون والدَّرَك والدَّرْك

اسمان من الادراك اى لا يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك في لا تخشى اذا قرئ لا تخف ثلاثة

اوجه أن يستأنف كانه قيل وانت لا تخشى اى ومن شانك انك آمن لا تخشى وأن لا يكون الالف

المنقلبة عن الياء التى هى لام الفعل ولكن زائدة للاطلاق من اجل الفاصلة كقوله فأضلونا

السبيلا وتظنون بالله الظنونا وان يكون مثل قوله • كأن لم ترى قبلي اسيراً يمانيا • ما غشيهم من

باب الاختصار ومن جوامع الكلم التى تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة اى غشيهم ما لا يعلم كنهه الا الله

وقرئ فغشّاهم من اليم ما غشّاهم والتغشية التغطية وفاعل غشاهم اما الله سبحانه وتعالى او ما

غشيهم او فرعون لانه الذى ورّط جنوده وتسبب لهلاكهم وقوله سبحانه وتعالى وما هدى تهكم به

في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد • يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور

الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى • يا بني اسرائيل خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك آل

فرعون وقيل هو للذين كانوا منهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم منّ الله عليهم بما فعل بآبائهم والوجه هو

الاول اى قلنا يا بني اسرائيل وحذف القول كثير في القرآن وقرئ انجيتكم الى رزقتكم وعلى لفظ الوعد

والمواعدة وقرئ الايمن بالجر على الجوار نحو جحر ضب خرب ذكّرهم النعمة في نجاتهم وهلاك عدوهم

وفيما واعد موسى صلوات الله عليه من المناجاة بجانب الطور وكتب التوراة في الالواح وانما عدّى المواعدة

اليهم لانها لابستهم واتصلت بهم حيث كانت لنبيهم ونقبائهم واليهم رجعت منافعها التى

قام بها دينهم وشرعهم وفيما افاض عليهم من سائر نعمه وارزاقه • كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا

فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى • طغيانهم في النعمة ان يتعدوا حدود الله فيها

بان يكفروها ويشغلهم اللهو والتنعم عن القيام بشكرها وان ينفقوها في المعاصي وان يمنعوا

حقوق الفقراء فيها وان يسرفوا في انفاقها وان يبطروا فيها ويأشروا ويتكبروا وقرئ فيحِلّ وعن

عبد الله لا يحلنّ ومن يحلل المكسور في معنى الوجوب من حلّ الدين يحِلّ اذا وجب اداؤه ومنه

قوله تعالى حتى يبلغ الهدي محله والمضموم في معنى النزول وغضب الله عقوباته ولذلك وصف بالنزول

هوى هلك واصله ان يسقط من جبل فيهلك قالت • هوى من رأس مرقبة ففتّت تحتها كبده •

ويقولون هوت امه او سقط سقوطاً لا نهوض بعده • وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم

اهتدى وما اعجلك عن قومك يا موسى قال هم اولاء على اثري وعجلت اليك رب لترضى • الاهتداء

هو الاستقامة والثبات على الهدى المذكور وهو التوبة والايمان والعمل الصالح ونحوه قوله تعالى

ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وكلمة التراخي دلت على تباين المنزلتين دلالتها على تباين الوقتين

في جاءني زيد ثم عمرو اعني ان منزلة الاستقامة على الخير مباينة لمنزلة الخير نفسه لانها اعلى منها

وافضل وما اعجلك اى شيء عجل بك عنهم على سبيل الانكار وكان قد مضى مع النقباء الى الطور

على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقاً الى كلام ربه وتنجز ما وعد به بناء على اجتهاده وظنه ان ذلك

اقرب الى رضى الله وزلّ عنه انه عز وجل ما وقّت افعاله الا نظراً الى دواعي الحكمة وعلماً بالمصالح المتعلقة

بكل وقت فالمراد بالقوم النقباء وليس لقول من جوّز ان يراد جميع قومه وان يكون قد فارقهم قبل

الميعاد وجه صحيح يأباه قوله هم اولاء على اثري وعن ابي عمرو ويعقوب إثري بالكسر وعن عيسى بن عمر

أُثري بالضم وعنه ايضاً اولى بالقصر والأَثَر افصح من الإثْر واما الأُثْر فمسموع في فرند السيف مدوّن

في الاصول يقال أُثْر السيف وأُثُره وهو بمعنى الاثر غريب فان قلت ما اعجلك سؤال عن سبب العجلة

فكان الذى ينطبق عليه من الجواب ان يقال طلب زيادة رضاك او الشوق الى كلامك وتنجز موعدك

وقوله هم اولاء على اثري كما ترى غير منطبق عليه قلت قد تضمن ما واجهه به رب العزة شيئين احدهما

انكار العجلة في نفسها والثاني السؤال عن سبب المستنكر والحامل عليه فكان اهم الامرين الى موسى بسط

العذر وتمهيد العلة في نفس ما انكر عليه فاعتلّ بانه لم يوجد مني الا تقدم يسير مثله لا يعتد به في

العادة ولا يحتفل به وليس بيني وبين من سبقته الا مسافة قريبة يتقدم بمثلها الوفد رأسهم

ومقدمهم ثم عقبه بجواب السؤال عن السبب فقال وعجلت اليك رب لترضى ولقائل ان يقول حار
لما ورد عليه من التهيب لعتاب الله فاذهله ذلك عن الجواب المنطبق المرتب على حدود الكلام قال
فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامري اراد بالقوم المفتونين الذين خلفهم مع هرون
وكانوا ستمائة الف ما نجا من عبادة العجل منهم الا اثنا عشر الفا فان قلت في القصة انهم اقاموا بعد
مفارقته عشرين ليلة وحسبوها اربعين مع ايامها وقالوا قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل بعد ذلك
فكيف التوفيق بين هذا وبين قوله تعالى لموسى عند مقدمه انا قد فتنا قومك قلت قد اخبر الله تعالى
عن الفتنة المترقبة بلفظ الموجودة الكائنة على عادته او افترص السامري غيبته فعزم على اضلالهم
غب انطلاقه واخذ في تدبير ذلك فكان بدو الفتنة موجودا وقرئ واضلهم السامري اي وهو اشدهم
ضلالا لانه ضال مضل وهو منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل السامرة قوم من
اليهود يخالفونهم في بعض دينهم وقيل كان من اهل باجرما وقيل كان علجا من كرمان واسمه موسى بن ظفر
وكان منافقا قد اظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال
يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا افطال عليكم العهد ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم فاخلفتم
موعدي الاسف الشديد الغضب ومنه قوله عليه السلام في موت الفجاءة رحمة للمومن واخذة اسف
للكافر وقيل الحزين فان قلت متى رجع الى قومه قلت بعدما استوفى الاربعين ذا القعدة وعشر
ذي الحجة وعدهم الله سبحانه ان يعطيهم التورية التي فيها هدى ونور ولا وعد احسن من ذلك واجمل
حكي لنا انها كانت الف سورة كل سورة الف اية يحمل اسفارها سبعون جملا العهد الزمان يريد
مدة مفارقته لهم يقال طال عهدي بك اي طال زماني بسبب مفارقتك وعدوه ان يقيموا على امره وما
تركهم عليه من الايمان فاخلفوا موعده بعبادتهم العجل قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا
اوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك القى السامري بملكنا قرئ بالحركات الثلث اي ما اخلفنا
موعدك بان ملكنا امرنا وخلينا وراينا لما اخلفناه ولكنا غلبنا من جهة السامري وكيده اي حملنا
احمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم او ارادوا بالاوزار انها اثام وتبعات لانهم كانوا معهم

في حكم المستامنين في دار الحرب ليس للمستامن ان ياخذ مال الحربي على ان الغنائم لم تكن تحل ح
فقذفناها في نار السامري التي اوقدها في الحفرة وامرنا ان نطرح فيها الحلي وقرئ حملنا فكذلك
القى السامري اراهم انه يلقي حليا في يده مثل ما القوا وانما القى التربة التي اخذها من موطئ
حيزوم فرس جبريل اوحى اليه وليه الشيطان انها اذا خالطت مواتا صار حيوانا فاخرج لهم عجلا
جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسي فاخرج لهم السامري من الحفرة عجلا خلقه الله من
الحلي التي سبكتها النار يخور كما يخور العجاجيل فان قلت كيف اثرت تلك التربة في احياء الموات
قلت اما يصح ان يؤثر الله سبحانه روح القدس بهذه الكرامة الخاصة كما اثره بغيرها من الكرامات و
هي ان يباشر فرسه بحافره تربة اذا لاقت تلك التربة جمادا انشاه الله ان شاء عند مباشرته حيوانا
الا ترى كيف انشا المسيح من غير اب عند نفخه في الدرع فان قلت فلم خلق الله العجل من الحلي حتى
صار فتنة لبني اسرائيل وضلالا قلت ليس باول محنة محن الله بها عباده ليثبت الله الذين امنوا
بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة ويضل الله الظالمين ومن عجب من خلق العجل فليكن
من خلق ابليس اعجب والمراد بقوله انا فتنا قومك هو خلق العجل للامتحان اي امتحناهم بخلق العجل
وحملهم السامري على الضلال واوقعهم فيه حين قال لهم هذا الهكم واله موسى فنسي اي فنسي موسى ان
يطلبه هاهنا وذهب يطلبه عند الطور او فنسي السامري اي ترك ما كان عليه من الايمان الظاهر افلا
يرون الا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا يرجع من رفعه فعلى ان ان مخففة من
الثقيلة ومن نصب فعلى انها الناصبة للافعال ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم انما فتنتم به
ان ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا امري قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى قال يا هرون
ما منعك اذ رايتهم ضلوا الا تتبعن افعصيت امري من قبل ان يقول لهم السامري ما قال كانهم
اول ما وقعت عليه ابصارهم حين طلع من الحفرة افتتنوا به واستحسنوه فقبل ان ينطق السامري بادرهم
هرون بقوله انما فتنتم به وان ربكم الرحمن لا مرية والمعنى ما منعك ان تتبعني في الغضب لله وشدة الزجر
على الكفر والمعاصي وهلا قاتلت من كفر بمن امن وما لك لم تباشر الامر كما كنت اباشره انا لو كنت شاهدا

30 ~~28~~

او ما لك لم تلحقني • قال يا ابن ام لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اجلا او امرأة حم الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس وعاد في الناس

ولم ترقب قولي • وقرئ بلحيتي بفتح اللام وهي لغة اهل الحجاز كان موسى صلوات الله عليه رجلا حشنا من القاتل اللاجي الى الحرم ومن الوحشي النافر في البرية ويقال ان قومه باق فيهم تلك الى

مجبولا على الحدة والخشونة والتصلب في كل شيء شديدا لغضب لله ولدينه فلم يتمالك حين رأى قومه ... وقرئ لا مساس بوزن فجار ونحوه قولهم في الظباء ان وردت الماء فلا عباب وان فقدته فلا

يعبدون عجلا من دون الله بعدما رأوا من الآيات العظام ان القى الواح التوراة لما غلب ذهنه ... ابات هي اعلام للمسة والعبة والابة وهي المرة من الاب وهو الطلب لن تخلفه اي لن يخلفك الله

العظيمة غضبا لله واستنكافا وحمية وعنف باخيه وخليفته فاقبل عليه اقبال العدو المكاشف ... موعدك الذي عدك على الشرك والفساد في الارض ينجزه لك في الآخرة بعدما عاقبك بذلك في الدنيا

على شعر رأسه وكان افرع وعلى شعر وجهه يجره اليه اي لو قاتلت بعضهم ببعض لتفرقوا وتفانوا فانت ممن خسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين وقرئ لن تخلفه وهذا من اخلفت

فاستأنيتك ان تكون انت المتدارك بنفسك المتلافي برأيك وخشيت عتابك على اطراح ... الموعد اذا وجدته خلفا قال الاعشى اثوى وقصر ليلة ليزودا • فازولت فمضى واخلف

بقية النشر وحفظ الدهماء ولم يكن لي بد من رقبة وصيتك والعمل على موجبها • قال فما خطبك ... قتيلة موعدا قلت وعن ابن مسعود نخلفه بالنون اي لن يخلفه الله كانه حكى قوله عز وجل كما مر في

قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي • اذهب ظلت وظلت وظلت ... الاصل ظللت فحذفوا اللام الاولى ونقلوا حركتها الى الظاء

مصدر خطب الامر اذا طلبه فاذا قيل لمن يفعل شيئا ما خطبك فمعناه ما طلبك له قرئ بصرت ... ومنهم من لم ينقل لنحرقنه ولنحرقنه ولنحرقنه وفي حرف ابن مسعود لنذبحنه ولنحرقنه

يبصروا به بالكسر والمعنى علمت ما لم تعلموه وفطنت ما لم تفطنوا له قرأ الحسن قبضة بضم القاف ... القراءتان من الاحراق وذكر ابو علي الفارسي في لنحرقنه انه يجوز ان يكون حرق مبالغة في حرق

وهي اسم المقبوض كالغرفة والمضغة واما القبضة فالمرة من القبض واطلاقها على المقبوض ... اذا برد بالمبرد وعليه القراءة الثالثة وهي قراءة علي بن ابي طالب رضي الله عنه لننسفنه بكسر السين

المفعول بالمصدر كضرب الامير وقرأ ايضا فقبصت قبصة بالصاد فالضاد بجميع الكف والصاد ... منها وهذه عقوبة ثالثة وهي ابطال ما افتتن به وفتن واهدار سعيه وهدم مكره ومكروا ونحو

الاصابع ونحوهما الخضم والقضم الخاء بجميع الفم والقاف بمقدمه قرأ ابن مسعود من اثر فرس الرسول ... الله واستخبار الماكرين • انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما • قرأ طلحة الله الذي لا اله

قلت لم سماه الرسول دون جبريل وروح القدس قلت حين حل ميعاد الذهاب الى الطور ... الا هو الرحمن رب العرش وسع كل شيء علما وعن مجاهد وقتادة وسع ووجهه ان وسع متعد الى

موسى ارسل جبريل راكب حيزوم فرس الحياة ليذهب به فابصره السامري فقال ان لهذا لشأنا فقبض ... مفعول واحد وهو كل شيء واما علما فانتصابه على التمييز وهو في المعنى فاعل فلما ثقل نقل الى التعدية

من تربة موطئه فلما سأله موسى عن قصته قال قبضت من اثر فرس المرسل اليك يوم حلول ... الى مفعولين فنصبهما معا على المفعولية لان المميز فاعل في المعنى كما تقول في خاف زيد عمرا خوفت زيدا

ولعله لم يعرف انه جبريل • قال فاذهب فان لك في الحياة ان تقول لا مساس وان لك ... عمرا فترد بالنقل ما كان فاعلا مفعولا • كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا

تخلفه وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا • عوقب ... تكرر • الكاف في كذلك منصوب المحل وهذا موعد من الله عز وجل لرسوله اي مثل ذلك الاقتصاص و

بعقوبة لا شيء اطم منها واوحش وذلك انه منع من مخالطة الناس منعا كليا وحرم عليهم ... نحو ما اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون نقص عليك من سائر اخبار الامم وقصصهم واحوالهم

ومكالمته ومبايعته ومواجهته وكل ما يعايش به الناس بعضهم بعضا واذا اتفق ان يماس ... تكثيرا لبيناتك وزيادة في معجزاتك وليعتبر السامع ويزداد المستبصر في دينه بصيرة وتتأكد الحجة

على من عاند وكابر وان هذا الذكر الذي اتيناك يعني القرآن مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار
الحقيقة بالتفكر والاعتبار لذكر عظيم وقرآن كريم فيه النجاة والسعادة لمن اقبل عليه ومن اعرض
عنه فقد هلك وشقي • من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيمة وزرا خالدين فيه وساء لهم يوم القيمة حملا
يريد بالوزر العقوبة الثقيلة الباهظة سماها وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها
بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره ويلقي عليه بهره او لانها جزاء الوزر وهو الاثم وقرئ
يحمل جمع خالدين على المعنى لان من مطلق متناول لغير معرض واحد وتوحيد الضمير في اعرض وما
بعده للحمل على اللفظ ونحوه قوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها فيه اي
او في احتماله ساء في حكم بئس والضمير الذي فيه يجب ان يكون مبهما يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف
لدلالة الوزر السابق عليه تقديره ساء حملا وزرهم كما حذف في قوله تعالى نعم العبد انه اواب ايوب
الذي هو المخصوص بالمدح ومنه قوله تعالى وساءت مصيرا اي وساءت مصيرا جهنم فان قلت اللام في
لهم ما هي وبم يتعلق قلت هي للبيان كما في هيت لك فان قلت ما انكرت ان يكون في ساء ضمير الوزر قلت لا
يصح ان يكون في ساء وحكمه حكم بئس ضمير شيء بعينه غير مبهم فان قلت فلا يكن ساء الذي حكمه حكم بئس وليكن
ساء الذي منه قوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا بمعنى اهم واحزن قلت كفاك صادا عنه ان
يؤول كلام الله الى قولك واحزن الوزر لهم يوم القيمة حملا وذلك بعد ان تخرج عن عهدة هذه اللام و
عهدة هذا المنصوب • يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا • اسند النفخ الى الآمر به فيمن
قرأ ننفخ بالنون ولان الملائكة المقربين واسرافيل منهم بالمنزلة التي هم بها من رب العزة صح لكرامتهم
عليه وقربهم منه ان يسند ما يتولونه الى ذاته وقرئ ينفخ بلفظ ما لم يسم فاعله وينفخ ويحشر بالياء
المفتوحة على الغيبة والضمير لله تعالى او لاسرافيل عم واما يحشر المجرمون فلم يقرأ به الا
الحسن وقرئ في الصور بفتح الواو جمع صورة وفي الصور قولان احدهما انه بمعنى الصور وهذه القراءة
تدل عليه والثاني انه القرن قيل في الزرق قولان احدهما ان الزرقة ابغض شيء من الوان العيون
الى العرب لان الروم اعداؤهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا في صفة العدو اسود الكبد اصهب

السبال ازرق العين والثاني ان المراد العمى لان حدقة من يذهب نور بصره تزراق • يتخافتون
بينهم ان لبثتم الا عشرا نحن اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما • يتخافتون
يتسارون بينهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا اما لما يعاينون من الشدائد التي
تذكرهم ايام النعمة والسرور فيتأسفون عليها ويصفونها بالقصر لان ايام السرور قصار واما
لانها ذهبت عنهم وتقضت والذاهب وان طالت مدته قصير بالانتهاء ومنه توقيع عبد الله بن المعتز
تحت اطال الله بقاءك كفى بالانتهاء قصرا واما لاستطالتهم الآخرة وانها ابد سرمد يستقصر اليها عمر
الدنيا ويتقال لبث اهلها فيها بالقياس الى لبثهم في الآخرة وقد استرجح الله قول من يكون اشد تقالا منهم في
قوله اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما ونحوه قوله تعالى قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا
لبثنا يوما او بعض يوم فسئل العادين وقيل المراد لبثهم في القبور ويعضده قوله عز وجل ويوم تقوم
الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم
في كتاب الله الى يوم البعث • ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى
فيها عوجا ولا امتا • ينسفها يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها كما يذرى الطعام فيذرها
اي فيذر مقارها ومراكزها او يجعل الضمير للارض وان لم يجر لها ذكر كقوله ما ترك على ظهرها من دابة
فان قلت قد فرقوا بين العوج والعوج فقالوا العوج بالكسر في المعاني والعوج بالفتح في الاعيان والارض
عين فكيف صح فيها المكسور العين قلت اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع في وصف الارض بالاستواء
والملاسة ونفي الاعوجاج عنها على ابلغ ما يكون وذلك انك لو عمدت الى قطعة ارض فسويتها وبالغت
في التسوية على عينك وعيون البصراء من الفلاحة واتفقتم على انه لم يبق فيها اعوجاج قط ثم استطلعت
رأي المهندس فيها وامرته ان يعرض استواءها على المقاييس الهندسية لعثر فيها على عوج في غير موضع
لا يدرك ذلك بحاسة البصر لكن بالقياس الهندسي فنفى الله عز وعلا ذلك العوج الذي دق ولطف
عن الادراك اللهم الا بالقياس الذي يعرفه صاحب التقدير والهندسة وذلك الاعوجاج لما لم يدرك
الا بالقياس دون الاحساس لحق بالمعاني فقيل فيه عوج بالكسر الامت النتوء اليسير يقال مد حبله

حتى ما فيه امت • يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا
اضاف اليوم الى وقت نسف الجبال في قوله يومئذ اي يوم اذ نسفت ويجوز ان يكون بدلا بعد بدل
من يوم القيمة والمراد الداعي الى المحشر قالوا هو اسرافيل قائما على صخرة بيت المقدس يدعو الناس فيقبلون
من كل اوب الى صوته لا يعدلون لا عوج له اي لا يعوج له مدعو بل يستوون اليه من غير انحراف
متبعين لصوته اي خفضت الاصوات من شدة الفزع وخفتت فلا تسمع الا همسا وهو الركز الخفي
ومنه الحروف المهموسة وقيل هو من همس الابل وهو صوت اخفافها اذا مشت اي لا تسمع الا خفق الاقدام
ونقلها الى المحشر • يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا يعلم ما بين ايديهم وما
خلفهم ولا يحيطون به علما • من يصلح ان يكون مرفوعا ومنصوبا فالرفع على البدل من الشفاعة بتقدير
حذف المضاف اي لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن والنصب على المفعولية ومعنى اذن
له ورضي له لاجله اي اذن للشافع ورضي قوله لاجله ونحو هذه اللام اللام في قوله وقال الذين كفروا
للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه اي يعلم ما تقدمهم من الاحوال وما يستقبلونه ولا يحيطون
بمعلوماته علما • وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما • المراد بالوجوه وجوه العصاة و
انهم اذا عاينوا يوم القيمة الخيبة والشقوة وسوء الحساب صارت وجوههم عانية اي ذليلة خاشعة
مثل وجوه العناة وهم الاسارى ونحوه قوله فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا ووجوه
يومئذ باسرة وقوله وقد خاب وما بعده اعتراض كقولك خابوا وخسروا وكل من ظلم فهو خائب خاسر
ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما • الظلم ان يأخذ من صاحبه فوق حقه
والهضم ان يكسر من حق اخيه فلا يوفيه له كصفة المطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون
ويسترجحون واذا كالوهم يخسرون اي فلا يخاف جزاء ظلم ولا هضم لانه لم يظلم ولم يهضم وقرئ
فلا يخف على النهي • وكذلك انزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون او يحدث لهم
ذكرا • وكذلك عطف على كذلك نقص اي ومثل ذلك الانزال وكما انزلنا عليك هؤلاء الآيات المضمنة
للوعيد انزلنا القرآن كله على هذه الوتيرة مكررين فيه آيات الوعيد ليكونوا بحيث يراد منهم ترك

المعاصي او فعل الخير والطاعة والذكر كما ذكرنا يطلق على الطاعة والعبادة وقرئ نحدث وتحدث
بالنون والتاء اي تحدث انت وسكن بعضهم الثاء للتخفيف فاليوم اشرب غير مستحقب • فتعالى
الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علما • فتعالى الله
الملك الحق استعظام له ولما يصرف عليه عباده من اوامره ونواهيه ووعده ووعيده والادارة
بين ثوابه وعقابه على حسب اعمالهم وغير ذلك مما يجري عليه امر ملكوته ولما ذكر القرآن وانزاله
قال على سبيل الاستطراد واذا لقنك جبريل ما يوحى اليك من القرآن فتأن عليك ريثما يسمعك
ويفهمك ثم اقبل عليه بالتحفظ بعد ذلك ولا تكن قراءتك مساوقة لقراءته ونحوه قوله تعالى لا تحرك
به لسانك لتعجل به وقيل معناه لا تبلغ ما كان منه مجملا حتى يأتيك البيان وقرئ حتى نقضي اليك
وحيه وقوله رب زدني علما متضمن للتواضع لله والشكر له عندما علم من ترتيب التعلم اي علمتني يا
رب لطيفة في باب التعلم وادبا جميلا ما كان عندي فزدني علما الى علم فان لك في كل شيء حكمة وعلما
وقيل ما امر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء الا في العلم • ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد
له عزما • يقال في اوامر الملوك ووصاياهم تقدم الملك الى فلان واوعز اليه وعزم عليه
وعهد اليه عطف الله سبحانه قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون والمعنى و
اقسم قسما لقد امرنا اباهم آدم ووصيناه ان لا يقرب الشجرة وتوعدناه بالدخول في جملة
[illegible] ان قربها وذلك من قبل وجودهم ومن قبل ان نتوعدهم فخالف الى ما نهي عنه وتوعد
في ارتكابه مخالفتهم ولم يلتفت الى الوعيد كما لا يلتفتون كانه يقول ان اساس امر بني آدم على
ذلك وعرقهم راسخ فيه فان قلت ما المراد بالنسيان قلت يجوز ان يراد النسيان الذي هو نقيض
الذكر وانه لم يعن بالوصية العناية الصادقة ولم يستوثق منها بعقد القلب عليها وضبط النفس حتى تولد
من ذلك النسيان وان يراد الترك وانه ترك ما وصي به من الاحتراس عن الشجرة واكل ثمرتها ومن
فنسي اي نساه الشيطان العزم التصميم والمضي على ترك الاكل وان يتصلب في ذلك تصلبا
يؤيس الشيطان من التسويل له والوجود يجوز ان يكون بمعنى العلم ومفعولاه له عزما وان يكون نقيض

العدم كانه قال وعدمنا له عزما • واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى •
اذ منصوب بمضمر اى واذكر وقت ما جرى عليه من معاداة ابليس ووسوسته اليه وتزيينه له
الاكل من الشجرة وطاعته له بعد ما تقدمت معه النصيحة والموعظة البليغة والتحذير من
كيده حتى يتبين لك انه لم يكن من اولى العزم والثبات فان قلت ابليس كان جنيا بدليل قوله
تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه فمن اين تناوله الامر وهو للملائكة خاصة قلت كان
في صحبتهم وكان يعبد الله عبادتهم فلما امروا بالسجود لآدم والتواضع له كرامة له كان الجني
معهم اجدر بان يتواضع كما لو قام لمقبل على المجلس علية اهله وسراتهم كان القيام على واحد
بينهم هو دونهم في المنزلة اوجب حتى ان لم يقم عنف به وقيل له قد قام فلان وفلان فمن انت
حتى تترفع عن القيام فان قلت فكيف صح استثناؤه وهو جني عن الملائكة قلت عمل على حكم
التغليب في اطلاق اسم الملائكة عليهم وعليه فاخرج الاستثناء على ذلك كقولك خرجوا الا
فلانة لامرأة بين الرجال ابى جملة مستانفة كانه جواب قائل قال لم لم يسجد والوجه ان لا
يقدر له مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا وان يكون معناه اظهر الاباء
وتثبط • فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك الا تجوع
فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى • فلا يخرجنكما فلا يكونن سببا لاخراجكما وانما اسند
الى آدم وحده فعل الشقاء دون حواء بعد اشراكهما في الخروج لان في ضمن شقاء الرجل وهو قيم
اهله واميرهم شقاءهم كما ان في ضمن سعادته سعادتهم فاختصر الكلام باسناده اليه دونها مع المحافظة
على الفاصلة او اريد بالشقاء التعب في طلب القوت وذلك معصوب براس الرجل وهو راجع اليه
وروى انه اهبط الى آدم ثور احمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق من جبينه وقرئ وانك
بالكسر والفتح ووجه الفتح العطف على ان لا تجوع فان قلت ان لا تدخل على ان فلا يقال ان ان
زيدا منطلق والواو نائبة عن ان وقائمة مقامها فلم ادخلت عليها قلت الواو لم توضع لتكون
ابدا نائبة عن ان انما هي نائبة عن كل عامل فلما لم تكن حرفا موضوعا للتحقيق خاصة كان لم يمتنع اجتماعهما

كما امتنع اجتماع ان وان الشبع والري والكسوة والكن هي الاقطاب التي يدور عليها كفاف الانسان
فذكره استجماعها له في الجنة وانه مكفي لا يحتاج الى كفاية كاف ولا الى كسب كاسب كما يحتاج الى ذلك
اهل الدنيا وذكرها بلفظ النفي لنقائضها التي هي الجوع والعرى والظمأ والضحو ليطرق سمعه
باسامي اصناف الشقوة التي حذره منها حتى يتحامى السبب الموقع فيها كراهة لها • فوسوس اليه الشيطان
قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى • فان قلت كيف عدى وسوس تارة باللام في قوله
فوسوس لهما الشيطان واخرى بالى قلت وسوسة الشيطان كولولة الثكلى ووعوعة الذئب و
وقوقة الدجاجة في انها حكايات للاصوات وحكمها حكم صوت واجرس ومنه وسوس المبرسم
وهو موسوس بالكسر والفتح لحن وانشد ابن الاعرابي • وسوس يدعو مخلصا رب الفلق • فاذا قلت
وسوس له فمعناه لاجله كقوله اجرس لها يا ابن ابي كباش ومعنى وسوس اليه انهى اليه الوسوسة كقولك
حدث اليه واسر اليه اضاف الشجرة الى الخلد وهو الخلود لان من اكل منها خلد بزعمه كما قيل
حيزوم فرس الحياة لان من باشر اثره حيي وملك لا يبلى دليل على قراءة الحسن بن علي وابن عباس رضي الله عنهم
الا ان تكونا ملكين بالكسر • فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى
آدم ربه فغوى • طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل واخذ وانشأ وحكمها حكم كاد في وقوع الخبر
فعلا مضارعا وبينها وبينه مسافة قصيرة هي للشروع في اول الامر وكاد لمشارفته والدنو منه قرئ
يخصفان للتكثير والتكرير من خصف النعل وهو ان يخرز عليها الخصاف اي يلزقان الورق بسوآتهما
للتستر وهو ورق التين وقيل كان مدورا فصار على هذا الشكل من تحت اصابعهما وقيل كان لباسهما الظفر
فلما اصابا الخطيئة نزع عنهما وتركت هذه البقايا في اطراف الاصابع عن ابن ابي نجيح في ان آدم
لم يمتثل ما رسم الله له وتخطى فيه ساحة الطاعة وذلك هو العصيان ولما عصى خرج فعله من ان يكون
رشدا وخيرا فكان غيا لا محالة لان الغي خلاف الرشد ولكن قوله وعصى آدم ربه فغوى بهذا
الاطلاق وبهذا التصريح وحيث لم يقل وزل آدم واخطأ وما اشبه ذلك مما يعبر به عن الزلات
والفرطات فيه لطف بالمكلفين ومزجرة بليغة وموعظة كافة وكانه قيل لهم انظروا واعتبروا كيف

نعيت على النبي المعصوم حبيب الله الذي لا يجوز عليه الا اقتراف الصغيرة غير المنفرة زلته بهذه الغلظة
وبهذا اللفظ الشنيع فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من السيئات والصغائر فضلا ان تجسروا على التورط
في الكبائر وعن بعضهم فغوى فبشم من كثرة الاكل وهذا وان صح على لغة من يقلب الياء المكسور ما
قبلها الفا فيقول في فني وبقي فنا وبقا وهم بنو طي تفسير خبيث ثم اجتبيه ربه فتاب عليه وهدى
فان قلت ما معنى ثم اجتبيه ربه قلت ثم قبله بعد التوبة وقربه اليه من جبى الى كذا فاجتبيته
نظيره جليت على العروس فاجتليتها ومنه قوله عز وجل واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها اي هلا
جبيت اليك فاجتبيتها واصل الكلمة الجمع ويقولون اجتبت الفرس نفسها اذا اجتمعت نفسها
راجعة بعد النفار وهدى اي وفقه لحفظ التوبة وغيره من اسباب العصمة والتقوى قال
اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى
لما كان آدم وحواء عليهما السلم اصلي البشر والسببين للذين منهما نشأوا وتفرعوا جعلا كانهما
البشر في انفسهما فخوطبا مخاطبتهم فقيل فاما يأتينكم على لفظ الجماعة ونظيره اسنادهم الفعل الى
السبب وهو في الحقيقة للمسبب هدى كتاب وشريعة وعن ابن عباس ضمن الله لمن اتبع القرآن ان لا
يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم تلا قوله فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى والمعنى ان الشقاء
في الآخرة هو عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع كتاب الله وامتثل اوامره وانتهى
عن نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره
يوم القيمة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا الضنك مصدر يستوي في الوصف به
المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى على فعلى ومعنى ذلك ان مع الدين التسليم والقناعة والتوكل
على الله وعلى قسمته فصاحبه ينفق ما رزقه بسماح وسهولة فيعيش عيشا رافغا كما قال عز وجل
فلنحيينه حيوة طيبة والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به الى الازدياد
من الدنيا مسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الانفاق فعيشه ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض
المتصوفة لا يعرض احد عن ذكر ربه الا اظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه ومن الكفرة من ضرب

الله عليه الذلة والمسكنة لكفره قال الله تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله
ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله وقال ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم
لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من
السماء والارض وقال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا وقال وان لو استقاموا
على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا وعن الحسن هو الضريع والزقوم في النار وعن ابي سعيد الخدري
عذاب القبر وقرئ ونحشره بالجزم عطفا على محل فان له معيشة ضنكا لانه جواب الشرط وقرئ
ونحشره بسكون الهاء على لفظ الوقف وهذا مثل قوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا
وبكما وصما وكما فسر الزرق بالعمي قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى كذلك اي
مثل ذلك فعلت ثم فسر بان آياتنا اتتك واضحة مستنيرة فلم تنظر اليها بعين المعتبر ولم تتبصر و
تركتها وعميت عنها فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاءه عن عينيك وكذلك نجزي من اسرف
ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة اشد وابقى لما توعد المعرض عن ذكره بعقوبتين المعيشة الضنك
في الدنيا وحشره اعمى في الآخرة ختم آيات الوعيد بقوله ولعذاب الآخرة اشد وابقى كانه قال وللحشر
على العمى الذي لا يزول ابدا اشد من ضيق العيش المنقضي او اراد ولتركنا اياه في العمى اشد وابقى من
تركه لآياتنا افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات لاولي النهى
فاعل لم يهد الجملة بعده يريد الم يهد لهم هذا بمعناه ومضمونه ونظيره قوله تعالى وتركنا عليه في الآخرين
سلام على نوح في العالمين اي تركنا عليه هذا الكلام ويجوز ان يكون فيه ضمير الله او الرسول ويدل عليه
القراءة بالنون وقرئ يمشون يريد ان قريشا يتقلبون في بلاد عاد وثمود ويمشون في مساكنهم و
يعاينون آثار هلاكهم ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى الكلمة السابقة هي
العدة بتأخير جزائهم الى الآخرة يقول لولا هذه العدة لكان مثل اهلاكنا عادا وثمود لازما لهؤلاء
الكفرة واللزام اما مصدر لازم وصف به واما فعال بمعنى مفعل اي ملزم كانه آلة اللزوم لفرط
لزومه كما قالوا لزاز خصم واجل مسمى لا يخلو من ان يكون معطوفا على كلمة او على الضمير في كان اي لكان

الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين له كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ
العاجل فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح و
اطراف النهار لعلك ترضى بحمد ربك في موضع الحال اى وانت حامد لربك على ان وفقك للتسبيح و
اعانك عليه والمراد بالتسبيح الصلوة او على ظاهره قدم الفعل على الاوقات اولا والاوقات على الفعل
آخرا فكانه قال صل لله قبل طلوع الشمس يعني الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر لانهما واقعتان في النصف
الاخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها وتعمد آناء الليل واطراف النهار مختصا لهما بصلواتك وذلك
ان افضل الذكر ما كان بالليل لاجتماع القلب وهدو الرجل والخلو بالرب وقال الله عز وجل ان ناشئة
الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا وقال امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما ولان الليل وقت السكون
والراحة فاذا صرف الى العبادة كانت على النفس اشد واشق وللبدن اتعب وانصب فكانت
ادخل في معنى التكليف وافضل عند الله وقد تناول التسبيح في آناء الليل صلوة العتمة وفي اطراف النهار صلوة
المغرب وصلوة الفجر على التكرار ارادة الاختصاص كما اختصت في قوله حافظوا على الصلوات والصلوة
الوسطى عند بعض المفسرين فان قلت ما وجه قوله واطراف النهار على الجمع وانما هما طرفان كما قال
اقم الصلوة طرفي النهار قلت الوجه امن الالباس وفي التثنية زيادة بيان ونظير مجيء الامرين في الآيتين
مجيئهما في قوله ظهراهما مثل ظهور الترسين وقرئ واطراف النهار عطفا على آناء الليل ولعل للمخاطب اى
اذكر الله في هذه الاوقات طمعا ورجاء ان تنال عند الله ما به ترضى نفسك ويسر قلبك وقرئ ترضى
اى يرضيك ربك ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه
ورزق ربك خير وابقى وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة
للتقوى ولا تمدن عينيك اى نظر عينيك ومد النظر تطويله وان لا يكاد يرده استحسانا للمنظور
اليه واعجابا به وتمنيا ان يكون له كما فعل نظارة قارون حين قالوا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه
لذو حظ عظيم حتى واجههم اولوا العلم والايمان بويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا وفيه ان
النظر غير الممدود معفو عنه وذلك مثل نظر من باده الشيء بالنظر ثم غض الطرف ولما كان النظر

الى الزخارف كالمركوز في الطباع وان من ابصر منها شيئا احب ان يمد اليه نظره ويملأ منه عينيه
قيل ولا تمدن عينيك اى لا تفعل ما انت معتاد له وضار به ولقد شدد العلماء من اهل التقوى
في وجوب غض البصر عن ابنية الظلمة وعدد الفسقة في اللباس والمراكب وغير ذلك لانهم انما اتخذوا
هذه الاشياء لعيون النظارة فالناظر اليها محصل لغرضهم وكالمغري لهم على اتخاذها ازواجا منهم اصنافا
من الكفرة ويجوز ان ينتصب حالا من هاء الضمير والفعل واقع على منهم كانه قال الى الذي متعنا به وهو
اصناف بعضهم وناسا منهم فان قلت علام انتصب زهرة قلت على احد اربعة اوجه على الذم وهو النصب
على الاختصاص وعلى تضمين متعنا معنى اعطينا وخولنا وكونه مفعولا ثانيا له وعلى ابداله من محل الجار
والمجرور وعلى ابداله من ازواجا على تقدير ذوي زهرة فان قلت ما معنى الزهرة فيمن حرك قلت معنى الزهرة
بعينه وهو الزينة والبهجة كما جاء في الجهرة الجهرة وقرئ ارنا الله جهرة وان تكون جمع زاهر وصفا
لهم بانهم زاهروا هذه الدنيا لصفاء الوانهم مما يلهون ويتنعمون وتهلل وجوههم وبهاء زيهم وشارتهم بخلاف
ما عليه المؤمنون والصلحاء من شحوب الالوان والتقشف في الثياب لنفتنهم لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب
لوجود الكفران منهم او لنعذبهم في الآخرة بسببه ورزق ربك هو ما ادخر له من ثواب الآخرة الذي
هو خير منه في نفسه وادوم او ما رزقه من نعمة الاسلام والنبوة او لان اموالهم الغالب عليها
الغصب والسرقة والحرمة من بعض الوجوه والحلال خير وابقى لان الله لا ينسب الى نفسه الا ما حل
وطاب دون ما حرم وخبث والحرام لا يسمى رزقا وعن عبد الله بن قسيط عن رافع قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى يهودي وقال قل له يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرضني الى رجب فقال والله لا اقرضته
الا برهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لامين في السماء واني لامين في الارض احمل اليه درعي الحديد
فنزلت ولا تمدن عينيك وامر اهلك بالصلوة اى واقبل انت مع اهلك على عبادة الله والصلوة و
استعينوا بها على خصاصتكم ولا تهتم بامر الرزق والمعيشة فان رزقك مكفي من عندنا ونحن رازقوك
ولا نسألك ان ترزق نفسك ولا اهلك ففرغ بالك لامر الآخرة وفي معناه قول الناس من كان في
عمل الله كان الله في عمله وعن عروة بن الزبير انه كان اذا رأى ما عند السلاطين قرأ ولا تمدن عينيك

الآية ثم ينادي الصلوة الصلوة رحمكم الله وعن بكر بن عبد الله المزني كان اذا اصابت اهله خصاصة
قال قوموا فصلوا بهذا امر الله ورسوله ثم يتلو هذه الآية • وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه اولم تأتهم
بينة ما في الصحف الاولى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع
آياتك من قبل ان نذل ونخزى • اقترحوا على عادتهم في التعنت آية على النبوة فقيل لهم اولم تأتكم آية هي
ام الآيات واعظمها في باب الاعجاز يعني القرآن من قبل ان القرآن برهان ما في سائر الكتب المنزلة ودليل
صحته لانه معجزة وتلك ليست بمعجزات فهي مفتقرة الى شهادته على صحة ما فيها افتقار المحتج عليه الى
شهادة الحجة وقرئ الصحف بالتخفيف وذكر الضمير الراجع الى البينة لانها في معنى البرهان والدليل وقرئ نذل
ونخزى على لفظ ما لم يسم فاعله • قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من اصحاب الصراط السوي ومن
اهتدى • كل اي كل واحد منا ومنكم متربص للعاقبة ولما يؤول اليه امرنا وامركم وقرئ السواء بمعنى الوسط
والجيد والمستوي والسوء والسوءى والسوي تصغير السوء وقرئ فتمتعوا فسوف تعلمون قال ابو رافع
حفظته من رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلعم من قرأ طه اعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين
والانصار وقال لا يقرأ اهل الجنة من القرآن الا طه ويس سورة الانبياء عليهم السلام مكية وهي مائة
واثنتا عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم • اقترب للناس حسابهم
وهم في غفلة معرضون • هذه اللام لا تخلو من ان تكون صلة لاقترب او تأكيدا لاضافة الحساب اليهم
كقولك ازف للحي رحيلهم الاصل ازف رحيل الحي ثم ازف للحي الرحيل ثم ازف للحي رحيلهم ونحوه
ما اورده سيبويه في باب ما يثنى فيه المستقر توكيدا عليك زيد حريص عليك وفيك زيد راغب فيك
ومنه قولهم لا ابا لك لان اللام مؤكدة لمعنى الاضافة وهذا الوجه اغرب من الاول والمراد اقتراب الساعة
واذا اقتربت الساعة فقد اقترب ما يكون فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك ونحوه واقترب
الوعد الحق فان قلت كيف وصف بالاقتراب وقد عددت دون هذا القول اكثر من خمسمائة عام قلت
هو مقترب عند الله والدليل عليه قوله عز وعلا ويستعجلونك بالعذاب وان يوما عند ربك كالف سنة
مما تعدون ولان كل آت وان طالت اوقات استقباله وترقبه قريب وانما البعيد هو الذي وجد

وانقرض

وانقرض ولان ما بقي من الدنيا اقصر واقل مما سلف منها بدليل انبعاث خاتم النبيين الموعود مبعثه
في آخر الزمان وقال صلى الله عليه وسلم بعثت في نسم الساعة وفي خطبة بعض المتقدمين ولت الدنيا حذاء
ولم تبق الا صبابة كصبابة الاناء واذا كانت بقية الشيء وان كثرت في نفسها قليلة بالاضافة الى
معظمه كانت خليقة بان توصف بالقلة وقصر الذرع وعن ابن عباس ان المراد بالناس المشركون وهذا
من اطلاق اسم الجنس على بعضه للدليل القائم وهو ما يتلوه من صفات المشركين وصفهم بالغفلة مع الاعراض
يعني انهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم ولا يتعظون • ما يأتيهم من ذكر من ربهم
محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم واسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم
افتأتون السحر وانتم تبصرون • لما ترجع اليه خاتمة امرهم مع اقتضاء عقولهم انه لا بد من جزاء
المحسن والمسيء واذا قرعت لهم العصا ونبهوا عن سنة الغفلة وفطنوا لذلك بما يتلى عليهم من الآيات
والنذر اعرضوا وسدوا اسماعهم ونفروا وقرر اعراضهم عن تنبيه المنبه وايقاظ الموقظ بان الله يجدد
لهم الذكر وقتا فوقتا ويحدث لهم الآية بعد الآية والسورة بعد السورة ليكرر على اسماعهم التنبيه و
الموعظة لعلهم يتعظون فما يزيدهم استماع الآي والسور وما فيها من فنون المواعظ والبصائر التي هي
احق الحق واجد الجد الا لعبا وتلهيا واستسخارا والذكر هو الطائفة النازلة من القرآن وقرأ ابن ابي
عبلة محدث بالرفع صفة على المحل قوله وهم يلعبون لاهية قلوبهم حالان مترادفتان او متداخلتان
ومن قرأ لاهية بالرفع فالحال واحدة لان لاهية قلوبهم خبر بعد خبر لقوله وهم واللاهية من لهى عنه
اذا ذهل وغفل يعني انهم وان فطنوا فهم في قلة جدوى فطنتهم كانهم لم يفطنوا اصلا وثبتوا على رأس غفلتهم
وذهولهم عن التأمل والتبصر بقلوبهم فان قلت النجوى هي اسم من التناجي لا تكون الا خفية فما معنى
قوله واسروا قلت معناه وبالغوا في اخفائها او جعلوها بحيث لا يفطن احد لتناجيهم ولا يعلم انهم
متناجون ابدل الذين ظلموا من واو واسروا اشعارا بانهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما اسروا
به او جاء على لغة من قال اكلوني البراغيث او هو منصوب المحل على الذم او هو مبتدأ خبره واسروا النجوى
قدم عليه والمعنى وهؤلاء اسروا النجوى فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا على فعلهم بانه ظلم هل هذا

الا بشر مثلكم افتاتون السحر وانتم تبصرون هذا الكلام كله في محل النصب بدلا من النجوى اي واسروا
هذا الحديث ويجوز ان يتعلق بقالوا مضمرا اعتقدوا ان رسول الله لا يكون الا ملكا وان كل من ادعى
الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة فهو ساحر ومعجزته سحر فلذلك قالوا على سبيل الانكار افتحضرون السحر
وانتم تشاهدون وتعاينون انه سحر فان قلت لم اسروا هذا الحديث وبالغوا في اخفائه قلت كان ذلك
شبه التشاور فيما بينهم والتحاور في طلب الطريق الى هدم امره وعمل المنصوبة في التثبيط عنه وعادة
المتشاورين في خطب ان لا يشركوا اعداءهم في شوراهم ويتجاهدوا في طي سرهم عنهم ما امكن واستطيع ومنه
قول الناس استعينوا على حوائجكم بالكتمان ويرفع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يسروا نجواهم بذلك
ثم يقولوا لرسول الله والمؤمنين ان كان ما تدعونه حقا فاخبرونا بما اسررناه قل ربي يعلم القول في السماء
والارض وهو السميع العليم فان قلت هلا قيل يعلم السر لقوله واسروا النجوى قلت القول عام يشمل السر والجهر
فكان في العلم به العلم بالسر وزيادة فكان آكد في بيان الاطلاع على نجواهم من ان يقول يعلم السر كما ان قوله
يعلم السر آكد من ان يقول يعلم سرهم ثم بين ذلك بانه السميع العليم لذاته فكيف تخفى عليه خافية فان قلت
فلم ترك هذا الآكد في سورة الفرقان في قوله قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض قلت ليس بواجب
ان يجيء بالآكد في كل موضع ولكن يجيء بالوكيد تارة وبالآكد اخرى كما يجيء بالحسن في موضع وبالاحسن
في غيره ليفتن الكلام افتنانا وتجمع الغاية وما دونها على ان اسلوب تلك الآية خلاف اسلوب هذه
من قبل انه قدم ههنا انهم اسروا النجوى فكانه اراد ان يقول ان ربي يعلم ما اسروه فوضع القول موضع ذلك
للمبالغة وثم قصد وصف ذاته بان انزله الذي يعلم السر في السموات والارض فهو كقوله علام الغيوب
عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة وقرئ قال ربي حكاية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم بل قالوا اضغاث
احلام بل افتريه بل هو شاعر فليأتنا باية كما ارسل الاولون اضربوا عن قولهم هو سحر الى انه
تخاليط احلام ثم الى انه كلام مفترى من عنده ثم الى انه قول شاعر وهكذا الباطل لجلج والمبطل متحير رجاع
غير ثابت على قول واحد ويجوز ان يكون تنزيلا من الله تعالى لاقوالهم في درج الفساد وان قولهم الثاني افسد
من الاول والثالث افسد من الثاني وكذلك الرابع من الثالث صحة التشبيه في قوله كما ارسل الاولون

من حيث انه في معنى كما اتى الاولون بالآيات لان ارسال الرسل متضمن للاتيان بالآيات الا ترى
انه لا فرق بين ان تقول ارسل محمد وبين قولك اتى محمد بالمعجزة ما آمنت قبلهم من قرية اهلكناها
افهم يؤمنون فيه انهم اعتى من الذين اقترحوا على انبيائهم الآيات وعاهدوا انهم يؤمنون
عندها فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فاهلكهم الله فلو اعطيناهم ما يقترحون لكانوا انكث وانكث وما
ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون امرهم ان يستعلموا اهل الذكر
وهم اهل الكتاب حتى يعلموهم ان رسل الله الموحى اليهم كانوا بشرا ولم يكونوا ملائكة كما اعتقدوا
وانما احالهم على اولئك لانهم كانوا يشايعون المشركين في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى
ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا فلا يكاذبونهم فيما هم فيه
ردء لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين لا يأكلون الطعام
صفة لجسدا والمعنى وما جعلنا الانبياء قبله ذوي جسد غير طاعمين ووحد الجسد لارادة الجنس كانه
قال ذوي ضرب من الاجساد وهذا رد لقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام فان قلت نعم قد رد انكارهم
ان يكون الرسول بشرا يأكل ويشرب بما ذكرت فماذا رد من قولهم بقوله وما كانوا خالدين قلت يحتمل
ان يقولوا انه بشر مثلنا يعيش كما نعيش ويموت كما نموت ويقولوا هلا كان ملكا لا يطعم ويخلد اما معتقدين
ان الملائكة لا يموتون او مسمين حياتهم المتطاولة وبقاءهم الممتد خلودا ثم صدقناهم الوعد فانجيناهم
ومن نشاء واهلكنا المسرفين صدقناهم الوعد مثل واختار موسى قومه والاصل في الوعد ومن قومه
ومنه صدقوهم القتال وصدقني سن بكره ومن نشاء هم المؤمنون ومن في بقائه مصلحة لقد
انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم افلا تعقلون ذكركم شرفكم وصيتكم كما قال وانه لذكر لك ولقومك او
موعظتكم او فيه مكارم الاخلاق التي كنتم تطلبون بها الثناء وحسن الذكر كحسن الجوار والوفاء
بالعهد وصدق الحديث واداء الامانة والسخاء وما اشبه ذلك وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة
وانشأنا بعدها قوما آخرين وكم قصمنا من قرية واردة عن غضب شديد ووعيد على سخط عظيم لان القصم
افظع الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم واراد بالقرية اهلها ولذلك

وصفها بالظلم وقال قوما آخرين لان المعنى اهلكنا قوما وانشأنا قوما آخرين وعن ابن عباس انها حضور
وهي وسحول قريتان باليمن ينسب اليهما الثياب في الحديث كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوبين
سحوليين وروي حضوريين بعث الله اليهم نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر كما سلطه الله
على اهل بيت المقدس فاستأصلهم وروي انه لما اخذتهم السيوف ونادى مناد من السماء يا لثارات الانبياء
ندموا واعترفوا بالخطاء وذلك حين لم ينفعهم الندم وظاهر الآية على الكثرة ولعل ابن عباس رضه ذكر حضور
بانها احدى القرى التي ارادها الله بهذه الآية ● فلما احسوا باسنا اذا هم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا
الى ما اترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون ● فلما علموا شدة عذابنا وبطشنا علم حس ومشاهدة لم يشكوا
فيها ركضوا من ديارهم والركض ضرب الدابة بالرجل ومنه قوله تعالى اركض برجلك فيجوز ان يركبوا
دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم لما ادركتهم مقدمة العذاب ويجوز ان يشبهوا في سرعة
عدوهم على ارجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم فقيل لهم لا تركضوا والقول محذوف فان قلت من
القائل قلت يحتمل ان يكون بعض الملائكة او من ثم من المؤمنين او يجعلون خلقاء بان يقال لهم ذلك
وان لم يقل ويقوله رب العزة ويسمعه ملائكته لينفعهم في دينهم او يلهمهم ذلك فيحدثوا به نفوسهم
وارجعوا الى ما اترفتم فيه من العيش الرافه والحال الناعمة والاتراف ابطار النعمة وهي الترفة
لعلكم تسألون تهكم بهم وتوبيخ اي ارجعوا الى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسألون غدا عما جرى عليكم ونزل
باموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة او ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم وترتبوا
في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون امره وينفذ فيه امركم ونهيكم ويقولوا لكم بم
تأمرون وماذا ترسمون وكيف نأتي ونذر كعادة المنعمين المخدمين او يسألكم الناس في انديتكم
المعاون في نوازل الخطوب ويستشيرونكم في المهمات والعوارض ويستشفون بتدابيركم
ويستضيئون بآرائكم او يسألكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون سحائب اكفكم ويمترون
اخلاف معروفكم واياديكم اما لانهم كانوا اسخياء ينفقون اموالهم رئاء الناس وطلب الثناء او
كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما الى تهكم وتوبيخا الى توبيخ ● قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فما زالت

تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين ● تلك اشارة الى يا ويلنا لانها دعوى كانه قيل فما زالت
تلك الدعوى دعواهم والدعوى بمعنى الدعوة قال الله تعالى وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين فان قلت
لم سميت دعوى قلت لان المولول كانه يدعو الويل فيقول تعال يا ويل فهذا وقتك وتلك مرفوع
او منصوب اسما او خبرا وكذلك دعواهم الحصيد الزرع المحصود اي جعلناهم مثل الحصيد شبههم به
في استئصالهم واصطلامهم كما تقول جعلناهم رمادا اي مثل الرماد والضمير المنصوب هو الذي كان مبتدأ
والمنصوبان بعده كانا خبرين له فلما دخل عليها جعل نصبها جميعا على المفعولية فان قلت كيف ينصب
جعل ثلاثة مفاعيل قلت حكم الاثنين الآخرين حكم الواحد لان معنى قولك جعلته حلوا حامضا جعلته
جامعا للطعمين وكذلك معنى ذلك جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود ● وما خلقنا السماء
والارض وما بينهما لاعبين ● اي وما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من اصناف
الخلائق مشحونة بضروب البدائع والعجائب كما تسوي الجبابرة سقوفهم وفرشهم وسائر زخارفهم للهو
واللعب وانما سويناها للفوائد الدينية والحكم الربانية لتكون مطارح افتكار واعتبار واستدلال و
نظر لعبادنا مع ما يتعلق لهم بها من المنافع التي لا تعد والمرافق التي لا تحصى ● لو اردنا ان نتخذ لهوا
لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين ● ثم بين ان السبب في ترك اتخاذ اللهو واللعب وانتفائه عن افعالي
هو ان الحكمة صارفة عنه والا فانا قادر على اتخاذه ان كنت فاعلا لاني على كل شيء قدير وقوله
لاتخذناه من لدنا كقوله رزقا من لدنا اي من جهة قدرتنا وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل المرأة
وقيل من لدنا اي من الملائكة لا من الانس ردا لولادة المسيح وعزير بل اضراب عن اتخاذ اللهو
واللعب وتنزيه منه لذاته كانه قال سبحاننا ان نتخذ اللهو واللعب بل من عادتنا وموجب حكمتنا و
استغنائنا عن القبيح ان نغلب اللعب بالجد وندحض الباطل بالحق واستعار لذلك القذف والدمغ
تصويرا لابطاله به واهداره ومحقه فجعله كانه جرم صلب كالصخرة مثلا ● بل نقذف بالحق
على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون ● قذفه به على جرم رخو اجوف فدمغه
ثم قال ولكم الويل مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وعلى حكمته وقرئ فيدمغه بالنصب وهو في ضعف قوله

ساترك منزلي لبني تميم والحق بالحجاز فاستريحا • وقرئ فيدمغه • وله من في السموات والارض
ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون ام اتخذوا
آلهة من الارض هم ينشرون • من عنده هم الملائكة والمراد انهم مكرمون منزلون لكرامتهم عليه
منزلة المقربين عند الملوك على طريق التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم على جميع خلقه فان قلت
الاستحسار مبالغة في الحسور وكان الابلغ في وصفهم ان ينفي عنهم ادنى الحسور قلت في الاستحسار
بيان ان ما هم فيه يوجب غاية الحسور واقصاه وانهم احقاء لتلك العبادات الباهظة بان يستحسروا
فيما يفعلون اى تسبيحهم متصل دائم في جميع اوقاتهم لا يتخلله فترة بفراغ او بشغل آخر هذه ام المنقطعة
الكائنة بمعنى بل والهمزة قد آذنت بالاضراب عما قبلها والانكار لما بعدها والمنكر هو اتخاذهم آلهة
من الارض هم ينشرون الموتى ولعمري ان من اعظم المنكرات ان ينشر الموتى بعض الموات فان قلت
كيف انكر عليهم اتخاذ آلهة تنشر وما كانوا يدعون ذلك لآلهتهم وكيف وهم ابعد شيء عن هذه
الدعوى وذلك انهم كانوا مع اقرارهم لله عز وجل بانه خالق السموات والارض ولئن سألتهم من خلق
السموات والارض ليقولن الله وبانه القادر على المقدورات كلها وعلى النشأة الاولى منكرين البعث
ويقولون من يحيي العظام وهي رميم وكان عندهم من قبيل المحال الخارج عن قدرة القادر كثاني
القديم فكيف يدعونه للجماد الذي لا يوصف بالقدرة رأسا قلت الامر كما ذكرت ولكنهم بادعائهم لها
الالهية يلزمهم ان يدعوا لها الانشار لانه لا يستحق هذا الاسم الا القادر على كل مقدور و
الانشار من جملة المقدورات وفيه باب من التهكم بهم والتوبيخ والتجهيل واشعار بان ما استبعدوه
من الله لا يصح استبعاده لان الالهية لما صحت صح معها الاقتدار على الابداء والاعادة ونحو
قوله من الارض قولك فلان من مكة او من المدينة تريد مكي او مدني ومعنى نسبتها الى الارض
الايذان بانها الاصنام التي تعبد في الارض لان الآلهة على ضربين ارضية وسماوية ومن ذلك
حديث الامة التي قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اين ربك فاشارت الى السماء فقال انها مؤمنة
لانه فهم منها ان مرادها نفي الآلهة الارضية التي هي الاصنام لا اثبات السماء مكانا لله عز وجل

ويجوز ان يراد آلهة من جنس الارض لانها اما ان تنحت من بعض الحجارة او تعمل من بعض جواهر
الارض فان قلت لا بد من نكتة في قوله هم قلت النكتة فيه افادة معنى الخصوصية كانه قيل ام اتخذوا
آلهة لا يقدر على الانشار الا هم وحدهم وقرأ الحسن ينشرون وهما لغتان انشر الله الموتى
ونشرها • لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون • وصفت
آلهة بالا كما توصف بغير لو قيل آلهة غير الله فان قلت ما منعك من الرفع على البدل قلت لان لو
بمنزلة ان في ان الكلام معه موجب والبدل لا يسوغ الا في الكلام غير الموجب كقوله تعالى ولا
يلتفت منكم احد الا امرأتك وذلك لان اعم العام يصح نفيه ولا يصح ايجابه والمعنى لو كان يتولاهما
ويدبر امرهما آلهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما لفسدتا وفيه دلالة على امرين احدهما
وجوب ان لا يكون مدبرهما الا واحدا والثاني ان لا يكون ذلك الواحد الا اياه وحده لقوله الا الله
فان قلت لم وجب الامران قلت لعلمنا ان الرعية تفسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من
التغالب والتناكر والاختلاف وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد الاشدق
كان والله اعز علي من دم ناظري ولكن لا يجتمع فحلان في شول وهذا ظاهر واما طريقة
التمانع فللمتكلمين فيها تجاول وطراد ولان هذه الافعال محتاجة الى تلك الذات المتميزة بتلك
الصفات حتى تثبت وتستقر • لا يسأل عما يفعل وهم يسألون • اذا كانت عادة الملوك والجبابرة
ان لا يسألهم من في مملكتهم عن افعالهم وعما يوردون ويصدرون من تدبير ملكهم تهيبا واجلالا
مع جواز الخطأ والزلل وانواع الفساد عليهم كان ملك الملوك ورب الارباب خالقهم ورازقهم
اولى بان لا يسأل عن افعاله مع ما علم واستقر في العقول من ان ما يفعله كله مفعول بدواعي
الحكمة ولا يجوز عليه الخطأ ولا فعل القبائح وهم يسألون اى هم مملوكون مستعبدون خطاؤون
فما اخلقهم بان يقال لهم لم فعلتم في كل شيء فعلوه • ام اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم
هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون • كرر ام اتخذوا من دونه
آلهة استفظاعا لشانهم واستعظاما لكفرهم اى وصفتم الله تعالى بان له شريكا فهاتوا برهانكم

على ذلك اما من جهة العقل واما من جهة الوحي فانكم لا تجدون كتابا من كتب الاولين الا وفيه توحيد
الله وتنزيهه عن الانداد مدعوا اليه والاشراك به منهيا عنه متوعدا عليه فيه اي هذا الوحي الوارد
في معنى توحيد الله ونفي الشركاء عنه كما ورد علي فقد ورد على جميع الانبياء فهو ذكر اي عظة للذين
معي يعني امته وذكر للذين قبلي يريد امم الانبياء وقرئ ذكرٌ من معي وذكرٌ من قبلي بالتنوين ومن
مفعول منصوب بالذكر كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وهو الاصل والاضافة من اضافة
المصدر الى المفعول كقوله غلبت الروم وهم من بعد غلبهم سيغلبون وذكرٍ من معي ومن قبلي
من الاضافية في هذه القراءة وادخال الجار على مع غريب والعذر فيه انه اسم هو ظرف نحو قبل
وعند ولدن وما اشبه ذلك فدخل عليه من كما يدخل على اخواته وقرئ ذكرٌ معي وذكرٌ قبلي كا
قيل بل عندهم ما هو اصل الشر والفساد كله وهو الجهل وفقد العلم وعدم التمييز بين الحق والباطل
فمن ثم جاء هذا الاعراض ومن هناك ورد هذا الانكار وقرئ الحق بالرفع على توسيط التوكيد بين السبب
والمسبب والمعنى ان اعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل ويجوز ان يكون المنصوب ايضا على هذا
المعنى كما تقول هذا عبد الله الحق لا الباطل • وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله
الا انا فاعبدون وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره
يعملون يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون • يوحى و
نوحي مشهورتان وهذه الاية مقررة لما سبقها من آي التوحيد نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة
بنات الله فنزه ذاته عن ذلك ثم اخبر عنهم بانهم عباد والعبودية تنافي الولادة الا انهم مكرمون
مقربون عندي مفضلون على سائر العباد لما هم عليه من احوال وصفات ليس لغيرهم فذلك هو الذي
غر منهم من زعم انهم اولادي تعاليت عن ذلك علوا كبيرا وقرئ مكرمون ولا يسبقونه بالضم من سابقته
فسبقته اسبقه والمعنى انهم يتبعون قوله ولا يقولون شيئا حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله والمراد
بقولهم فانيب اللام مناب الاضافة اي لا يتقدمون قوله بقولهم كما تقول سبقت بفرسي فرسه
وكما ان قولهم تابع لقوله فعلهم ايضا كذلك مبني على امره لا يعملون عملا ما لم يؤمروا به وجميع ما يأتون

ويذرون كما قدموا واخروا بعين الله وهو مجازيهم عليه فلاحاطتهم بذلك يضبطون انفسهم و
يراعون احوالهم ويعمرون اوقاتهم ومن تحفظهم انهم لا يجسرون ان يشفعوا الا لمن ارتضاه الله
واهله للشفاعة في ازدياد الثواب والتعظيم ثم انهم مع هذا كله من خشية الله مشفقون اي متوقعون
من امارة ضعيفة كائنون على حذر ورقبة لا يأمنون مكر الله تعالى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى
جبرئيل ليلة المعراج ساقطا كالحلس من خشية الله • ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم
كذلك نجزي الظالمين اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء
كل شيء حي افلا يؤمنون • وبعد ان وصف كرامتهم عليه وقرب منزلتهم عنده واثنى عليهم واضاف
اليهم تلك الافعال السنية والاعمال المرضية فاجاء بالوعيد الشديد وانذر بعذاب جهنم من
اشرك منهم ان كان ذلك على سبيل الفرض والتمثيل مع احاطة علمه بانه لا يكون كما قال ولو اشركوا لحبط
عنهم ما كانوا يعملون قصد بذلك تفظيع امر الشرك وتعظيم شان التوحيد وقرئ الم ير بغير واو ورتقا
بفتح التاء وكلاهما في معنى المفعول كالخلق والنقض اي كانتا مرتوقتين فان قلت الرتق صالح لان
يقع موقع مرتوقتين لانه مصدر فما بال الرتق قلت على تقدير موصوف اي كانتا شيئا رتقا ومعنى ذلك
ان السماء كانت لاصقة بالارض لا فضاء بينهما او كانت السموات متلاصقات وكذلك الارضون
لا فرج بينهما ففتقها الله وفرج بينها وقيل ففتقناهما بالمطر والنبات بعد ما كانت مصمتة وانما قيل
كانتا دون كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض ونحوه قولهم لقاحان سوداوان اي
جماعتان فعل في المضمر نحو ما فعل في المظهر فان قلت متى رأوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك قلت فيه
وجهان احدهما انه وارد في القرآن الذي هو معجزة في نفسه فقام مقام المرئي المشاهد والثاني ان تلاصق
الارض والسماء وتباينهما كلاهما جائز في العقل فلا بد للتباين دون التلاصق من مخصص وهو
القديم سبحانه وتعالى وجعلنا لا يخلو ان يتعدى الى واحد او اثنين فان تعدى الى واحد فالمعنى خلقنا من الماء
كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء او كانما خلقناه من الماء لفرط احتياجه اليه وحبه له وقلة
صبره عنه كقوله خلق الانسان من عجل وان تعدى الى اثنين فالمعنى صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء

لا بد له منه ومن هذا نحو من في قوله صلى الله عليه وسلم ما انا من دد ولا الدد مني وقرئ حيا وهو
المفعول الثاني • وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون • و
الظرف لغو اي كراهة ان تميد بهم وتضطرب او لان لا تميد بهم فحذف لا واللام وانما جاز حذف لا
لعدم الالتباس كما تزاد لذلك في نحو قوله لئلا يعلم اهل الكتاب هذا مذهب الكوفيين الفج الطريق
الواسع فان قلت في الفجاج معنى الوصف فما لها قدمت على السبل ولم تؤخر كما في قوله تعالى لتسلكوا منها
سبلا فجاجا قلت لم تقدم وهي صفة ولكن جعلت حالا كقوله لعزة موحشا طلل قديم • فان قلت
ما الفرق بينهما من جهة المعنى قلت احدهما اعلام بانه جعل فيها طرقا واسعة والثاني بانه حين خلقها
على تلك الصفة فهو بيان لما ابهم ثمة • وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون وهو
الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون • محفوظا حفظه بالامساك بقدرته
ان يقع على الارض ويتزلزل او بالشهب عن تسمع الشياطين على سكانه من الملائكة عن آياتها عما وضع
الله فيها من الادلة والعبر بالشمس والقمر وسائر النيرات ومسايرها وطلوعها وغروبها على الحساب القويم
والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة واي جهل اعظم من جهل من اعرض عنها
ولم يذهب به وهمه الى تدبرها والاعتبار بها والاستدلال على عظمة شان من اوجدها عن عدم
ودبرها ونصبها هذه النصبة واودعها ما اودعها مما لا يعرف كنهه الا هو عزت قدرته ولطف علمه
وقرئ عن آيتها على التوحيد اكتفاء بالواحدة في الدلالة على الجنس اي هم متفطنون لما يرد عليهم
من السماء من المنافع الدنيوية كالاستضاءة بقمريها والاهتداء بكواكبها وحيوة الارض والحيوان بامطارها
وهم عن كونها آية بينة على الخالق معرضون كل التنوين فيه عوض من المضاف اليه اي كلهم في فلك يسبحون
والضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع كل يوم وليلة جعلوها متكاثرة لتكاثر مطالعها وهو السبب
في جمعهما بالشموس والاقمار والا فالشمس واحدة والقمر واحد وانما جعل الضمير واو العقلاء للوصف
بفعلهم وهو السباحة فان قلت الجملة ما محلها قلت محلها النصب على الحال من الشمس والقمر فان قلت
كيف استبد بهما دون الليل والنهار بنصب الحال عنهما قلت كما تقول رايت زيدا وهندا متبرجة ونحو ذلك اذا

جئت بصفة يختص بها بعض ما تعلق به العامل ومنه قوله تعالى في هذه السورة ووهبنا له اسحق و
يعقوب نافلة او لا محل لها لاستينافها فان قلت لكل واحد من القمرين فلك على حدة فكيف قيل جميعهم
يسبحون في فلك قلت هذا كقولهم كساهم الامير حلة وقلدهم سيفا اي كل واحد منهم او كساهم وقلدهم
هذين الجنسين فاكتفى بما يدل على الجنس اختصارا ولان الغرض الدلالة على الجنس • وما جعلنا لبشر
من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة و
الينا ترجعون • كانوا يقدرون انه سيموت فيشمتون بموته فنفى الله عنه الشماتة بهذا اي قضى الله
ان لا يخلد في الدنيا بشرا فلا انت ولا هم الا عرضة للموت فاذا كان الامر كذلك فان مت انت ايبقى
هؤلاء وفي معناه قول الفرزدق • فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا • اي نختبركم
بما يجب فيه الصبر من البلايا وبما يجب فيه الشكر من النعم والينا مرجعكم فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم
من الصبر والشكر وانما سمي ذلك ابتلاء وهو عالم بما سيكون من اعمال العاملين قبل وجودهم لانه في
صورة الاختبار وفتنة مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه • واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك
الا هزوا اهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون • الذكر يكون بخير وبخلافه فاذا
دلت الحال على احدهما اطلق ولم يقيد كقولك للرجل سمعت فلانا يذكرك فان كان الذاكر صديقا
فهو ثناء وان كان عدوا فذم ومنه قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم وقوله اهذا الذي يذكر آلهتكم و
المعنى انهم عاكفون بهممهم على ذكر آلهتهم وما يجب ان لا تذكر به من كونهم شفعاء وشهداء و
يسوؤهم ان يذكرها ذاكر بخلاف ذلك واما ذكر الله وما يجب ان يذكر به من الوحدانية فهم به
كافرون لا يصدقون به اصلا فهم احق بان يتخذوا هزوا منك فانك محق وهم مبطلون وقيل معنى
بذكر الرحمن قولهم ما نعرف الرحمن الا مسيلمة وقولهم وما الرحمن انسجد لما تامرنا وقيل بذكر الرحمن بما
انزل اليك من القرآن والجملة في موضع الحال اي يتخذونك هزوا وهم على حال هي اصل الهزء والسخرية
وهي الكفر بالله • خلق الانسان من عجل ساريكم آياتي فلا تستعجلون ويقولون متى هذا الوعد ان
كنتم صادقين لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون

بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون كانوا يستعجلون عذاب الله وآياته
الملجئة الى العلم والاقرار ويقولون متى هذا الوعد فاراد نهيهم عن الاستعجال وزجرهم فقدم
اولا ذم الانسان على افراط العجلة وانه مطبوع عليها ثم نهاهم وزجرهم كانه قال ليس ببدع منكم
ان تستعجلوا فانكم مجبولون على ذلك وهو طبعكم وسجيتكم وعن ابن عباس انه اراد بالانسان آدم
وانه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالغ فيه اراد ان يقوم وروي لما دخل الروح في عينيه نظر الى ثمار
الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام وقيل خلقه الله في آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فاسرع
في خلقه قبل مغيبها وعن ابن عباس انه النضر بن الحارث والظاهر ان المراد الجنس وقيل العجل الطين بلغة
حمير قال شاعرهم والنخل ينبت بين الماء والعجل والله اعلم بصحته فان قلت لم نهاهم عن الاستعجال مع قوله
خلق الانسان من عجل وقوله وكان الانسان عجولا اليس هذا من تكليف ما لا يطاق قلت هذا كما
ركب فيه الشهوة وامره ان يغلبها لانه اعطاه القدرة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة وقرئ
خلق الانسان جواب لو محذوف وحين مفعول به ليعلم اي لو يعلمون الوقت الذي يستعجلون عنه بقولهم
متى هذا الوعد وهو وقت صعب شديد تحيط بهم فيه النار من وراء وقدام فلا يقدرون على دفعها
ومنعها من انفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن
جهلهم به هو الذي هونه عندهم ويجوز ان يكون يعلم متروكا بلا تعدية بمعنى لو كان معهم علم ولم يكونوا
جاهلين لما كانوا مستعجلين وحين منصوب بمضمر اي حين لا يكفون عن وجوههم النار يعلمون انهم كانوا على
الباطل وينتفي عنهم هذا الجهل العظيم اي لا يكفونها بل تفجأهم فتغلبهم يقال للمغلوب في المحاجة مبهوت ومنه
فبهت الذي كفر اي غلب ابرهيم الكافر وقرأ الاعمش يأتيهم فيبهتهم على التذكير والضمير للوعد او
فان قلت فالام يرجع الضمير المؤنث في هذه القراءة قلت الى النار او الى الوعد لانه في معنى النار وهي
التي وعدوها او على تأويل العدة والموعدة او الى الحين لانه في معنى الساعة او الى البغتة وقيل في القراءة
الاولى الضمير للساعة وقرأ الاعمش بغتة بفتح الغين ولا هم ينظرون تذكير بانظاره اياهم وامهاله
وتفسيح وقت التذكر عليهم اي لا يمهلون بعد طول الامهال ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق

بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم
معرضون ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون بل متعنا
هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر افلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون
سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به بان له في الانبياء عليهم السلام اسوة وان ما يفعلونه به
يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء ما فعلوا من الرحمن اي من بأسه وعذابه بل هم معرضون عن ذكره
لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا بأسه حتى اذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا من الكالئ وصلحوا للسؤال
عنه والمراد انه امر رسوله بسؤالهم عن الكالئ ثم بين انهم لا يصلحون لذلك لاعراضهم عن ذكر من
يكلؤهم ثم اضرب عن ذلك بما في ام من معنى بل وقال ألهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا
وحفظنا ثم استأنف فبين ان ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتأييد
كيف يمنع غيره وينصره ثم قال بل ما هم فيه من الحفظ والكلاءة انما هو منا لا من مانع يمنعهم من اهلاكنا
وما كلأناهم وآباءهم الماضين الا تمتيعا لهم بالحياة الدنيا وامهالا كما متعنا غيرهم من الكفار وامهلناهم
حتى طال عليهم الامد وامتدت ايام الروح والطمأنينة فحسبوا ان لا يزالوا على ذلك لا يغلبون ولا ينزع
عنهم ثوب امنتهم واستمتاعهم وذلك طمع فارغ وامل كاذب افلا يرون انا ننقص ارض الكفر ودار
الحرب ونحذف اطرافها بتسليط المسلمين عليها واظهارهم على اهلها وردها دار اسلام فان قلت
اي فائدة في قوله نأتي الارض قلت الفائدة فيه تصوير ما كان الله يجريه على ايدي المسلمين وان عساكرهم
وسراياهم كانت تغزو ارض المشركين وتأتيها غالبة عليها ناقصة من اطرافها قل انما انذركم بالوحي
ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين
قرئ ولا يسمع الصم ولا تسمع الصم بالتاء والياء اي لا تسمع انت ولا يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا يسمع الصم من اسمع فان قلت الصم لا يسمعون دعاء المبشر كما لا يسمعون دعاء المنذر فكيف قيل
اذا ما ينذرون قلت اللام في الصم اشارة الى هؤلاء المنذرين كائنة للعهد لا للجنس والاصل ولا يسمعون
اذا ما ينذرون فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامهم وسدهم اسماعهم اذا انذروا اي هم على

الصفة من الجراة والجسارة على التصام من آيات الانذار ولئن مستهم من هذا الذي ينذرون به
ادنى شيء لاذعنوا وذلوا واقروا بانهم ظلموا انفسهم حين تصاموا واعرضوا وفي المس والنفحة ثلث
مبالغات لان النفح في معنى القلة والنزارة يقال نفحته الدابة وهو رمح يسير ونفحه بعطية رضخه
ولبناء المرة ● ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل
اتينا بها وكفى بنا حاسبين ● وصفت الموازين بالقسط وهو العدل مبالغة كانها في انفسها قسط او
على حذف المضاف اى ذوات القسط واللام في ليوم القيمة مثلها في قولك جئته لخمس ليال خلون من الشهر
ومنه بيت النابغة ترسمت آيات لها فعرفتها لستة اعوام وذا العام سابع وقيل لاهل يوم القيمة اى
لاجلهم فان قلت ما المراد بوضع الموازين قلت فيه قولان احدهما ارصاد الحساب السوى والجزاء على
حسب الاعمال بالعدل والنصفة من غير ان يظلم عباده مثقال ذرة فمثل ذلك بوضع الموازين لتوزن
بها الموزونات والثاني انه يضع الموازين الحقيقية ويزن بها الاعمال عن الحسن هو ميزان له كفتان و
لسان ويروى ان داود عليه السلم سال ربه ان يريه الميزان فلما راه غشي عليه ثم افاق فقال الهي
من الذي يقدر ان يملأ كفته حسنات فقال يا داود اني اذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة فان قلت
كيف توزن الاعمال وانما هي اعراض قلت فيه قولان احدهما توزن صحائف الاعمال والثاني تجعل في
كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة وقرئ مثقال حبة على كان
التامة كقوله وان كان ذو عسرة وقرأ ابن عباس ومجاهد آتينا بها وهي مفاعلة من الاتيان بمعنى المجازاة
والمكافاة لانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء وقرأ حميد اثبنا بها من الثواب وفي حرف ابي جئنا بها وانث
ضمير المثقال لاضافته الى الحبة كقولهم ذهبت بعض اصابعه ● ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان
وضياء وذكرا للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون وهذا ذكر مبارك
انزلناه افانتم له منكرون ● اى آتيناهما الفرقان وهو التورية وآتينا به ضياء وذكرا للمتقين والمعنى انه في
نفسه ضياء وذكر او وآتيناهما بما فيه من الشرائع والمواعظ ضياء وذكرا وعن ابن عباس رضي الله عنهما الفرقان
الفتح كقوله يوم الفرقان وعن الضحاك فلق البحر وعن محمد بن كعب المخرج من الشبهات وقرئ

ضياء بغير واو وهو حال عن الفرقان والذكر الموعظة او ذكر ما يحتاجون اليه في دينهم ومصالحهم او
الشرف ومحل الذين جر على الوصفية او نصب على المدح او رفع عليه وهذا ذكر مبارك هو القرآن و
بركته كثرة منافعه وغزارة خيره ● ولقد آتينا ابرهيم رشده من قبل وكنا به عالمين اذ قال لابيه
وقومه ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم انتم وآباؤكم
في ضلال مبين قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن
وانا على ذلكم من الشاهدين ● الرشد الاهتداء لوجوه الصلاح قال الله تعالى فان آنستم منهم رشدا فادفعوا
اليهم اموالهم وقرئ رشده والرشد والرشد كالعدم والعدم ومعنى اضافته اليه انه رشد
مثله وان له شانا من قبل اى من قبل موسى وهرون ومعنى علمه به انه علم منه احوالا بديعة
واسرارا عجيبة وصفات قد رضيها واحمدها حتى اهله لمخالته ومخالصته وهذا كقولك في خير من
الناس انا عالم بفلان فكلامك هذا من الاحتواء على محاسن الاوصاف بمنزل اذ اما ان يتعلق بآتينا
او برشده او بمحذوف اى اذكر من اوقات رشده هذا الوقت قوله ما هذه التماثيل تجاهل لهم وتغاب ليحقر
آلهتهم ويصغر شانها مع علمه بتعظيمهم واجلالهم لها لم ينو للعاكفين مفعولا واجراه مجرى ما لا يتعدى
كقولك فاعلون العكوف لها او واقفون لها فان قلت هلا قيل عليها عاكفون كقوله يعكفون على اصنام لهم
قلت لو قصد التعدية لعداه بصلته التي هي على ما اقبح التقليد والقول المتقبل بغير برهان وما
اعظم كيد الشيطان للمقلدين حين استدرجهم الى ان قلدوا آباءهم في عبادة التماثيل وعفروا لها
جباههم وهم معتقدون انهم على شيء وجادون في نصرة مذهبهم ومجادلون لاهل الحق عن باطلهم وكفى
اهل التقليد سبة ان عبدة الاصنام منهم انتم من التاكيد الذي لا يصح الكلام مع الاخلال به لان
العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل ممتنع ونحوه اسكن انت وزوجك الجنة اراد ان المقلدين و
المقلدين جميعا منخرطون في سلك ضلال لا يخفى على من به ادنى مسكة لاستناد الفريقين الى غير دليل
بل الى هوى متبع وشيطان مطاع لاستبعادهم ان يكون ما هم عليه ضلالا بقوا متعجبين من تضليله اياهم
وحسبوا ان ما قاله انما قاله على وجه المزاح والملاعبة لا على طريق الجد فقالوا له هذا الذي جئتنا

أهو جِدٌّ وحقٌّ أم لعب وهزل الضمير في فطرهن للسموات والأرض أو للتماثيل وكونه للتماثيل أدخل
في تضليلهم وأثبت للاحتجاج عليهم وشهادته على ذلك إدلاؤه بالحجة عليه وتصحيحه بها كما تصحح الدعوى
بالشهادة كأنه قال وأنا أبين ذلك وأبرهن عليه كما تبين الدعاوى بالبينات لأني لست مثلكم فأقول
ما لا أقدر على إثباته بالحجة كما لم تقدروا على الاحتجاج لمذهبكم ولم تزيدوا على أنكم وجدتم عليه آباءكم •
وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون قالوا
من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبرهيم قالوا فأتوا به على أعين
الناس لعلهم يشهدون قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبرهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم
إن كانوا ينطقون • قرأ معاذ بن جبل رضي الله عنه بالله وقرئ تولوا بمعنى تتولوا ويقويها قوله فتولوا
عنه مدبرين فإن قلت ما الفرق بين الباء والتاء قلت أن الباء هي الأصل والتاء بدل من الواو المبدلة
منها وأن التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب كأنه تعجب من تسهل الكيد على يده وتأتيه لأن ذلك كان
أمرا مقنوطا منه لصعوبته وتعذره ولعمري أن مثله صعب متعذر في كل زمان خصوصا في زمن نمرود
مع عتوه واستكباره وقوة سلطانه وتهالكه على نصرة دينه ولكن • إذا الله سنى عقد شيء تيسرا •
روي أن آزر خرج به في يوم عيد لهم فبدؤوا ببيت الأصنام فدخلوه وسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما
خرجوا به معهم وقالوا إلى أن نرجع بركت الآلهة على طعامنا فذهبوا وبقي إبرهيم فنظر إلى الأصنام وكانت
سبعين صنما مصطفة وثم صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان تضيئان
بالليل فكسرها كلها بفأس في يده حتى لم يبق إلا الكبير علق الفأس في عنقه عن قتادة قال ذلك سرا
من قومه وروي سمعه رجل واحد جذاذا قطاعا من الجذ وهو القطع وقرئ بالكسر والفتح وقرئ
جذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة وإنما استبقى الكبير لأنه غلب في ظنه أنهم لا يرجعون إلا إليه لما تسامعوه
من إنكاره لدينهم وسبه لآلهتهم فيبكتهم بما أجاب به من قوله بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم وعن الكلبي إليه
إلى كبيرهم ومعنى هذا لعلهم يرجعون إليه كما يرجع إلى العالم في حل المشكلات فيقولون له ما لهؤلاء مكسورة
وما لك صحيحا والفأس على عاتقك قال هذا بناء على ظنه بهم لما جرب وذاق من مكابرتهم لعقولهم واعتقادهم

في آلهتهم وتعظيمهم لها أو قاله مع علمه أنهم لا يرجعون إليه استهزاء بهم واستجهالا وأن قياس حال
من يسجد له ويؤهله للعبادة أن يرجع إليه في حل كل مشكل فإن قلت فإذا رجعوا إلى الصنم بمكابرتهم
لعقولهم ورسوخ الإشراك في أعراقهم فأي فائدة دينية في رجوعهم إليه حتى يجعله إبرهيم صلوات الله عليه
غرضا قلت إذا رجعوا إليه تبين أنه عاجز لا ينفع ولا يضر وظهر أنهم في عبادته على جهل عظيم أي إن
من فعل هذا الكسر والحطم لشديد الظلم معدود في الظلمة إما لجرأته على الآلهة الحقيقة عندهم
بالتوقير والإعظام وإما لأنهم رأوا إفراطا في حطمها وتماديا في الاستهانة بها فإن قلت ما حكم الفعلين
بعد سمعنا فتى وأي فرق بينهما قلت هما صفتان لفتى إلا أن الأول وهو يذكرهم لا بد منه لسمع لأنك
لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيئا مما يسمع وأما الثاني فليس كذلك فإن قلت إبرهيم ما هو قلت
قيل هو خبر مبتدإ محذوف أو منادى والصحيح أنه فاعل يقال لأن المراد الاسم لا المسمى على أعين الناس في محل
الحال بمعنى معاينا مشاهدا أي بمرأى منهم ومنظر فإن قلت ما معنى الاستعلاء في على قلت هو وارد على
طريق المثل أي يثبت إتيانه في الأعين ويتمكن فيها ثبات الراكب على المركوب وتمكنه منه لعلهم يشهدون
عليه بما سمع منه وبما فعله أو يحضرون عقوبتنا له روي أن الخبر بلغ نمرود وأشراف قومه فأمروا بإحضاره
هذا من معاريض الكلام ولطائف هذا النوع لا يتغلغل فيها إلا الأذهان الراضة من علماء المعاني والقول
فيه أن قصد إبرهيم صلوات الله عليه لم يكن إلى أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم وإنما قصد تقريره
لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة وتبكيتهم وهذا كما لو قال لك
صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشيق وأنت شهير بحسن الخط أأنت كتبت هذا وصاحبك أمي لا يحسن
الخط ولا يقدر إلا على خرمشة فاسدة فقلت له بل كتبته أنت كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك
مع الاستهزاء به لا نفيه عنك وإثباته للأمي أو المخرمش لأن إثباته والأمر دائر بينكما للعاجز منكما استهزاء
به وإثبات للقادر ولقائل أن يقول غاظته تلك الأصنام حين أبصرها مصطفة مرتبة وكان غيظ
كبيرها أكبر وأشد لما رأى من زيادة تعظيمهم له فأسند الفعل إليه لأنه هو الذي تسبب لاستهانته بها
وحطمه لها والفعل كما يسند إلى مباشره يسند إلى الحامل عليه ويجوز أن يكون حكاية لما يقود إلى تجويزه

مذهبهم كانه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على هذا
واشد منه ويحكى انه قال فعله كبيرهم هذا غضب ان تعبد معه هذه الصغار وهو اكبر منها وقرا محمد
السميفع فعله كبيرهم يعنى فلعله اى فلعل الفاعل كبيرهم • فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون
ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا
يضركم اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون • فلما القمهم الحجر واخذ بمخانقهم رجعوا الى
انفسهم فقالوا انتم الظالمون على الحقيقة لا من ظلمتموه حين قلتم من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين
نكسته قلبته فجعلت اسفله اعلاه وانتكس انقلب اى استقاموا حين رجعوا الى انفسهم وجاؤا
بالفكرة الصالحة ثم انتكسوا وانقلبوا عن تلك الحالة فاخذوا فى المجادلة بالباطل والمكابرة
وان هؤلاء مع تقاصر حالها عن حال الحيوان الناطق آلهة معبودة مضارة منهم او انتكسوا عن كونهم
مجادلين لابرهيم مجادلين عنه حين نفوا عنها القدرة على النطق وقلبوا على رؤسهم حقيقة الخوف
اطراقهم خجلا وانكسارا وانخزالا مما بهتهم به ابرهيم فما احاروا جوابا الا ما هو حجة عليهم وقرئ نكّسوا
بالتشديد ونكسوا على لفظ ما سمى فاعله اى نكسوا انفسهم على رؤسهم قرا به رضوان بن عبد المعبود
اف صوت اذا صوت به علم ان صاحبه متضجر اضجره ما راى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع
عذرهم وبعد وضوح الحق وزهوق الباطل فتافف بهم واللام لبيان المتافف به اى لكم ولآلهتكم
هذا التافف اجمعوا انهم لما غلبوا باهلاكه وهكذا المبطل اذا قرعت شبهته بالحجة وافتضح
لم يكن احد ابغض اليه من المحق ولم يبق له مفزع الا المناصبة كما فعلت قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم
حين عجزوا عن المعارضة • قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين قلنا يا نار كونى بردا
وسلاما على ابرهيم وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين • والذى اشار باحراقه نمروذ وعن ابن عمر
رجل من اعراب العجم يريد الاكراد وروى انهم حين هموا باحراقه حبسوه ثم بنوا بيتا كالحظيرة بكوثى
وجمعوا شهرا اصناف الخشب الصلاب حتى ان كانت المراة لتمرض فتقول ان عافانى الله لاجمعن حطبا
لابرهيم ثم اشعلوا نارا عظيمة كادت الطير تحترق فى الجو من وهجها ثم وضعوه فى المنجنيق مقيدا

45

مغلولا فرموا به فيها فناداها جبريل يا نار كونى بردا وسلاما ويحكى ما احرقت منه الا وثاقه وقال
له جبريل عليه السلام حين رمى هل لك حاجة قال اما اليك فلا قال فسل ربك قال حسبى من سؤالى
علمه بحالى وعن ابن عباس انما نجا بقوله حسبى الله ونعم الوكيل واطلع عليه نمروذ من الصرح فاذا هو
فى روضة ومعه جليس له من الملائكة فقال انى مقرب الى الهك فذبح اربعة آلاف بقرة وكف عن
ابرهيم وكان ابرهيم اذ ذاك ابن ست عشرة سنة واختاروا المعاقبة بالنار لانها اهول ما يعاقب
به ولذلك جاء لا يعذب بالنار الا خالقها ومن ثم قالوا ان كنتم فاعلين اى ان كنتم
ناصرين آلهتكم نصرا مؤزرا فاختاروا له اهول المعاقبات وهى الاحراق بالنار والا فرطتم فى
نصرتها ولهذا عظموا النار وتكلفوا فى تشهير امرها وتفخيم شانها ولم يالوا جهدا فى ذلك جعلت النار
لمطاوعتها فعل الله وارادته كمامور امر بشىء فامتثله والمعنى ذات برد وسلام فبولغ فى
ذلك كان ذاتها برد وسلام والمراد ابردى فيسلم منك ابرهيم او ابردى بردا غير ضار وعن ابن
عباس رضى الله عنهما لو لم يقل ذلك لاهلكته ببردها فان قلت كيف بردت النار وهى نار قلت نزع الله عنها
طبعها الذى طبعها عليه من الحر والاحراق وابقاها على الاضاءة والاشراق والاشتعال كما كانت
والله على كل شىء قدير ويجوز ان يدفع بقدرته عن جسم ابرهيم اذى حرها ويذيقه فيها عكس ذلك كما
يفعل بخزنة جهنم ويدل عليه قوله على ابرهيم وارادوا ان يكيدوه ويمكروا به فما كانوا الا مغلوبين
غالبوه بالجدال فغلبه الله ولقنه بالمبكت وفزعوا الى القوة والجبروت فنصره وقواه •
ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا
جعلنا صالحين وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة وايتاء
الزكوة وكانوا لنا عابدين • نجيا من العراق الى الشام وبركاته الواصلة الى العالمين ان اكثر الانبياء
بعثوا فيه فانتشرت فى العالمين شرائعهم وآثارهم الدينية وهى البركات الحقيقية وقيل بارك الله فيه
بكثرة الماء والشجر والثمر والخصب وطيب عيش الغنى والفقير وعن سفيان انه خرج الى الشام فقيل له الى اين
فقال الى بلد يملا فيه الجراب بدرهم وقيل ما من ماء عذب الا وينبع اصله من تحت الصخرة التى ببيت

المقدس وروي انه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة النافلة ولد الولد
وقيل سال اسحق فاعطيه واعطي يعقوب نافلة اي زيادة وفضلا من غير سؤال يهدون بامرنا
فيه ان من صلح ليكون قدوة في دين الله فالهداية محتومة عليه مأمور هو من جهة الله ليس له ان يخل
فيها ويتثاقل عنها واول ذلك ان يهتدي بنفسه لان الانتفاع بهداه اعم والنفوس الى الاقتداء
بالمهدي اميل فعل الخيرات اصله ان يفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك
اقام الصلوة وايتاء الزكوة • ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث
انهم كانوا قوم سوء فاسقين وادخلناه في رحمتنا انه من الصالحين • حكما حكمة وهو ما يجب فعله او
فصلا بين الخصوم وقيل هو النبوة والقرية سدوم اي في اهل رحمتنا او في الجنة ومنه الحديث هذه
رحمتي ارحم بها من اشاء • ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه واهله من الكرب العظيم
ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين • من قبل من قبل
هؤلاء المذكورين هو نصر الذي مطاوعه انتصر وسمعت هذليا يدعو على سارق اللهم انصرهم منه
اي اجعلهم منتصرين منه والكرب الطوفان وما كان فيه من تكذيب قومه • وداود وسليمن اذ يحكمان
في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمن وكلا آتينا حكما اي
علما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من
باسكم فهل انتم شاكرون • اي واذكرهما واذ بدل منهما والنفش الانتشار بالليل وجمع الضمير لانه
ارادهما والمتحاكمين اليهما وقرئ لحكمهما والضمير في ففهمناها للحكومة او الفتوى وقرئ فافهمناها
حكم داود بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمن وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بالفريقين فعزم
عليه ليحكمن فقال ارى ان تدفع الغنم الى اهل الحرث ينتفعون بالبانها واولادها واصوافها
والحرث الى ارباب الشاء يقومون عليه حتى يعود كهيئته يوم افسد ثم يترادان فقال القضاء
ما قضيت وامضى الحكم بذلك فان قلت احكما بوحي ام باجتهاد قلت قيل حكما جميعا بالوحي الا
ان حكومة داود نسخت بحكومة سليمن وقيل اجتهدا جميعا فجاء اجتهاد سليمان اشبه بالصواب فان قلت

ما وجه كل واحدة من الحكومتين قلت اما وجه حكومة داود فلان الضرر وقع بالغنم فسلمت بجنايتها
الى المجني عليه كما قال ابو حنيفة رحمه الله في العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى بذلك او يفديه وعند
الشافعي رحمه الله يبيعه في ذلك او يفديه ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان في الحرث ووجه
حكومة سليمن انه جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير ان يزول ملك المالك
عن الغنم واوجب على صاحب الغنم ان يعمل في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان مثاله ما قال اصحاب
الشافعي رحمه الله فيمن غصب عبدا فابق من يده انه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته
الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر ترادا فان قلت فلو وقعت هذه الواقعة في شريعتنا ما حكمها قلت
ابو حنيفة واصحابه لا يرون فيه ضمانا بالليل او بالنهار الا ان يكون مع البهيمة سائق او قائد و
الشافعي رحمه الله يوجب الضمان بالليل وفي قوله ففهمناها سليمن دليل على ان الاصوب كان مع
سليمن وفي قوله وكلا آتينا حكما وعلما دليل على انهما جميعا كانا على الصواب يسبحن حال بمعنى مسبحات
او استيناف كان قائلا قال كيف سخرهن فقال يسبحن والطير اما معطوف على الجبال او مفعول معه
فان قلت لم قدمت الجبال على الطير قلت لان تسخيرها وتسبيحها اعجب وادل على القدرة وادخل في الاعجاز
لانها جماد والطير حيوان ناطق روي انه كان يمر بالجبال مسبحا وهي تجاوبه وقيل كانت تسير معه
حيث سار فان قلت كيف تنطق الجبال وتسبح قلت بان يخلق الله فيها الكلام كما خلقه في الشجرة
حين كلم موسى وجواب آخر وهو ان يسبح من رآها تسير بتسيير الله فلما حملت على التسبيح وصفت به
وكنا فاعلين اي قادرين على ان نفعل هذا وان كان عجبا عندكم وقيل وكنا نفعل مثل ذلك بالانبياء
اللبوس اللباس قال البس لكل حالة لبوسها والمراد الدرع قال قتادة كانت صفائح فاول من سردها
وحلقها داود فجمعت الخفة والتحصين لتحصنكم قرئ بالنون والتاء والياء وتخفيف الصاد وتشديدها
فالنون لله تعالى والتاء للصنعة او للبوس على تاويل الدرع والياء لداود او للبوس • ولسليمن الريح عاصفة
تجري بامره الى الارض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا
دون ذلك وكنا لهم حافظين • قرئ الريح والرياح بالرفع والنصب فيهما فالرفع على الابتداء والنصب على

العطف على الجبال فان قلت وصفت هذه الرياح بالعصف تارة وبالرخاوة اخرى فما التوفيق بينهما
قلت كانت في نفسها رخية طيبة كالنسيم فاذا مرت بكرسيه ابعدت به في مدة يسيرة على ما قال
غدوها شهر ورواحها شهر وكان جمعها بين الامرين ان تكون رخاء في نفسها وعاصفة في عملها مع
طاعتها لسليمن وهبوبها على حسب ما يريد ويحتكم آية الى آية ومعجزة مع معجزة وقيل كانت في وقت رخاء
وفي وقت عاصفا لهبوبها على حكم ارادته وقد احاط علمنا بكل شيء فنجري الاشياء كلها على ما يقتضيه علمنا
وحكمتنا اي يغوصون له في البحار فيستخرجون الجواهر ويتجاوزون ذلك الى الاعمال والمهن وبناء المدن
والقصور واختراع الصنائع العجيبة كما قال يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل والله حافظهم ان يزيغوا
عن امره او يبدلوا او يوجد منهم فساد في الجملة فيما هم مسخرون فيه • وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر
وانت ارحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا و
ذكرى للعابدين • اذ ناداه باني مسني وقرئ اني بالكسر على اضمار القول او لتضمن النداء معناه والضر
بالفتح الضرر في كل شيء وبالضم الضرر في النفس من مرض وهزال فرق بين البنائين لافتراق المعنيين
الطف في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب
يحكى ان عجوزا تعرضت لسليمن بن عبد الملك فقالت يا امير المؤمنين مشت جرذان بيتي على العصي
فقال لها الطفت في السؤال لا جرم لاردنها تثب وثب الفهود وملأ بيتها حبا كان ايوب عليه السلام
روميا من ولد اسحق بن يعقوب عليهم السلام وقد استنبأه الله وبسط عليه الدنيا وكثر اهله وماله
كان له سبعة بنين وسبع بنات وله اصناف البهائم وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة
وولد ونخيل فابتلاه الله بذهاب ولده انهدم عليهم البيت فهلكوا وبذهاب ماله وبالمرض في بدنه ثماني
عشرة سنة وعن قتادة ثلث عشرة وعن مقاتل سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات وقالت له امرأته يوما
لو دعوت الله فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال انا استحيي من الله ان ادعوه
وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فلما كشف الله عنه احيى ولده ورزقه مثلهم وروي ان امرأته
ولدت بعد ستة وعشرين ابنا اي لرحمتنا العابدين وانا نذكرهم بالاحسان لا ننساهم رحمة منا

لا ننساهم تذكرة لغيرهم من العابدين ليصبروا كما صبر حتى يثابوا كما اثيب في الدنيا والآخرة • واسمعيل
وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وادخلناهم في رحمتنا انهم من الصالحين • قيل ذا الكفل هو
الياس وقيل زكريا وقيل يوشع بن نون وكان يسمى بذلك لانه ذو الحظ من الله والمجدود على الحقيقة
وقيل كان له ضعف عمل الانبياء في زمانه وضعف ثوابهم وقيل خمسة من الانبياء ذوو اسمين اسرائيل
ويعقوب الياس وذو الكفل عيسى والمسيح يونس وذو النون محمد واحمد صلوات الله عليهم اجمعين • وذا
النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك
اني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين • النون الحوت فاضيف اليه
يونس بقومه لطول ما ذكرهم فلم يذكروا واقاموا على كفرهم فراغمهم وظن ان ذلك يسوغ حيث لم يفعله
الا غضبا لله وانفة لدينه وبغضا للكفر على اهله وكان عليه ان يصابر وينتظر الاذن من الله
في المهاجرة عنهم فابتلي ببطن الحوت ومعنى مغاضبته لقومه انه اغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول
العقاب عليهم عندها وقرأ ابو شرف مغضبا قرئ نقدر ونقدر بالنون مخففا ومثقلا ويقدر بالياء
بالتخفيف ويقدر ويقدر على البناء للمفعول مخففا ومثقلا وفسرت بالتضييق عليه وبتقدير الله
عليه عقوبة وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه دخل على معوية فقال لقد ضربتني امواج القرآن البارحة
فغرقت فيها فلم اجد لنفسي خلاصا الا بك قال وما هي يا معوية فقرأ هذه الآية وقال او يظن نبي الله
ان لا يقدر عليه قال هذا من القدر لا من القدرة والمخفف يصح ان يفسر بالقدرة على معنى ان لن نعمل
فيه قدرتنا وان يكون من باب التمثيل بمعنى فكانت حاله ممثلة بحال من ظن ان لن نقدر عليه في مراغمته
قومه من غير انتظار لامر الله ويجوز ان يسبق ذلك الى وهمه بوسوسة الشيطان ثم يردعه ويرده
بالبرهان كما يفعل المؤمن المحقق بنزغات الشيطان وما يوسوس اليه في كل وقت ومنه قوله تعالى
وتظنون بالله الظنونا والخطاب للمؤمنين في الظلمات اي الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت
كقوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات وقوله يخرجونهم من النور الى الظلمات وقيل ظلمات بطن الحوت
والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت اكبر منه فحصل في ظلمتي بطني الحوتين وظلمة البحر اي بانه لا اله

الا انت وبعوا اي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له وعن الحسن ما
نجاه والله الا اقراره على نفسه بالظلم ننجي وننجي ونجي والنون لا تدغم في الجيم ومن تمحل لصحته
فجعله فعل وقال نجي النجاء المؤمنين فارسل الياء واسنده الى مصدره ونصب المؤمنين بالنجاء فمتعسف
بارد التعسف وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وانت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا
له يحيى واصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا
خاشعين سأل ربه ان يرزقه ولدا يرثه ولا يدعه وحيدا بلا وارث ثم رد امره الى الله مستسلما
فقال وانت خير الوارثين اي ان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي فانك خير وارث اصلاح زوجه ان جعلها
صالحة للولادة بعد عقرها وقيل تحسين خلقها وكانت سيئة الخلق الضمير للمذكورين من الانبياء يريد
انهم ما استحقوا الاجابة الى طلباتهم الا لمبادرتهم ابواب الخير ومسارعتهم في تحصيلها كما يفعل
الراغبون في الامور الجادون وقرئ رغبا ورهبا بالاسكان وهو كقوله يحذر الاخرة ويرجو رحمة
ربه خاشعين قال الحسن ذللا لامر الله وعن مجاهد الخشوع الخوف الدائم في القلب وقيل متواضعين
وسئل الاعمش فقال اما اني سألت ابرهيم فقال الا تدري قلت افدني قال بينه وبين الله اذا ارخى
ستره واغلق بابه فليرى الله منه خيرا لعلك ترى انه ان يأكل خشنا ويلبس خشنا ويطأطئ رأسه
والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها اية للعالمين احصنت فرجها
احصانا كليا من الحلال والحرام جميعا كما قالت ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا فان قلت نفخ الروح
في الجسد عبارة عن احيائه قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي اي احييته واذا ثبت ذلك
كان قوله فنفخنا فيها من روحنا ظاهر الاشكال لانه يدل على احياء مريم قلت معناه نفخنا الروح
في عيسى فيها اي احييناه في جوفها ونحو ذلك ان يقول الزمار نفخت في بيت فلان اي نفخت في
المزمار في بيته ويجوز ان يراد وفعلنا النفخ في مريم من جهة روحنا وهو جبريل صلوات الله عليه لانه
نفخ في جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها فان قلت هلا قيل ايتين كما قال وجعلنا الليل والنهار ايتين
لان حالهما بمجموعهما اية واحدة وهي ولادتها اياه من غير فحل ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم

فاعبدون

فاعبدون وتقطعوا امرهم بينهم كل الينا راجعون فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران
لسعيه وانا له كاتبون الامة الملة وهذه اشارة الى ملة الاسلام اي ان ملة الاسلام هي ملتكم
التي يجب ان تكونوا عليها لا تنحرفون عنها يشار اليها ملة واحدة غير مختلفة وانا الهكم اله واحد فاعبدون
ونصب الحسن امتكم على البدل من هذه ورفع امة خبرا وعنه رفعهما جميعا خبرين لهذه او نوى
للثاني مبتدأ والخطاب للناس كافة والاصل وتقطعتم الا ان الكلام حرف الى الغيبة على طريقة الالتفات
كانه ينعى عليهم ما افسدوه الى اخرين ويقبح عندهم فعلهم ويقول لهم الا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء
في دين الله والمعنى جعلوا امر دينهم فيما بينهم قطعا كما يتوزع الجماعة الشيء ويتقسمونه فيطير لهذا نصيب
ولذاك نصيب تمثيلا لاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقا واحزابا شتى ثم توعدهم بان هؤلاء الفرق
المختلفة اليه يرجعون فهو محاسبهم ومجازيهم الكفران مثل في حرمان الثواب كما ان الشكر مثل في اعطائه
اذا قيل لله شكور وقد نفي نفي الجنس ليكون ابلغ من ان يقول فلا نكفر سعيه وانا له كاتبون اي نحن
كاتبوا ذلك السعي ومثبتوه في صحيفة عمله وما نحن مثبتوه فهو غير ضائع ومثاب عليه صاحبه وحرام على
قرية اهلكناها انهم لا يرجعون حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد
الحق فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين استعير الحرام للممتنع
وجوده ومنه قوله عز وعلا ان الله حرمهما على الكافرين اي منعهما منهم وابى ان يكونا لهم وقرئ حرم وحرم
بالفتح والكسر وحرم وحرم ومعنى اهلكناها عزمنا على اهلاكها او قدرنا اهلاكها ومعنى الرجوع
الرجوع من الكفر الى الاسلام والانابة ومجاز الاية ان قوما عزم الله على اهلاكهم غير متصور ان
يرجعوا وينيبوا الى ان تقوم القيمة فحينئذ يرجعون ويقولون يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين
يعني انهم مطبوع على قلوبهم فلا يزالون على كفرهم ويموتون عليه حتى يروا العذاب الاليم وقرئ انهم بالكسر
وحق هذا ان يتم الكلام قبله فلا بد من تقدير محذوف كأنه قيل وحرام على قرية اهلكناها ذاك وهو المذكور
في الاية المتقدمة من العمل الصالح والسعي المشكور غير المكفور ثم علل فقيل انهم لا يرجعون عن الكفر فكيف
لا يمتنع ذلك والقراءة بالفتح يصح حملها على هذا اي لانهم لا يرجعون ولا صلة على الوجه الاول فان قلت بم تعلقت

حتى واقعة غاية له وأيّة الثلاث هي قلت هي متعلقة بحرام وهي غاية له لان امتناع رجوعهم لا يزول
حتى تقوم القيمة وهي حتى التي يحكى بعدها الكلام والكلام المحكي الجملة من الشرط والجزاء اعني اذا
وما في حيزها حذف المضاف الى يأجوج ومأجوج وهو سدها كما حذف المضاف الى القرية وهو اهلها
وقيل فتحت كما قيل اهلكناها وقرئ آجوج وهما قبيلتان من جنس الانس يقال الناس عشرة اجزاء تسعة
منها يأجوج ومأجوج وهم راجع الى الناس المسوقين الى المحشر وقيل هم يأجوج ومأجوج يخرجون حين يفتح
السد الحدب النشز من الارض وقرأ ابن عباس من كل جدث وهو القبر الثاء حجازية والفاء تميمية
وقرئ ينسلون بضم السين ونسل وعسل اسرع واذا هي اذا المفاجاة وهي تقع في المجازاة سادة مسد
الفاء كقوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد ولو قيل
اذا هي شاخصة او فهي شاخصة كان سديدا هي ضمير مبهم توضحه الابصار وتفسره كما فسر الذين
ظلموا واسروا يا ويلنا متعلق بمحذوف تقديره يقولون يا ويلنا ويقولون في موضع الحال من الذين
كفروا • انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها
وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون • ما تعبدون من دون الله يحتمل الاصنام وابليس و
اعوانه لانهم بطاعتهم له واتباعهم خطواتهم في حكم عبدتهم ويصدقه ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجلس اليهم فعرض له النضر بن الحارث
فكلمه رسول الله صلعم حتى افحمه ثم تلا عليهم انكم وما تعبدون من دون الله الآية فاقبل عبد الله بن الزبعرى
فرآهم يتهامسون فقال فيم خوضكم فاخبره الوليد بن المغيرة فاخبره الوليد بن المغيرة بقول رسول الله
فقال عبد الله اما والله لو وجدته لخصمته فدعوه فقال ابن الزبعرى أانت قلت ذلك قال نعم قال
قد خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة
فقال صلى الله عليه وسلم بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا
الحسنى الآية يعني عزيرا والمسيح والملائكة فان قلت لم قرنوا بآلهتهم قلت لانهم لا يزالون لمقارنتهم
في زيادة غم وحسرة حيث اصابهم ما اصابهم بسببهم والنظر الى وجه العدو باب من العذاب ولانهم

قدروا انهم يستشفعون بهم في الآخرة ويستنفعون بشفاعتهم فاذا صادفوا الامر على عكس ما قدروا
لم يكن شيء ابغض اليهم منهم فان قلت اذا عنيت بما تعبدون الاصنام فما معنى لهم فيها زفير قلت اذا
كانوا هم واصنامهم في قرن واحد جاز ان يقال لهم زفير وان لم يكن الزافرين الا هم دون الاصنام للتغليب
ولعدم الالباس والحصب المحصوب به اي يحصب بهم في النار والحصب الرمي وقرئ بسكون الصاد
وصفا بالمصدر وقرئ حطب وحضب بالضاد متحركا وساكنا وعن ابن مسعود رضي الله عنه يجعلون
في توابيت من نار فلا يسمعون ويجوز ان يصمهم الله كما يعميهم • ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك
عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقيهم
الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون • الحسنى الخصلة المفضلة في الحسن تأنيث الاحسن
اما السعادة واما البشرى واما التوفيق للطاعة يروى ان عليا رضي الله عنه قرأ هذه الآية ثم قال انا
منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف ثم اقيمت الصلوة فقام
يجر رداءه وهو يقول لا يسمعون حسيسها والحسيس الصوت الذي يحس والشهوة طلب النفس اللذة
وقرئ لا يحزنهم من احزن والفزع الاكبر قيل النفخة الاخيرة لقوله يوم ينفخ في الصور ففزع من في
السموات ومن في الارض وعن الحسن الانصراف الى النار وعن الضحاك حين يطبق على النار وقيل حين
يذبح الموت على صورة كبش املح اي تستقبلهم الملائكة مهنئين على ابواب الجنة ويقولون هذا وقت
الذي وعدكم ربكم قد حل • يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا اول خلق نعيده
علينا انا كنا فاعلين • العامل في يوم نطوي لا يحزنهم او الفزع او تتلقيهم وقرئ تطوى
على البناء للمفعول والسجل بوزن العتل والسجل بلفظ الدلو وروي فيه الكسر وهو
الصحيفة اي كما يطوى الطومار للكتابة اي ليكتب فيه او لما يكتب فيه لان الكتاب اصله المصدر
كالبناء ثم يوقع على المكتوب ومن جمع فمعناه للمكتوبات اي لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة وقيل السجل
ملك يطوي كتب بني آدم اذا رفعت اليه وقيل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم والكتاب
على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها اول خلق مفعول نعيد الذي تفسيره نعيده والكاف مكفوفة

بما والمعنى نعيد اول الخلق كما بدأناه تشبيها للاعادة بالابتداء في تناول القدرة لهما على السواء فان قلت
وما اول الخلق حتى يعيده كما بدأه قلت اوله ايجاده عن العدم فكما اوجده اولا عن عدم يعيده
ثانيا عن عدم فان قلت ما بال خلق منكرا قلت هو كقولك هو اول رجل جاءني تريد اول الرجال
ولكنك وحدته ونكرته ارادة تفصيلهم رجلا رجلا فكذلك معنى اول الخلق اول الخلق بمعنى
اول الخلائق لان الخلق مصدر لا يجمع ووجه آخر وهو ان ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده
وما موصولة اي نعيد مثل الذي بدأناه نعيده واول خلق ظرف لبدأناه اي اول ما خلق او حال
من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت في المعنى وعدا مصدر مؤكد لان قوله نعيده عدة للاعادة
انا كنا فاعلين اي قادرين على ان نفعل ذلك ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها
عبادي الصالحون ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين عن الشعبي زبور داود والذكر التورية
وقيل اسم لجنس ما انزل على الانبياء من الكتب والذكر ام الكتاب يعني اللوح اي يرثها المؤمنون بعد
اجلاء الكفار كقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقال
موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين
وعن ابن عباس هي ارض الجنة وقيل الارض المقدسة ترثها امة محمد صلى الله عليه وسلم الاشارة الى ما
في هذه السورة من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة والبلاغ الكفاية وما تبلغ به
البغية وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون
فان تولوا فقل آذنتكم على سواء وان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون ارسل صلوات الله عليه
رحمة للعالمين لانه جاء بما يسعدهم ان اتبعوه ومن خالف ولم يتبع فانما اتي من عند نفسه حيث
ضيع نصيبه منها ومثاله ان يفجر الله عينا غديقة فيسقي ناس زروعهم ومواشيهم بمائها فيفلحوا
ويبقى ناس مفرطون عن السقي فيضيعوا فالعين المفجرة في نفسها نعمة من الله ورحمة للفريقين
ولكن الكسلان محنة على نفسه حيث حرمها ما ينفعها وقيل كونه رحمة للفجار من حيث ان
عقوبتهم اخرت بسببه وامنوا به عذاب الاستيصال انما لقصر الحكم على شيء او لقصر الشيء على

حكم كقولك انما زيد قائم وانما يقوم زيد وقد اجتمع المثالان في هذه الآية لان انما يوحى الي
مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد وانما الهكم اله واحد بمنزلة انما زيد قائم وفائدة اجتماعهما الدلالة
على ان الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقصور على استيثار الله بالوحدانية وفي قوله فهل انتم مسلمون
ان الوحي الوارد على هذا السنن موجب ان تخلصوا التوحيد لله وان تخلعوا الانداد وفيه
ان صفة الوحدانية يصح ان تكون طريقها السمع ويجوز ان يكون المعنى ان الذي يوحى الي فتكون
ما موصولة آذن منقول من اذن اذا علم ولكنه كثر استعماله في الجري مجرى الانذار ومنه
قوله تعالى فاذنوا بحرب من الله ورسوله وقول ابن حلزة آذنتنا ببينها اسماء والمعنى اني بعد
توليكم واعراضكم عن قبول ما عرض عليكم من وجوب توحيد الله وتنزيهه عن الانداد والشركاء
كرجل بينه وبين اعدائه هدنة فاحس منهم بغدرة فنبذ اليهم العهد وشهر النبذ واشاعه
وآذنهم جميعا بذلك على سواء اي مستوين في الاعلام به لم يطوه عن احد منهم وكاشفهم
وقشر العصا عن لحائها وما توعدون من غلبة المسلمين عليكم كائن لا محالة ولا بد من ان
يلحقكم بذلك الذلة والصغار وان كنت لا ادري متى يكون ذلك لان الله لم يعلمني علمه ولم
يطلعني عليه انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين
قل رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون والله عالم لا يخفى عليه ما تجاهرون
به من كلام الطاعنين في الاسلام وما تكتمونه في صدوركم من الاحن والاحقاد للمسلمين وهو
يجازيكم عليه وما ادري لعل تاخير هذا الوعد امتحان لكم لينظر كيف تعملون او تمتيع لكم الى حين
ليكون ذلك حجة عليكم وليقع الموعد في وقت هو فيه حكمة قرئ قل وقال على حكاية قول رسول
الله صلى الله عليه وسلم ورب احكم على الاكتفاء بالكسرة ورب احكم على الضم وربي احكم على افعل التفضيل
وربي احكم من الاحكام امر باستعجال العذاب لقومه فعذبوا ببدر ومعنى بالحق لا تحابهم وشدد
عليهم كما هو حقهم كما قال اشدد وطأتك على مضر قرئ تصفون بالتاء والياء كانوا يصفون الحال
على خلاف ما جرت عليه وكانوا يطمعون ان تكون لهم الشوكة والغلبة فكذب الله ظنونهم وخيب

آمنا لهم ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وخذلهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
اقترب للناس حسابهم حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن

سورة الحج مكية غير ست آيات وهي هذان خصمان الى صراط الحميد وهي ثمان وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم • يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء
عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكرى
وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد • الزلزلة شدة التحريك والازعاج وان يضاعف
زليل الاشياء عن مقارها ومراكزها ولا تخلو الساعة من ان تكون على تقدير الفاعلة كانها
هي التي تزلزل الاشياء على المجاز الحكمي فتكون الزلزلة مصدرا مضافا الى فاعله او على تقدير
المفعول فيها على طريقة الاتساع في الظرف واجرائه مجرى المفعول به كقوله تعالى بل مكر الليل
والنهار وهي الزلزلة المذكورة في قوله اذا زلزلت الارض زلزالها واختلف في وقتها فعن
الحسن انها تكون يوم القيمة وعن علقمة والشعبي عند طلوع الشمس من مغربها امر بني آدم بالتقوى
ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها باهول صفة لينظروا الى تلك الصفة ببصائرهم
ويتصوروها بعقولهم حتى يبقوا على انفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم بامتثال ما امرهم
به ربهم من التردي بلباس التقوى الذي لا يؤمنهم من تلك الافزاع الا ان يتردوا به وروي
ان هاتين الآيتين نزلتا ليلا في غزوة بني المصطلق فقرأهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير اكثر
باكيا من تلك الليلة فلما اصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول
ولم يطبخوا قدرا وكانوا من بين حزين وباك ومفكر يوم ترونها منصوب بتذهل والضمير للزلزلة
وقرئ تذهل كل مرضعة على البناء للمفعول وتذهل كل مرضعة اي تذهلها الزلزلة والذهول
الذهاب عن الامر مع دهشة فان قلت لم قيل مرضعة دون مرضع قلت المرضعة التي هي في حال
الارضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضع التي شانها ان ترضع وان لم تباشر الارضاع في حال وصفها به
فقيل مرضعة ليدل على ان ذلك الهول اذا فوجئت به هذه وقد القمت الرضيع ثديها نزعته

عن فيه لما يلحقها من الدهشة عما ارضعت عن ارضاعها او عن الذي ارضعته وهو الطفل وعن الحسن
تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام قرئ وترى بالضم من اريتك
قائما او رأيتك قائما والناس منصوب ومرفوع والنصب ظاهر ومن رفع جعل الناس اسم ترى و
انثه على تأويل الجماعة وقرئ سكرى وبسكرى وهو نظير جوعى وعطشى في جوعان وعطشان
وسكارى وبسكارى نحو كسالى وعجالى وعن الاعمش سكرى وبسكرى بالضم وهو غريب والمعنى
وتراهم سكارى على التشبيه وما هم بسكارى على التحقيق ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله هو
الذي اذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم في نحو حال من يذهب السكر بعقله وتمييزه وقيل و
تريهم سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب فان قلت لم قيل اولا ترون ثم قيل ترى على
الافراد قلت لان الرؤية اولا علقت بالزلزلة فجعل الناس جميعا رائين لها وهي معلقة اخيرا
بكون الناس على حال السكر فلا بد ان يجعل كل واحد منهم رائيا لسائرهم • ومن الناس من يجادل
في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير
قيل نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين
والله غير قادر على احياء من بلي وصار ترابا وهي عامة في كل من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله
وما لا يجوز من الصفات والافعال ولا يرجع الى علم ولا يعض فيه بضرس قاطع وليس فيه اتباع
البرهان ولا نزول على النصفة فهو يخبط خبط عشواء غير فارق بين الحق والباطل ويتبع في
ذلك خطوات كل شيطان عات علم من حاله وظهر وتبين انه من جعله وليا له لم تثمر له ولايته
الا الاضلال عن طريق الجنة والهداية الى النار وما ارى رؤساء اهل الاهواء والبدع و
الحشوية المتلقبين بالامامة في دين الله الا داخلين تحت كل هذا دخولا اوليا بل هم اشد الشياطين
اضلالا واقطعهم لطريق الحق حيث دونوا الضلال تدوينا ولقنوه اشياعهم تلقينا وكانهم ساطوه
بلحومهم ودمائهم واياهم عنى من قال • ويا رب مقفو الخطى بين قومه • طريق نجاة عندهم مستو نهج • ولو
قرأوا في اللوح ما خط فيه من بيان اعوجاج في طريقه عجوا • اللهم ثبتنا على المعتقد الصحيح الذي

رضيته لملائكتك في سماواتك وانبيائك في ارضك وادخلنا برحمتك في عبادك الصالحين والكتبة
عليه مثل اي كانما كتب ضلال من تولاه عليه ورقم به لظهور ذلك في حاله وقرئ انه فانه
بالفتح والكسر فمن فتح فلان الاول فاعل كتب والثاني عطف عليه ومن كسر فعلى حكاية المكتوب
كما هو كانما كتب عليه هذا الكلام كما تقول كتبت ان الله هو الغني الحميد او على تقدير قيل او
على ان كتب فيه معنى القول • يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من
تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام
ما نشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى
ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت
وانبتت من كل زوج بهيج ذلك بان الله هو الحق وانه يحيي الموتى وانه على كل شيء قدير • الحسن
من البعث بالتحريك ونظيره الجلب والطرد في الجلب والطرد كانه قيل ان ارتبتم في البعث فمزيل
ريبكم ان تنظروا في بدء خلقكم والعلقة قطعة الدم الجامدة والمضغة اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ
والمخلقة المسواة الملساء من النقصان والعيب يقال خلق السواك والعود اذا سواه وملسه من
قولهم صخرة خلقاء اذا كانت ملساء كان الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة
املس من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم
وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم وانما نقلناكم من حال الى حال ومن خلقة الى خلقة لنبين لكم
بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وان من قدر على خلق البشر من تراب اولا ثم من نطفة ثانيا ولا
تناسب بين التراب والماء وقدر على ان يجعل النطفة علقة وبينهما تباين ظاهر ثم يجعل العلقة
مضغة والمضغة عظاما قدر على اعادة ما ابداه بل هذا ادخل في القدرة من تلك واهون في القياس
وورود الفعل غير معدى الى المبين اعلام بان افعاله هذه يتبين بها من قدرته وعلمه ما لا يكتنهه
الذكر ولا يحيط به الوصف وقرا ابن ابي عبلة ليبين لكم ويقر بالياء وقرئ ونقر ونخرجكم بالنون
والنصب ويقر ويخرجكم ويقر ويخرجكم بالنصب والرفع وعن يعقوب نقر بالنون وضم القاف

من قر

من قر الماء اذا صبه فالقراءة بالرفع اخبار بانه يقر في الارحام ما يشاء ان يقره من ذلك الى اجل
مسمى وهو وقت الوضع آخر ستة اشهر او تسعة او سنتين او اربع او كما شاء وقدر وما لم يشا اقراره
مجته الارحام او اسقطته والقراءة بالنصب تعليل معطوف على تعليل ومعناه خلقناكم مدرجين
على هذا التدريج لغرضين احدهما ان نبين قدرتنا والثاني ان نقر في الارحام من نقر حتى يولدوا
وينشأوا ويبلغوا حد التكليف فاكلفهم ويعضد هذه القراءة قوله ثم لتبلغوا اشدكم وحده لان
الغرض الدلالة على الجنس او يحمل نخرج كل واحد منكم طفلا الاشد كمال القوة والعقل والتمييز وهو
من الفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد كالاسدة والقتود وغير ذلك وكانها شدة في غير شيء واحد فبنيت
لذلك على لفظ الجمع وقرئ ومنكم من يتوفى اي يتوفاه الله ارذل العمر الهرم والخرف حتى يعود كهيئته
الاولى في اوان طفوليته ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم بين انه كما قدر على ان يرقيه في درجات
الزيادة حتى يبلغه حد التمام فهو قادر على ان يحطه حتى ينتهي به الى الحالة السفلى لكيلا يعلم من بعد علم شيئا
اي ليصير نساء بحيث اذا كسب علما في شيء لم ينشب ان ينساه ويزل عنه علمه حتى يسال عنه من ساعته
يقول لك من هذا فيقول فلان فما يلبث لحظة الا سالك عنه وقرا ابو عمرو العمر بسكون الميم الهامدة
الميتة اليابسة وهذه دلالة ثانية على البعث ولظهورها وكونها مشاهدة معاينة كررها الله تعالى في كتابه
اهتزت وربت تحركت بالنبات وانتفخت وقرئ ربأت اي ارتفعت البهيج الحسن السار للناظر
اليه اي ذلك الذي ذكرنا من خلق بني آدم واحياء الارض مع ما في تضاعيف ذلك من اصناف الحكم واللطائف
حاصل بهذا وهو السبب في حصوله ولولاه لم يتصور كونه وهو ان الله هو الحق اي الثابت الموجود وانه
قادر على احياء الموتى وعلى كل مقدور وانه حكيم لا يخلف ميعاده • وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله
يبعث من في القبور • وقد وعد الساعة والبعث فلا بد ان يفي بما وعد • ومن الناس من يجادل في
الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم
القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وان الله ليس بظلام للعبيد • عن ابن عباس انه ابو جهل بن
هشام وقيل كرر كما كررت سائر الاقاصيص وقيل الاول في المقلدين وهذا في المقلدين والمراد بالعلم

الضرورية وبالهدى الاستدلال والنظر لانه يهدي الى المعرفة وبالكتاب المنير الوحي اي يجادل بغير
ويجيء لا باحدهن وثني العطف عبارة عن الكبر والخيلاء كتصعير الخد ولي الجيد وقيل عن الاعراض
عن الذكر وعن الحسن ثاني عطفه بفتح العين اي مانع تعطفه ليضل تعليل للمجادلة وقرئ بضم الياء وفتحها
فان قلت ما كان غرضه من جداله الضلال عن سبيل الله فكيف علل به وما كان ايضا مهتديا حتى اذا
جادل خرج بالجدال من الهدى الى الضلال قلت لما ادى جداله الى الضلال جعل كانه غرضه ولما كان
الهدى معرضا فتركه واعرض عنه واقبل على الجدال الباطل جعل كالخارج من الهدى الى الضلال
وخزيه ما اصابه يوم بدر من الصغار والقتل والسبب فيما مني به من خزي الدنيا وعذاب الآخرة
هو ما قدمت يداه وعدل الله في معاقبته الفجار واثابته للصالحين • ومن الناس من يعبد الله
على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك
هو الخسران المبين يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد يدعو لمن
ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير • على حرف على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه
وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمانينة كالذي يكون على طرف من العسكر
فان احس بظفر وغنيمة قر واطمأن والا فر وطار على وجهه قالوا نزلت في اعاريب قدموا المدينة
وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امراته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته
قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا
وانقلب وعن ابي سعيد الخدري ان رجلا من اليهود اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فاتى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقلني فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت المصاب بالمحنة بترك التسليم
لقضاء الله والخروج الى ما يسخط الله جامع على نفسه محنتين احدهما ذهاب ما اصيب به والثانية
ذهاب ثواب الصابرين فهو خسران الدارين وقرئ خاسر الدنيا والآخرة بالنصب والرفع فالنصب على
الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير وهو وجه حسن او على انه خبر مبتدا محذوف
استعير الضلال البعيد من ضلال من ابعد في التيه ضالا فطالت وبعدت مسافة ضلالته

قلت الضر والنفع منفيان عن الاصنام مثبتان لها في الآيتين وهذا تناقض قلت اذا حصل
المعنى ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى سفه الكافر بانه يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو
يعتقد فيه بجهله وضلاله انه يستنفع به حين يستشفع به ثم قال يوم القيمة يقول هذا الكافر
بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالاصنام ودخوله النار بعبادتها ولا يرى اثر الشفاعة التي
ادعاها لها لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير او كرر يدعو كانه قال يدعو يدعو
من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبودا اقرب من نفعه بكونه شفيعا
لبئس المولى وفي حرف عبد الله من ضره بغير لام المولى الناصر والعشير الصاحب كقوله فبئس القرين
ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد من كان
يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده
ما يغيظ • هذا كلام قد دخله اختصار والمعنى ان الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن من
حاسديه واعاديه ان الله يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه ويغيظه انه يظفر بمطلوبه فليستقص وسعه
وليستفرغ مجهوده في ازالة ما يغيظه بان يفعل ما يفعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ حتى مد حبلا
الى سماء بيته فاختنق فلينظر وليصور في نفسه انه ان فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي
يغيظه وسمي الاختناق قطعا لان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه ومنه قيل للبهر القطع وسمي
فعله كيدا لانه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر على غيره او على سبيل الاستهزاء لانه لم يكد به محسوده
انما كاد به نفسه والمراد ليس في يده الا ما ليس بمذهب لما يغيظ وقيل فليمدد بحبل الى السماء المظلة
وليصعد عليه فليقطع الوحي ان ينزل عليه وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على
المشركين يستبطئون ما وعد الله رسوله من النصر وآخرون من المشركين يريدون اتباعه ويخشون
ان لا يثبت امره فنزلت وقد فسر النصر بالرزق وقيل معناه ان الارزاق بيد الله لا تنال الا بمشيئته ولا
بد للعبد من الرضا بقسمته فمن ظن ان الله غير رازقه وليس به صبر واستسلام فليبلغ غاية الجزع
وهو الاختناق فان ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده مرزوقا • وكذلك انزلناه آيات بينات وان الله

يهدي من يريد • اي ومثل ذلك الانزال انزلنا القرآن كله آيات بينات ولان الله يهدي به
الذين يعلم انهم يؤمنون او يثبتهم الذين آمنوا ويزيدهم هدى انزله كذلك مبينا • ان الذين
الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل
بينهم يوم القيمة ان الله على كل شيء شهيد • الفصل مطلق يحتمل الفصل بينهم في الاحوال والاماكن جميعا
فلا يجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد وقيل الاديان خمسة اربعة للشيطان
وواحد للرحمن جعل الصابئون مع النصارى لانهم نوع منهم وقيل يفصل بينهم يقضي بينهم اي بين المؤمنين
والكافرين وادخلت ان على كل واحد من جزئي الجملة لزيادة التاكيد ونحوه قول جرير • ان الخليفة
ان الله سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم • الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض
والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن
يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء • سميت مطاوعتها له فيما يحدث فيها من افعاله
ويجريها عليه من تدبيره وتسخيره لها سجودا له تشبيها لمطاوعتها بادخل افعال المكلف في باب الطاعة
والانقياد وهو السجود الذي كل خضوع دونه فان قلت فما تصنع بقوله وكثير من الناس وما
الاعتراضين احدهما ان السجود على المعنى فسرته لا يسجده بعض الناس دون بعض والثاني ان
السجود قد اسند على سبيل العموم الى من في الارض من الانس والجن اولا فاسناده الى كثير منهم آخرا مناقضة
قلت لا انظم كثيرا في المفردات المتناسقة الداخلة تحت حكم الفعل وانما ارفعه بفعل مضمر يدل عليه قوله
يسجد اي يسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة ولم اقل افسر يسجد الذي هو ظاهر بمعنى الطاعة
والعبادة في حق هؤلاء لان اللفظ الواحد لا يصح استعماله في حالة واحدة على معنيين مختلفين او
ارفعه على الابتداء والخبر محذوف وهو مثاب لان خبر مقابله يدل عليه وهو قوله حق عليه العذاب
ويجوز ان يجعل من الناس خبرا له اي من الناس الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون
ويجوز ان يبالغ في تكثير المحقوقين بالعذاب فيعطف كثير على كثير ثم يخبر عنهم بحق عليهم العذاب كانه قيل
وكثير وكثير من الناس حق عليهم العذاب وقرئ حق بالضم وقرئ حقا اي حق عليهم العذاب حقا ومن

يعانيه

اهانه الله بان كتب عليه الشقاوة لما سبق في علمه من كفره او فسقه فقد بقي مهانا لن تجد له مكرما
وقرئ مكرم بفتح الراء بمعنى الاكرام انه يفعل ما يشاء من الاكرام والاهانة ولا يشاء من ذلك الا ما
تقتضيه عمل العاملين واعتقاد المعتقدين • هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت
لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد
كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق • هذان خصمان الخصم صفة
وصف بها الفوج او الفريق فكانه قيل هذان فوجان او فريقان مختصمان وقوله هذان للفظ
واختصموا للمعنى كقوله ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا ولو قيل هؤلاء خصمان او اختصما جاز
يراد المؤمنون والكافرون قال ابن عباس رجع الى اهل الاديان الستة في ربهم اي في دينه وصفاته
وروي ان اهل الكتاب قالوا للمؤمنين نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون
نحن احق بالله آمنا بمحمد وآمنا بنبيكم وبما انزل الله من كتاب انتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه
وكفرتم به حسدا فهذه خصومتهم في ربهم فالذين كفروا هو فصل الخصومة المعني بقوله تعالى ان الله
يفصل بينهم يوم القيمة وفي رواية عن الكسائي خصمان بالكسر وقرئ قطعت بالتخفيف كان الله تعالى
يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة ويجوز ان تظاهر على كل واحد
منهم تلك النيران كالثياب المظاهرة على اللابس بعضها فوق بعض ونحوه سرابيلهم من قطران
الحميم الماء الحار عن ابن عباس لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لاذابتها يصهر يذاب وعن
الحسن بتشديد الهاء للمبالغة اي اذا صب الحميم على رؤوسهم كان تاثيره في الباطن نحو تاثيره في الظاهر
فيذيب امعاءهم واحشاءهم كما يذيب جلودهم وهو ابلغ من قوله وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم
والمقامع السياط في الحديث لو وضعت مقمعة منها في الارض فاجتمع عليها الثقلان ما اقلوها
وقرا الاعمش ردوا فيها والاعادة والرد لا يكون الا بعد الخروج فالمعنى كلما ارادوا ان يخرجوا منها
من غم فخرجوا اعيدوا فيها ومعنى الخروج ما يروى عن الحسن ان النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى اذا
كانوا في اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق والحريق

الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك • ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات
تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وهدوا الى
الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد • يحلون عن ابن عباس من حليت المرأة فهي حالي
ولؤلؤا بالنصب عطفا على محلها ويؤتون لؤلؤا كقوله وحورا عينا ولولوا بقلب الهمزة الثانية واوا و
لوليا بقلبهما واوين ثم بقلب الثانية ياء كادل ولولي كادل فيمن جر ولؤلؤ وليليا بقلبهما
يائين عن ابن عباس وهديهم الله والهمهم ان يقولوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وهداهم الى طريق
الجنة • ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف
فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم • يقال فلان يحسن الى الفقراء
وينعش المضطهدين لا يراد حال ولا استقبال وانما يراد استمرار وجود الاحسان منه ونفسه
في جميع ازمنته واوقاته ومنه قوله تعالى ويصدون عن سبيل الله اي الصدود منهم مستمر دائم للناس
اي للذين يقع عليهم اسم الناس من غير فرق بين حاضر وباد وتاني وطاري ومكي وآفاقي وقد استشهد
به اصحاب ابي حنيفة رح قائلين ان المراد بالمسجد الحرام مكة على امتناع جواز بيع دور مكة واجارتها
وعند الشافعي رح لا يمتنع ذلك وفيها ورد اسحق بن راهويه فاحتج بقوله الذين اخرجوا من ديارهم
وقال انسب الديار الى مالكيها او غير مالكيها واشترى عمر بن الخطاب رضي الله عنه دار السجن من مالكيه
سواء بالنصب قراءة حفص والباقون على الرفع ووجه النصب انه ثاني مفعولي جعلناه اي جعلناه
مستويا العاكف فيه والباد وفي القراءة بالرفع الجملة مفعول ثان لا الحاد العدول عن القصد واصله
الحاد الحافر وقوله بالحاد بظلم حالان مترادفان ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كما
كانه قال ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما نذقه من عذاب اليم يعني ان الواجب على
من كان فيه ان يضبط نفسه ويسلك طريق السداد والعدل في جميع ما يهم به ويقصده وقيل الالحاد
في الحرم منع الناس عن عمارته وعن سعيد بن جبير الاحتكار وعن عطاء قول الرجل في المبايعة لا والله
وبلى والله وعن عبد الله بن عمر انه كان له فسطاطان احدهما في الحل والآخر في الحرم فاذا اراد ان

يعاتب

يعاتب اهله عاتبهم في الحل فقيل له فقال كنا نحدث ان من الالحاد فيه ان يقول الرجل لا والله
وبلى والله وقرئ يرد بفتح الياء من الورود ومعناه من اتى فيه بالحاد ظالما وعن الحسن ومن يرد
الحاده بظلم اراد الحادا فيه فاضافه على الاتساع في الظرف كمكر الليل ومعناه من يرد ان يلحد
فيه ظالما وخبر ان محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره ان الذين كفروا ويصدون عن المسجد
الحرام نذيقهم من عذاب اليم وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك • واذ بوانا لابرهيم مكان
البيت ان لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود واذن في الناس
بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق • فاذكر حين جعلنا لابرهيم مكان البيت
مباءة اي مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة رفع البيت الى السماء ايام الطوفان وكان من ياقوتة
حمراء فاعلم الله ابرهيم صلوات الرحمن عليه مكانه بريح ارسلها يقال له الخجوج كنست ما حوله
فبناه على اسه القديم وان هي المفسرة فان قلت كيف يكون النهي عن الشرك والامر بتطهير البيت
تفسيرا للتبوئة قلت كانت التبوئة مقصودة من اجل العبادة فكانه قيل تعبدنا ابرهيم قلنا
له لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي من الاصنام والاوثان والاقذار ان تطرح حوله وقرئ
يشرك بالياء على الغيبة واذن في الناس ناد فيهم وقرأ ابن محيصن وآذن والنداء بالحج ان
يقول حجوا او عليكم بالحج وروي انه صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم وعن الحسن
انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر ان يفعل ذلك في حجة الوداع رجالا مشاة جمع راجل كقائم
وقيام وقرئ رجالا بضم الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالى كعجالى عن ابن عباس وعلى كل ضامر
حال معطوفة على حال كانه قيل رجالا وركبانا يأتين صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع وقرئ يأتون
صفة للرجال والركبان والعميق البعيد وقرأ ابن مسعود معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق •
ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها
واطعموا البائس الفقير • نكر المنافع لانه اراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا
توجد في غيرها من العبادات وعن ابي حنيفة رحمه الله انه كان يفاضل بين العبادات قبل ان حج فلما

تحج فضل الحج على العبادات كلها لما شاهد من تلك الخصايص وكنى عن النحر والذبح بذكر اسم الله
لان اهل الاسلام لا ينفكون عن ذكر اسم الله اذا نحروا او ذبحوا وفيه تنبيه على ان الغرض الاصلى
فيما يتقرب به الى الله ان يذكر اسمه وقد حسن الكلام تحسينا بينا ان جمع بين قوله ليذكروا
اسم الله وقوله على ما رزقهم ولو قيل لينحروا فى ايام معلومات بهيمة الانعام لم تر شيئا من ذلك الحسن
والروعة الايام المعلومات ايام العشر عند ابى حنيفة رحمه الله وهو قول الحسن وقتادة وعند
صاحبيه ايام النحر البهيمة مبهمة فى كل ذات اربع فى البر والبحر فبينت بالانعام وهى الابل والبقر
والضان والمعز الامر بالاكل منها امر اباحة لان اهل الجاهلية لا يأكلون من نسائكهم ويجوز ان
يكون ندبا لما فيه من مساواة الفقراء ومواساتهم ومن استعمال التواضع ومن ثم استحب الفقهاء
ان ياكل الموسع من اضحيته مقدار الثلث وعن ابن مسعود انه بعث بهدى وقال فيه اذا نحرته
فكل وتصدق وابعث منه الى عتبة يعنى ابنه وفى الحديث كلوا وادخروا وائتجروا البائس
الذى اصابه بؤس اى شدة والفقير الذى اضعفه الاعسار ● ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم
وليطوفوا بالبيت العتيق ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه واحلت لكم الانعام
الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور ● قضاء التفث قص الشارب
والاظفار ونتف الابط والاستحداد والتفث الوسخ فالمراد قضاء ازالة التفث وقرئ
وليوفوا بتشديد الفاء نذورهم مواجب حجهم او ما عسى ينذرونه من اعمال البر فى حجهم وليطوفوا
طواف الافاضة وهو طواف الزيارة الذى هو من اركان الحج ويقع به تمام التحلل وقيل طواف
الصدر وهو طواف الوداع العتيق القديم لانه اول بيت وضع للناس عن الحسن وعن قتادة اعتق
من الجبابرة كم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله وعن مجاهد لم يملك قط وعن مجاهد اعتق من الغرق
وقيل بيت كريم من قولهم عتاق الخيل والطير فان قلت قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع قلت ما قصد
التسلط على البيت وانما تحصن به ابن الزبير رضى الله عنهما فاحتال لاخراجه ثم بناه ولما قصد التسلط
عليه ابرهة فعل به ما فعل ذلك خبر مبتدأ محذوف اى الامر والشان ذلك كما يقدم الكاتب جملة

54

من كتابه فى بعض المعانى ثم اذا اراد الخوض فى معنى آخر قال هذا وقد كان كذا والحرمة ما لا يحل
هتكه وجميع ما كلفه الله تعالى بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها فيحتمل ان يكون عاما فى جميع
تكاليفه ويحتمل ان يكون خاصا فيما يتعلق بالحج وعن زيد بن اسلم الحرمات خمس الكعبة الحرام
والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم حتى يحل فهو خير له اى فالتعظيم خير له ومعنى التعظيم العلم
بانها واجبة المراعاة والحفظ والقيام بمراعاتها المتلو لا يستثنى من الانعام ولكن المعنى الا ما يتلى
عليكم آية تحريمه وذلك قوله فى سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والدم والمعنى ان الله قد احل لكم
الانعام كلها الا ما استثناه فى كتابه فحافظوا على حدوده واياكم ان تحرموا مما احل شيئا كتحريم عبدة
الاوثان البحيرة والسائبة وغير ذلك وان تحلوا مما حرم كاحلالهم اكل الموقوذة والميتة وغير
ذلك لما حث على تعظيم حرماته واحمد من يعظمها اتبعه الامر باجتناب الاوثان وقول الزور
لان توحيد الله ونفى الشركاء عنه وصدق القول اعظم الحرمات واسبقها خطوا وجمع الشرك
وقول الزور فى قران واحد وذلك ان الشرك من باب الزور لان المشرك زاعم ان الوثن
تحق له العبادة فكانه قال فاجتنبوا عبادة الاوثان التى هى راس الزور واجتنبوا قول الزور
كله لا تقربوا شيئا منه لتماديه فى القبح والسماجة وما ظنك بشئ من قبيله عبادة الاوثان و
سمى الاوثان رجسا وكذلك الخمر والميسر والازلام على طريق التشبيه يعنى انكم كما تنفرون
بطباعكم عن الرجس وتجتنبونه فعليكم ان تنفروا عن هذه الاشياء مثل تلك النفرة ونبه على هذا
المعنى بقوله رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه جعل العلة فى اجتنابه انه رجس والرجس مجتنب
من الاوثان بيان للرجس وتمييز له كقولك عندى عشرون من الدراهم لان الرجس مبهم يتناول غير شئ
كانه قيل فاجتنبوا الرجس الذى هو الاوثان والزور من الزور والازورار وهو الانحراف
كما ان الافك من افكه اذا صرفه وقيل قول الزور قولهم هذا حلال وهذا حرام وما اشبه ذلك
من افترائهم وقيل شهادة الزور عن النبى صلى الله عليه وسلم انه صلى الصبح فلما سلم قام قائما واستقبل
الناس بوجهه وقال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله عدلت

شهادة الزور الاشراك بالله وتلى هذه الآية وقيل الكذب والبهتان وقيل قول اهل الجاهلية في
تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك • حنفاء لله غير مشركين به ومن
يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوي به الريح من مكان سحيق ذلك ومن
يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق
يجوز في هذا التشبيه ان يكون من المركب والمفرق فان كان تشبيها مركبا فكانه قال من اشرك
بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس بعده نهاية بان صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته
الطير فتفرق مزعا في حواصلها او عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة
وان كان مفرقا فقد شبه الايمان في علوه بالسماء والذي ترك الايمان واشرك بالله بالساقط
من السماء والاهواء التي توزع افكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي يطوح به في وادي
الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة وقرئ فتخطفه بكسر الخاء و
الطاء وبكسر التاء مع كسرهما وهي قراءة الحسن واصلهما تختطفه وقرئ الرياح تعظيم الشعائر
وهي الهدايا لانها من معالم الحج ان يختارها عظام الاجرام حسانا سمانا غالية الاثمان ويترك
المكاس فقد كانوا يغالون في ثلث ويكرهون المكاس فيهن الهدي والاضحية والرقبة
وروى ابن عمر عن ابيه رضي الله عنهما انه اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فسال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها واهدى رسول الله صلعم مائة بدنة
فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة بالقباطي فيتصدق
بلحومها وبجلالها ويعتقد ان طاعة الله في التقرب بها واهدائها الى بيته المعظم امر عظيم لابد ان يقام
به ويسارع فيه فانها من تقوى القلوب اي فان تعظيمها من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت
هذه المضافات ولا يستقيم المعنى الا بتقديرها لانه لابد من راجع من الجزاء الى من ليرتبط به وانما
ذكرت القلوب لانها مراكز التقوى التي اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر اثرها في سائر الاعضاء اجل
مسمى الى ان تنحر ويتصدق بلحومها ويؤكل منها وثم للتراخي في الوقت فاستعيرت للتراخي في

الاحوال

الاحوال والمعنى ان لكم في الهدايا منافع كثيرة في دنياكم ودينكم وانما يعتد الله بالمنافع الدينية
قال سبحانه وتعالى تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة واعظم هذه المنافع وابعدها شوطا
في النفع محلها الى البيت اي وجوب نحرها او وقت وجوب نحرها منتهية الى البيت كقوله هديا
بالغ الكعبة والمراد نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت لان الحرم هو حريم البيت ومثل هذا
في الاتساع قولك بلغنا البلد وانما شارفتموه واتصل مسيركم بحدوده وقيل المراد بالشعائر المناسك
كلها ومحلها الى البيت العتيق يأباه • ولكل امة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة
الانعام فالهكم اله واحد فله اسلموا وبشر المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين
على ما اصابهم والمقيمي الصلوة ومما رزقناهم ينفقون • شرع الله تعالى لكل امة ان ينسكوا له اي
يذبحوا لوجهه على وجه التقرب وجعل العلة في ذلك ان يذكر اسمه تقدست اسماؤه على المناسك
وقرئ منسكا بفتح السين وكسرها وهو مصدر بمعنى النسك والمكسور يكون بمعنى الموضع فله اسلموا
اي اخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه لوجهه سالما اي خالصا لا تشوبوه باشراك المخبتون
المتواضعون الخاشعون من الخبت وهو المطمئن من الارض وقيل هم الذين لا يظلمون واذا
ظلموا لم ينتصروا وقرا الحسن والمقيمي الصلوة بالنصب على تقدير النون وقرا ابن مسعود والمقيمين الصلوة
على الاصل • والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت
جنوبها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون • البدن جمع بدنة
سميت لعظم بدنها وهي الابل خاصة ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم الحق البقر بالابل حين قال
البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة فجعل البقر في حكم الابل صارت البدنة في الشريعة متناولة للجنسين
عند ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله والا فالبدن هو الابل وعليه تدل الآية وقرا الحسن والبدن
بضمتين كثمر في جمع ثمرة وابن ابي اسحق بالضمتين وتشديد النون على لفظ الوقف وقرئ بالنصب والرفع
كقوله والقمر قدرناه من شعائر الله اي من اعلام الشريعة التي شرعها الله واضافتها الى اسمه تعظيم لها لكم
فيها خير كقوله لكم فيها منافع ومن شان الحاج ان يحرص على شيء فيه خير ومنافع بشهادة الله عن بعض السلف

انه لم يملك الا تسعة دنانير فاشترى بها بدنة فقيل له فقال سمعت ربي يقول لكم فيها خير وعن ابن عباس
دنيا وآخرة وعن ابرهيم من احتاج الى ظهرها ركب ومن احتاج الى لبنها شرب وذكر اسم الله ان يقول
عند النحر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن و
قرئ صوافن من صفون الفرس وهو ان يقوم على ثلث وينصب الرابعة على طرف سنبكه لان البدنة تعقل
احدى يديها فتقوم على ثلث وقرئ صوافي اي خوالص لوجه الله وعن عمرو بن عبيد صوافنا بالتنوين
عوضا من حرف الاطلاق عند الوقف وعند بعضهم صواف نحو مثل العرب اعط القوس باريها بسكون الياء
وجوب الجنوب وقوعها على الارض من وجب الحائط وجبة اذا سقط ووجبت الشمس جبة غربت والمعنى
فاذا وجبت جنوبها وسكنت نسايسها حل لكم الاكل منها والاطعام القانع السائل من قنعت اليه
وكنعت اذا خضعت وسالته قنوعا والمعتر المتعرض بغير سؤال او القانع الراضي بما عنده وبما يعطي
من غير سؤال من قنعت قنعا وقناعة والمعتر المتعرض بالسؤال وقرأ الحسن والمعتري وعره وعراه
واعتره واعتراه بمعنى وقرأ ابو رجاء القنع وهو الراضي لا غير يقال قنع فهو قنع وقانع من الله على
عباده واستحمد اليهم بان سخر لهم البدن مثل التسخير الذي رأوا وعلموا ياخذونها منقادة للاخذ طيعة
فيعقلونها ويحبسونها صافة قوائمها ثم يطعنون في لباتها ولولا تسخير الله لم تطق ولم تكن باعجز من بعض
الوحوش التي هي اصغر منها جرما واقل قوة وكفى بما يتابد من الابل شاهدا وعبرة • لن ينال الله لحومها
ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هديكم وبشر المحسنين ان الله
يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور • اي لن يصيب رضى الله اللحوم المتصدق بها
ولا الدماء المهراقة بالنحر والمراد اصحاب اللحوم والدماء والمعنى لن يرضى المضحون والمتقربون ربهم
الا بمراعاة النية والاخلاص والاحتفاظ بشروط التقوى في حل ما قرب به وغير ذلك من المحافظات الشرعية
واوامر الورع فاذا لم يراعوا ذلك لم تغن عنهم التضحية والتقريب وان كثر ذلك منهم وقرئ لن ينال الله
ولكن يناله بالياء والتاء وقيل كان اهل الجاهلية اذا نحروا البدن نضحوا الدماء حول البيت ولطخوه
بالدم فلما حج المسلمون ارادوا مثل ذلك فنزلت كرره تذكيرا ليعقبه بالتسخير ثم قال لتكبروا الله على

56

هدايته اياكم لاعلام دينه ومناسك حجه بان تكبروا وتهللوا فاختصر الكلام بان ضمن التكبير معنى الشكر
وعدي تعديته خص المؤمنين بدفعه عنهم ونصرته لهم كما قال انا لننصر رسلنا والذين آمنوا وقال
انهم لهم المنصورون واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وجعل العلة في ذلك انه لا يحب اضدادهم
وهم الخونة الكفرة الذين يخونون الله والرسول ويخونون اماناتهم ويكفرون نعم الله ويغمطونها ومن قرأ
يدافع فمعناه يبالغ في الدفع عنهم كما يبالغ من يغالب فيه لان فعل المغالب يجيء اقوى وابلغ • اذن
للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا
ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا
ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة
وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور • اذن ويقاتلون قرئا على لفظ المبني للفاعل
والمفعول جميعا والمعنى اذن لهم في القتال فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه بانهم ظلموا اي
كونهم مظلومين وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مشركو مكة يؤذونهم اذى شديدا وكانوا
يأتون رسول الله صلعم من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال
حتى هاجر فانزلت هذه الآية وهي اول آية اذن فيها بالقتال بعدما نهي عنه في نيف وسبعين آية وقيل
نزلت في قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركو مكة فاذن لهم في مقاتلتهم والاخبار بكونه قادرا على
نصرهم عدة منه بالنصر واردة على سنن كلام الجبابرة وما قرر دفعه عن الذين آمنوا مؤذن بمثل
هذه العدة ايضا ان يقولوا في محل الجر على الابدال من حق اي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي ان
يكون موجب الاقرار والتمكين لا موجب الاخراج والتسيير ومثله هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله دفع
الله بعض الناس ببعض باظهاره وتسليط المسلمين منهم على الكافرين بالمجاهدة ولولا ذلك لاستولى
المشركون على اهل الملل المختلفة في ازمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعا ولا
لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات ولا للمسلمين مساجد او لغلب المشركون في امة محمد صلى الله عليه وسلم
على المسلمين وعلى اهل الكتاب الذين في ذمتهم فهدموا متعبدات الفريقين وقرئ دفاع ولهدمت بالتخفيف

وسميت الكنيسة صلوة لانه يصلى فيها وقيل هي كلمة معربة اصلها بالعبرانية صلوتا من ينصره اي ينصر
دينه واولياءه هو اخبار من الله تعالى بظهر الغيب عما ستكون عليه سيرة المهاجرين رضي الله عنهم ان مكنهم
في الارض بسط لهم في الدنيا وكيف يقومون بامر الدين وعن عثمان رضي الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء
يريد ان الله قد اثنى عليهم قبل ان يحدثوا من الخير ما احدثوا وقالوا فيه دليل على صحة امر الخلفاء
الراشدين لان الله لم يعط التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لا حظ في
ذلك للانصار والطلقاء وعن الحسن هم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذين منصوب بدل من قوله من
ينصره والظاهر انه مجرور تبع للذين اخرجوا ولله عاقبة الامور اي مرجعها الى حكمه وتقديره وفيه تاكيد
لما وعده من اظهار اوليائه واعلاء كلمتهم • وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود
وقوم ابرهيم وقوم لوط واصحاب مدين وكذب موسى فامليت للكافرين ثم اخذتهم فكيف كان نكير •
يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم تسلية له لست باوحدي في التكذيب فقد كذب الرسل قبلك اقوامهم وكفاك
بهم اسوة فان قلت لم قيل وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى قلت لان موسى ما كذبه قومه بنو اسرائيل
وانما كذبه غير قومه وهم القبط وفيه شيء آخر كانه قيل بعدما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى
ايضا مع وضوح آياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره • فكاين من قرية اهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية
على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او آذان
يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور • النكير بمعنى الانكار والتغيير
حيث ابدلهم بالنعمة محنة وبالحياة هلاكا وبالعمارة خرابا كل مرتفع اظلك من سقف بيت او خيمة
او ظلة او كرم فهو عرش والخاوي الساقط من خوى النجم اذا سقط او الخالي من خوى المنزل اذا خلا
من اهله وخوى بطن الحامل وقوله على عروشها لا يخلو من ان يتعلق بخاوية فيكون المعنى انها ساقطة
سقوفها اي خرت سقوفها على الارض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف او انها ساقطة
او خالية مع بقاء عروشها وسلامتها واما ان يكون خبرا بعد خبر كانه قيل هي خالية وهي على عروشها اي
قائمة مظلة على عروشها على معنى ان السقوف سقطت الى الارض فصارت في قرار الحيطان وبقيت الحيطان

مائلة مشرفة على السقوف الساقطة فان قلت ما محل الجملتين من الاعراب اعني وهي ظالمة فهي خاوية
قلت الاولى في محل النصب على الحال والثانية لا محل لها لانها معطوفة على اهلكناها وهذا الفعل ليس له محل
قرا الحسن معطلة من اعطله بمعنى عطله ومعنى المعطلة انها عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء الا
انها عطلت اي تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها والمشيد المجصص او المرفوع البنيان والمعنى كم
قرية اهلكنا وكم من بئر عطلنا عن سقاتها وقصر مشيد اخليناه عن ساكنيه فترك ذلك لدلالة معطلة عليه
وفي هذا دليل على ان على عروشها بمعنى مع اوجه وروي ان هذه بئر نزل عليها صالح مع اربعة آلاف نفر
ممن آمن به ونجاهم الله من العذاب وهي بحضرموت وانما سميت بذلك لان صالحا حين حضرها مات و
ثم بلدة عند البئر اسمها حاضوراء بناها قوم صالح وامروا عليهم جلهس بن جلاس واقاموا بها زمانا ثم
كفروا وعبدوا صنما وارسل الله اليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه فاهلكهم الله وعطل بئرهم وخرب
قصورهم يحتمل انهم لم يسافروا فحثوا على السفر ليروا مصارع من اهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا آثارهم
فيعتبروا وان يكونوا قد سافروا وراوا ذلك ولكن لم يعتبروا فجعلوا كان لم يسافروا ولم يروا وقرئ فيكون
لهم قلوب بالياء اي يعقلون ما يجب ان يعقل من التوحيد ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي فانها الضمير ضمير
الشان والقصة يجيء مذكرا ومؤنثا وفي قراءة ابن مسعود فانه ويجوز ان يكون ضميرا مبهما يفسره الابصار
وفي تعمى ضمير راجع اليه والمعنى ان ابصارهم صحيحة سالمة لا عمى بها وانما العمى بقلوبهم او لا يعتد بعمى الابصار
فكانه ليس بعمى بالاضافة الى عمى القلوب فان قلت اي فائدة في ذكر الصدور قلت الذي تعورف واعتقد
ان العمى على الحقيقة مكانه البصر وهو ان تصاب الحدقة بما يطمس نورها واستعماله في القلب استعارة
ومثل فلما اريد اثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة العمى الى القلوب حقيقة ونفيه عن الابصار
احتاج هذا التصوير الى زيادة تعيين وفضل تعريف ليتقرر ان مكان العمى هو القلوب لا الابصار كما
تقول ليس المضاء للسيف ولكنه للسانك الذي بين فكيك فقولك الذي بين فكيك تقرير لما ادعيته
للسانك وتثبيت لان محل المضاء هو هو لا غيره وكانك قلت ما نفيت المضاء عن السيف واثبته للسانك
فلتة ولا سهوا مني ولكن تعمدت به اياه بعينه تعمدا • ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده

وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون وكاين من قرية امليت لها وهي ظالمة ثم اخذتها والي
المصير • انكر استعجالهم بالمتوعد به من العذاب العاجل والآجل كانه قال ولم يستعجلون به كانهم يجوزون
الفوت وانما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف والله عز وعلا لا يخلف الميعاد وما وعده ليصيبنهم
ولو بعد حين وهو سبحانه حليم لا يعجل ومن حلمه ووقاره واستقصاره المدد الطوال ان يوما
واحدا عنده كالف سنة عندكم وقيل معناه كيف يستعجلون بعذاب من يوم واحد من ايام عذابه في طول
الف سنة من سنيكم لان ايام الشدائد مستطالة اوكان ذلك اليوم الواحد لشدة عذابه كالف
سنة من سني العذاب وقيل ولن يخلف الله وعده في النظرة والامهال وقرئ تعدون بالياء والتاء
ثم قال وكم من اهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد انظرتهم حينا ثم اخذتهم بالعذاب والمرجع الي والى
حكمي فان قلت لم كانت الاولى معطوفة بالفاء وهذه بالواو قلت الاولى وقعت بدلا عن قوله فكيف
كان نكير واما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو اعني قوله ولن يخلف الله وعده
وان يوما عند ربك كالف سنة • قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين فالذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في آياتنا معاجزين اولئك اصحاب الجحيم • يقال سعيت في امر
فلان اذا اصلحته او افسدته بسعيك وعاجزه سابقه لان كل واحد منهما في طلب اعجاز الآخر عن
اللحاق به فاذا سبقه قيل اعجزه وعجزه والمعنى سعوا في معناها بالفساد من الطعن فيها حيث سموها
سحرا وشعرا واساطير ومن تثبيط الناس عنها سابقين او مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين
ان كيدهم للاسلام يتم لهم فان قلت كان القياس ان يقال انما انا لكم بشير ونذير لذكر الفريقين بعده
قلت الحديث مسوق الى المشركين ويا ايها الناس نداء لهم وهم الذين قيل فيهم افلم يسيروا
في الارض ووصفوا بالاستعجال وانما اقحم المؤمنون وثوابهم ليغاظوا • وما ارسلنا من قبلك من
رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته
والله عليم حكيم • من رسول ولا نبي دليل بين على تغاير الرسول والنبي وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل
عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلثة عشر جما غفيرا

والفرق بينهما ان الرسول من الانبياء من جمع الى المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبي غير الرسول
من لم ينزل عليه كتاب وانما امر ان يدعو الى شريعة من قبله والسبب في نزول هذه الآية ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اعرض عنه قومه وشاقوه وخالفه عشيرته ولم يشايعوه على ما جاء به تمنى
لفرط ضجره من اعراضهم ولحرصه وتهالكه على اسلامهم ان لا ينزل عليه ما ينفرهم لعله يتخذ ذلك
طريقا الى استمالتهم واستنزالهم عن غيهم وعنادهم فاستمر به ما تمناه حتى نزلت عليه سورة والنجم وهو
في نادي قومه وذلك التمني في نفسه فاخذ يقرؤها فلما بلغ قوله ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان
في امنيته التي تمناها اي وسوس اليه بما شيعها به فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط الى ان قال
تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى وروي الغرانقة ولم يفطن له حتى ادركته العصمة
فتنبه عليه وقيل نبهه عليه جبرئيل م او تكلم الشيطان بذلك فاسمعه الناس فلما سجد في آخرها
سجد معه جميع من في النادي وطابت نفوسهم وكان تمكين الشيطان من ذلك محنة وابتلاء زاد
المنافقون به شكا وظلمة والمؤمنون نورا وايقانا والمعنى ان الرسل والانبياء من قبلك كانت
هجيراهم كذلك اذا تمنوا مثل ما تمنيت مكن الله الشيطان ليلقي في امانيهم مثل ما القي في امنيتك
ارادة امتحان من حولهم والله سبحانه له ان يمتحن عباده بما شاء من صنوف المحن وانواع الفتن
ليضاعف ثواب الثابتين ويزيد في عقاب المذبذبين وقيل تمنى قرا وانشد • تمنى كتاب الله اول
ليله • تمنى داود الزبور على رسل • وامنيته قراءته وقيل تلك الغرانيق اشارة الى الملائكة اي هم
الشفعاء لا الاصنام فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهب به ويبطله ثم يحكم الله تعالى آياته اي
يثبتها • ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي
شقاق بعيد • والذين في قلوبهم مرض المنافقون والشاكون والقاسية قلوبهم المشركون المكذبون
وان الظالمين يريد وان هؤلاء المنافقين والمشركين واصله وانهم فوضع الظاهر موضع الضمير
قضاء عليهم بالظلم • وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان
الله لهادي الذين آمنوا الى صراط مستقيم • انه الحق من ربك اي ليعلموا ان تمكين الشيطان من الالقاء

هو الحق من ربك والحكمة وان الله لهادى الذين آمنوا الى ان يتأولوا ما يتشابه فى الدين بالتأويلات
الصحيحة ويطلبوا لما اشكل منه المحمل الذى تقتضيه الاصول المحكمة والقوانين الممهدة حتى لا تلحقهم
حيرة ولا تعتريهم شبهة ولا تزل اقدامهم وقرئ لهادٍ الذين آمنوا بالتنوين ولا يزال الذين كفروا فى مرية
منه حتى تأتيهم الساعة بغتة او يأتيهم عذاب يوم عقيم الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا و
عملوا الصالحات فى جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين الضمير فى
مرية منه للقرآن او للرسول اليوم العقيم يوم بدر وانما وصف يوم الحرب بالعقيم لان اولاد النساء
يقتلون فيه فيصرن كأنهن عقم لم يلدن او لان المقاتلين يقال لهم ابناء الحرب فاذا قتلوا وصف
يوم الحرب بالعقيم على سبيل المجاز وقيل هو الذى لا خير فيه يقال ريح عقيم اذا لم تنشئ مطرا ولم
تلقح شجرا وقيل لا مثل له فى عظم امره لقتال الملائكة فيه وعن الضحاك انه يوم القيمة وان المراد
بالساعة مقدماته ويجوز ان يراد بالساعة وبيوم عقيم يوم القيمة وكانه قيل حتى تأتيهم الساعة او
يأتيهم عذابها فوضع يوم عقيم موضع الضمير فان قلت التنوين فى يومئذ عن اى جملة ينوب قلت تقديره
الملك يوم يؤمنون او يوم تزول مريتهم لقوله ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه حتى تأتيهم الساعة
والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وان الله لهو خير الرازقين
ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه
الله ان الله لعفو غفور لما جمعتهم المهاجرة فى سبيل الله سوى بينهم فى الموعد وان يعطى من
مات منهم مثل ما يعطى من قتل تفضلا منه واحسانا والله عليم بدرجات العاملين ومراتب استحقاقهم
حليم عن تفريط المفرط منهم بفضله وكرمه روى ان طوائف من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالوا يا نبى الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا
ان متنا معك فانزل الله تعالى هاتين الآيتين تسمية الابتداء بالجزاء للملابسة من حيث انه سبب و
ذاك مسبب عنه كما يحملون النظير على النظير والنقيض على النقيض للملابسة فان قلت كيف طابق ذكر
العفو الغفور هذا الموضع قلت المعاقب مبعوث من جهة الله عز وجل على الاخلال بالعقاب و

العفو عن الجانى على طريق التنزيه لا التحريم ومندوب اليه ومستوجب عند الله المدح ان آثر ما
ندب اليه وسلك سبيل التنزيه فحين لم يؤثر ذلك وانتصر وعاقب ولم ينظر فى قوله تعالى فمن
عفا واصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوى ولمن صبر وغفر ان ذلك من عزم الامور
فان الله لعفو غفور اى لا يلومه على ترك ما بعثه عليه وهو ضامن لنصره عليه فى كرته الثانية
من اخلاله بالعفو وانتقامه من الباغى عليه ويجوز ان يضمن له النصر على الباغى ويعرض مع ذلك
بما كان اولى به من العفو ويلوح به بذكر هاتين الصفتين ودل بذكر العفو والمغفرة على انه قادر
على العقوبة لانه لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده ذلك بان الله يولج الليل فى النهار ويولج
النهار فى الليل وان الله سميع بصير ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه هو الباطل
وان الله هو العلى الكبير ذلك اى ذلك النصر بسبب انه قادر ومن آيات قدرته البالغة انه يولج
الليل فى النهار والنهار فى الليل وبسبب انه خالق الليل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجرى فيهما
على ايدى عباده من الخير والشر والبغى والانصاف وانه سميع لما يقولون بصير بما يفعلون فان قلت
ما معنى ايلاج احد الملوين فى الآخر قلت تحصيل ظلمة هذا فى مكان ضياء ذاك بغيبوبة الشمس وضياء
ذاك فى ظلمة هذا بطلوعها كما يضيء السرب بالسراج ويظلم بفقده وقيل هو زيادته فى احدهما ما
ينقص من الآخر من الساعات وقرئ يدعون بالتاء والياء وقرأ اليمانى وان ما يدعون بلفظ المبنى
للمفعول والواو راجعة الى ما لانه فى معنى الآلهة الم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح
الارض مخضرة ان الله لطيف خبير له ما فى السموات وما فى الارض وان الله لهو الغنى الحميد الم تر
ان الله سخر لكم ما فى الارض والفلك تجرى فى البحر بامره ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه
ان الله بالناس لرءوف رحيم وهو الذى احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ان الانسان لكفور اى ذلك
الوصف بخلق الليل والنهار والاحاطة بما يجرى فيهما وادراك كل قول وفعل بسبب انه الله الحق الثابت
الالهية وان كل ما يدعى الها دونه باطل الدعوة وانه لا شىء اعلى منه شأنا واكبر سلطانا وقرئ مخضرة
اى ذات خضر على مفعلة كمبقلة ومسبعة فان قلت هلا قيل فاصبحت ولم صرف الى لفظ المضارع

قلت لنكتة فيه وهي افادة بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول انعم علي فلان عام كذا فاروح
واغدوا شاكرا له ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع فان قلت فما له رفع ولم ينصب
جوابا للاستفهام قلت لو نصب لاعطى ما هو عكس الغرض لان معناه اثبات الاخضرار فينقلب
بالنصب الى نفي الاخضرار مثاله ان تقول لصاحبك الم تر اني انعمت عليك فتشكر ان نصبته
فانت ناف لشكره شاك تفريطه فيه وان رفعته فانت مثبت للشكر وهذا وامثاله مما يجب
ان يرغب له من اتسم بالعلم في علم الاعراب وتوقير اهله لطيف واصل علمه وفضله الى كل شيء خبير
بمصالح الخلق ومنافعهم ما في الارض من البهائم مذللة للركوب في البر ومن المراكب جارية في البحر وغير
ذلك من سائر المسخرات وقرئ والفلك بالرفع على الابتداء ان تقع كراهة ان تقع الا بمشيئته
احياكم بعد ان كنتم جمادا ترابا ونطفة وعلقة ومضغة لكفور لجحود لما افاض عليه من ضروب النعم
لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك في الامر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم
وان جادلوك فقل الله اعلم بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون الم تعلم ان الله
يعلم ما في السماء والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير • هو نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اي لا تلتفت الى قولهم ولا تمكنهم من ان ينازعوك او هو زجر لهم عن التعرض لرسول الله صلعم بالمنازعة في
الدين وهم جهال لا علم عندهم وهم كفار خزاعة روي ان بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان
الخزاعيين وغيرهما قالوا للمسلمين ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله يعنون الميتة
وقال الزجاج هو نهي له عن منازعتهم كما تقول لا يضاربنك فلان اي لا تضاربه وهذا جائز في
الفعل الذي لا يكون الا بين اثنين في الامر في امر الدين وقيل في امر النسائك وقرئ فلا ينزعنك اي
اثبت في دينك ثباتا لا يطمعون ان يجذبوك ليزيلوك عنه والمراد زيادة التثبيت لرسول
الله صلى الله عليه وسلم بما يهيج حميته ويلهب غضبه لله ولدينه ومنه قوله تعالى ولا يصدنك عن ايات
الله ولا تكونن من المشركين فلا تكونن ظهيرا للكافرين وهيهات ان ترتع همة رسول الله صلى الله
عليه وسلم حول ذلك الحمى ولكنه وارد على ما قلت لك من ارادة التهييج والالهاب وقال الزجاج

هو من نازعته فنزعته انزعه اي غلبته اي لا يغلبنك في المنازعة فان قلت لم جاءت نظيرة
هذه الاية معطوفة بالواو وقد نزعت عن هذه قلت لان تلك وقعت مع ما يدانيها ويناسبها
من الاي الواردة في امر النسائك فعطفت على اخواتها واما هذه فواقعة مع اباعد عن معناها
فلم تجد معطفا اي وان ابوا للجاجهم الا المجادلة بعد اجتهادك ان لا يكون بينك وبينهم تنازع
فادفعهم بان الله اعلم باعمالكم وبقبحها وبما تستحقون عليها من الجزاء فهو مجازيكم به وهذا وعيد
وانذار ولكن برفق ولين الله يحكم بينكم خطاب من الله للمؤمنين والكافرين اي يفصل بينكم بالثواب
والعقاب • مسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يلقى منهم وكيف يخفى عليه ما يعملون ومعلوم
عند العلماء بالله انه يعلم كل ما يحدث في السموات والارض وقد كتبه في اللوح قبل حدوثه والاحاطة
بذلك واثباته وحفظه عليه يسير لان العالم الذات لا يتعذر عليه ولا يمتنع تعلق بمعلوم •
ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير و
اذا تتلى عليهم اياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين
يتلون عليهم اياتنا قل افانبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير •
ويعبدون ما لم يتمسكوا في صحة عبادته ببرهان سماوي من جهة الوحي والسمع ولا الجاهم
اليها علم ضروري ولا حملهم عليها دليل عقلي وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من احد ينصرهم
ويصوب مذهبهم المنكر الفظيع من التجهم والبسور او الانكار كالمكرم بمعنى الاكرام وقرئ
يعرف المنكر والسطو الوثب والبطش وقرئ النار بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف كان قائلا
قال ما هو فقيل النار اي هو النار وبالنصب على الاختصاص وبالجر على البدل من بشر من ذلكم
من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم او مما اصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما تلي عليكم وعدها
الله استيناف كلام ويحتمل ان تكون النار مبتدأ ووعدها خبرا وان يكون حالا عنها اذا نصبتها
او جررتها باضمار قد • يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله
لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب

والمطلوب ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز فإن قلت الذي جاء به ليس بمثل
فكيف سماه مثلاً قلت قد سميت الصفة او القصة الرائعة الملتقاة بالاستحسان والاستغراب
مثلاً تشبيهاً لها ببعض الامثال المسيرة لكونها مستحسنة مستغربة عندهم قرئ يدعون بالتاء
والياء ويدعون مبنياً للمفعول لن اخت لا في نفي المستقبل الا ان لن تنفيه نفياً مؤكداً وتأكيد
هنا الدلالة على ان خلق الذباب منهم مستحيل مناف لاحوالهم كانه قال محال ان يخلقوا فإن
قلت ما محل ولو اجتمعوا له قلت النصب على الحال كانه قال مستحيل ان يخلقوا الذباب مشروطاً عليهم اجتماعهم
جميعاً لخلقه وتعاونهم عليه وهذا من ابلغ ما انزله الله في تجهيل قريش واستركاك عقولهم والشهادة
على ان الشيطان قد خزمهم بخزائمه حيث وصفوا بالالهية التي تقتضي الاقتدار على المقدورات كلها
والاحاطة بالمعلومات عن آخرها صوراً وتماثيل يستحيل منها ان تقدر على اقل ما خلقه الله واذله
واصغره واحقره ولو اجتمعوا لذلك وتساندوا وادل من ذلك على عجزهم وانتفاء قدرتهم ان هذا
الخلق الاقل الاذل لو اختطف منهم شيئاً فاجتمعوا على ان يستخلصوه منه لم يقدروا وقوله ضعف
الطالب والمطلوب كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف ولو حققت وجدت الطالب اضعف
واضعف لان الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب وذلك مغلوب وعن ابن عباس انهم كانوا
يطلونها بالزعفران ورؤوسها بالعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله
ما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوه حق معرفته حتى لا يسموا باسمه من هو منسلخ عن صفاته بأسرها
ولا يؤهلوه للعبادة ولا يتخذوه شريكاً له ان الله قادر غالب فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيهاً به
الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس ان الله سميع بصير يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى الله ترجع
الامور يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون هذا رد لما انكروه
من ان يكون الرسول من البشر وبيان ان رسل الله على ضربين ملائكة وبشر ثم ذكر انه تعالى دراك
للمدركات عالم باحوال المكلفين ما مضى منها وما غبر لا تخفى عليه منهم خافية واليه مرجع الامور
كلها والذي هو بهذه الصفات لا يسأل عما يفعل وليس لاحد ان يعترض عليه في حكمه وتدابيره

واختيارهم وصلته للذكر شأن ليس لغيره من الطاعات وفي هذه السورة دلالات على ذلك فمن ثم
دعا المؤمنين اولاً الى الصلاة التي هي ذكر خالص ثم الى العبادة بغير الصلاة كالصوم والحج والغزو
ثم عمم بالحث على سائر الخيرات وقيل كان الناس اول ما اسلموا يسجدون بلا ركوع ويركعون بلا
سجود فامروا ان تكون صلاتهم بركوع وسجود وقيل معنى واعبدوا ربكم اقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه
الله تعالى وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله وافعلوا الخير صلة الارحام ومكارم الاخلاق لعلكم
تفلحون اي افعلوا هذا كله وانتم راجون للفلاح طامعون فيه غير مستيقنين ولا تتكلوا على
اعمالكم وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله في سورة الحج سجدتان قال نعم ان لم تسجدهما
فلا تقرأها وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فضلت سورة الحج بسجدتين وبذلك احتج الشافعي
عنه وعن ابيه
فرأى سجدتين في سورة الحج وابو حنيفة رضي الله عنه واصحابه لا يرون فيها الا سجدة واحدة
لانهم يقولون قرن السجود بالركوع فدل ذلك على انها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة وجاهدوا
في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين
من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس فاقيموا الصلاة وآتوا
الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير وجاهدوا امر بالغزو وبمجاهدة النفس
والهوى وهو الجهاد الاكبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه رجع من بعض غزواته فقال رجعنا من الجهاد
الاصغر الى الجهاد الاكبر في الله اي في ذات الله ومن اجله يقال هو حق عالم وجد عالم اي عالم حقاً
وجداً ومنه حق جهاده فان قلت ما وجه هذه الاضافة وكان القياس حق الجهاد فيه او حق
جهادكم فيه كما قال وجاهدوا في الله قلت الاضافة تكون بادنى ملابسة واختصاص فلما كان الجهاد
مختصاً بالله من حيث انه مفعول لوجهه ومن اجله صحت اضافته اليه ويجوز ان يتسع في الظرف
كقوله ويوم شهدناه سليماً وعامراً اجتباكم اختاركم لدينه ولنصرته وما جعل عليكم في الدين
من حرج فتح باب التوبة للمجرمين وفسح بانواع الرخص والكفارات والديات والاروش
ونحوه قوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وامة محمد صلى الله عليه وسلم هي الامة المرحومة

الموسومة بذلك في الكتب المتقدمة نصب الملة بمضمون ما تقدمها كأنه قيل وسّع دينكم توسعة
ملة أبيكم ثم حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه أو على الاختصاص أي أعني بالدين ملة أبيكم
كقولك الحمد لله الحميد فإن قلت لم يكن إبراهيم صلوات الرحمن عليه أبا للأمة كلها قلت هو أبو رسول
الله صلى الله عليه وسلم فكان أبا لأمته لأن أمة الرسول في حكم أولاده هو يرجع إلى الله تعالى وقيل إلى إبراهيم
صلوات الله عليه ويشهد للقول الأول قراءة أبي بن كعب رضي الله عنه الله سماكم من قبل وفي هذا أي من
قبل القرآن في سائر الكتب وفي القرآن أي فضلكم على الأمم وسماكم بهذا الاسم الأكرم ليكون الرسول
شهيدا عليكم أنه قد بلغكم وتكونوا شهداء على الناس بأن الرسل قد بلغتهم وإذ خصكم بهذه الكرامة و
الأثرة فاعبدوه وثقوا به ولا تطلبوا النصرة والولاية إلا منه فهو خير مولى وناصر عن رسول الله صلعم
من قرأ سورة الحج أعطي من الأجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي

سورة المؤمنين مكية وهي مائة وتسع عشرة آية وثماني عشرة عند الكوفيين

بسم الله الرحمن الرحيم • قد أفلح المؤمنون الذين
هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكوة فاعلون والذين هم
لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك
هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون
الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون • قد نقيضة لما هي تثبت المتوقع ولما تنفيه ولا شك
أن المؤمنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة وهي الإخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل على ثبات
ما توقعوه والفلاح الظفر بالمراد وقيل البقاء في الخير وأفلح دخل في الفلاح كأبشر دخل في البشارة ويقال
أفلحه أصاره إلى الفلاح وعليه قراءة طلحة بن مصرف أفلح على البناء للمفعول وعنه أفلحوا على أكلوني
البراغيث أو على الإبهام والتفسير وعنه أفلح بضمة بغير واو اجتزاء بها عنها كقوله فلو أن الأطباء
كان حولي فإن قلت ما المؤمن قلت هو في اللغة المصدق وأما في الشريعة فقد اختلف فيه على
قولين أحدهما أن كل من نطق بالشهادتين مواطئا قلبه لسانه فهو مؤمن والآخر أنه صفة مدح لا

يستحقها إلا البر التقي دون الفاسق الشقي والخشوع في الصلوة خشية القلب وإلباد البصر عن قتادة
وهو إلزامه موضع السجود وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يصلي رافعا بصره إلى السماء فلما نزلت هذه
الآية رمى ببصره نحو مسجده وكان الرجل من العلماء إذا قام إلى الصلوة هاب الرحمن أن يشد بصره إلى
شيء أو يحدث نفسه بشأن من شأن الدنيا وقيل هو جمع الهمة لها والإعراض عما سواها ومن الخشوع أن
يستعمل الآداب فيتوقى كف الثوب والعبث بجسده وثيابه والالتفات والتمطي والتثاؤب والتغميض
وتغطية الفم والسدل والفرقعة والتشبيك والاختصار وتقليب الحصى روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه أبصر رجلا يعبث بلحيته في الصلوة فقال لو خشع قلبه خشعت جوارحه ونظر الحسن إلى رجل يعبث
بالحصا وهو يقول اللهم زوجني الحور العين فقال بئس الخاطب أنت تخطب وأنت تعبث فإن قلت
لم أضيفت الصلوة إليهم قلت لأن الصلوة دائرة بين المصلي والمصلى له فالمصلي هو المنتفع بها
وحده وهي عدته وذخيرته فهي صلاته وأما المصلى له فغني متعال عن الحاجة إليها والانتفاع
بها اللغو ما لا يعنيك من قول أو فعل كاللعب والهزل وما توجب المروءة إلغاءه واطراحه يعني
أن بهم من الجد ما يشغلهم عن الهزل لما وصفهم بالخشوع في الصلوة أتبعه الوصف بالإعراض عن
اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الأنفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف الزكوة
اسم مشترك بين عين ومعنى فالعين القدر الذي يخرجه المزكي من النصاب إلى الفقير والمعنى
فعل المزكي الذي هو التزكية وهو الذي أراده الله فجعل المزكين فاعلين له ولا يسوغ فيه غيره
لأنه ما من مصدر إلا يعبر عن معناه بالفعل ويقال لمحدثه فاعل تقول للضارب فاعل الضرب وللقاتل
فاعل القتل وللمزكي فاعل التزكية وعلى هذا الكلام كله والتحقيق فيه أنك تقول في جميع الحوادث
من فاعل هذا فيقال لك فاعله الله أو بعض الخلق ولم يمتنع الزكوة الدالة على العين أن يتعلق بها
فاعلون لخروجها من صحة أن يتناولها الفاعل ولكن لأن الخلق ليسوا بفاعليها وقد أنشد لأمية بن
أبي الصلت • المطعمون الطعام في السنة الأزمة والفاعلون للزكوات • ويجوز أن يراد بالزكوة
العين ويقدر مضاف محذوف وهو الأداء وحمل البيت على هذا أصح لأنها فيه مجموعة على أزواجهم

في موضع الحال اى الا والين على ازواجهم او قوامين عليهن من قولك كان فلان على فلانة فمات عنها
فخلف عليها فلان ونظيره كان زياد على البصرة اى واليا عليها ومنه قولهم فلانة تحت فلان ومن
ثم سميت المرأة فراشا والمعنى انهم لفروجهم حافظون في كافة الاحوال الا في حال تزوجهم او تسريهم او
تعلق على محذوف يدل عليه غير ملومين كانه قيل يلامون الا على ازواجهم اى يلامون على كل
مباشر الا على ما اطلق لهم فانهم غير ملومين عليه او تجعله صلة لحافظين من قولك احفظ على عنان
فرسي على تضمينه معنى النفي كما ضمن قولهم نشدتك بالله الا فعلت معنى ما طلبت منك الا فعلك فان قلت
هلا قيل من ملكت قلت لانه اريد من جنس العقلاء ما يجرى مجرى غير العقلاء وهم الاناث جعل المستثنى
حدا اوجب الوقوف عنده ثم قال فمن احدث ابتغاء وراء هذا الحد مع فسحته واتساعه وهو اباحة
اربع من الحرائر ومن الاماء ما شئت فاولئك هم الكاملون في العدوان المتناهون فيه فان قلت هل فيه
دليل على تحريم المتعة قلت لا لان المنكوحة نكاح المتعة من جملة الازواج اذا صح النكاح وقرئ لامانتهم
سمى الشئ المؤتمن عليه والمعاهد عليه امانة وعهدا ومنه قوله عز وعلا ان الله يامركم ان تؤدوا
الامانات الى اهلها وقال وتخونوا اماناتكم وانما تؤدى العيون لا المعاني ويخان المؤتمن عليه لا الامانة
في نفسها والراعي القائم على الشئ بحفظ واصلاح كراعي الغنم وراعي الرعية ويقال من راعي هذا الشئ
اى متوليه وصاحبه ويحتمل العموم في كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله عز وجل ومن جهة
الخلق والخصوص فيما حملوه من امانات الناس وعهودهم وقرئ على صلوتهم فان قلت كيف كرر ذكر
الصلوة اولا وآخرا قلت هما ذكران مختلفان فليس بتكرير وصفوا اولا بالخشوع في صلوتهم وآخرا
بالمحافظة عليها وذلك ان لا يسهوا عنها ويؤدوها في اوقاتها ويقيموا اركانها ويوكلوا نفوسهم بالاهتمام بها
وبما ينبغي ان تتم به اوصافها وايضا فقد وحدت اولا ليفاد الخشوع في جنس الصلوة اى صلوة كانت
وجمعت آخرا لتفاد المحافظة على اعدادها وهي الصلوات الخمس والوتر والسنن المرتبة مع كل صلوة
وصلوة الجمعة والعيدين والجنازة والاستسقاء والكسوف والخسوف وصلوة الضحى والتهجد وصلوة
التسبيح وصلوة الحاجة وغيرها من النوافل اى اولئك الجامعون لهذه الاوصاف هم الوارثون الاحقاء

بان يسموا وراثا دون من عداهم ثم ترجم الوارثين بقوله الذين يرثون الفردوس فجاء بفخامة وجزالة
لارثهم لا تخفى على الناظر ومعنى الارث ما مر في سورة مريم انث الفردوس على تاويل الجنة وهو البستان
الواسع الجامع لاصناف الثمر روى ان الله عز وجل بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من
فضة وجعل خلالها المسك الاذفر وفي رواية لبنة من مسك مذرى وغرس فيها من جيد الفاكهة
وجيد الريحان • ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا
النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر
فتبارك الله احسن الخالقين • السلالة الخلاصة لانها تسل من بين الكدر وفعالة بناء للقلة كالقلامة
والقمامة وعن الحسن ما بين ظهراني الطين فان قلت ما الفرق بين من ومن قلت الاول للابتداء
والثاني للبيان كقوله من الاوثان فان قلت ما معنى جعلنا الانسان نطفة قلت معناه انه خلق جوهر
الانسان اولا طينا ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة القرار المستقر والمراد الرحم وصفت بالمكانة
التي هي صفة المستقر فيها كقولك طريق سائر او بمكانتها في نفسها لانها مكنت بحيث هي واحرزت
وقرئ عظما فكسونا العظم وعظاما فكسونا العظام وعظما فكسونا العظام وعظاما فكسونا العظم
وضع الواحد مكان الجمع لزوال اللبس لان الانسان ذو عظام كثيرة خلقا آخر اى خلقا مباينا للخلق
الاول مباينة ما ابعدها حيث جعله حيوانا وكان جمادا وناطقا وكان ابكم وسميعا وكان اصم وبصيرا
وكان اكمه واودع باطنه وظاهره بل كل عضو من اعضائه وكل جزء من اجزائه عجائب فطرة و
غرائب حكمة لا تدرك بوصف الواصف ولا تبلغ بشرح الشارح وقد احتج به ابو حنيفة رحمه الله فيمن
غصب بيضة فافرخت عنده قال يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لانه خلق آخر سوى البيضة فتبارك
الله فتعالى امره في قدرته وعلمه احسن الخالقين اى احسن المقدرين تقديرا فترك ذكر المميز
لدلالة الخالقين عليه ونحوه طرح المأذون فيه في قوله اذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة وروى
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ قوله خلقا آخر قال فتبارك الله احسن
الخالقين وروى ان عبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلعم فنطق بذلك قبل املائه

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب هكذا نزلت فقال عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فانا نبي يوحى
الي فلحق بمكة كافرا ثم اسلم يوم الفتح • ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيمة تبعثون • قرأ ابن
ابي عبلة وابن محيصن لمائتون والفرق بين الميت والمائت ان الميت كالحي صفة ثابتة واما
المائت فيدل على الحدوث تقول زيد مائت الآن ومائت غدا كقولك يموت ونحوهما ضيق وضائق
في قوله تعالى وضائق به صدرك جعل الاماتة التي هي اعدام الحيوة والبعث الذي هو اعادة ما يفنيه و
يعدمه دليلين ايضا على اقتدار عظيم بعد الانشاء والاختراع فان قلت فاذن لا حيوة الا حيوة الانشاء
وحيوة البعث قلت ليس في ذكر الحيوتين نفي الثالثة هي حيوة القبر كما لو ذكرت ثلثي ما عندك وطويت
ذكر ثلثه لم يكن دليلا على ان الثلث ليس عندك وايضا فالغرض ذكر هذه الاجناس الثلثة الانشاء
والاماتة والاعادة والمطوي ذكرها من جنس الاعادة • ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا
عن الخلق غافلين • وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض وانا على ذهاب به لقادرون •
الطرائق السموات لانه طورق بعضها فوق بعض كمطارقة النعل وكل شيء فوقه مثله فهو طريقة
او لانها طرق الملائكة ومتقلباتهم وقيل الافلاك لانها طرائق الكواكب فيها مسيرها اراد بالخلق
السموات كانه قال خلقناها فوقهم وما كنا عنها غافلين وعن حفظها وامساكها ان تقع فوقهم بقدرتنا
او اراد به الناس وانه انما خلقها فوقهم ليفتح عليهم الارزاق والبركات منها وينفعهم بانواع منافعها وما
كان غافلا عنهم وعما يصلحهم بقدر بتقدير يسلمون معه من المضرة ويصلون الى المنفعة او بمقدار ما علمنا
من حاجاتهم ومصالحهم فاسكناه في الارض كقوله فسلكه ينابيع في الارض وقيل جعلناه ثابتا في الارض
وقيل انها خمسة انهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهرا العراق والنيل نهر
مصر انزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع
للناس في اصناف معايشهم وكما قدر على انزاله فهو قادر على رفعه وازالته وقوله على ذهاب به من اوقع النكرات
واحزها للمفصل والمعنى على وجه من وجوه الذهاب به وطريق من طرقه وفيه ايذان باقتدار المذهب
وانه لا يتعايا عليه شيء اذا اراده وهو ابلغ في الايعاد من قوله قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين

فعلى العباد ان يستعظموا النعمة في الماء ويقيدوها بالشكر الدائم ويخافوا نفارها اذا لم تشكر فانشانا
لكم به جنات من نخيل واعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تاكلون • خص هذه الانواع الثلثة لانها
اكرم الشجر وافضلها واجمعها للمنافع ووصف النخل والعنب بان ثمرهما جامع بين امرين انه فاكهة
يتفكه بها وطعام يؤكل رطبا ويابسا رطبا وعنبا وتمرا وزبيبا والزيتون بان دهنه صالح للاستصباح
والاصطباغ جميعا ويجوز ان يكون قوله ومنها تاكلون من قولهم ياكل فلان من حرفة يحترفها ومن ضيعة
يغتلها ومن تجارة يتربح بها يعنون انها طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه كانه قال وهذه الجنات
وجوه ارزاقكم ومعايشكم منها ترزقون وتتعيشون • وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ
للآكلين • وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تاكلون وعليها وعلى
الفلك تحملون • وشجرة عطف على جنات وقرئت مرفوعة على الابتداء اي ومما انشئ لكم شجرة طور سيناء
وطور سينين لا يخلو اما ان يضاف فيه الطور الى بقعة اسمها سيناء وسينون واما ان يكون اسما للجبل مركبا من
مضاف ومضاف اليه كامرئ القيس وكبعلبك فيمن اضاف فمن كسر سين سيناء فقد منع الصرف للتعريف
والعجمة او التانيث لانها بقعة وفعلاء لا يكون الفه للتانيث كعلباء وحرباء فلم يصرف لان الالف
للتانيث كصحراء وقيل هو جبل فلسطين وقيل بين مصر وايلة ومنه نودي موسى وقرأ الاعمش سينا
على القصر بالدهن في موضع الحال اي تنبت وفيها الدهن وقرئ تنبت وفيه وجهان احدهما ان انبت
بمعنى نبت وانشد لزهير رايت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطينا لهم حتى اذا انبت البقل • والثاني ان
مفعوله محذوف اي تنبت زيتونها وفيه الزيت وقرئ تنبت بضم التاء وفتح الباء وحكمه حكم تنبت و
قرأ ابن مسعود تخرج الدهن وصبغ الآكلين وغيره تخرج بالدهن وفي حرف ابي تثمر بالدهن وعن بعضهم
تنبت بالدهان وقرأ الاعمش وصبغا وقرئ وصباغ ونحوهما دبغ ودباغ والصبغ الغمس للائتدام
وقيل هي اول شجرة نبتت بعد الطوفان ووصفها الله تعالى بالبركة في قوله توقد من شجرة مباركة وقرئ
تسقيكم بتاء مفتوحة اي تسقيكم الانعام ومنها تاكلون اي تتعلق بها منافع من الركوب والحمل وغير ذلك
كما تتعلق بما لا يؤكل لحمه من البغال والحمير والخيل وفيها منفعة زائدة وهي الاكل الذي هو انتفاع بذواتها

والقصد بالانعام الى الابل لانها هى المحمول عليها فى العادة وقرنها بالفلك التى هى السفائن لانها سفائن البر
قال ذو الرمة • سفينة برّ تحت خدّى زمامها • يريد صيدحه • ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم
اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون • غيره بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ والجملة استئناف
تجرى مجرى التعليل للامر بالعبادة افلا تتقون افلا تخافون ان ترفضوا عبادة الله الذى هو ربكم
وخالقكم ورازقكم وشكر نعمته التى لا تحصونها واجب عليكم ثم تذهبوا فتعبدون غيره مما ليس من استحقاق
العبادة فى شىء • فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء الله
لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين • ان يتفضل عليكم ان يطلب الفضل عليكم ويترأسكم كقوله
تعالى وتكون لكما الكبرياء فى الارض بهذا اشارة الى نوح عم او الى ما كلمهم به من الحث على عبادة الله اى ما
سمعنا بمثل هذا الكلام او بمثل هذا الذى يدعى وهو بشر انه رسول الله وما اعجب شأن الضلال لم
يرضوا للنبوة ببشر وقد رضوا للالهية بحجر وقولهم ما سمعنا بهذا يدل على انهم وآباءهم كانوا فى فترة
متطاولة او تكذبوا فى ذلك لانهماكهم فى الغى وتشمرهم لان يدفعوا الحق بما امكنهم وبما عنّ لهم من غير
تمييز منهم بين صدق وكذب • ان هو الا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين • الا تراهم كيف جننوه و
قد علموا انه ارجح الناس عقلا واوزنهم قولا والجنة الجنون او الجن اى به جن يخبلونه حتى حين
اى احتملوه واصبروا عليه الى زمان حتى ينجلى لكم عن عاقبة فان افاق من جنونه والا قتلتموه • قال
رب انصرنى بما كذبون • فى نصرته اهلاكهم فكانه قال اهلكهم بسبب تكذيبهم اياى او انصرنى بدل ما كذبونى
كما يقول هذا بذاك اى بدل ذاك ومكانه والمعنى ابدلنى من غم تكذيبهم سلوة النصرة عليهم او انصرنى
بانجاز ما وعدتهم من العذاب وهو ما كذبوه فيه حين قال لهم انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم • فاوحينا
اليه ان اصنع الفلك باعيننا ووحينا فاذا جاء امرنا وفار التنور • باعيننا بحفظنا وكلاءتنا كان معه من
الله حفاظا يكلؤنه بعيونهم لئلا يتعرض له ولا يفسد عليه مفسد عمله ومنه قولهم عليه من الله عين
كالئة ووحينا اى نأمرك كيف تصنع ونعلمك روى انه اوحى اليه ان يصنعها على مثال جؤجؤ الطائر
روى انه قيل لنوح اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب انت ومن معك فى السفينة فلما نبع الماء من

التنور اخبرته امرأته فركب وقيل كان تنور آدم وكان من حجارة فصار الى نوح واختلف فى مكانه فعن
الشعبى فى مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلى باب كندة وكان نوح عمل السفينة وسط المسجد وقيل
بالشام بموضع يقال له عين وردة وقيل بالهند وعن ابن عباس التنور وجه الارض وعن قتادة اشرف
موضع فى الارض اى اعلاه وعن على رضى الله عنه فار التنور طلع الفجر وقيل معناه ان فوران التنور
كان عند تنوير الفجر وقيل هو مثل كقولهم حمى الوطيس والقول هو الاول • فاسلك فيها من كل
زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون
فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين • يقال سلك
فيه دخله وسلك غيره واسلكه قال حتى اذا اسلكوهم فى قتائدة • من كل زوجين من كل امتى
زوجين وهما امة الذكر وامة الانثى كالجمال والنوق والحصن والرماك اثنين واحدين مزدوجين
كالجمل والناقة والحصان والرمكة روى انه لم يحمل الا ما يلد ويبيض وقرئ من كل بالتنوين
اى من كل امة زوجين واثنين تأكيد وزيادة بيان جئ بعلى مع سبق الضار كما جئ باللام مع
سبق النافع قال الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين
ونحوه قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقول عمر رضى الله عنه ليتها كانت كفافا لا علىّ ولا لى
فان قلت لم نهاه عن الدعاء لهم بالنجاة قلت لما تضمنته الآية من كونهم ظالمين وايجاب الحكمة ان
يغرقوا لا محالة لما عرف من المصلحة فى اغراقهم والمفسدة فى استبقائهم وبعد ان املى لهم ا
المتطاول فلم يزيدوا الا ضلالا ولزمتهم الحجة البالغة لم يبق الا ان يجعلوا عبرة
بالغ فى ذلك حيث اتبع النهى عنه الامر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم كقوله عز وجل فقطع دابر
القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين • وقل رب انزلنى منزلا مباركا وانت خير المنزلين • ثم
امره ان يدعوه بدعاء هو اهم وانفع له وهو طلب ان ينزله فى السفينة او فى الارض عند
خروجه منها منزلا يبارك له فيه ويعطيه الزيادة فى خير الدارين وان يشفع الدعاء بالثناء
عليه المطابق لمسألته وهو قوله وانت خير المنزلين فان قلت هلا قيل فقولوا لقوله فاذا

استويت انت ومن معك لانه في معنى فاذا استويتم قلت لانه نبيهم وامامهم وكان قوله قولهم مع ما
فيه من الاشعار بفضل النبوة واظهار كبرياء الربوبية وان رتبة تلك المخاطبة لا يترقى اليها الا ملك
او نبي وقرئ منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال كقوله ليدخلنهم مدخلا يرضونه • ان في ذلك لايات
وان كنا لمبتلين • ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بين النافية وبينها والمعنى وان
الشان والقصة كنا مبتلين اي مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد او مختبرين بهذه الايات
عبادنا لننظر من يعتبر ويذكر كقوله ولقد تركناها آية فهل من مدكر • ثم انشانا من بعدهم قرنا
آخرين • قرنا آخرين هم عاد قوم هود عن ابن عباس وتشهد له حكاية الله قول هود واذكروا
اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ومجيء قصة هود على اثر قصة نوح في سورة الاعراف وسورة هود
والشعراء • فارسلنا فيهم رسولا منهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون فان قلت حق
ارسل ان يعدى بالى كاخواته التي هي وجه وانفذ وبعث فما باله عدي في القرآن بالى تارة وبفي
كقوله كذلك ارسلناك في امة وما ارسلنا في قرية من نذير فارسلنا فيهم رسولا اي في عاد وفي موضع آخر
والى عاد اخاهم هودا قلت لم يعد بفي كما عدي بالى ولم يجعل صلة مثله ولكن الامة او القرية جعلت
موضعا للارسال كما قال رؤبة • ارسلت فيها مصعبا ذا اقحام • وقد جاء بعث على ذلك في قوله ولو شئنا
لبعثنا في كل قرية نذيرا • ان مفسرة لارسلنا اي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله • وقال الملأ
من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة واترفناهم في الحيوة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم ياكل
مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون • فان قلت ذكر مقال قوم هود في جوابه في سورة الاعراف
وسورة هود بغير واو قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنريك في سفاهة قالوا ما نريك الا بشرا
مثلنا وههنا مع الواو فاي فرق بينهما قلت الذي بغير واو على تقدير سؤال سائل قال
فماذا قال قومه فقيل له قالوا كيت وكيت واما الذي مع الواو فعطف لما قالوه على ما قاله ومعناه
انه اجتمع في الحصول هذا الحق وهذا الباطل وشتان ما هما بلقاء الآخرة بلقاء ما فيها من الحساب و
الثواب والعقاب كقولك يا حبذا جوار مكة اي جوار الله في مكة حذف الضمير والمعنى من مشروبكم او

حذف منه لدلالة ما قبله عليه • ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون ايعدكم انكم اذا
لخاسرون ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون • اذا واقع في جزاء الشرط
وجواب للذين قاولوهم من قومهم اي تخسرون عقولكم وتغبنون في آرائكم ثنى انكم للتوكيد و
حسن ذلك لفصل ما بين الاول والثاني بالظرف ومخرجون خبر عن الاول او جعل انكم مخرجون
مبتدا واذا متم خبرا على معنى اخراجكم اذا متم ثم اخبر بالجملة عن انكم او رفع انكم مخرجون بفعل هو
جزاء للشرط كانه قيل اذا متم وقع اخراجكم ثم اوقعت الجملة الشرطية خبرا عن انكم وفي قراءة ابن مسعود
ايعدكم اذا متم • هيهات هيهات لما توعدون • قرئ هيهات بالفتح والكسر والضم كلها بتنوين وبلا
تنوين وبالسكون على لفظ الوقف فان قلت ما توعدون هو المستبعد ومن حقه ان يرتفع
بهيهات كما ارتفع في قوله • فهيهات هيهات العقيق واهله • فما هذه اللام قلت قال الزجاج
في تفسيره البعد لما توعدون او بعد لما توعدون فيمن نون فنزله منزلة المصدر وفيه وجه آخر
وهو ان يكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام في هيت
لك لبيان المهيت به • ان هي الا حيوتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين • هذا ضمير لا
يعلم ما يعني به الا بما يتلوه من بيانه واصله ان الحيوة الا حيوتنا الدنيا ثم وضع هي موضع الحيوة
لان الخبر يدل عليها ويبينها ومنه هي النفس تتحمل ما حملت وهي العرب تقول ما شاءت والمعنى
لا حيوة الا هذه الحيوة لان ان النافية دخلت على هي التي في معنى الحيوة الدالة على الجنس فنفتها
فوازنت لا التي نفت ما بعدها نفي الجنس نموت ونحيا اي يموت بعض ويولد بعض ينقرض قرن
وياتي قرن آخر • ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين قال رب انصرني بما
كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين • ثم قالوا ما هود الا مفتر على الله فيما يدعيه من استنبائه
له وفيما يعد من البعث وما نحن بمصدقين قليل صفة للزمان كقديم وحديث في قولك ما
رايته قديما ولا حديثا وفي معناه عن قريب وما توكيد بمعنى قلة المدة وقصرها • فاخذتهم الصيحة
بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين • الصيحة صيحة جبريل صاح عليهم فدمرهم بالحق

بالوجوب لانهم قد استوجبوا الهلاك او بالعذاب من الله من قولك فلان يقضي بالحق اذا كان عادلا
في قضاياه شبههم في دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلي واسود من الورق والعيدان ومنه قوله
فجعله غثاء احوى وقد جاء مشددا في قول امرئ القيس من السيل والغثاء فلكة مغزل بعدا وسحقا
ودفرا ونحوها مصادر موضوعة مواضع افعالها وهي من جملة المصادر التي قال سيبويه نصبت بافعال
لا يستعمل اظهارها ومعنى بعدا بعدوا اي هلكوا يقال بعد بعدا وبعدا نحو رشد رشدا ورشدا وللقوم
الظالمين بيان لمن دعي عليه بالبعد نحو هيت لك ولما توعدون ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين
ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون قرونا قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم وعن ابن عباس بني
اسرائيل اجلها الوقت الذي حد لهلاكها وكتب ثم ارسلنا رسلنا تترى كلما جاء امة رسولها كذبوه
فاتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم احاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون تترى فعلى الالف للتانيث لان
الرسل جماعة وقرئ تترا بالتنوين والتاء بدل من الواو كما في تولج وتيقور اي متواترين واحدا بعد
واحد من الوتر وهو الفرد اضاف الرسل اليه والى اممهم ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ولقد جاءتهم
رسلهم بالبينات لان الاضافة تكون بالملابسة والرسول يلابس المرسل والمرسل اليه جميعا فاتبعنا
الامم والقرون بعضهم بعضا في الاهلاك وجعلناهم اخبارا يسمر بها ويتعجب منها والاحاديث تكون
اسم جمع للحديث ومنه احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكون جمعا للاحدوثة التي هي مثل الاضحوكة
والالعوبة والاعجوبة وهي ما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا وهو المراد ههنا ثم ارسلنا موسى واخاه
هرون باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه فاستكبروا وكانوا قوما عالين فان قلت ما المراد
بالسلطان المبين قلت يجوز ان تراد العصا لانها كانت ام آيات موسى واولاها وقد تعلقت بها
معجزات شتى من انقلابها حية وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر
بضربهما بها وكونها حارسا وشمعة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشاء جعلت كانها ليست بعضها
لما استبدت به من الفضل فلذلك عطفت عليها كقوله تعالى وجبريل وميكال ويجوز ان تراد
الآيات انفسها اي هي آيات وحجة بينة عالين متكبرين ان فرعون علا في الارض

علوا في الارض اي متطاولين على الناس قاهرين بالبغي والظلم فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا و
قومهما لنا عابدون فكذبوهما فكانوا من المهلكين والبشر يكون واحدا وجمعا ومنه لبشرين
فاما ترين من البشر ومثل وغير يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث انكم اذا مثلهم
ومن الارض مثلهن ويقال ايضا هما مثلاه وهم امثاله ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم
وقومهما يعني بني اسرائيل كانهم يعبدوننا خضوعا وتذللا او لانه كان يدعي الالهية فادعى للناس
العبادة وان طاعتهم له عبادة على الحقيقة ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون موسى
الكتاب اي قوم موسى التوراة لعلهم يعملون بشرائعها ومواعظها كما قال على خوف من فرعون و
ملائهم يريد آل فرعون وكما يقولون هاشم وثقيف وتميم ويراد قومهم ولا يجوز ان يرجع الضمير في
لعلهم الى فرعون وملائه لان التوراة انما اوتيها بنو اسرائيل بعد اغراق فرعون وملائه ولقد آتينا
موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى وجعلنا ابن مريم وامه آية وآويناهما الى ربوة
ذات قرار ومعين فان قلت لو قيل آيتين هل كان يكون له وجه قلت نعم لان مريم ولدت من غير
مسيس وعيسى روح من الله القي فيها وقد تكلم في المهد وكان يحيي الموتى مع معجزات اخر فكان آية
من غير وجه واللفظ محتمل للتثنية على تقدير وجعلنا ابن مريم آية وامه آية ثم حذفت الاولى لدلالة
الثانية عليها الربوة والرباوة في رائها الحركات وقرئ ربوة ورباوة بالضم ورباوة بالكسر و
هي الارض المرتفعة قيل هي ايليا ارض بيت المقدس وانها كبد الارض واقرب الارض الى السماء بثمانية
عشر ميلا عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وعن الحسن فلسطين والرملة وعن ابي هريرة الزموا هذه
الرملة رملة فلسطين فانها الربوة التي ذكرها الله وقيل مصر والقرار المستقر من ارض مستوية منبسطة
وعن قتادة ذات ثمار وماء يعني انه لاجل الثمار يستقر فيها ساكنوها والمعين الماء الظاهر الجاري على وجه
الارض وقد اختلف في زيادة ميمه واصالته فوجه من جعله مفعولا انه مدرك بالعين لظهوره من عانه
اذا ادركه بعينه نحو ركبه اذا ضربه بركبته ووجه من جعله فعيلا انه نفاع بظهوره وجريه من الماعون
وهو المنفعة يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم هذا النداء و

الخطاب ليس على ظاهره وكيف والرسل انما ارسلوا متفرقين في ازمنة مختلفة وانما المعنى الاعلام
بان كل رسول في زمانه نودي لذلك ووصي به ليعتقد السامع ان امرا نودي له جميع الرسل و
وصوا به حقيق ان يؤخذ به ويعمل فيه والمراد بالطيبات ما حل وطاب وقيل طيبات الرزق حلال
وصاف وقوام فالحلال الذي لا يعصى الله تعالى فيه والصافي الذي لا ينسى الله فيه والقوام ما
يمسك النفس ويحفظ العقل او اريد ما يستطاب ويستلذ من المآكل والفواكه ويشهد له مجيئه على عقب
قوله وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ويجوز ان يقع هذا الاعلام عند ايواء عيسى ومريم
الى الربوة فذكر على سبيل الحكاية اي آويناهما وقلنا لهما هذا اي اعلمناهما ان الرسل كلهم خوطبوا
بهذا فكلا مما رزقنا كما واعملا صالحا اقتداء بالرسل • وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون
قرئ وان بالكسر على الاستيناف وان بمعنى ولان وان مخففة من الثقيلة وامتكم مرفوعة معها
فتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون • وقرئ زبرا جمع زبور اي كتبا مختلفة يعني جعلوا
دينهم اديانا وزبرا قطعا استعيرت من زبر الفضة والحديد وزبرا مخففة الباء كرسل في رسل
اي كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم فرح بباطله مطمئن معتقد انه على الحق
فذرهم في غمرتهم حتى حين • الغمرة الماء الذي يغمر القامة فضربت مثلا لما هم مغمورون فيه من
جهلهم وعمايتهم او شبهوا باللاعبين في غمرة الماء لما هم عليه من الباطل قال كانني ضارب في غمرة
لعب وعن علي رضي الله عنه في غمراتهم حتى حين الى ان يقتلوا او يموتوا تسلية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم بذلك ونهي عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تأخيره • ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين
نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون • وقرئ يمدهم ويسارع ويسرع بالياء والفاعل الله سبحانه
ويجوز في يسارع ويسرع ان يتضمن ضمير الممد به ويسارع مبنيا للمفعول والمعنى ان هذا الامداد
ليس الا استدراجا لهم الى المعاصي واستجرارا الى زيادة الاثم وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات
وفيما لهم فيه نفع واكرام ومعاجلة بالثواب قبل وقته ويجوز ان يراد في جزاء الخيرات كما يفعل باهل الخير
من المسلمين وبل استدراك لقوله ايحسبون يعني بل هم اشباه البهائم لا فطنة بهم ولا شعور حتى

يتأملوا ويتفكروا في ذلك اهو استدراج ام مسارعة في الخير فان قلت اين الراجع من خبر ان الى
اسمها اذا لم يستكن فيه ضميره قلت هو محذوف تقديره نسارع به ويسارع به ويسارع الله به كقوله
ان ذلك من عزم الامور اي ان ذلك منه وذلك لاستطالة الكلام مع امن الالباس • ان الذين
هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون و
الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون • يؤتون ما آتوا يعطون ما اعطوا
وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة يأتون ما أتوا اي يفعلون ما فعلوا وعنها انها قالت قلت
يا رسول الله هو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله قال لا يا ابنة الصديق
ولكن هو الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو على ذلك يخاف الله ان لا يقبل منه • اولئك يسارعون
في الخيرات وهم لها سابقون • يسارعون في الخيرات يحتمل معنيين احدهما ان يراد يرغبون في الطاعات
اشد الرغبة فيبادرونها والثاني انهم يتعجلون في الدنيا المنافع ووجوه الاكرام كما قال فآتاهم الله ثواب
الدنيا وحسن ثواب الآخرة وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين لانهم اذا
سورع بها لهم فقد سارعوا في نيلها وتعجلوها وهذا الوجه احسن طباقا للآية المتقدمة لان فيه
اثبات ما نفي عن الكفار للمؤمنين وقرئ يسرعون في الخيرات لها سابقون اي فاعلون السبق لاجلها
او اياها سابقون اي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا ويجوز ان يكون لها سابقون
خبرا بعد خبر ومعنى وهم لها كمعنى قوله انت لها احمد من بين البشر • ولا نكلف نفسا الا وسعها
ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم اعمال من دون ذلك
هم لها عاملون • يعني ان هذا الذي وصف به الصالحين غير خارج من حد الوسع والطاقة و
كذلك كل ما كلفه عباده وما عملوه من الاعمال فغير ضائع عنده بل هو مثبت لديه في كتاب يريد اللوح
او صحيفة الاعمال ناطق بالحق لا يقرؤون منه يوم القيامة الا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيه ولا
نقصان ولا يظلم منهم احدا واراد ان الله لا يكلف الا الوسع فان لم يبلغ المكلف ان يكون على صفة هؤلاء
السابقين بعد ان يستفرغ وسعه ويبذل طاقته فلا عليه ولدينا كتاب فيه عمل السابق والمقتصد

ولا نظلم احدا من حقه ولا نحطه دون درجته بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها من هذا اي مما عليه
هؤلاء الموصوفون من المؤمنين ولهم اعمال متجاوزة متخطية لذلك اي لما وصف به المؤمنون هم لها
معتادون وبها ضارون لا يفطمون عنها. حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون لا تجأروا
اليوم انكم منا لا تنصرون. حتى يأخذهم الله بالعذاب حتى هذه هي التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام
الجملة الشرطية والعذاب قتلهم يوم بدر او الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى اكلوا الجيف
والكلاب والعظام المحترقة والقد والاولاد الجؤار الصراخ باستغاثة قال جأر ساعات النيام
اي يقال لهم حينئذ لا تجأروا فان الجؤار غير نافع لكم منا لا تنصرون لا تغاثون ولا تمنعون منا او
جهتنا لا يلحقكم نصر ومعونة. قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا
تهجرون. قالوا الضمير في به للبيت العتيق او للحرم كانوا يقولون لا يظهر علينا احد لانا اهل الحرم
والذي سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت وانه لم يكن لهم مفخرة الا انهم ولاته والقائمون
به ويجوز ان يرجع الى آياتي الا انه ذكر لانها في معنى كتابي ومعنى استكبارهم بالقرآن تكذيبهم به استكبارا
ضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدي تعديته او يحدث لكم استماعه استكبارا وعتوا فانتم مستكبرون
بسببه او يتعلق الباء بسامرا اي تسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه كانوا يجتمعون حول البيت
بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم
او تهجرون والسامر نحو الحاضر في الاطلاق على الجمع وقرئ سمرا وسمارا وتهجرون وتهجرون
اهجر في منطقه اذا افحش والهجر بالضم الفحش ومن هجر الذي هو مبالغة في هجر اذا هذى والهجر
بالفتح الهذيان. افلم يدبروا القول ام جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين القول القرآن يقول افلم
يتدبروه ليعلموا انه الحق المبين فيصدقوا به وبمن جاء به بل اجاءهم ما لم يأت آباءهم فلذلك انكروه
واستبدعوه كقوله لتنذر قوما ما انذر آباؤهم فهم غافلون او ليخافوا عند تدبر آياته واقاصيصه مثل
ما نزل بمن قبلهم من المكذبين ام جاءهم من الامن ما لم يأت آباءهم حين خافوا الله فآمنوا به وبكتبه ورسله

واطاعوه وآباؤهم اسمعيل واعقابه من عدنان وقحطان وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا مضر ولا
ربيعة فانهما كانا مسلمين ولا تسبوا قسا فانه كان مسلما ولا تسبوا الحرث بن كعب ولا اسد بن
خزيمة ولا تميم بن مر فانهم كانوا على الاسلام وما شككتم فيه من شيء فلا تشكوا في ان تبعا كان مسلما
وروي في ان ضبة كان مسلما وكان على شرطة سليمن بن داود. ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون
ام لم يعرفوا محمدا وصحة نسبه وحلوله في سطة هاشم وامانته وصدقه وشهامته وعقله و
اتسامه بانه خير فتيان قريش والخطبة التي خطبها ابو طالب في نكاح خديجة بنت خويلد كفى
برغائها مناديا. ام يقولون به جنة بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون. الجنة الجنون وكانوا
يعلمون انه بريء منها وانه ارجحهم عقلا واثقبهم ذهنا ولكنه جاءهم بما خالف شهواتهم واهواءهم ولم
يوافق ما نشأوا عليه وسيط بلحومهم ودمائهم من اتباع الباطل ولم يجدوا له مردا ولا مدفعا لانه الحق
الابلج والصراط المستقيم فاخلدوا الى البهت وعولوا على الكذب من النسبة الى الجنون والسحر والشعر فان
قلت قوله واكثرهم فيه ان اقلهم كانوا لا يكرهون الحق قلت كان فيهم من يترك الايمان انفة واستنكافا
من توبيخ قومه وان يقولوا صبأ وترك دين آبائه لا كراهة للحق كما يحكى عن ابي طالب فان قلت
يزعم بعض الناس ان ابا طالب صح اسلامه قلت يا سبحان الله كان ابو طالب كان اخمل اعمام
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يشتهر اسلام حمزة والعباس ويخفى اسلام ابي طالب. ولو اتبع الحق
اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل اتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون دل
بهذا على عظم شان الحق وان السموات والارض ما قامت ولا من فيهن الا به فلو اتبع اهواءهم لانقلب
باطلا ولذهب ما يقوم به العالم فلا يبقى له بعده قوام او اراد ان الحق الذي جاء به محمد وهو الاسلام
لو اتبع اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيامة ولاهلك العالم ولم يؤخر وعن قتادة ان الحق هو الله و
معناه ولو كان الله الها يتبع اهواءهم ويامر بالشرك والمعاصي لما كان الها ولكان شيطانا ولما قدر
على ان يمسك السموات والارض بذكرهم اي بالكتاب الذي هو ذكرهم اي وعظهم او وصيتهم وفخرهم او
بالذكر الذي كانوا يتمنونه ويقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين وقرئ

بذكراهم • ام تسألهم خرجا فخراج ربك خير الرازقين وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم • قرئ خرجا
فخراج وخرجا فخرج وخرجا فخراج وهو ما تخرجه الى الامام من زكوة ارضك والى كل عامل من
اجرته وجعله وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك اداؤه والوجه ان الخرج اخص من
الخراج كقولك خراج القرية وخرج الكردة زيادة اللفظ لزيادة المعنى ولذلك حسنت قراءة من قرأ
خرجا فخراج ربك خير يعني ام تسألهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من عطاء الخالق خير
قد الزمهم الحجة في هذه الآيات وقطع معاذيرهم وعللهم بان الذي ارسل اليهم رجل معروف امره وحاله
مخبور سره وعلنه خليق بان يجتبى مثله للرسالة من بين ظهرانيهم وانه لم يعرض له حتى يدعي مثل
هذه الدعوى العظيمة بباطل ولم يجعل ذلك سلما الى النيل من دنياهم واستعطاء اموالهم ولم يدعهم
الا الى دين الاسلام الذي هو الصراط المستقيم مع ابراز المكنون من ادوائهم وهو اخلالهم بالتدبر
والتأمل واستهتارهم بدين الآباء الضلال من غير برهان وتعللهم بانه مجنون بعد ظهور الحق وثبات التصديق
من الله بالمعجزات والآيات النيرة وكراهتهم للحق واعراضهم عما فيه حظهم من الذكر • وان الذين لا يؤمنون
بالآخرة عن الصراط لناكبون • يحتمل ان هؤلاء وصفتهم انهم لا يؤمنون بالآخرة لناكبون اي عادلون
عن هذا الصراط المذكور وهو قوله الى صراط مستقيم وان كل من لا يؤمن بالآخرة فهو عن القصد ناكب •
ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم
وما يتضرعون حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون • لما اسلم ثمامة بن اثال
الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة من اهل مكة واخذهم الله بالسنين حتى اكلوا العلهز جاء ابو
سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين
قال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو الهزال
والقحط الذي اصابهم برحمته عليهم ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وافراطهم فيها ولذهب عنهم هذا الابلاس وهذا التملق بين يديه
يسترحمونه واستشهد على ذلك بانا اخذناهم اولا بالسيوف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم

واسرهم فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرع حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو اشد من
الاسر والقتل وهو اطم العذاب فابلسوا الساعة وخضعت رقابهم وجاء اعتاهم واشدهم شكيمة في
العناد يستعطفك او محناهم بكل محنة من القتل والجوع فما رؤي فيهم لين مقادة وهم كذلك حتى اذا
عذبوا بنار جهنم فحينئذ يبلسون كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون
والابلاس اليأس من كل خير وقيل السكوت مع التحير فان قلت ما وزن استكان قلت استفعل من
الكون اي انتقل من كون الى كون كما قيل استحال اذا انتقل من حال الى حال ويجوز ان يكون افتعل من السكون
اشبعت فتحة عينه كما جاء بمنتزاح فان قلت هلا قيل وما تضرعوا او فما يستكينون قلت لان المعنى
محناهم فما وجدت منهم عقيب المحنة استكانة وما من عادة هؤلاء ان يستكينوا ويتضرعوا حتى يفتح
عليهم باب العذاب الشديد وقرئ فتحنا • وهو الذي انشأ لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما
تشكرون • انما خص السمع والابصار والافئدة لانه يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يتعلق
بغيرها ومقدمة منافعها ان يعملوا ابصارهم واسماعهم في آيات الله وافعاله ثم ينظروا ويستدلوا بقلوبهم
ومن لم يعملها فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها كما قال عز وجل فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا
افئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات الله ومقدمة شكر النعمة فيها الاقرار بالمنعم بها وان لا يجعل
له ند وشريك اي تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتاكيد بمعنى حقا • وهو الذي ذرأكم في الارض
واليه تحشرون وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار افلا تعقلون • ذرأكم خلقكم
وبثكم بالتناسل واليه تجمعون يوم القيمة بعد تفرقكم وله اختلاف الليل والنهار اي هو مختص به وهو متوليه
ولا يقدر على تصريفهما غيره وقرئ يعقلون بالياء عن ابي عمرو • بل قالوا مثل ما قال الاولون قالوا
ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا
اساطير الاولين • اي قال اهل مكة كما قال الكفار قبلهم الاساطير جمع اسطار جمع سطر قال رؤبة
اني واسطار سطرن سطرا وهي ما كتبه الاولون مما لا حقيقة له وجمع اسطورة اوفق • قل لمن
الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون • قل من رب السموات السبع

رب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه
ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون • اى اجيبونى عما استعلمتكم منه ان كان عندكم فيه
علم وفيه استهانة بهم وتجويز لفرط جهالتهم بالديانات ان يجهلوا مثل هذا الظاهر البين وقرئ تذكرون
بحذف التاء الثانية ومعناه افلا تتذكرون فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها اختراعا كان قادرا
على اعادة الخلق وكان حقيقا بان لا يشرك به بعض خلقه فى الربوبية قرئ الاول باللام لا غير والاخيران
باللام وهو هكذا فى مصاحف اهل الحرمين والكوفة والشام وبغير اللام وهو هكذا فى مصاحف اهل
البصرة فباللام على المعنى لان قولك من ربه ولمن هو فى معنى واحد وبغير اللام على اللفظ ويجوز قراءة
الاول بغير لام ولكنها لم تثبت فى الرواية افلا تتقون افلا تخافونه فلا تشركوا به وتعصوا رسله اجرت فلانا
على فلان اذا اغثته منه ومنعته يعنى وهو يغيث من يشاء ممن يشاء ولا يغيث احد منه احدا تسحرون
تخدعون عن توحيده وطاعته والخادع هو الشيطان والهوى • بل اتيناهم بالحق وانهم لكاذبون
ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان
الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون • وقرئ اتيتهم واتيتهم بالفتح والضم بالحق
بان نسبة الولد اليه محال والشرك باطل وانهم لكاذبون حيث يدعون له ولدا ومعه شريكا لذهب
كل اله بما خلق لانفرد كل واحد من الالهة بخلقه الذى خلقه واستبد به ولرايتم ملك كل واحد منهم
متميزا من ملك الاخرين ولغلب بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متمايزة وهم متغالبون
وحين لم تروا اثرا لتمايز الممالك والتغالب فاعلموا انه اله واحد بيده ملكوت كل شيء فان قلت اذن
لا تدخل الا على كلام هو جزاء وجواب فكيف وقع قوله لذهب جزاء وجوابا ولم يتقدمه شرط ولا
سؤال سائل قلت الشرط محذوف تقديره ولو كان معه آلهة وانما حذف لدلالة قوله وما كان معه من اله
عليه وهو جواب لمن معه المحاجة من المشركين عما يصفون من الانداد والاولاد عالم الغيب بالجر صفة لله
وبالرفع خبر مبتدا محذوف • قل رب اما تريني ما يوعدون فلا تجعلني فى القوم الظالمين وانا على ان
نريك ما نعدهم لقادرون • ما والنون مؤكدتان اى ان كان لا بد من ان تريني ما تعدهم من العذاب فى

الدنيا او فى الآخرة فلا تجعلنى قرينا لهم ولا تعذبنى بعذابهم عن الحسن اخبره الله ان له فى امته نقمة ولم
يخبره أفى حياته ام بعد موته فامره ان يدعو بهذا الدعاء فان قلت كيف يجوز ان يجعل الله نبيه المعصوم
مع الظالمين حتى يطلب ان لا يجعله معهم قلت يجوز ان يسأل العبد ربه ما علم انه يفعله اظهارا للعبودية
وتواضعا لربه واخباتا له واستغفاره صلى الله عليه وسلم اذا قام من مجلسه سبعين مرة او مائة مرة
لذلك وما احسن قول الحسن فى قول ابى بكر الصديق رضى الله عنه وليتكم ولست بخيركم كان يعلم انه
خيرهم ولكن المؤمن يهضم نفسه وقرئ اما ترئنى بالهمز كما قرئ فاما ترئن ولترؤن الجحيم وهى ضعيفة
وقوله رب مرتين قبل الشرط وقبل الجزاء حث على فضل تضرع وجؤار كانوا ينكرون الموعد بالعذاب
ويضحكون منه واستعجالهم له لذلك فقيل لهم ان الله قادر على انجاز ما وعد ان تأملتم فما وجه الانكار
ادفع بالتى هى احسن السيئة نحن اعلم بما يصفون • هو ابلغ من ان يقال بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل
كانه قال ادفع بالحسنى السيئة والمعنى الصفح عن اساءتهم ومقابلتها بما امكن من الاحسان حتى اذا اجتمع
الصفح والاحسان وبذل الاستطاعة فيه كانت حسنة مضاعفة بازاء سيئة وهذه قضية قوله بالتى
هى احسن وعن ابن عباس هى شهادة ان لا اله الا الله والسيئة الشرك وعن مجاهد السلام يسلم عليه
اذا لقيه وعن الحسن الاغضاء والصفح وقيل هى منسوخة باية السيف وقيل محكمة لان المداراة محثوث
عليها ما لم تؤد الى ثلم دين وازراء بمروءة بما يصفون بما يذكرونه من احوالك بخلاف صفتها او بوصفهم لك
وسوء ذكرهم والله اعلم بذلك منك واقدر على جزائهم • وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين
واعوذ بك رب ان يحضرون • الهمز النخس والهمزات جمع المرة منه ومنه مهماز الرائض والمعنى ان
الشياطين يحثون الناس على المعاصى ويغرونهم عليها كما تهمز الراضة الدواب حثا لها على المشى ونحو
الهمز الاز فى قوله تؤزهم ازا امر بالتعوذ من نخساتهم بلفظ المبتهل الى ربه المكرر لندائه وبالتعوذ
من ان يحضروه اصلا ويحوموا حوله وعن ابن عباس عند تلاوة القرآن وعن عكرمة عند النزع •
حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون لعلى اعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن
ورائهم برزخ الى يوم يبعثون • حتى يتعلق بيصفون اى لا يزالون على سوء الذكر الى هذا الوقت والآية

فاصلة بينهما على وجه الاعتراض والتاكيد للاغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان ان يستنزله عن
الحلم ويغريه على الانتصار منهم او على قوله وانهم لكاذبون خطاب الله بلفظ الجمع للتعظيم كقوله فان شئت
حرمت النساء سواكم • وقوله الا فارحمونى يا اله محمد • اذا ايقن بالموت واطلع على حقيقة الامر ادركته
الحسرة على ما فرط فيه من الايمان والعمل الصالح فيه فسال ربه الرجعة وقال لعلى اعمل صالحا فى الايمان
الذى تركته والمعنى لعلى آتى بما تركته من الايمان واعمل فيه صالحا كما تقول لعلى ابنى على اس تريد اوس
اسا وابنى عليه وقيل فيما تركت من المال وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك
الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله واما الكافر فيقول رب ارجعون كلا ردع
عن طلب الرجعة وانكار واستبعاد والمراد بالكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض وهى
قوله لعلى اعمل صالحا فيما تركت هو قائلها لا محالة لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة عليه وتسلط
الندم او هو قائلها وحده لا يجاب اليها ولا تسمع منه ومن ورائهم برزخ والضمير للجماعة اى امامهم
حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم البعث وليس المعنى انهم يرجعون يوم البعث وانما هو اقناط كلى لما علم
انه لا رجعة يوم البعث الا الى الآخرة • فاذا نفخ فى الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون الصور
بفتح الواو عن الحسن والصور بالكسر والفتح عن ابى رزين وهذا دليل لمن فسر الصور بجمع الصورة ونفى
الانساب يحتمل ان التقاطع يقع بينهم حيث يتفرقون معاقبين ومثابين ولا يكون التواصل بينهم و
التالف الا بالاعمال فتلغو الانساب وتبطل وان الحسن لا يعتد بالانساب لزوال التعاطف والتراحم بين
الاقارب اذ يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه وعن ابن مسعود ولا يتساءلون بادغام التاء
فى السين فان قلت قد ناقض هذا ونحو قوله ولا يسئل حميم حميما قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون
وقوله يتعارفون بينهم فكيف التوفيق بينهما قلت فيه جوابان احدهما ان يوم القيمة مقداره خمسون
الف سنة ففيه ازمنة واحوال مختلفة يتساءلون ويتعارفون فى بعضها وفى بعضها لا يفطنون لذلك
لشدة الهول والفزع والثانى ان التناكر يكون عند النفخة الاولى فاذا كانت الثانية قاموا فتعارفوا
وتساءلوا • فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا

72

انفسهم فى جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون • عن ابن عباس الموازين جمع موزون
وهى الموزونات من الاعمال اى الصالحات التى لها وزن وقدر عند الله من قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم
القيمة وزنا فى جهنم خالدون بدل من خسروا انفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة لا محل
لها او خبر بعد خبر لاولئك او خبر مبتدا محذوف تلفح تسفع وقال الزجاج اللفح والنفح واحد الا ان اللفح
اشد تاثيرا والكلوح ان تتقلص الشفتان وتتشمرا عن الاسنان كما ترى الرؤس المشوية وعن مالك بن
دينار كان سبب توبة عتبة الغلام انه مر فى السوق براس اخرج من التنور فغشى عليه ثلثة ايام ولياليهن
وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط راسه وتسترخى
شفته السفلى حتى تبلغ سرته وقرئ كلحون • الم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت
علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون • غلبت علينا ملكتنا من قولك
غلبنى فلان على كذا اذا اخذه منك وامتلكه والشقاوة سوء العاقبة التى علم الله انهم يستحقونها بسوء اعمالهم
قرئ شقوتنا وشقاوتنا بفتح الشين وكسرها فيهما • قال اخسئوا فيها ولا تكلمون انه كان فريق من عبادى
يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين • اخسئوا فيها ذلوا فيها وانزجروا كما تنزجر الكلاب
اذا زجرت يقال خسا الكلب وخسا بنفسه ولا تكلمون فى رفع العذاب فانه لا يرفع ولا يخفف وقيل هو
آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون
وعن ابن عباس ان لهم ست دعوات اذا دخلوا النار قالوا الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون حق
القول منى فينادون الفا ربنا امتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعى الله فينادون الفا يا مالك
ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فينادون الفا ربنا اخرنا فيجابون اولم تكونوا فينادون الفا
اخرجنا نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم فينادون الفا رب ارجعون فيجابون اخسئوا فيها وفى حرف ابى
انه كان فريق بالفتح بمعنى لانه • فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون • السخرى
بالضم والكسر مصدر سخر كالسخر الا ان فى ياء النسب زيادة قوة فى الفعل كما تقول الخصوصية فى الخصوص
وعن الكسائى والفراء ان المكسور من الهزء والمضموم من السخرة والعبودية اى تسخروهم واستعبدوهم

والاول مذهب الخليل وسيبويه قيل هم الصحابة وقيل اهل الصفة خاصة ومعناه اتخذتموهم هزؤا
وتشاغلتم بهم ساخرين حتى انسوكم بتشاغلكم بهم على تلك الصفة ذكري فتركتموه اى تركتم ان تذكروني
تخافوني في اوليائي ● اني جزيتهم اليوم بما صبروا انهم هم الفائزون ● وقرئ انهم بالفتح والكسر استيناف
اى قد فازوا حيث صبروا فجزوا بصبرهم احسن الجزاء والفتح على انه مفعول جزيتهم كقولك جزيتهم فوزهم ●
قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فسئل العادين قال ان لبثتم الا قليلا
لو انكم كنتم تعلمون ● قال في مصاحف اهل الكوفة وقل في مصاحف اهل الحرمين والبصرة والشام ففي قال
ضمير الله او المامور بسؤالهم من الملائكة وفي قل ضمير الملك او بعض رؤساء اهل النار استقصروا مدة لبثهم في
الدنيا بالاضافة الى خلودهم ولما هم فيه من عذابها لان الممتحن يستطيل ايام محنته ويستقصر ما مر عليه
من ايام الدعة اليها او لانهم كانوا في سرور وايام السرور قصار او لان المنقضي في حكم ما لم يكن وصدقهم
الله في مقالهم لسني لبثهم في الدنيا ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها وقرئ فسئل العادين والمعنى لا نعرف
من عدد تلك السنين الا انا نستقله ونحسبه يوما او بعض يوم لما نحن فيه من العذاب وما فينا ان نعدها
كم هي فسئل من فيه ان يعد ومن يقدر ان يلقي اليه فكره وقيل فسئل الملائكة الذين يعدون
اعمار العباد ويحصون اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اى الظلمة فانهم يقولون كما نقول وقرئ العاديين
اى القدماء المعمرين فانهم يستقصرونها فكيف بمن دونهم وعن ابن عباس انساهم ما كانوا فيه من العذاب
بين النفختين ● افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون ● عبثا اى عابثين كقوله لاعبين او للعبث
له اى ما خلقناكم للعبث لم يدعنا الى خلقكم الا حكمة اقتضت ذلك وهي ان نتعبدكم ونكلفكم المشاق
من الطاعات وترك المعاصي ثم نرجعكم من دار التكليف الى دار الجزاء فيثيب المحسن ويعاقب المسيء
وانكم الينا لا ترجعون معطوف على انما خلقناكم ويجوز ان يكون معطوفا على عبثا اى للعبث ولترككم غير
مرجوعين وقرئ ترجعون بفتح التاء ● فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم ● الملك
الذي يحق له الملك لان كل شيء منه واليه او الثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه وصف العرش
لان الرحمة تنزل منه والخير والبركة او لنسبته الى اكرم الاكرمين كما يقال بيت كريم اذا كان

ساكنوه كراما وقرئ الكريم بالرفع ونحوه ذو العرش المجيد ● ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان
له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين ● لا برهان
له به كقوله بما لم ينزل به سلطانا وهي صفة لازمة نحو قوله يطير بجناحيه جيء بها للتوكيد لا ان يكون
في الالهة ما يجوز ان يقوم عليه برهان ويجوز ان يكون اعتراضا بين الشرط والجزاء كقولك من احسن
الى زيد لا احق بالاحسان منه فالله مثيبه وقرئ انه لا يفلح بفتح الهمزة ومعناه حسابه عدم الفلاح
والاصل حسابه انه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير لان من يدع في معنى الجمع وكذلك حسابه
انه لا يفلح في معنى حسابهم انهم لا يفلحون جعل فاتحة السورة قد افلح المؤمنون واورد في خاتمتها انه لا يفلح
الكافرون فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمنين بشرته
الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وروي ان اول سورة قد افلح
وآخرها من كنوز العرش من عمل بثلث آيات من اولها واتعظ باربع آيات من آخرها فقد نجا وافلح
وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي يسمع عنده دوي
كدوي النحل فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا
تهنا واعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا وارضنا ثم قال لقد انزلت علي عشر
آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر سورة النور مدنية وهي
وستون آية وقيل اربع وستون بسم الله الرحمن الرحيم ●
سورة انزلناها وفرضناها وانزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون ● سورة خبر مبتدأ محذوف
وانزلناها صفة او هي مبتدأ موصوف والخبر محذوف اى فيما اوحينا اليك سورة انزلناها وقرئ
بالنصب على زيدا ضربته ولا محل لانزلناها لانها مفسرة للمضمر فكانت في حكمه او على دونك
سورة وانزلناها صفة ومعنى فرضناها فرضنا احكامها التي فيها واصل الفرض القطع اى جعلناها
مقطوعا بها والتشديد للمبالغة في الايجاب وتوكيده او لان فيها فرائض شتى وانك تقول فرضت
الفريضة وفرضت الفرائض او لكثرة المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم تذكرون بتشديد الذال

وتخفيفها. الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تاخذكم بهما رأفة في دين الله
ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين. رفعهما على الابتداء
والخبر محذوف عند الخليل وسيبويه على معنى فيما فرض عليكم الزانية والزاني اي جلدهما ويجوز ان
يكون الخبر فاجلدوا وانما دخلت الفاء لكون الالف واللام بمعنى الذي وتضمينه معنى الشرط تقديره
التي زنت والذي زنى فاجلدوهما كما تقول من زنى فاجلدوه وكقوله والذين يرمون المحصنات
ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من سورة
انزلناها لاجل الامر وقرئ والزان بلا ياء والجلد ضرب الجلد يقال جلده كقولك ظهره وبطنه
ورأسه فان قلت اهذا حكم جميع الزناة والزواني ام حكم بعضهم قلت بل هو حكم من ليس بمحصن منهم
فان المحصن حكمه الرجم وشرائط الاحصان عند ابي حنيفة ست الاسلام والحرية والعقل
والبلوغ والتزوج بنكاح صحيح والدخول اذا فقدت واحدة منها فلا احصان وعند الشافعي الاسلام
ليس بشرط لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين وحجة ابي حنيفة قوله صلعم من اشرك
بالله فليس بمحصن فان قلت اللفظ يقتضي تعليق الحكم بجميع الزناة والزواني لان قوله الزانية
والزاني عام في الجميع يتناول المحصن وغير المحصن قلت الزانية والزاني يدلان على الجنسين المنافيين
لجنسي العفيف والعفيفة دلالة مطلقة والجنسية قائمة في الكل والبعض جميعا فايهما قصد المتكلم
فلا عليه كما يفعل بالاسم المشترك وقرئ ولا ياخذكم بالياء ورأفة بفتح الهمزة ورآفة على فعالة
والمعنى ان الواجب على المؤمنين ان يتصلبوا في دين الله ويستعملوا الجد والمتانة فيه ولا ياخذهم
اللين والهوادة في استيفاء حدود الله وكفى برسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة في ذلك حيث قال لو
سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقوله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر من باب
التهييج والهاب الغضب لله ولدينه وقيل لا ترحموا عليهما حتى تعطلوا الحدود وحتى لا توجعوهما
ضربا وفي الحديث يؤتى بوال نقص من الحد سوطا فيقول رحمة لعبادك فيقال له انت ارحم بهم
مني فيؤمر به الى النار ويؤتى بمن زاد سوطا فيقول لينتهوا عن معاصيك فيؤمر به الى النار

وعن ابي هريرة اقامة حد بارض خير لاهلها من مطر اربعين ليلة وعلى الامام ان ينصب للحدود رجلا
عالما بصيرا يعقل كيف يضرب والرجل يجلد قائما على تجرده ليس عليه الا ازاره ضربا وسطا لا مبرحا
ولا هينا مفرقا على الاعضاء كلها لا يستثنى منها الا ثلثة الوجه والرأس والفرج وفي لفظ الجلد اشارة
الى انه لا ينبغي ان يتجاوز الالم الى اللحم والمرأة تجلد قاعدة ولا ينزع من ثيابها الا الحشو والفرو وبهذه
الآية استشهد ابو حنيفة رحمه الله على ان الجلد حد غير المحصن بلا تغريب وما احتج به الشافعي رحمه الله
على وجوب التغريب من قوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وما يروى عن الصحابة
انهم جلدوا ونفوا منسوخ عنده وعند اصحابه بالآية او محمول على وجه التعزير والتاديب من غير وجوب
وقول الشافعي في تغريب الحر واحد وله في العبد ثلثة اقاويل يغرب سنة كالحر ويغرب نصف سنة
كما يجلد خمسين جلدة ولا يغرب كما قال ابو حنيفة وبهذه الآية نسخ الحبس والاذى في قوله فامسكوهن
في البيوت وقوله فآذوهما قيل تسميته عذابا دليل على انه عقوبة ويجوز ان يسمى عذابا لانه يمنع من المعاودة
كما سمي نكالا طائفة من المؤمنين الطائفة الفرقة التي يمكن ان تكون حلقة واقلها ثلثة او اربعة
وهي صفة غالبة كانها الجماعة الحافة حول الشيء وعن ابن عباس في تفسيرها اربعة الى اربعين رجلا من المصدقين
بالله وعن الحسن عشرة وعن قتادة ثلثة فصاعدا وعن عكرمة رجلان فصاعدا وعن مجاهد الواحد فما فوقه
وفضل قول ابن عباس لان الاربعة هي الجماعة التي يثبت بها هذا الحد والصحيح ان هذه الكبيرة من امهات
الكبائر ولهذا قرنها الله تعالى بالشرك وقتل النفس في قوله تعالى ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما
وقال ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال يا معشر الناس اتقوا
الزنا فان فيه ست خصال ثلث في الدنيا وثلث في الآخرة فاما اللاتي في الدنيا فيذهب البهاء ويورث
الفقر وينقص العمر واما اللاتي في الآخرة فيوجب السخطة وسوء الحساب والخلود في النار ولذلك
وفى الله تعالى فيه عقد المائة بكماله بخلاف حد القذف وشرب الخمر وشرع فيه القتلة الهولة وهي
الرجم ونهى المؤمنين عن الرأفة على المحكوم فيه وامر بشهادة الطائفة للتشهير فوجب ان يكون طائفة
يحصل بها التشهير والواحد والاثنان ليسوا بتلك المثابة واختصاصه المؤمنين لان ذلك افضح

والفاسق بين صلحاء قومه اجمل ويشهد له قول ابن عباس الى اربعين من المصدقين بالله • الزاني لا
ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين • الفاسق الخبيث
الذي من شانه الزنا والتقحب لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء واللاتي على خلاف صفته وانما
يرغب في فاسقة خبيثة من شكله او في مشركة والفاسقة الخبيثة المسافحة كذلك لا يرغب في نكاحها
الصلحاء من الرجال وينفرون عنها وانما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة او المشركين ونكاح
المؤمن الممدوح عند الله الزانية ورغبته فيها وانخراطه بذلك في سلك الفسقة المتسمين بالزنا
محرم عليه محظور لما فيه من التشبه بالفساق وحضور موقع التهمة والتسبب لسوء القالة فيه والغيبة
وانواع المفاسد ومجالسة الخطائين كم فيها من التعرض لاقتراف الاثام فكيف بمزاوجة الزواني
والقحاب وقد نبه على ذلك بقوله وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم وقيل كان
بالمدينة موسرات من بغايا المشركين فرغب فقراء المهاجرين في نكاحهن فاستاذنوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت وعن عايشة رضي الله عنها ان الرجل اذا زنا بامراة ليس له ان يتزوجها لهذه الاية
واذا باشرها كان زانيا وقد اجازه ابن عباس وشبهه بمن سرق ثمر شجرة ثم اشتراها وعن النبي صلى الله عليه
وسلم انه سئل عن ذلك فقال اوله سفاح واخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح
الوطء وليس بقول لامرين احدهما ان هذه الكلمة اينما وردت في القرآن لم ترد الا في معنى العقد والثاني
فساد المعنى واداؤه الى قولك الزاني لا يزني الا بزانية والزانية لا يزني بها الا زان وقيل كان نكاح
الزانية محرما في اول الاسلام ثم نسخ والناسخ قوله تعالى وانكحوا الايامى منكم وقيل الاجماع وروي ذلك
عن سعيد بن المسيب فان قلت اي فرق بين معنى الجملة الاولى ومعنى الثانية قلت معنى الاولى صفة
الزاني بكونه غير راغب في العفايف ولكن في الفواجر ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب
فيها للاعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان فان قلت كيف قدمت الزانية على الزاني اولا
ثم قدم عليها ثانيا قلت سيقت تلك الاية لعقوبتهما على ما جنيا والمراة هي المادة التي منها نشات الجناية
لانها لو لم تطمع الرجل ولم توبض له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت اصلا واولا في ذلك بدئ

بذكرها واما الثانية فمسوقة لذكر النكاح والرجل اصل فيه لانه هو الراغب والخاطب ومنه يبدا
الطلب وعن عمرو بن عبيد لا ينكح بالجزم على النهي والمرفوع ايضا فيه معنى النهي ولكن ابلغ واكد كما
ان رحمك الله ويرحمك ابلغ من ليرحمك ويجوز ان يكون خبرا محضا على معنى ان عادتهم جارية
على ذلك وعلى المؤمن ان لا يدخل نفسه تحت هذه العادة ويتصون عنها وقرئ وحرم بفتح الحاء •
والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة
ابدا واولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم • القذف
يكون بالزنا وبغيره والذي دل على ان المراد قذفهن بالزنا شيئان احدهما ذكر المحصنات عقيب الزواني
والثاني اشتراط اربعة شهداء لان القذف بغير الزنا يكفي فيه شاهدان والقذف بالزنا ان يقول
الحر العاقل البالغ لمحصنة يا زانية او لمحصن يا زاني يا ابن الزاني يا ابنة الزانية يا ولد الزنا لست
لابيك لست لرشدة والقذف بغير الزنا ان يقول يا اكل الربوا يا شارب الخمر يا يهودي يا مجوسي
يا فاسق يا خبيث يا ماص بظر امه فعليه التعزير ولا يبلغ به ادنى حد العبيد وهو اربعون بل ينقص
منه وقال ابو يوسف يجوز ان يبلغ به تسعة وسبعون وقال للامام ان يعزر الى المائة وشروط
احصان القذف خمسة الحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة وقرئ باربعة شهداء بالتنوين
وشهداء صفة فان قلت كيف يشهدون مجتمعين او متفرقين قلت الواجب عند ابي حنيفة واصحابه
ان يحضروا في مجلس واحد وان جاءوا متفرقين كانوا قذفة وعند الشافعي يجوز ان يحضروا
متفرقين فان قلت هل يجوز ان يكون زوج المقذوفة واحدا منهم قلت يجوز عند ابي حنيفة خلافا
للشافعي فان قلت كيف يجلد القاذف قلت كما جلد الزاني الا انه لا ينزع عنه من ثيابه الا
ما ينزع عن المراة من الحشو والفرو والقاذفة ايضا كالزانية واشد الضرب ضرب التعزير ثم ضرب
الزنا ثم ضرب شارب الخمر ثم ضرب القاذف قالوا لان سبب عقوبته محتمل للصدق والكذب الا
انه عوقب صيانة للاعراض وردعا عن هتكها فان قلت فاذا لم يكن المقذوف محصنا قلت يعزر
القاذف ولا يحد الا ان يكون المقذوف معروفا بما قذف به فلا حد ولا تعزير رد شهادة القاذف

معلق عند ابي حنيفة باستيفاء الحد فاذا شهد قبل الحد او قبل تمام استيفائه قبلت شهادته فاذا
استوفي لم تقبل شهادته ابدا وان تاب وكان من الابرار الاتقياء وعند الشافعي يتعلق رد شهادته
بنفس القذف فاذا تاب عن القذف بان رجع عنه عاد مقبول الشهادة وكلاهما متمسك بالآية فابو
حنيفة جعل جزاء الشرط الذي هو الرمي الجلد ورد الشهادة عقيب الجلد على التابيد فكانوا
مردودي الشهادة عنده في ابدهم وهو مدة حياتهم وجعل قوله واولئك هم الفاسقون كلاما مستانفا
غير داخل في حيز جزاء الشرط كانه حكاية حال الرامين عند الله بعد انقضاء الجملة الشرطية والا الذين
تابوا استثناء من الفاسقين يدل عليه قوله تعالى فان الله غفور رحيم والشافعي جعل جزاء الشرط
الجملتين ايضا غير انه صرف الابد الى مدة كونه قاذفا وهي تنتهي بالتوبة والرجوع عن القذف وجعل
الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية وحق المستثنى عنده ان يكون مجرورا بدلا من هم في لهم وحقه عند
ابي حنيفة ان يكون منصوبا لانه عن موجب والذي يقتضيه ظاهر الآية ونظمها ان يكون الجمل الثلث
بمجموعهن جزاء الشرط كانه قيل ومن قذف المحصنات فاجلدوهم وردوا شهادتهم وفسقوهم اي
فاجمعوا لهم الجلد والرد والتفسيق الا الذين تابوا عن القذف واصلحوا فان الله يغفر لهم فينقلبون
غير مجلودين ولا مردودين ولا مفسقين فان قلت الكافر يقذف فيتوب عن الكفر فتقبل شهادته
بالاجماع والقاذف من المسلمين يتوب عن القذف فلا تقبل شهادته عند ابي حنيفة كان القذف مع الكفر
اهون من القذف مع الاسلام قلت المسلمون لا يعبأون بسب الكفار لانهم شهروا بعداوتهم والطعن فيهم
بالباطل فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر من الشين والشنار ما يلحقه بقذف مسلم مثله فشدد
على القاذف من المسلمين ردعا وكفا عن الحاق الشنار فان قلت هل للمقذوف او الامام ان يعفو عن حد
القاذف قلت لهما ذلك قبل ان يشهد الشهود ويثبت الحد والمقذوف مندوب الى ان لا يرافع القاذف
ولا يطالبه بالحد ويحسن من الامام ان يحمل المقذوف على كظم الغيظ ويقول له اعرض عن هذا ودعه
لوجه الله قبل ثبات الحد فاذا ثبت لم يكن لواحد منهما ان يعفو لانه خالص حق الله ولهذا لا يصح ان يصالح
عنه بمال فان قلت هل يورث الحد قلت عند ابي حنيفة لا يورث لقوله صلعم الحد لا يورث وعند

عند الشافعي واذا تاب القاذف قبل ان يثبت الحد سقط وقيل نزلت هذه الآية في حسان بن ثابت
حين تاب مما قال في عايشة رضي الله عنها • والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم
فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان
من الكاذبين ويدرؤا عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة
ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين • قاذف امراته اذا كان مسلما حرا عاقلا بالغا غير محدود
في القذف والمراة بهذه الصفة مع العفة صح اللعان بينهما اذا قذفها بصريح الزنا وهو ان يقول لها
يا زانية او زنيت او رايتك تزنين واذا كان الزوج عبدا او محدودا في قذف والمراة محصنة حد
كما في قذف الاجنبيات وما لم ترافعه الى الامام لم يجب اللعان واللعان ان يبدا الرجل فيشهد
اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فيما رماها به من الزنا ويقول في الخامسة ان لعنة الله عليه ان
كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنا وتقول المراة اربع مرات اشهد بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني
به من الزنا ثم تقول في الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين فيما رماني به من الزنا وعند
الشافعي يقام الرجل قائما حتى يشهد والمراة قاعدة وتقام المراة والرجل قاعد حتى تشهد ويامر
الامام من يضع يده على فيه ويقول له اني اخاف ان لم تكن صادقا ان تبوء بلعنة الله وقال اللعان بمكة
بين المقام والبيت وبالمدينة على المنبر وببيت المقدس في مسجده ولعان المشرك في الكنيسة وحيث
يعظم واذا لم يكن له دين ففي مساجدنا الا في المسجد الحرام لقوله تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد
الحرام ثم يفرق القاضي بينهما ولا تقع الفرقة بينهما الا بتفريقه عند ابي حنيفة واصحابه الا عند زفر
فان الفرقة عنده تقع باللعان وعن عثمان البتي لا فرقة اصلا وعند الشافعي تقع بلعان الزوج وتكون
هذه الفرقة في حكم التطليقة البائنة عند ابي حنيفة ومحمد ولا يتابد حكمها فاذا اكذب الرجل نفسه بعد
ذلك فحد جاز ان يتزوجها وعند ابي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي هي فرقة بغير طلاق توجب
تحريما مؤبدا ليس لهما ان يجتمعا بعد ذلك بوجه وروي ان آية القذف لما نزلت قراها رسول الله صلى الله عليه وسلم
على المنبر فقام عاصم بن عدي الانصاري فقال جعلني الله فداك ان وجد رجل مع امراته رجلا فاخبر جلد ثمانين

وردّت شهادته ابدا وفسق وان ضربه بالسيف قُتل وان سكت سكت على غيظ والى ان يجيء باربعة
شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن امية او عويمر فقال ما وراءك
قال شرّ وجدت على بطن امرأتي خولة وهي بنت عاصم شريك بن سحماء فقال هذا والله سؤالي ما اسرع ما
ابتليت به فرجعا فاخبر عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلّم خولة فقالت لا ادري الغيرة ادركته ام بخلا
على الطعام وكان شريك نزيلهم وقال هلال لقد رأيته على بطنها فنزلت ولاعن بينهما وقال رسول الله صلعم
عند قوله وقولها ان لعنة الله عليه ان غضب الله عليها آمين وقال القوم آمين وقال لها ان كنت ألممت
بذنب فاعترفي به فالرجم اهون عليك من غضب الله ان غضبه هو النار وقال تحيّنوا بها الولادة فان
جاءت به اصيهب اثيبج يضرب الى السواد فهو لشريك وان جاءت به اورق جعدا جماليا خدلّج الساقين
فهو لغير الذي رميت به قال ابن عباس فجاءت باشبه خلق الله لشريك فقال صلى الله عليه وسلم لولا الايمان
لكان لي ولها شان وقرئ ولم تكن بالتاء لان الشهداء جماعة او لانهم في معنى الانفس التي هي بدل ووجه
من قرأ اربع ان ينتصب لانه في حكم المصدر والعامل فيه المصدر الذي هو فشهادة احدهم وهي مبتدأ محذوف الخبر
تقديره فواجب شهادة احدهم اربع شهادات بالله وقرئ ان لعنة الله وان غضب الله على تخفيف ان
ورفع ما بعدها وقرئ ان غضب الله على فعل الغضب وقرئ بنصب الخامستين على معنى وتشهد الخامسة
فان قلت لم خصت الملاعنة بان تخمس بغضب الله قلت تغليظا عليها لانها هي اصل الفجور ومنبعه بخلابتها
واطماعها ولذلك كانت مقدمة في آية الجلد ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم لخولة فالرجم اهون عليك
من غضب الله • ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم • الفضل التفضل وجواب لولا متروك
وتركه دال على امر عظيم لا يكتنه ورب مسكوت عنه ابلغ من منطوق به • ان الذين جاءوا بالافك
منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم
الافك ابلغ ما يكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك واصله الافك وهو
القلب لانه قول مأفوك عن وجهه والمراد ما افك به على عائشة رضي الله عنها والعصبة الجماعة من
العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة واعصوصبوا اجتمعوا وهم عبد الله بن ابي رأس النفاق وزيد بن

رفاعة

رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وقرئ كبره بالضم
والكسر وهو عظمه والذي تولاه عبد الله لامعانه في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتهازه الفرص
وطلبه سبيلا الى الغميزة اي يصيب كل خائض في حديث الافك من تلك العصبة نصيبه من الاثم على
مقدار خوضه والعذاب العظيم لعبد الله لان معظم الشر كان منه يحكى ان صفوان مر بهودجها
عليه وهو في ملأ من قومه فقال من هذه فقالوا عائشة فقال والله ما نجت منه ولا نجا منها وقال امرأة
نبيكم باتت مع رجل حتى اصبحت ثم جاء يقودها والخطاب في قوله تعالى هو خير لكم لمن ساءه ذلك من المؤمنين
وخاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعائشة وصفوان بن المعطل ومعنى كونه خيرا لهم انهم اكتسبوا فيه
الثواب العظيم لانه كان بلاء مبينا ومحنة ظاهرة وانه نزلت فيه ثماني عشرة آية كل واحدة منها مستقلة
بما هو تعظيم لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له وتنزيه لام المؤمنين رضوان الله عليها وتطهير لاهل
البيت وتهويل لمن تكلم في ذلك او سمع به فلم تمجه اذناه وعدة الطاف للسامعين والتالين الى يوم
القيامة وفوائد دينية واحكام وآداب لا تخفى على متأمليها • لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات
كقوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم وذلك نحو ما يروى ان ابا ايوب الانصاري قال لام ايوب الا ترين ما يقال
فقالت لو كنت بدل صفوان اكنت تظن بحرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم سوءا قال لا قالت ولو كنت انا بدل
عائشة ما خنت رسول الله فعائشة خير مني وصفوان خير منك فان قلت هلا قيل لولا اذ سمعتموه
ظننتم بانفسكم خيرا وقلتم ولم عدل عن الخطاب الى الغيبة وعن المضمر الى الظاهر قلت ليبالغ في التوبيخ
بطريقة الالتفات وليصرح بلفظ الايمان دلالة على ان الاشتراك فيه مقتض ان لا يصدق مؤمن
على اخيه ولا مؤمنة على اختها قول عائب ولا طاعن وفيه تنبيه على ان حق المؤمن اذا سمع قالة في
اخيه ان يبني الامر فيها على الظن لا على الشك وان يقول بملء فيه بناء على ظنه بالمؤمن الخير هذا افك
مبين هكذا بلفظ المصرح ببراءة ساحته كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال وهذا من الادب
الحسن الذي قل القائم به والحافظ له وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه باخوات
لولا جاءوا عليه باربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون • جعل الله التفصلة

بين الرمى الصادق والكاذب ثبوت شهادة الشهود الاربعة وانتفاؤها والذين رموا عايشة لم
تكن لهم بينة على قولهم فقامت عليهم الحجة وكانوا عند الله اى فى حكمه وشريعته كاذبين وهذا توبيخ وتعنيف
للذين سمعوا الافك فلم يجدوا فى دفعه وانكاره واحتجاج عليهم بما هو ظاهر مكشوف فى الشرع من وجوب
تكذيب القاذف بغير بينة والتنكيل به اذا قذف امرأة محصنة من عرض نساء المسلمين فكيف بام المؤمنين
الصديقة بنت الصديق وحرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبيبة حبيب الله ● ولولا فضل الله عليكم ورحمته
فى الدنيا والآخرة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم ● لولا الاولى للتحضيض وهذه لامتناع الشىء لوجود
غيره والمعنى ولولا انى قضيت ان اتفضل عليكم فى الدنيا بضروب النعم التى من جملتها الامهال للتوبة وان
اترحم عليكم فى الآخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم به من حديث الافك يقال افاض
فى الحديث واندفع وهضب وخاض ● اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه
هينا وهو عند الله عظيم ● اذ ظرف لمسكم او لافضتم تلقونه يأخذه بعضكم من بعض يقال تلقى القول وتلقنه
وتلقفه ومنه قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات وقرئ على الاصل تتلقونه واذ تلقونه بادغام الذال
فى التاء وتلقونه من لقيه بمعنى لقفه وتلقونه من القائه بعضهم على بعض وتلقونه وتالقونه من الولق
والالق وهو الكذب وتلقونه محكية عن عايشة رضى الله عنها وعن سفين سمعت امى تقرأ اذ تثقفونه وكان ابوها
يقرأ بحرف عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فان قلت ما معنى قوله بافواهكم والقول لا يكون الا بالفم قلت معناه
ان الشىء المعلوم يكون علمه فى القلب فيترجم عنه اللسان وهذا الافك ليس الا قولا يجرى على السنتكم
ويدور فى افواهكم من غير ترجمة عن علم به فى القلب كقوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم اى تحسبونه
صغيرة وهو عند الله كبيرة موجبة وعن بعضهم انه جزع عند الموت فقيل له فقال اخاف ذنبا لم يكن منى على بال
وهو عند الله عظيم وفى كلام بعضهم لا تقولن لشىء من سيئاتك حقير فلعله عند الله نخلة وهو عندك
نقير وصفهم بارتكاب ثلثة آثام وعلق مس العذاب العظيم بها احدها تلقى الافك بالسنتهم وذلك
ان الرجل كان يلقى الرجل فيقول له ما وراءك فيحدثه بحديث الافك حتى شاع وانتشر فلم يبق بيت
ولا ناد الا طار فيه والثانى التكلم بما لا علم لهم به والثالث استصغارهم لذلك وهو عظيم من العظائم فان قلت

كيف

كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم قلت للظروف شأن وهو تنزلها من الاشياء منزلة انفسها لوقوعها
فيها وانها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع فى غيرها فان قلت فاى فائدة فى تقديم الظرف حتى
اوقع فاصلا قلت الفائدة فيه بيان انه كان الواجب عليهم ان يتفادوا اول ما سمعوا بالافك عن
التكلم به فلما كان ذكر الوقت أهم وجب التقديم ● ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك
هذا بهتان عظيم ● فان قلت فما معنى يكون والكلام بدونه متلئب لو قيل ما لنا ان نتكلم بهذا قلت معناه معنى
ينبغى ويصح اى ما ينبغى لنا ان نتكلم بهذا وما يصح لنا ونحوه ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق وسبحانك للتعجب
من عظم الامر فان قلت ما معنى التعجب فى كلمة التسبيح قلت الاصل فى ذلك ان يسبح الله عند رؤية العجيب
من صنائعه ثم كثر حتى استعمل فى كل متعجب منه او لتنزيه الله من ان يكون حرمة نبيه فاجرة فان قلت
كيف جاز ان تكون امرأة النبى كافرة كامرأة نوح ولوط ولم يجز ان تكون فاجرة قلت لان الانبياء مبعوثون
الى الكفار ليدعوهم ويستعطفوهم فيجب ان لا يكون معهم ما ينفرهم عنهم ولم يكن الكفر عندهم مما ينفر
واما الكشخنة فمن اعظم المنفرات ● يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين ● اى كراهة ان تعودوا
او فى ان تعودوا من قولك وعظت فلانا فى كذا فتركه وابدا ما داموا احياء مكلفين وان كنتم مؤمنين
فيه تهييج لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو اتصافهم بالايمان الصاد عن كل مقبح ● ويبين الله
لكم الآيات والله عليم حكيم ● ويبين الله لكم الدلالات على علمه وحكمته بما ينزل عليكم من الشرائع ويعلمكم من
الآداب الجميلة ويعظكم به من المواعظ الشافية والله عالم بكل شىء فاعل لما يفعله بدواعى الحكمة ● ان الذين
يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وانتم لا تعلمون ●
المعنى يشيعون الفاحشة عن قصد الى الاشاعة وارادة ومحبة لها وعذاب الدنيا الحد ولقد ضرب
رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابى وحسانا ومسطحا وقعد صفوان لحسان فضربه ضربة بالسيف
وكف بصره وقيل هو المراد بقوله تعالى والذى تولى كبره منهم والله يعلم ما فى القلوب من الاسرار والضمائر وانتم
لا تعلمون يعنى انه قد علم محبة من احب الاشاعة وهو معاقبه عليها ● ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله
رؤف رحيم ● وكرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب حاذفا جواب لولا كما حذفه ثمة وفى هذا التكرير مع حذف

الجواب لبعثة عظيمة وكذلك في التواب الرؤوف الرحيم • يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان
ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا
ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم • الفحشاء والفاحشة ما افرط قبحه قال ابو ذؤيب • ضرائر حرمي
تفاحش غارها • اي افرطت غيرتها والمنكر ما تنكره النفوس فتنفر عنه ولا ترتضيه وقرئ خطوات بفتح الطاء
وسكونها وزكى بالتشديد والضمير لله عز وجل ولولا ان الله تفضل عليكم بالتوبة الممحصة لما طهر منكم احد آخر
الدهر من دنس اثم الافك ولكن الله يطهر التائبين بقبول توبتهم اذا محضوها وهو سميع لقولهم عليم بضمائرهم
واخلاصهم • ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله
وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم • هو من ائتلى اذا حلف افتعال من الالية وقيل
من قولهم ما الوت جهدا اذا لم تدخر منه شيئا ويشهد للاول قراءة الحسن ولا يتال والمعنى لا يحلفوا على ان لا
يحسنوا الى المستحقين للاحسان او لا يقصروا في ان يحسنوا اليهم وان كانت بينهم وبينهم شحناء لجناية اقترفوها
فليعودوا عليهم بالعفو والصفح وليفعلوا بهم مثل ما يرجون ان يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم وذنوبهم نزلت
في شان مسطح وكان ابن خالة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وكان فقيرا من فقراء المهاجرين وكان ابو بكر
ينفق عليه فلما فرط منه ما فرط آلى ان لا ينفق عليه وكفى به داعيا الى المجاملة وترك الاشتغال بالمكافأة
للمسيء ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قراها على ابي بكر فقال بلى احب ان يغفر الله لي ورجع الى مسطح
نفقته وقال والله لا انزعها ابدا وقرا ابو حيوة وابن قطيب ان تؤتوا بالتاء على الالتفات ويعضده
قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم • ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا و
الآخرة ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم
ويعلمون ان الله هو الحق المبين • الغافلات السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء
ولا مكر لانهن لم يجربن الامور ولم يرزن الاحوال فلا يفطن لما تفطن له المجربات العرافات • قال
ولقد لهوت بطفلة ميالة بلهاء تطلعني على اسرارها • وكذلك البله من الرجال في قوله اكثر اهل الجنة
البله وقرئ يشهد بالياء والحق بالنصب صفة للدين وهو الجزاء وبالرفع صفة لله ولو فليت القرآن

كله وفتشت عما اوعد به العصاة لم تر الله عز وجل قد غلظ في شيء تغليظه في افك عائشة رضه ولا انزل
من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد والعقاب البليغ والزجر العنيف واستعظام ما ركب من
ذلك واستفظاع ما اقدم عليه ما انزل فيه على طرق مختلفة واساليب مفتنة كل واحد منها كاف في
بابه ولو لم ينزل الا هذه الثلث لكفى بها حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعا وتوعدهم بالعذاب
العظيم في الآخرة وبان السنتهم وايديهم وارجلهم تشهد عليهم بما افكوا وبهتوا وانه يوفيهم جزاءهم
الحق الواجب الذي هم اهله حتى يعلموا عند ذلك ان الله هو الحق المبين فاوجز في ذلك واشبع وفصل و
اجمل واكد وكرر وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الاوثان الا ما هو دونه في الفظاعة وما ذاك الا
لامر وعن ابن عباس رضه انه كان بالبصرة يوم عرفة وكان يسئل عن تفسير القرآن حتى سئل عن هذه الآيات فقال
من اذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض في امر عائشة وهذه منه مبالغة وتعظيم لامر الافك ولقد
برأ الله اربعة باربعة برأ يوسف عليه السلم بلسان الشاهد وشهد شاهد من اهلها وبرأ موسى من قول اليهود
فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه وبرأ مريم بانطاق ولدها حين نادى من حجرها اني عبد الله وبرأ عائشة رضه
بهذه الآيات العظام في كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات فانظر كم
بينها وبين تبرئة اولئك وما ذاك الا لاظهار علو منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتنبيه على انافة محل
سيد ولد آدم وخيرة الاولين والآخرين وحجة الله على العالمين ومن اراد ان يتحقق عظمة شانه و
تقدم قدمه واحرازه لقصب السبق دون كل سابق فليتلق ذلك من آيات الافك وليتامل كيف غضب
الله له في حرمته وكيف بالغ في نفي التهمة عن حجابه فان قلت ان كانت عائشة هي المرادة فكيف
قيل المحصنات قلت فيه وجهان احدهما ان يراد بالمحصنات ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وان يخصصن
بان من قذفهن فهذا الوعيد لاحق به واذا اردن وعائشة كبراهن منزلة وقربة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
كانت المرادة اولا والثاني انها ام المؤمنين فجمعت ارادة لها ولبناتها من نساء الامة الموصوفات
بالاحصان والغفلة والايمان كما قال • قدني من نصر الخبيبين قدي • اراد عبد الله بن الزبير واشياعه
وكان اعداؤه يكنونه بخبيب ابنه وكان مضعوفا وكنيته المشهورة ابو بكر الا ان في هذا الاسم و

ذاك في الصفة فان قلت ما معنى قوله هو الحق المبين قلت معناه ذو الحق البين اي العادل
الظاهر العدل الذي لا ظلم في حكمه والمحق الذي لا يوصف بباطل ومن هذه صفته لم تسقط عنده
اساءة مسيء ولا احسان محسن فحق مثله ان يتقى ويجتنب محارمه • الخبيثات للخبيثين و
الخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات اولئك مبرءون مما يقولون لهم
مغفرة ورزق كريم • اي الخبيثات من القول يقال او تعد للخبيثين من الرجال والنساء والخبيثون
منهم يتعرضون للخبيثات من القول وكذلك الطيبات والطيبون واولئك اشارة الى الطيبين
وانهم مبرءون مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلم وهو كلام جار مجرى المثل لعايشة رضي الله عنها
وما رميت به من قول لا يطابق حالها في النزاهة والطيب ويجوز ان يكون اولئك اشارة الى اهل
البيت وانهم مبرءون مما يقول اهل الافك وان يراد بالخبيثات والطيبات النساء اي الخبائث
يتزوجن الخباث والخباث الخبائث وكذلك اهل الطيب وذكر الرزق الكريم هنا مثله في قوله
واعتدنا لها رزقا كريما وعن عايشة رضي الله عنها لقد اعطيت تسعا ما اعطيتهن امراة لقد نزل جبرئيل
عليه السلام بصورتي في راحته حين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتزوجني ولقد تزوجني بكرا
وما تزوج بكرا غيري ولقد توفي وان راسه لفي حجري ولقد قبر في بيتي ولقد حفته الملائكة
في بيتي وان الوحي لينزل عليه في اهله فيتفرقون عنه وان كان لينزل عليه وانا معه في لحافه
اني لابنة خليفته وصديقه ولقد نزل عذري من السماء ولقد خلقت طيبة عند طيب ولقد
وعدت مغفرة ورزقا كريما • يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا
وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون • تستانسوا فيه وجهان احدهما انه من الاستيناس
الظاهر الذي هو خلاف الاستيحاش لان الذي يطرق باب غيره لا يدري ايؤذن له ام لا فهو كالمستوحش
من خفاء الحال عليه فاذا اذن له استانس فالمعنى حتى يؤذن لكم كقوله لا تدخلوا بيوت النبي الا ان
يؤذن لكم وهذا من باب الكناية والارداف لان هذا النوع من الاستيناس يردف الاذن فوضع
موضع الاذن والثاني ان يكون من الاستيناس الذي هو الاستعلام والاستكشاف استفعال من آنس

الشيء اذا ابصره ظاهرا مكشوفا والمعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم ام لا
ومنه قولهم استانس هل ترى احدا واستانست فلم ار احدا اي تعرفت واستعلمت ومنه بيت
النابغة على مستانس وحد • ويجوز ان يكون من الانس وهو ان يتعرف هل ثم انسان وعن ابي ايوب
الانصاري قال قلنا يا رسول الله ما الاستيناس قال يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة والتحميدة يتنحنح يؤذن
اهل البيت والتسليم ان يقول السلام عليكم ءادخل ثلاث مرات فان اذن له والا رجع وعن
ابي موسى الاشعري انه اتى باب عمر رضي الله عنه فقال السلام عليكم ءادخل قالها ثلاثا ثم رجع وقال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاستيذان ثلثا واستاذن رجل على رسول الله صلعم فقال ءالج فقال
صلى الله عليه وسلم لامراة يقال لها روضة قومي الى هذا فعلميه فانه لا يحسن ان يستاذن قولي له يقول
السلام عليكم ءادخل فسمعها الرجل فقالها فقال ادخل وكان اهل الجاهلية يقول الرجل منهم اذا دخل
بيتا غير بيته حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما اصاب الرجل مع امراته في لحاف واحد
فصد الله عن ذلك وعلم الاحسن الاجمل وكم من باب من ابواب الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة
قد تركوا العمل به وباب الاستيذان من ذلك بينا انت في بيتك اذا رعف عليك الباب بواحد من غير
استيذان ولا تحية من تحايا اسلام ولا جاهلية وهو ممن سمع ما انزل الله فيه وما قال رسول الله صلعم
ولكن اين الاذن الواعية وفي قراءة عبد الله حتى تسلموا على اهلها وتستاذنوا وعن ابن عباس وسعيد بن
جبير انما هو حتى تستاذنوا فاخطا الكاتب ولا يعول على هذه الرواية وفي قراءة ابي حتى تستاذنوا
ذلكم الاستيذان والتسليم خير لكم من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير اذن واشتقاقه
من الدمار وهو الهلاك كان صاحبه دامر لعظم ما ارتكب وفي الحديث من سبقت عينه استيذانه
فقد دمر ويروى ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم ءاستاذن على امي قال نعم قال انها ليس لها
خادم غيري ءاستاذن عليها كلما دخلت قال اتحب ان تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستاذن
لعلكم تذكرون اي انزل عليكم او قيل لكم هذا ارادة ان تذكروا وتتعظوا وتعملوا بما امرتم به في باب
الاستيذان • فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو

ازكى لكم والله بما تعملون عليم يحتمل فان لم تجدوا فيها احدا من الآذنين فلا تدخلوها واصبروا حتى تجدوا
من يأذن لكم ويحتمل فان لم تجدوا فيها احدا من اهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها الا باذن اهلها
وذلك ان الاستيذان لم يشرع لئلا يطلع الداخل على عورة ولا تسبق عينه الى ما لا يحل النظر اليه
فقط وانما شرع لئلا يوقف على الاحوال التي يطويها الناس في العادة عن غيرهم ويتحفظون من اطلاع
احد عليها ولانه تصرف في ملك غيرك فلا بد من ان يكون برضاه والا اشبه الغصب والتغلب
فارجعوا اي لا تلحوا في اطلاق الاذن ولا تلجوا في تسهيل الحجاب ولا تقفوا على الابواب منتظرين لان
هذا مما يجلب الكراهة ويقدح في قلوب الناس خصوصا اذا كانوا ذوي مروة ومرتاضين بالآداب الحسنة
واذا نهي عن ذلك لادائه الى الكراهية وجب الانتهاء عن كل ما يؤدي اليها من قرع الباب بعنف
والتصيح بصاحب الدار وغير ذلك مما يدخل في عادات من لم يتهذب من اكثر الناس وعن ابي عبيد ما
قرعت بابا على عالم قط وكفى بقصة بني اسد زاجرة وما نزل فيها من قوله تعالى ان الذين ينادونك
من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون فان قلت هل يصح ان يكون المعنى وان لم يؤذن لكم وامرتم
بالرجوع فامتثلوا ولا تدخلوا مع كراهتهم قلت بعد ان جزم النهي عن الدخول مع فقد الاذن
وحده من اهل الدار حاضرين وغائبين لم تبق شبهة في كونه منهيا عنه مع انضمام الامر بالرجوع
الى فقد الاذن فان قلت فاذا عرض امر في دار من حريق او هجوم سارق او ظهور منكر يجب
انكاره قلت ذلك مستثنى بالدليل اي الرجوع اطيب لكم واطهر لما فيه من سلامة الصدر
والبعد من الريبة او انفع وانمى خيرا ثم اوعد المخاطبين بذلك بانه عالم بما يأتون وما يذرون
مما خوطبوا به فموف جزاءه عليه ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله
يعلم ما تبدون وما تكتمون استثنى من البيوت التي يجب الاستيذان على داخلها ما ليس بمسكون
منها وذلك نحو الفنادق وهي الخانات والربط وحوانيت البياعين والمتاع المنفعة كالاستكنان
من الحر والبرد وايواء الرحال والسلع والشري والبيع ويروى ان ابا بكر رضي الله عنه قال يا
رسول الله ان الله قد انزل عليك آية في الاستيذان وانا نختلف في تجاراتنا فننزل هذه

الخانات

الخانات افلا ندخلها الا باذن وقيل الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز والله يعلم ما تبدون
وما تكتمون وعيد للذين يدخلون الخربات والدور الخالية من اهل الريبة قل للمؤمنين يغضوا
من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون من للتبعيض والمراد
غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل وجوز الاخفش ان يكون مزيدة واباه سيبويه فان قلت
كيف دخلت في غض البصر دون حفظ الفروج قلت دلالة على ان امر النظر اوسع الا ترى ان
المحارم لا بأس بالنظر الى شعورهن وصدورهن وثديهن واعضادهن واقدامهن وكذلك الجواري
المستعرضات والاجنبية ينظر الى وجهها وكفيها وقدميها في احدى الروايتين واما امر الفرج
فمضيق وكفاك فرقا ان ابيح النظر الا ما استثني منه وحظر الجماع الا ما استثني منه ويجوز ان
يراد مع حفظها عن الافضاء الى ما لا يحل حفظها عن الابداء وعن ابن زيد كل ما في القرآن من حفظ
الفرج فهو عن الزنا الا هذا فانه اراد به الاستتار ثم اخبر انه خبير باحوالهم وافعالهم وكيف يجيلون
ابصارهم وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم فعليهم اذا عرفوا ذلك ان يكونوا منه على تقوى
وحذر في كل حركة وسكون وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين
زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او
آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن او
نسائهن او ما ملكت ايمانهن او التابعين غير اولي الاربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا
على عورات النساء ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا ايه
المؤمنون لعلكم تفلحون النساء مامورات ايضا بغض الابصار ولا يحل للمراة ان تنظر من الاجنبي الى
ما تحت سرته الى ركبته وان اشتهت غضت بصرها راسا ولا تنظر من المراة الا الى مثل ذلك وغضها
بصرها من الاجانب اصلا اولى بها واحسن ومنه حديث ابن ام مكتوم عن ام سلمة قالت كنت
عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة فاقبل ابن ام مكتوم وذلك بعد ان امرنا بالحجاب فدخل علينا
فقال احتجبا فقلنا يا رسول الله اليس اعمى لا يبصرنا قال افعمياوان انتما الستما تبصرانه فان قلت

لم قدم غض الابصار على حفظ الفروج قلت لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه اشد
واكثر ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه الزينة ما تزينت به المراة من حلي او كحل او خضاب فما كان
ظاهرا منها كالخاتم والفتخة والكحل والخضاب فلا باس بابدائه للاجانب وما خفي منها كالسوار
والخلخال والدملج والقلادة والاكليل والوشاح والقرط فلا تبديه الا لهؤلاء المذكورين وذكر الزينة
دون مواقعها للمبالغة في الامر بالتصون والتستر لان هذه الزين واقعة على مواضع من الجسد
لا يحل النظر اليها لغير هؤلاء وهي الذراع والساق والعضد والعنق والراس والصدر والاذن فنهى
عن ابداء الزين نفسها ليعلم ان النظر اذا لم يحل اليها لملابستها تلك المواقع بدليل ان النظر اليها غير
ملابسة لها لا مقال في حله كان النظر الى المواقع انفسها متمكنا في الحظر ثابت القدم في الحرمة شاهدا
على ان النساء حقهن ان يحتطن في سترها ويتقين الله في الكشف عنها فان قلت ما تقول في القراميل
هل يحل نظر هؤلاء اليها قلت نعم فان قلت اليس موقعها الظهر ولا يحل لهم النظر الى ظهرها وبطنها
وربما ورد الشعر فوقعت القراميل على ما يحاذي ما تحت السرة قلت الامر كما قلت ولكن امر القراميل
خلاف امر سائر الحلي لانه لا يقع الا فوق اللباس ويجوز النظر الى الثوب الواقع على الظهر والبطن للاجانب
فضلا عن هؤلاء الا اذا كان يصف لرقته فلا يحل النظر اليه ولا يحل النظر الى القراميل واقعة عليه
فان قلت ما المراد بموقع الزينة ذلك العضو كله ام المقدار الذي تلابسه الزينة منه قلت الصحيح
العضو كله كما فسرت مواقع الزينة الخفية وكذلك مواقع الزينة الظاهرة الوجه موقع الكحل
في عينيه والخضاب بالوسمة في حاجبيه وشاربيه والغمرة في خديه والكف والقدم موقعا
والفتخة والخضاب بالحناء فان قلت لم سومح مطلقا في الزينة الظاهرة قلت لان سترها فيه حرج
فان المراة لا تجد بدا من مزاولة الاشياء بيديها ومن الحاجة الى كشف وجهها خصوصا في الشهادة و
المحاكمة والنكاح وتضطر الى المشي في الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن وهذا معنى
قوله الا ما ظهر منها يعني الا ما جرت العادة والجبلة على ظهوره والاصل فيه الظهور وانما سومح في
الزينة الخفية اولئك المذكورون لما كانوا مختصين به من الحاجة المضطرة الى مداخلتهم ومخالطتهم

ولقلة

ولقلة توقع الفتنة من جهاتهم ولما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب وتحتاج المراة الى صحبتهم
في الاسفار للنزول والركوب وغير ذلك كانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن
وما حواليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة فامرن بان يسدلنها من قدامهن
حتى يغطينها ويجوز ان يراد بالجيوب الصدور تسمية بما يليها ويلابسها ومنه قولهم ناصح الجيب وقولك
ضربت بخمارها على جيبها كقولك ضربت بيدي على الحائط اذا وضعتها عليه وعن عائشة ما رايت نساء
خيرا من نساء الانصار لما نزلت هذه الآية قامت كل واحدة منهن الى مرطها المرحل فصدعت منه
صدعة فاختمرن فاصبحن على رؤوسهن الغربان وقرئ جيوبهن بكسر الجيم لاجل الياء وكذلك بيوتا
غير بيوتكم او نسائهن هن المؤمنات لانه ليس للمؤمنة ان تتجرد بين يدي مشركة او كتابية
عن ابن عباس والظاهر انه عنى بنسائهن وما ملكت ايمانهن من في صحبتهن وخدمتهن من الحرائر والاماء
والنساء كلهن سواء في حل نظر بعضهن الى بعض وقيل ما ملكت ايمانهن هم الذكور والاناث جميعا وعن عائشة
رضي الله عنها انها اباحت النظر اليها لعبدها وقالت لذكوان انك اذا وضعتني في القبر وخرجت فانت
حر وعن سعيد بن المسيب مثله ثم رجع وقال لا تغرنكم آية النور فان المراد بها الاماء وهذا هو
الصحيح لان عبد المراة بمنزلة الاجنبي منها خصيا كان او فحلا وعن ميسون بنت بحدل الكلابية ان معاوية
دخل عليها ومعه خصي فتقنعت منه فقال هو خصي فقالت يا معاوية اترى ان المثلة به تحلل ما حرم الله
وعند ابي حنيفة رحمه الله لا يحل امساك الخصيان واستخدامهم وبيعهم وشراؤهم ولم ينقل عن احد
من السلف امساكهم فان قلت روي انه اهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم خصي فقبله قلت لا يقبل
فيما تعم به البلوى الا حديث مكشوف فان صح فلعله قبله ليعتقه او لسبب من الاسباب الاربة الحاجة
قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم الى النساء لانهم بله لا يعرفون شيئا من امرهن
او شيوخ صلحاء اذا كانوا معهن غضوا ابصارهم او بهم عنانة وقرئ غير بالنصب على الاستثناء او
الحال والجر على الوصفية وضع الواحد موضع الجمع لانه يفيد الجنس ويبين ما بعده انه يراد به الجمع ونحوه
نخرجكم طفلا لم يظهروا اما من ظهر على الشيء اذا اطلع عليه اي لا يعرفون ما العورة ولا يميزون بينها

وبين غيرها واما من ظهر على فلان اذا قوى عليه وظهر على القرآن اخذه اى طاقة اى لم يبلغوا
اوان القدرة على الوطء وقرئ عورات وهى لغة هذيل فان قلت لم لم يذكر الله الاعمام والاخوال
قلت سئل الشعبى عن ذلك فقال لئلا يصفها العم عند ابنه والخال كذلك ومعناه ان سائر القرابات
يشترك الاب والابن فى المحرمية الا العم والخال وابناءهما فاذا رآها الاب فربما وصفها لابنه
وليس بمحرم فيدانى تصوره لها بالوصف نظره اليها وهذا ايضا من الدلالات البليغة على وجوب الاحتياط
عليهن فى التستر كانت المرأة تضرب الارض برجلها ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال وقيل
كانت تضرب باحدى رجليها الاخرى ليعلم انها ذات خلخالين واذا نهين عن اظهار صوت الحلى
بعدما نهين عن اظهار الحلى علم بذلك ان النهى عن اظهار مواضع الحلى ابلغ وابلغ اوامر الله ونواهيه
كل باب لا يكاد العبد الضعيف يقدر على مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد لا يخلو من تقصير يقع منه
فلذلك وصى المؤمنين جميعا بالتوبة والاستغفار وبتاميل الفلاح اذا تابوا واستغفروا وعن ابن
عباس توبوا مما كنتم تفعلونه فى الجاهلية لعلكم تسعدون فى الدنيا والآخرة فان قلت قد صحت التوبة
بالاسلام والاسلام يجب ما قبله فما معنى هذه التوبة قلت اراد بها ما يقوله العلماء ان من اذنب ذنبا
ثم تاب عنه يلزمه كلما تذكره ان يجدد عنه التوبة لانه يلزمه ان يستمر على ندمه وعزمه الى ان
يلقى ربه وقرئ ايه المؤمنون بضم الهاء ووجهه انها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت
الالف لالتقاء الساكنين اتبعت حركتها حركة ما قبلها • وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم
وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم • الايامى واليتامى اصلهما ايايم
ويتايم فقلبا والايم للرجل والمرأة وقد آم وآمت وتايما اذا لم يتزوجا بكرين كانا او ثيبين قال
فان تنكحى انكح وان تتايمى وان كنت افتى منكم اتايم • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انا نعوذ بك من
العيمة والغيمة والايمة والكزم والقرم والمراد انكحوا من تايم منكم من الاحرار والحرائر ومن كان
فيه صلاح من غلمانكم وجواريكم وقرئ من عبيدكم وهذا الامر للندب لما علم من ان النكاح امر مندوب
اليه وقد يكون للوجوب فى حق الاولياء عند طلب المرأة ذلك وعند اصحاب الظواهر النكاح واجب ومما

يدل على كونه مندوبا اليه قوله صلى الله عليه وسلم من احب فطرتى فليستن بسنتى وهى النكاح وعنه
من كان له ما يتزوج فلم يتزوج فليس منا وعنه اذا تزوج احدكم عج شيطانه يا ويله عصم ابن آدم منى
ثلثى دينه وعنه صلى الله عليه وسلم يا عياض لا تزوجن عجوزا ولا عاقرا فانى مكاثر والاحاديث فيه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم والآثار كثيرة وربما كان واجب الترك اذا ادى الى معصية او مفسدة وعن
النبى صلعم اذا اتى على امتى مائة وثمانون سنة فقد حلت لهم العزبة والعزلة والترهب على رؤس الجبال
وفى الحديث يأتى على الناس زمان لا تنال المعيشة فيه الا بالمعصية فاذا كان ذلك الزمان حلت العزبة
فان قلت لم خص الصالحين قلت ليحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم ولان الصالحين من الارقاء
هم الذين يشفقون عليهم وينزلونهم منزلة الاولاد فى الاثرة والمودة فكانوا مظنة للتوصية بشأنهم
والاهتمام بهم وتقبل الوصية فيهم واما المفسدون منهم فحالهم عند مواليهم على عكس ذلك او اريد
بالصلاح القيام بحقوق النكاح ينبغى ان تكون شريطة الله غير منسية فى هذا الموعد ونظائره وهى مشيئته
ولا يشاء الحكيم الا ما اقتضته الحكمة وما كان مصلحة ونحوه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من
حيث لا يحتسب وقد جاءت الشريطة منصوصة فى قوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله
ان شاء ان الله عليم حكيم ومن لم ينس هذه الشريطة لم ينتصب معترضا بعزب كان غنيا فافقره النكاح و
بفاسق تاب واتقى الله وكان له شىء ففنى واصبح مسكينا وعن النبى صلى الله عليه وسلم التمسوا الرزق بالنكاح
وشكا اليه رجل الحاجة فقال عليك بالباءة وعن عمر رضى الله عنه عجب لمن لا يرغب فى الباءة ولقد كان
عندنا رجل رازح الحال ثم رأيته بعد سنين وقد انتعشت حاله وحسنت فسألته فقال كنت فى
اول امرى على ما علمت وذلك قبل ان ارزق ولدا فلما رزقت بكر ولدى تراخيت عن الفقر فلما
ولد لى الثانى زدت خيرا فلما تتاموا ثلاثة صب الله على الخير صبا فاصبحت الى ما ترى والله واسع
اى غنى ذو سعة لا يرزؤه اغناء الخلائق ولكنه عليم يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر • وليستعفف الذين
لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم ان علمتم
فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذى آتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض

الحيوة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم ● وليستعفف وليجتهد في العفة
وظلف النفس كان المستعفف طالب من نفسه العفاف وحاملها عليه لا يجدون نكاحا اي
استطاعة تزوج ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به من المال حتى يغنيهم الله ترجية للمستعففين وتقدمة
وعد بالتفضل عليهم بالغنى ليكون انتظار ذلك وتاميله لطفا لهم في استعفافهم وربطا على قلوبهم
وليظهر بذلك ان فضله اولى بالاعفاء وادنى من الصلحاء وما احسن ما رتب هذه الاوامر حيث امر
اولا بما يعصم من الفتنة ويبعد من مواقعة المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح الذي يحصن به الدين
ويقع به الاستغناء بالحلال عن الحرام ثم بالحمل على النفس الامارة بالسوء وعزفها عن الطموح الى الشهوة
عند العجز عن النكاح الى ان يرزق القدرة عليه والذين يبتغون مرفوع على الابتداء او منصوب بفعل مضمر
يفسره فكاتبوهم كقولك زيدا فاضربه ودخلت الفاء لتضمن معنى الشرط والكتاب والمكاتبة كالعتاب
والمعاتبة وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على الف درهم فان اداها عتق ومعناه كتبت لك على نفسي
ان تعتق مني اذا وفيت بالمال وكتبت لي على نفسك ان تفي بذلك او كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت
على العتق ويجوز عند ابي حنيفة حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم لان الله تعالى لم يذكر التنجيم وقياسا على
سائر العقود وعند الشافعي لا يجوز الا مؤجلا منجما ولا يجوز عنده بنجم واحد لان العبد لا يملك شيئا
فعقده حالا منع عن حصول الغرض لانه لا يقدر على اداء البدل عاجلا ويجوز عقده على مال قليل وكثير وعلى
خدمة في مدة معلومة وعلى عمل معلوم موقت مثل حفر بئر في مكان بعينه معلومة الطول والعرض
وبناء دار قد اراه آجرها وجصها وما يبنى به وان كاتبه على قيمته لم يجز فان اداها عتق وان كاتبه على
وصيف جاز لقلة الجهالة ووجب الوسط وليس له ان يطا المكاتبة واذا ادى عتق وكان ولاؤه
لمولاه لانه جاد عليه بالكسب الذي هو في الاصل له وهذا الامر للندب عند عامة العلماء وعن الحسن ليس
ذلك بعزم ان شاء كاتب وان شاء لم يكاتب وعن عمر رضي الله عنه هي عزمة من عزمات الله وعن ابن سيرين
مثله وهو مذهب داود خيرا قدرة على اداء ما يفارقون عليه وقيل امانة وتكسبا وعن سلمان ان
مملوكا له ابتغى ان يكاتبه فقال اعندك مال قال لا قال افتامرني ان آكل غسالة ايدي الناس

امر المسلمين على وجه الوجوب باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم الذي جعل الله لهم من بيت المال
كقوله وفي الرقاب عند ابي حنيفة واصحابه فان قلت هل يحل لمولاه اذا كان غنيا ان ياخذ ما تصدق
به عليه قلت نعم وكذلك اذا لم تف الصدقة بجميع البدل وعجز عن اداء الباقي طاب للمولى ما اخذه لانه
لم ياخذه بسبب الصدقة ولكن بسبب عقد المكاتبة كمن اشترى الصدقة من الفقير او ورثها او وهبت له
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية وعند الشافعي هو ايجاب على
الموالي ان يحطوا لهم من مال الكتابة وان لم يفعلوا اجبروا وعن علي رضي الله عنه يحط له الربع وعن ابن
عباس يرضخ له من كتابته شيئا وعن عمر انه كاتب عبدا له يكنى ابا امية وهو اول عبد كوتب في الاسلام
فاتاه باول نجم فدفعه اليه عمر وقال استعن به على مكاتبتك فقال لو اخرته الى آخر نجم فقال اخاف ان
لا ادرك ذلك وهذا عند ابي حنيفة على وجه الندب قال انه عقد معاوضة فلا يجبر على الحطيطة
كالبيع وقيل معنى وآتوهم اسلفوهم وقيل انفقوا عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا وهذا كله مستحب و
روي انه كان لحويطب بن عبد العزى مملوك يقال له الصبيح سال مولاه ان يكاتبه فابى فنزلت كانت
اماء اهل الجاهلية يساعين على مواليهن وكان لعبد الله بن ابي راس النفاق ست جوار معاذة
ومسيكة واميمة وعمرة واروى وقتيلة يكرههن على البغاء وضرب عليهن ضرائب فشكت ثنتان
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والامة وفي الحديث ليقل احدكم
فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي والبغاء مصدر البغي فان قلت لم اقحم قوله ان اردن تحصنا
قلت لان الاكراه لا يتاتى الا مع ارادة التحصن وآمر الطيعة المواتية للبغاء لا يسمى مكرها ولا امره
اكراها وكلمة ان وايثارها على اذا ايذان بان المساعيات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن و
ان ما وجد من معاذة ومسيكة من حيز الشاذ النادر غفور رحيم لهم او لهن او لهم ولهن ان تابوا
واصلحوا وفي قراءة ابن عباس لهن غفور رحيم فان قلت لا حاجة الى تعليق المغفرة بهن لان المكرهة
على الزنا بخلاف المكره عليه في انها غير آثمة قلت لعل الاكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة من اكراه بقتل
او بما يخاف منه التلف او ذهاب العضو من ضرب عنيف او غيره حتى تسلم من الاثم وربما قصرت عن

عن الحد الذي تعذر فيه فتكون آثمة • ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم
وموعظة للمتقين • مبينات هي الايات التي بينت في هذه السورة واوضحت في معاني الاحكام
والحدود ويجوز ان يكون الاصل مبينا فيها فاتسع في الظرف وقرئ بالكسر اي بينت هي الاحكام والحدود
جعل الفعل لها على المجاز او من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين ومثلا من امثال
من قبلكم اي قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم يعني قصة عائشة رضي الله عنها وموعظة
به في الايات والمثل من قوله ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله لولا اذ سمعتموه ولولا اذ سمعتموه يعظكم الله
ان تعودوا لمثله ابدا • الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة
الزجاجة كانها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو
لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم • نظير قوله
الله نور السموات والارض مع قوله مثل نوره ويهدي الله لنوره قولك زيد كرم وجود ثم تقول ينعش الناس
بكرمه وجوده والمعنى ذو نور السموات وصاحب نور السموات ونور السموات والارض الحق شبهه بالنور
في ظهوره وبيانه كقوله الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور اي من الباطل الى الحق واضاف النور
الى السموات والارض لاحد معنيين اما للدلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى تضيء له السموات والارض
واما ان يراد اهل السموات والارض وانهم يستضيئون به مثل نوره اي صفة نوره العجيبة الشان
الاضاءة كمشكوة كصفة مشكوة وهي الكوة في الجدار غير النافذة فيها مصباح سراج ضخم ثاقب
اراد قنديلا من زجاج شامي ازهر شبهه في زهرته باحد الدراري من الكواكب وهي المشاهير كالمشتري
والزهرة والمريخ وسهيل ونحوها توقد هذا المصباح من شجرة اي ابتداء ثقوبه من شجرة الزيتون بان رويت
ذبالته بزيتها مباركة كثيرة المنافع او لانها تنبت في الارض التي بارك فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون نبيا
منهم ابرهيم م وعن النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بهذه الشجرة زيت الزيتون فتداووا به فانه مصحة من
الباسور لا شرقية ولا غربية اي منبتها الشام واجود الزيتون زيتون الشام وقيل لا في مضحى ولا مقناة
ولكن الشمس والظل يتعاقبان عليها وذلك اجود لحملها واصفى لدهنها قال عليه السلام لا خير في شجرة في مقناة

ولا نبات في مقناة ولا خير فيهما في مضحى وقيل ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها او غروبها
فقط بل تصيبها بالغداة والعشي جميعا فهي شرقية غربية ثم وصف الزيت بالصفاء والوبيص وانه لتلألؤه
يكاد يضيء من غير نار نور على نور اي هذا الذي شبهت به الحق نور متضاعف تعاون عليه المشكوة و
الزجاجة والمصباح والزيت حتى لم يبق مما يقوي النور ويزيده اشراقا ويمده باضاءة بقية وذلك ان
المصباح اذا كان في مكان متضايق كان اضوأ له واجمع لنوره بخلاف المكان الواسع فان
الضوء ينبث فيه وينتشر والقنديل اعون شيء على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاؤه يهدي الله
لهذا النور الثاقب من يشاء من عباده اي يوفق لاصابة الحق من نظر وتدبر بعين عقله والانصاف
من نفسه ولم يذهب عن الجادة الموصلة اليه يمينا وشمالا ومن لم يتدبر فهو كالاعمى الذي سواء عليه جنح
الليل الدامس وضحوة النهار الشامس وعن علي رضي الله عنه نور السموات والارض اي نشر فيها الحق و
بثه فاضاءت بنوره او نور قلوب اهلها به وعن ابي بن كعب مثل نور من امن به وقرئ زجاجة الزجاجة
بالفتح والكسر ودري منسوب الى الدر اي ابيض متلالئ ودرئ بوزن سكيت يدرأ الظلام بضوئه
ودرئ كمريق ودرئ كالسكينة عن ابي زيد وتوقد بمعنى تتوقد والفعل للزجاجة ويوقد وتوقد بالتخفيف
ويوقد بالتشديد ويوقد بفتح الياء وحذف التاء لاجتماع حرفين زائدين وهو غريب وتمسسه بالياء
لان التانيث ليس حقيقي والضمير فاصل • في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها
بالغدو والاصال • في بيوت يتعلق بما قبله اي كمشكوة في بعض بيوت الله وهي المساجد كانه قيل
مثل نوره كما يرى في المسجد نور المشكوة التي من صفتها كيت وكيت او بما بعده وهو يسبح اي يسبح له
رجال في بيوت وفيها تكرير كقولك زيد في الدار جالس فيها او بمحذوف كقوله تعالى في تسع ايات اي
سبحوا في بيوت والمراد بالاذن الامر ورفعها بناؤها كقوله بناها رفع سمكها فسواها او واذ يرفع ابرهيم
القواعد من البيت وعن ابن عباس هي المساجد امر الله ان تبنى او تعظيمها والرفع من قدرها وعن الحسن
ما امر الله ان ترفع بالبناء ولكن بالتعظيم ويذكر فيها اسمه اوفق له وهو عام في كل ذكر وعن ابن عباس وان
يتلى فيها كتابه وقرئ يسبح على البناء للمفعول ويسند الى احد الظروف الثلثة اعني له فيها بالغدو ورجال

مرفوع بما دل عليه يسبح وهو يسبح له ويسبح بالتاء وكسر الباء وعن ابي جعفر بالتاء وفتح الباء و
وجهها ان يسند الى اوقات الغدو والآصال على زيادة الباء وتجعل الاوقات مسبحة والمراد ربها
كصيد عليه يومان والمراد وحشهما والآصال جمع أصل وهو العشى والمعنى باوقات الغدو اى
بالغدوات وقرئ والايصال وهو الدخول فى الاصيل يقال آصل كاظهر واعتم • رجال لا تلهيهم
تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار
التجارة صناعة التاجر وهو الذى يبيع ويشترى للربح فاما ان يريد لا يشغلهم نوع من هذه الصناعة
ثم خص البيع لانه فى الالهاء ادخل من قبل ان التاجر اذا اتجهت له بيعة رابحة وهى طلبته الكلية
من صناعته ألهته ما لا يلهيه شرى شىء يتوقع فيه الربح فى الوقت الثانى لان هذا يقين وذا مظنون
واما ان يسمى الشرى تجارة اطلاقا لاسم الجنس على النوع كما تقول رزق فلان تجارة رابحة اذا اتجه له بيع
صالح او شرى وقيل التجارة لاهل الجلب تجر فلان فى كذا اذا جلبه التاء فى اقامة عوض من العين الساقطة
للاعلال والاصل اقوام فلما اضيفت اقيمت الاضافة مقام حرف التعويض فاسقطت ونحوه • واخلفوك
عدا الامر الذى وعدوا • وتتقلب القلوب والابصار اما ان تتقلب وتتغير فى انفسها وهو ان تضطرب
من الهول والفزع وتشخص كقوله • واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر واما ان تتقلب
احوالها فتفقه القلوب بعد ان كانت مطبوعا عليها لا تفقه وتبصر الابصار بعد ان كانت عميا
لا تبصر • ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب اى
احسن جزاء اعمالهم كقوله للذين احسنوا الحسنى المعنى يسبحون ويخافون ليجزيهم ثوابهم بطاعتهم
ويزيدهم على الثواب تفضلا وكذلك معنى قوله الحسنى وزيادة المثوبة الحسنى وزيادة عليها من التفضل
وعطاء الله عز وجل اما تفضل واما ثواب واما عوض والله يرزق ما يتفضل به بغير حساب فاما
الثواب فله حساب لكونه على حسب الاستحقاق • والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن
ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفيه حسابه والله سريع الحساب • السراب ما يرى
فى الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه الارض كانه ماء يجرى والقيعة بمعنى القاع

او جمع قاع وهو المنبسط المستوى من الارض كجيرة فى جار وقرئ بقيعات بتاء ممطوطة كديمات و
قيمات فى ديمة وقيمة وقد جعل بعضهم بقيعاة بتاء مدورة كرجل عزهاة شبه ما يعملونه من لا يعتقد الا
ولا يتبع الحق من الاعمال الصالحة التى يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم تخيب فى
العاقبة امله ويلقى خلاف ما قدره بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيمة فيحسبه
ماء فيأتيه فلا يجد بها رجاه ويجد زبانية الله عنده يأخذونه فيعتلونه الى جهنم فيسقونه الحميم
والغساق وهم الذين قال الله تعالى فيهم عاملة ناصبة ويحسبون انهم يحسنون صنعا وقدمنا الى
ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقيل نزلت فى عتبة بن ربيعة قد كان تعبد ولبس المسوح و
التمس الدين فى الجاهلية ثم كفر فى الاسلام • او كظلمات فى بحر لجى يغشيه موج من فوقه موج من
فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يريها ومن لم يجعل الله له نورا فما له
من نور • اللجى العميق الكثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر وفى اخرج ضمير الواقع فيه لم
يكد يريها مبالغة فى لم يرها اى لم يقرب ان يراها فضلا عن ان يراها ومنه قول ذى الرمة • اذا
غير النأى المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح • اى لم يقرب من البراح فما باله يبرح شبه
اعمالهم اولا فى فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجده من خدعه من بعيد شيئا ولم يكفه خيبة
وكمدا ان لم يجده شيئا كغيره من السراب حتى وجد عنده الزبانية تعتله الى النار ولا يقتل ظماه بالماء
وشبهها ثانيا فى ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفى خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لج البحر و
الامواج والسحاب ثم قال ومن لم يوله نور توفيقه وعصمته ولطفه فهو فى ظلمة الباطل لا نور له وهذا
الكلام مجراه مجرى الكنايات لان الالطاف انما تردف الايمان والعمل او كونهما مترقبين الا ترى الى قوله
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله ويضل الله الظالمين وقرئ سحاب ظلمات على الاضافة
وسحاب ظلمات برفع سحاب وتنوينه وجر ظلمات بدلا من ظلمات الاولى • الم تر ان الله يسبح له من فى
السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلوته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون • صافات يصففن
اجنحتهن فى الهواء والضمير فى علم لكل او لله وكذلك فى صلوته وتسبيحه والصلوة الدعاء ولا يبعد ان

يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما ألهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون اليها
ولله ملك السموات والارض والى الله المصير الم تر ان الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله
ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب بها من يشاء
ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لاولي
الابصار • يزجي يسوق ومنه البضاعة المزجاة التي يزجيها كل احد لا يرضاها والسحاب يكون
واحدا كالعماء وجمعا كالرباب ومعنى تأليف الواحد انه يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض وجاز بينه
وهو واحد لان المعنى بين اجزائه كما قيل في قوله بين الدخول فحومل والركام المتراكم بعضه
فوق بعض والودق المطر من خلاله من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال في جبل وقرئ من خلله
وينزل بالتشديد ويكاد سنا على الادغام وبرقه جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة واللقمة
وبرقه بضمتين للاتباع كما قيل في جمع فعلة فعلات كظلمات وسناء برقه على المد المقصور بمعنى
الضوء والممدود بمعنى العلو والارتفاع من قولك سني للمرتفع ويذهب بالابصار على زيادة الباء
كقوله ولا تلقوا بايديكم عن ابي جعفر المدني وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته وظهور امره حيث
ذكر تسبيح من في السموات والارض وكل ما يطير بين السماء والارض ودعاءهم له وابتهالهم اليه وانه
سخر السحاب التسخير الذي وصفه وما يحدث فيه من افعاله حتى ينزل المطر منه وانه يقسم رحمته
بين خلقه ويقبضها ويبسطها على ما تقتضيه حكمته ويريهم البرق في السحاب الذي يكاد يخطف
ابصارهم ليعتبروا ويحذروا ويعاقب بين الليل والنهار ويخالف بينهما بالطول والقصر وما هذه
الا براهين في غاية الوضوح على وجوده وثباته ودلائل منادية على صفاته لمن نظر وفكر وتبصر و
تدبر فان قلت متى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسبيح من في السموات ودعاءهم وتسبيح الطير ودعاءه
وتنزيل المطر من جبال برد في السماء حتى قيل له الم تر قلت علمه من جهة اخبار الله اياه بذلك على طريق الوحي
فان قلت ما الفرق بين من الاولى والثانية والثالثة في قوله من السماء من جبال من برد قلت الاولى
لابتداء الغاية والثانية للتبعيض والثالثة للبيان او الاوليان للابتداء والاخرة للتبعيض معناه

انه ينزل البرد من السماء من جبال فيها وعلى الاول مفعول ينزل من جبال فان قلت ما معنى من جبال فيها
من برد قلت فيه معنيان احدهما ان يخلق الله في السماء جبال برد كما خلق في الارض جبال حجر والثاني
ان يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب • والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من
يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل
شيء قدير • وقرئ خالق كل دابة ولما كان اسم الدابة موقعا على المميز وغير المميز غلب المميز
فاعطي ما وراءه حكمه كأن الدواب كلهم مميزون فمن ثم قيل فمنهم وقيل من يمشي في الماشي على بطن
والماشي على اربع قوائم فان قلت لم نكر الماء في قوله من ماء قلت لان المعنى انه خلق كل دابة من نوع
من الماء مختص بتلك الدابة او خلقها من ماء مخصوص هو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة
فمنها هوام ومنها بهائم ومنها ناس ونحوه قوله تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فان قلت
فما له معرفا في قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي قلت قصد ثم معنى آخر وهو ان اجناس الحيوان كلها
مخلوقة من هذا الجنس الذي هو جنس الماء وذلك انه هو الاصل وان تخللت بينه وبينها وسائط
قالوا خلق الملائكة من ريح خلقها من الماء والجن من نار خلقها منه وادم من تراب خلقه منه
فان قلت لم جاءت الاجناس الثلاثة على هذا الترتيب قلت قدم ما هو اعرق في القدرة وهو الماشي
بغير آلة مشي من ارجل وقوائم ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على اربع فان قلت لم سمي الزحف على
البطن مشيا قلت على سبيل الاستعارة كما قالوا في الامر المستمر قد مشى هذا الامر ويقال فلان لا
يتمشى له امر ونحوه استعارة الشفة مكان الجحفلة والمشفر مكان الشفة ونحو ذلك او على طريق
المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين • لقد انزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء الى صراط
مستقيم ويقولون آمنا بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين
وما اولئك بالمؤمنين اشارة الى القائلين آمنا واطعنا او الى الفريق المتولي منهم فمعناه على الاول
اعلام من الله بان جميعهم منتف عنهم الايمان لا الفريق المتولي وحده وعلى الثاني اعلام بان الفريق
المتولي لم يكن ما سبق لهم من الايمان ايمانا انما كان ادعاء باللسان من غير مواطأة القلب لانه لو كان

صادرا عن صحة معتقد وطمانينة نفس لم يتعقبه التولي والاعراض والتعريف في قوله بالمومنين دلالة
على انهم ليسوا بالمومنين الذين عرفت وهم الثابتون المستقيمون على الايمان الموصوفون في قوله
انما المومنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا • واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا
فريق منهم معرضون • معنى الى الله ورسوله الى رسول الله كقولك اعجبني زيد وكرمه تريد كرم زيد
ومنه قوله • غلسته قبل القطا وفرطه • اراد قبل فرط القطا روي انها نزلت في بشر المنافق وخصمه
اليهودي حين اختصما في ارض فجعل اليهودي يجره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمنافق يجره
الى كعب بن الاشرف ويقول ان محمدا يحيف علينا وروي ان المغيرة بن وائل كان بينه وبين علي
بن ابي طالب خصومة في ماء وارض فقال المغيرة اما محمد فلست آتيه ولا احاكم اليه فانه يبغضني وانا
اخاف ان يحيف علي • وان يكن لهم الحق ياتوا اليه مذعنين افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون
ان يحيف الله عليهم ورسوله بل اولئك هم الظالمون • اليه صلة ياتوا لان اتى وجاء قد جاءا
معديين بالى او يتصل بمذعنين لانه بمعنى مسرعين في الطاعة وهذا احسن لتقدم صلته ودلالته
على الاختصاص والمعنى انهم لمعرفتهم انه ليس معك الا الحق المر والعدل البحت يزورون عن المحاكمة
اليك اذا ركبهم الحق لئلا تنتزعه من احداقهم بقضائك عليهم لخصومهم وان ثبت لهم على خصم حق
اليك ولم يرضوا الا بحكومتك لتاخذ لهم ما ذاب لهم في ذمة الخصم ثم قسم الامر في صدودهم
عن حكومته اذا كان الحق عليهم بين ان يكونوا مرضى القلوب منافقين او مرتابين في امر نبوته او خائفين
الحيف في قضائه ثم ابطل خوفهم حيفه بقوله بل اولئك هم الظالمون اي لا يخافون ان يحيف عليهم لمعرفتهم
بحاله وانما هم ظالمون يريدون ان يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده وذلك شي لا يستطيعونه في
مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ثم يابون المحاكمة اليه • انما كان قول المومنين اذا دعوا الى
الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون • وعن الحسن قول المومنين بالرفع
والنصب اقوى لان اولى الاسمين بكونه اسما لكان اوغلهما في التعريف وان يقولوا اوغل لانه لا
سبيل عليه للتنكير بخلاف قول المومنين وكان هذا من قبيل كان في قوله ما كان لله ان يتخذ من ولد و

ما يكون لنا ان نتكلم بهذا وقرئ ليحكم على البناء للمفعول فان قلت الام اسند يحكم ولا بد له من فاعل
قلت هو مسند الى مصدره لان معناه ليفعل الحكم بينهم ومثله جمع بينهما والف بينهما ومثله لقد
تقطع بينكم فيمن قرا بينكم منصوبا اي وقع التقطع بينكم وهذه القراءة مجاوبة لقوله دعوا • ومن
يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون • قرئ ويتقه بكسر القاف والهاء
مع الوصل وبغير وصل وبسكون الهاء وبسكون القاف وكسر الهاء شبه تقه بكتف فخفف كقوله
قالت سليمى اشتر لنا سويقا • ولقد جمع الله سبحانه في هذه الآية اسباب الفوز وعن ابن عباس رضي الله عنه
في تفسيرها ومن يطع الله في فرائضه ورسوله في سننه ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما
يستقبل وعن بعض الملوك انه سال عن آية كافية فتليت له هذه الآية • واقسموا بالله جهد ايمانهم
لئن امرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة ان الله خبير بما تعملون • جهد يمينه مستعار من جهد نفسه
اذا بلغ اقصى وسعها وذلك اذا بالغ في اليمين وبلغ غاية شدتها ووكادتها وعن ابن عباس رضي من قال
بالله فقد جهد يمينه واصل اقسم جهد اليمين اقسم يجهد اليمين جهدا فحذف الفعل وقدم المصدر
فوضع موضعه مضافا الى المفعول كقوله فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كانه قال جاهدين
ايمانهم وطاعة معروفة خبر مبتدا محذوف او مبتدا محذوف الخبر اي امركم والذي يطلب منكم طاعة
معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخلص من المومنين الذين طابق باطن امرهم ظاهره
لا ايمان تقسمون بها بافواهكم وقلوبكم على خلافها او طاعتكم طاعة معروفة بانها بالقول دون
الفعل او طاعة معروفة امثل واولى بكم من هذه الايمان الكاذبة وقرا اليزيدي طاعة معروفة
بالنصب على معنى اطيعوا طاعة ان الله خبير يعلم ما في ضمائركم ولا يخفى عليه شي من سرائركم وانه
فاضحكم لا محالة ومجازيكم على نفاقكم • قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم
ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين • صرف الكلام عن الغيبة الى
الخطاب على طريقة الالتفات وهو ابلغ في تبكيتهم يريد فان تولوا فما ضررتموه وانما ضررتم انفسكم
فان الرسول ليس عليه الا ما حمله الله وكلفه من اداء الرسالة فاذا ادى فقد خرج عن عهدة تكليفه

وأما أنتم فعليكم ما كلفتم من التلقي بالقبول والإذعان فإن لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم
لسخط الله وعذابه وإن أطعتموه فقد أحرزتم نصيبكم من الخروج عن الضلالة إلى الهدى فالنفع
والضرر عائدان إليكم وما الرسول إلا ناصح وهاد وما عليه إلا أن يبلغ ما له نفع في قبولكم ولا عليه
ضرر في توليكم والبلاغ بمعنى التبليغ كالأداء بمعنى التأدية ومعنى المبين كونه مقرونا بالآيات والمعجزات
وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم و
ليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن
كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون • الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن معه ومنكم للبيان كالتي
في آخر سورة الفتح وعدهم الله أن ينصر الإسلام على الكفر ويورثهم الأرض ويجعلهم فيها خلفاء كما فعل
ببني إسرائيل حين أورثهم مصر والشام بعد إهلاك الجبابرة وأن يمكن الدين المرتضى وهو دين الإسلام
وتمكينه تثبيته وتوطيده وأن يؤمن سربهم ويزيل عنهم الخوف الذي كانوا عليه وذلك أن رسول الله صلعم
وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون في السلاح ويمسون
فيه حتى قال رجل ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فقال صلى الله عليه وسلم لا تغبرون إلا
يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبيا ليس فيه حديدة فأنجز الله وعده وأظهرهم على
جزيرة العرب وافتتحوا بعد بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الأكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا
على الدنيا ثم خرج الذين على خلاف سيرتهم فكفروا بتلك الأنعم وفسقوا وذلك قوله صلى الله عليه وسلم الخلافة
بعدي ثلاثون سنة ثم يملك الله من يشاء فتصير ملكا ثم تصير بزيزى قطع سبيل وسفك دماء وأخذ
أموال بغير حقها وقرئ كما استخلف على البناء للمفعول وليبدلنهم بالتشديد فإن قلت أين القسم
الملتقى باللام والنون في ليستخلفنهم قلت هو محذوف تقديره وعدهم الله وأقسم ليستخلفنهم
أو نزل وعد الله في تحققه منزلة القسم فتلقي بما يتلقى به القسم كأنه أقسم الله ليستخلفنهم فإن قلت
ما محل يعبدونني قلت إن جعلته استئنافا لم يكن له محل كأن قائلا قال ما لهم يستخلفون ويؤمنون
فقال يعبدونني وإن جعلته حالا عن وعدهم أي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم وإخلاصهم فمحله

النصب ومن كفر يريد كفران النعمة كقوله فكفرت بأنعم الله فأولئك هم الفاسقون أي الكاملون
في فسقهم حيث كفروا تلك النعمة العظيمة وجسروا على غمطها فإن قلت هل في هذه الآية دليل على أمر
الخلفاء الراشدين قلت أوضح دليل وأبينه لأن المستخلفين الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم
وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون • وأقيموا الصلوة معطوف على أطيعوا الله
وأطيعوا الرسول وليس ببعيد أن يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وإن طال لأن حق المعطوف
أن يكون غير المعطوف عليه وكررت طاعة الرسول تأكيدا لوجوبها • لا تحسبن الذين كفروا معجزين في
الأرض ومأواهم النار ولبئس المصير • وقرئ لا يحسبن بالياء وفيه أوجه أن يكون معجزين في الأرض
هما المفعولان والمعنى لا يحسبن الذين كفروا أحدا يعجز الله في الأرض حتى يطمعوا هم في مثل ذلك وهذا
معنى قوي جيد وأن يكون فيه ضمير الرسول لتقدم ذكره في قوله وأطيعوا الرسول وأن يكون الأصل لا
يحسبنهم الذين كفروا معجزين ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الأول وكأن الذي سوغ ذلك أن الفاعل و
المفعولين لما كانت لشيء واحد اقتنع بذكر الاثنين عن ذكر الثالث وعطف قوله ومأواهم النار على
لا يحسبن الذين كفروا معجزين كأنه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله ومأواهم النار والمراد بهم المقسمون جهد
أيمانهم • يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلث مرات من قبل
صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلوة العشاء ثلث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم
جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم • أمر بأن يستأذن
العبيد وقيل العبيد والإماء والأطفال الذين لم يحتلموا من الأحرار ثلث مرات في اليوم والليلة قبل
صلوة الفجر لأنه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة وبالظهيرة
لأنها وقت وضع الثياب للقائلة وبعد صلوة العشاء لأنه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف
بثياب النوم وسمى كل واحدة من هذه الأحوال عورة لأن الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها والعورة الخلل
ومنها أعور الفارس وأعور المكان والأعور المختل العين ثم عذرهم في ترك الاستئذان وراء
هذه المرات وبين وجه العذر في قوله طوافون عليكم يعني أن بكم وبهم حاجة إلى المخالطة والمداخلة

يطوفون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام فلو جزم الامر بالاستيذان في كل وقت لأدّى الى الحرج
وروي أن مدلج بن عمرو وكان غلاما انصاريا ارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهر الى عمر
ليدعوه فدخل عليه وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت أن الله عز وجل نهى آباءنا وابناءنا
وخدمنا أن لا يدخلوا علينا هذه الساعات الا باذن ثم انطلق معه الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجده وقد انزلت
عليه هذه الآيات وهي احدى الآيات المنزلة بسبب عمر وقيل نزلت في اسماء بنت ابي مرثد قالت انا
لندخل على الرجل والمرأة ولعلهما يكونان في لحاف واحد وقيل دخل عليها غلام لها كبير في وقت كرهت دخوله
فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها وعن ابي عمرو
الحلم بالسكون وقرئ ثلث عورات بالنصب بدلا عن ثلث مرات اي اوقات ثلث عورات وعن الاعمش
عورات على لغة هذيل فان قلت ما محل ليس عليكم قلت اذا رفعت ثلث عورات كان ذلك في محل الرفع على
الوصف والمعنى هن ثلث عورات مخصوصة بالاستيذان في تلك الاحوال خاصة فان قلت بم ارتفع بعضكم
قلت بالابتداء وخبره على بعض على معنى طائف على بعض وحذف لان طوافون يدل عليه ويجوز ان يرتفع
بيطوف مضمرا لتلك الدلالة ● واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك
يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم ● الاطفال منكم اي من الاحرار دون المماليك الذين من قبلهم يريد الذين
بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال او الذين ذكروا من قبلهم في قوله يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير
بيوتكم حتى تستأنسوا الآية المعنى أن الاطفال مأذون لهم في الدخول بغير اذن الا في العورات الثلث
فاذا اعتاد الاطفال ذلك ثم خرجوا عن حد الطفولة بان يحتلموا او يبلغوا السن التي يحكم فيها عليهم
بالبلوغ وجب ان يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على ان يستأذنوا في جميع الاوقات كالرجال الكبار الذين
لم يعتادوا الدخول عليكم الا باذن وهذا مما الناس منه في غفلة وهو عندهم كالشريعة المنسوخة وعن
ابن عباس آية لا يؤمن بها اكثر الناس آية الاذن واني لآمر جاريتي ان تستأذن علي وسأله عطاء
أأستأذن على اختي قال نعم وان كانت في حجرك تمونها وتلا هذه الآية وعنه ثلث آيات جحدهن الناس
الاذن كله وقوله ان اكرمكم عند الله اتقيكم فقال ناس اعظمكم بيتا وقوله اذا حضر القسمة وعن ابن

مسعود عليكم ان تستأذنوا على آبائكم وامهاتكم واخواتكم وعن الشعبي ليست بمنسوخة فقيل له ان الناس
لا يعملون بها فقال الله المستعان وعن سعيد بن جبير يقولون هي منسوخة ولا والله ما هي منسوخة ولكن
الناس تهاونوا بها فان قلت ما السن التي يحكم فيها بالبلوغ قلت قال ابو حنيفة ثماني عشرة سنة في الغلام
وسبع عشرة في الجارية وعامة العلماء على خمس عشرة سنة فيهما وعن علي رضي الله عنه انه كان يعتبر القامة و
يقدره بخمسة اشبار وبه اخذ الفرزدق ● ما زال مذ عقدت يداه ازاره وسما فادرك خمسة الاشبار ●
واعتبر غيره الانبات وعن عثمان رضي الله عنه انه سأل عن غلام فقال هل اخضر ازاره ● والقواعد من النساء
اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وان يستعففن
خير لهن والله سميع عليم ● القاعد التي قعدت عن الحيض والولد لكبرها لا يرجون نكاحا لا يطمعن فيه
والمراد بالثياب الثياب الظاهرة كالملحفة والجلباب الذي فوق الخمار غير متبرجات بزينة غير مظهرات
زينة يريد الزينة الخفية التي ارادها في قوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او غير قاصدات بالوضع
التبرج ولكن التخفف اذا احتجن اليه والاستعفاف من الوضع خير لهن لما ذكر الجائز عقبه بالمستحب
بعثا منه على اختيار افضل الاعمال واحسنها كقوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى وان تصدقوا
خير لكم فان قلت ما حقيقة التبرج قلت تكلف اظهار ما يجب اخفاؤه من قولهم سفينة بارج لا
غطاء عليها والبرج سعة العين يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شيء الا انه اختص بان تتكشف
المرأة للرجال بابداء زينتها واظهار محاسنها وبرز وبرز بمعنى ظهر من اخوات تبرج وتبلج كذلك ●
ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على انفسكم ان تأكلوا من بيوتكم او
بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم
او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه او صديقكم ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا او
اشتاتا فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات
لعلكم تعقلون ● كان المؤمنون يذهبون بالضعفاء وذوي العاهات الى بيوت ازواجهم واولادهم والى
بيوت قراباتهم واصدقائهم فيطعمونهم منها فخالج قلوب المطعمين والمطعمين ريبة وخافوا ان يلحقهم

فيه حرج وكرهوا أن يكون أكلا بغير حق لقوله تعالى ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل فقيل لهم ليس على الضعفاء
ولا على أنفسكم يعني عليكم وعلى من في مثل حالكم من المؤمنين حرج في ذلك وعن عكرمة كانت الأنصار في
أنفسها قزازة فكانت لا تأكل من هذه البيوت إذا استغنوا وقيل كان هؤلاء يتوقون مجالسة الناس و
مواكلتهم لما عسى يؤدي إلى الكراهة من قبلهم ولأن الأعمى ربما سبقت يده إلى ما سبقت عين أكيله إليه
وهو لا يشعر والأعرج يتفسح في مجلسه ويأخذ أكثر من موضعه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو من رائحة
تؤذي أو جرح يبض أو أنف يذن ونحو ذلك وقيل كانوا يخرجون إلى الغزو ويخلفون الضعفاء في بيوتهم
ويدفعون إليهم المفاتيح ويأذنون لهم أن يأكلوا من بيوتهم فكانوا يتحرجون حكي عن الحرث بن عمرو أنه
خرج غازيا وخلف مالك بن [زيد] في بيته وماله فلما رجع رآه مجهودا فقال ما أصابك قال لم يكن عندي شيء
ولم يحل لي أن آكل من مالك فقيل [ليس] على هؤلاء الضعفاء حرج فيما تحرجوا عنه ولا عليكم أن تأكلوا من هذه
البيوت وهذا كلام صحيح وكذلك [إذا] فسر بأن هؤلاء ليس عليهم حرج من القعود عن الغزو ولا عليكم أن تأكلوا
من البيوت المذكورة لالتقاء [الطائفتين] في أن كل واحد منهما منفي عنهما الحرج ومثال هذا أن يستفتيك
مسافر عن الإفطار في رمضان [وحاج] مفرد عن تقديم الحلق على النحر فقلت ليس على المسافر حرج أن يفطر
ولا عليك يا حاج أن تقدم الحلق على النحر فإن قلت هلا ذكر الأولاد قلت دخل ذكرهم تحت قوله من
بيوتكم لأن ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه وفي الحديث إن أطيب ما يأكل المرء من كسبه وإن ولده من
كسبه ومعنى من بيوتكم من البيوت التي فيها أزواجكم وعيالكم ولأن الولد أقرب ممن عدد من القرابات
فإذا كان سبب الرخصة هو القرابة كان الذي هو أقرب منهم أولى فإن قلت ما معنى أو ما ملكتم مفاتحه
قلت أموال الرجل إذا كان له عليها قيم ووكيل يحفظها له أن يأكل من ثمر بستانه ويشرب من لبن ماشيته
وملك المفاتح كونها في يده وحفظه وقيل بيوت المماليك لأن مال العبد لمولاه وقرئ مفتاحه فإن قلت ما
معنى أو صديقكم قلت معناه أو بيوت أصدقائكم والصديق يكون واحدا وجمعا وكذلك الخليط والقطين
والعدو ويحكى عن الحسن أنه دخل داره وإذا حلقة من أصدقائه وقد استلوا سلالا من تحت سريره
فيها الخبيص وأطايب الأطعمة وهم مكبون عليها يأكلون فتهللت أسارير وجهه سرورا وضحك و قال

هكذا

هكذا وجدناهم هكذا وجدناهم يريد كبراء الصحابة ومن لقيهم من البدريين وكان الرجل منهم يدخل
دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريته كيسه فيأخذ منه ما شاء فإذا حضر مولاها فأخبرته أعتقها سرورا
بذلك وعن جعفر بن محمد من عظم حرمة الصديق أن جعله الله من الأنس والثقة والانبساط وطرح
الحشمة بمنزلة النفس والأب والأخ والابن وعن ابن عباس الصديق أكبر من الوالدين إن الجهنميين لما
استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء والأمهات فقالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقالوا إذا دل ظاهر الحال
على رضا المالك قام ذلك مقام الإذن الصريح وربما سمج الاستئذان وثقل كمن قدم إليه طعام فاستأذن صاحبه
في الأكل منه جميعا أو أشتاتا أي مجتمعين أو متفرقين نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون أن
يأكل الرجل وحده فربما قعد منتظرا نهاره إلى الليل فإن لم يجد من يواكله أكل ضرورة وقيل في قوم من الأنصار
إذا نزل بهم ضيف لا يأكلون إلا مع ضيفهم وقيل تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الأكل و
زيادة بعضهم على بعض فإذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت لتأكلوا فابدؤوا بالسلام على أهلها الذين هم منكم
دينا وقرابة تحية من عند الله أي ثابتة بأمره مشروعة من لدنه أو لأن التسليم والتحية طلب سلامة
وحياة للمسلم عليه والمحيا من عند الله ووصفها بالبركة والطيب لأنها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة
الخير وطيب الرزق وعن أنس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين وروي تسع سنين فما قال
لشيء فعلته لم فعلته ولا قال لي لشيء كسرته لم كسرته وكنت واقفا على رأسه أصب الماء على يديه فرفع رأسه فقال
ألا أعلمك ثلاث خصال تنتفع بها قلت بلى بأبي وأمي يا رسول الله قال متى لقيت من أمتي أحدا فسلم عليه
يطل عمرك وإذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فإنها صلاة الأبرار الأوابين وقالوا
إن لم يكن في البيت أحد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على
أهل البيت ورحمة الله وعن ابن عباس إذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين تحية من
عند الله وانتصب تحية بسلموا لأنها في معنى تسليما كقولك قعدت جلوسا • إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله و
رسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون
بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم

أراد عز وجل أن يريهم عظم الجناية في ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير إذنه
إذا كانوا معه على أمر جامع فجعل ترك ذهابهم حتى يستأذنوه ثالث الإيمان بالله والإيمان برسوله وجعلهما
كالتشبيب له والبساط لذكره وذلك مع تصدير الجملة بإنما وإيقاع المؤمنين مبتدأ مخبراً عنه بموصول أحاطت
صلته بذكر الإيمانين ثم عقبه بما يزيده توكيداً وتشديداً حيث أعاده على أسلوب آخر وهو قوله إن الذين
يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله وضمنه شيئاً آخر وهو أنه جعل الاستئذان كالمصداق
لصحة الإيمانين وعرض بحال المنافقين وتسللهم لواذاً ومعنى قوله لم يذهبوا حتى يستأذنوه ويأذن لهم
ألا تراه كيف علق الأمر بعد وجود استئذانهم بمشيئته وإذنه لمن استصوب أن يأذن له والأمر الجامع الذي
يجمع له الناس فوصف الأمر بالجمع على سبيل المجاز وذلك نحو مقاتلة عدو أو تشاور في خطب مهم أو تضام
لإرهاب مخالف أو تماسح في حلف وغير ذلك أو الأمر الذي يعم بضرره أو بنفعه وقرئ بأمر جميع وفي قوله
إذا كانوا معه على أمر جامع أنه خطب جليل لا بد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه من ذوي رأي وقوة يظاهرونه
عليه ويعاونونه ويستضيء بآرائهم ومعارفهم وتجاربهم في كفايته فمفارقة أحدهم في مثل تلك الحال
يشق على قلبه ويشعث عليه رأيه فمن ثم غلظ عليهم وضيق عليهم الأمر في الاستئذان مع العذر المبسوط
ومساس الحاجة إليه واعتراض ما يهمهم ويعنيهم وذلك قوله لبعض شأنهم وذكر الاستغفار للمستأذنين
دليل على أن الأحسن الأفضل أن لا يحدثوا أنفسهم بالذهاب ولا يستأذنوا فيه وقيل نزلت في حفر
الخندق وكان قوم يتسللون بغير إذن وقالوا كذلك ينبغي أن يكون الناس مع أئمتهم ومقدميهم في
الدين والعلم يظاهرونهم ولا يخذلونهم في نازلة من النوازل ولا يتفرقون عنهم والأمر في الإذن مفوض
إلى الإمام إن شاء أذن وإن شاء لم يأذن على حسب ما اقتضاه رأيه • لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء
بعضكم بعضاً قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة
أو يصيبهم عذاب أليم • إذا احتاج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اجتماعكم عنده لأمر فدعاكم فلا تفرقوا
عنه إلا بإذنه ولا تقيسوا دعاءه إياكم على دعاء بعضكم بعضاً ورجوعكم عن المجمع بغير إذن الداعي أو لا
تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمي بعضكم بعضاً ويناديه باسمه الذي سماه به أبواه ولا تقولوا يا محمد

ولكن يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض والتواضع ويحتمل لا تجعلوا
دعاء الرسول ربه مثل ما يدعو صغيركم كبيركم وفقيركم غنيكم يسأله حاجة فربما أجابه وربما رده
فإن دعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم مسموعة مستجابة يتسللون ينسلون قليلاً قليلاً ونظير تسلل
تدرج وتدخل واللواذ الملاوذة وهو أن يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا يعني يتسللون عن الجماعة في
الخفية على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض ولواذاً حال أي ملاوذين وقيل كان بعضهم يلوذ بالرجل
إذا استأذن فيأذن له فينطلق الذي لم يؤذن له معه وقرئ لواذاً بالفتح يقال خالفه إلى الأمر إذا
ذهب إليه دونه ومنه قوله تعالى وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه وخالفه عن الأمر إذا صد عنه
دونه ومعنى الذين يخالفون عن أمره الذين يصدون عن أمره دون المؤمنين وهم المنافقون فحذف
المفعول لأن الغرض ذكر المخالف والمخالف عنه الضمير في أمره لله سبحانه أو للرسول عليه السلام والمعنى عن
طاعته ودينه فتنة محنة في الدنيا أو يصيبهم عذاب أليم في الآخرة وعن ابن عباس فتنة قتل وعن عطاء
زلازل وأهوال وعن جعفر بن محمد يسلط عليهم سلطان جائر • ألا إن لله ما في السموات والأرض قد يعلم
ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم • أدخل قد ليؤكد علمه بما هم عليه
من المخالفة عن الدين والنفاق ومرجع توكيد العلم إلى توكيد الوعيد وذلك أن قد إذا دخلت على
المضارع كانت بمعنى ربما فوافقت ربما في خروجها إلى معنى التكثير في نحو قوله • فإن تمس مهجور الفناء
فربما • أقام به بعد الوفود وفود • ونحوه قول زهير • أخي ثقة لا تهلك الخمر ماله • ولكنه قد يهلك المال
نائله • والمعنى أن جميع ما في السموات والأرض مختص به خلقاً وملكاً وعلماً فكيف يخفى عليه أحوال
المنافقين وإن كانوا يجتهدون في سترها عن العيون وإخفائها وسينبئهم يوم القيامة بما أبطنوا من سوء
أعمالهم وسيجازيهم حق جزائهم والخطاب والغيبة في قوله قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه يجوز
أن يكونا جميعاً للمنافقين على طريقة الالتفات ويجوز أن يكون ما أنتم عليه عاماً ويرجعون للمنافقين
الله أعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة
فيما مضى وفيما بقي • سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ● تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون
للعالمين نذيرا ● البركة كثرة الخير وزيادته ومنها تبارك الله وفيه معنيان تزايد خيره وتكاثره او
تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما
وسمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل او لانه لم ينزل جملة واحدة ولكن مفروقا مفصولا بين بعضه
وبعض في الانزال الا ترى الى قوله وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا وقد جاء الفرق
بمعناه قال ● ومشركي كافر بالفرق ● وعن الزبير على عباده وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته كما قال
لقد انزلنا اليكم قولوا آمنا بالله وما انزل الينا والضمير في ليكون لعبده او للفرقان ويعضده رجوعه الى
الفرقان قراءة ابن الزبير للعالمين للجن والانس نذيرا منذرا اي مخوفا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار ومنه
قوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر ● الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في
الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا ● الذي له رفع على الابدال من الذي نزل او رفع على المدح او نصب عليه
فان قلت كيف جاز الفصل بين البدل والمبدل منه قلت ما فصل بينهما بشيء لان المبدل منه صلته نزل
وليكون تعليل له فكان المبدل منه لم يتم الا به فان قلت في الخلق معنى التقدير فما معنى قوله وخلق كل
شيء فقدره تقديرا كانه قال وقدر كل شيء فقدره قلت المعنى انه احدث كل شيء احداثا مراعى فيه التقدير
والتسوية فقدره وهيأه لما يصلح له مثاله انه خلق الانسان على هذا الشكل المقدر المسوى الذي تراه
فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة به في بابي الدين والدنيا وكذلك كل حيوان وجماد جاء به على الجبلة
المستوية المقدرة بامثلة الحكمة والتدبير فقدره لامر ما ومصلحة مطابقا لما قدر له غير متجاف عنه او سمي
احداث الله خلقا لانه لا يحدث شيئا لحكمته الا على وجه التقدير من غير تفاوت فاذا قيل خلق الله كذا
فهو بمنزلة قولك احدث واوجد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فكانه قيل واوجد كل شيء فقدره
في ايجاده لم يوجد متفاوتا وقيل فجعل له غاية ومنتهى ومعناه فقدره للبقاء الى امد معلوم ● واتخذوا
من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة
ولا نشورا ● الخلق بمعنى الافتعال كما في قوله انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا والمعنى

انهم

انهم آثروا على عبادة الله سبحانه عبادة آلهة لا عجز ابين من عجزهم لا يقدرون على شيء من افعال الله
ولا من افعال العباد حيث لا يفتعلون شيئا وهم يفتعلون لان عبدتهم يصنعونهم بالنحت والتصوير
ولا يملكون اي لا يستطيعون لانفسهم دفع ضرر عنها او جلب نفع اليها وهم يستطيعون واذا عجزوا
عن الافتعال ودفع الضرر وجلب النفع التي يقدر عليها العباد كانوا عن الموت والحيوة والنشور التي لا
يقدر عليها الا الله اعجز ● وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا
ظلما وزورا ● قوم آخرون هم اليهود وقيل عداس مولى حويطب بن عبد العزى ويسار مولى العلاء بن الحضرمي
وابو فكيهة الرومي قال ذلك النضر بن الحارث بن عبد الدار جاء واتى يستعملان في معنى فعل فيعديان
تعديته وقد يكون على معنى وردوا ظلما كما تقول جئت المكان ويجوز ان يحذف الجار ويوصل الفعل
وظلمهم ان جعلوا العربي يتلقن من العجمي الرومي كلاما عربيا اعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب والزور
ان بهتوه بنسبة ما هو بريء منه اليه ● وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا ● اساطير
الاولين ما سطره المتقدمون من نحو احاديث رستم واسفنديار جمع اسطار او اسطورة كاحدوثة
اكتتبها كتبها لنفسه واخذها كما تقول استكب الماء واصطبه اذا سكبه وصبه لنفسه واخذه وقرئ
اكتتبها على البناء للمفعول والمعنى اكتتبها كاتب له لانه كان اميا لا يكتب بيده وذلك من تمام اعجازه ثم
حذفت اللام فافضي الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب كقوله واختار موسى قومه ثم بني الفعل للضمير
الذي هو اياه فانقلب مرفوعا مستترا بعد ان كان بارزا منصوبا وبقي ضمير الاساطير على حاله فصار اكتتبها كما ترى
فان قلت كيف قيل اكتتبها فهي تملى عليه وانما يقال امليت عليه فهو يكتتبها قلت فيه وجهان احدهما اراد
اكتتابها او طلبه فهي تملى عليه او كتبت له وهو امي فهي تملى عليه اي تلقى عليه من كتابه يتحفظها لان صورة
الالقاء على الحافظ كصورة الالقاء على الكاتب وعن الحسن انه قول الله سبحانه يكذبهم وانما يستقيم ان
لو فتحت الهمزة للاستفهام الذي في معنى الانكار ووجهه ان يكون نحو قوله ● أفرح أن أرزأ الكرام
وحق الحسن ان يقف على الاولين بكرة واصيلا اي دائما او في الخفية قبل ان ينتشر الناس وحين يأوون
الى مساكنهم ● قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض انه كان غفورا رحيما ● اي يعلم كل سر خفي في

السموات والارض ومن جملته ما تسرونه انتم من الكيد لرسوله مع علمكم ان ما تقولونه باطل وزور
وكذلك باطن امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبراءته مما تبهتونه به وهو مجازيكم ومجازيه على ما علم منكم
وعلم منه فان قلت كيف طابق قوله انه كان غفورا رحيما هذا المعنى قلت لما كان ما تقدمه في معنى الوعيد
عقبه بما يدل على القدرة عليه لانه لا يوصف بالمغفرة والرحمة الا القادر على العقوبة او هو تنبيه على انهم
استوجبوا بمكابرتهم هذه ان يصب عليهم العذاب صبا ولكن صرف ذلك عنهم انه غفور رحيم يمهل ولا
يعاجل • وقالوا مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا
او يلقى اليه كنز او تكون له جنة ياكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا • وقعت
اللام في المصحف مفصولة عن هذا خارجة عن اوضاع الخط العربي وخط المصحف سنة لا تغير
وفي هذا استهانة وتصغير لشانه وتسميته بالرسول سخرية منهم وطنز كانهم قالوا ما لهذا الزاعم انه رسول
ونحوه قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون اي ان صح انه رسول الله فما باله حاله مثل حالنا
ياكل الطعام كما ناكل ويتردد في الاسواق لطلب المعاش كما نتردد يعنون انه كان يجب ان يكون ملكا
مستغنيا عن الاكل والتعيش ثم نزلوا عن اقتراحهم ان يكون ملكا الى اقتراح ان يكون انسانا معه ملك
حتى يتساندا في الانذار والتخويف ثم نزلوا ايضا فقالوا وان لم يكن مرفودا بملك فليكن مرفودا بكنز يلقى اليه من السماء
يستظهر به ولا يحتاج الى تحصيل المعاش ثم نزلوا فاقتنعوا بان يكون رجلا له بستان ياكل منه ويرتزق
كالدهاقين والمياسير او ياكلون هم من ذلك البستان فينتفعون به في دنياهم ومعاشهم واراد
بالظالمين اياهم باعيانهم وضع الظاهر موضع المضمر ليسجل عليهم بالظلم فيما قالوا وقرئ فيكون بالرفع
او يكون له جنة بالياء وناكل بالنون فان قلت ما وجها الرفع والنصب في فيكون قلت النصب لانه جواب
لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام والرفع على انه معطوف على انزل ومحله الرفع الا ترى انك تقول لولا ينزل
بالرفع وقد عطف عليه يلقى وتكون مرفوعين ولا يجوز النصب فيهما لانهما في حكم الواقع بعد لولا ولا يكون الا
مرفوعا والقائلون هم كفار قريش النضر بن الحارث وعبد الله بن ابي امية ونوفل بن خويلد ومن ضامهم مسحورا
سحر فغلب على عقله او ذا سحر وهو الرئة عنوا انه بشر لا ملك • انظر كيف ضربوا لك الامثال

فضلوا

فضلوا فلا يستطيعون سبيلا • ضربوا لك الامثال اي قالوا فيك تلك الاقوال واخترعوا لك
تلك الصفات والاحوال النادرة من نبوة مشتركة بين انسان وملك والقاء كنز عليك من السماء
وغير ذلك فبقوا متحيرين ضلالا لا يجدون قولا يستقرون عليه او فضلوا عن الحق فلا يجدون طريقا
اليه • تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا
تكاثر خير الذي ان شاء وهب لك في الدنيا خيرا مما قالوا وهو ان يعجل لك مثل ما وعدك في الآخرة من
الجنات والقصور وقرئ ويجعل بالرفع عطفا على جعل لان الشرط اذا وقع ماضيا جاز في جزائه الجزم
والرفع كقوله • وان اتاه خليل يوم مسالة يقول لا غائب مالي ولا حرم • ويجوز في ويجعل لك اذا ادغمت
ان يكون اللام في تقدير الجزم والرفع جميعا وقرئ بالنصب على انه جواب الشرط بالواو • بل كذبوا بالساعة
واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا • بل كذبوا عطف على ما حكى عنهم يقول بل اتوا باعجب من ذلك كله
وهو تكذيبهم بالساعة ويجوز ان يتصل بما يليه كانه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون الى هذا
الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة وهم لا يؤمنون بالآخرة السعير النار الشديدة
الاستعار وعن الحسن انه اسم من اسماء جهنم • اذا راتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا • راتهم من
قولهم دورهم تتراءى وتتناظر ومن قوله صلى الله عليه وسلم لا تتراءى ناراهما كان بعضها يرى بعضا على
سبيل المجاز والمعنى اذا كانت منهم بمراى الناظر في البعد سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ
والزافر ويجوز ان يراد اذا راتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار وشهوة للانتقام منهم
واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا • الكرب مع الضيق كما ان الروح مع
السعة ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها السموات والارض وجاء في الاحاديث ان لكل مؤمن
من القصور والجنان كذا وكذا ولقد جمع الله على اهل النار انواع التضييق والارهاق حيث القاهم
في مكان ضيق يتراصون فيه تراصا كما روي عن ابن عباس في تفسيره انه يضيق عليهم كما يضيق الزج
في الرمح وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرنون في السلاسل قرنت ايديهم الى اعناقهم في الجوامع
وقيل يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي ارجلهم الاصفاد والثبور الهلاك ودعاؤه ان يقال

وأثبوراه أي تعال يا ثبور فهذا حينك وزمانك • لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا
لا تدعوا أي يقال لهم ذلك وهم أحقاء بأن يقال لهم وإن لم يكن ثم قول ومعنى وادعوا ثبورا كثيرا
أنكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا إنما هو ثبور كثير إما لأن العذاب أنواع وألوان كل نوع منها
ثبور لشدته وفظاعته أو لأنهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم • قل أذلك
خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا • الراجع إلى الموصولين محذوف يعني
وعدها المتقون وما يشاؤونه وإنما قيل كانت لأن ما وعده الله وحده فهو في تحققه كأنه قد كان
أو كان مكتوبا في اللوح قبل أن برأهم بأزمنة متطاولة أن الجنة جزاؤهم ومصيرهم فإن قلت ما
معنى قوله كانت لهم جزاء ومصيرا قلت هو كقوله نعم الثواب وحسنت مرتفقا فمدح الثواب ومكانه
كما قال بئس الشراب وساءت مرتفقا فذم العقاب ومكانه لأن النعيم لا يتم للمتنعم إلا بطيب المكان
وسعته وموافقته للمراد والشهوة وأن لا تنغص وكذلك العقاب يتضاعف بغثاثة الموضع
وضيقه وظلمته وجمعه لأسباب الاجتواء والكراهة فلذلك ذكر المصير مع ذكر الجزاء • لهم ما يشاؤن
خالدين كان على ربك وعدا مسؤولا • والضمير في كان لما يشاؤن والوعد الموعود أي كان ذلك موعودا
واجبا على ربك إنجازه حقيقا أن يسأل ويطلب لأنه جزاء وأجر مستحق وقيل قد سأله الناس و
الملائكة في دعواتهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ربنا
وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم • ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم
أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل • يحشرهم فيقول كلاهما بالنون والياء وقرئ نحشرهم بكسر الشين
وما يعبدون يريد المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير وعن الكلبي الأصنام ينطقها الله ويجوز
أن يكون عاما لهم جميعا فإن قلت كيف صح استعمال ما في العقلاء قلت هو موضوع على العموم للعقلاء
وغيرهم بدليل قولك إذا رأيت شبحا من بعيد ما هو فإذا قيل لك إنسان قلت حينئذ من هو ويدلك قولهم
من لما يعقل أو أريد به الوصف كأنه قيل ومعبوديهم ألا تراك تقول إذا أردت السؤال عن صفة زيد
ما زيد تعني أطويل أم قصير أفقيه أم طبيب فإن قلت ما فائدة أنتم وهم وهلا قيل أأضللتم عبادي هؤلاء

ام

أم ضلوا السبيل قلت ليس السؤال عن الفعل ووجوده لأنه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب وإنما
إنما هو عن متوليه فلا بد من ذكره وإيلائه حرف الاستفهام حتى يعلم أنه المسؤول عنه فإن قلت فالله سبحانه
قد سبق علمه بالمسؤول عنه فما فائدة هذا السؤال قلت فائدته أن يجيبوا بما أجابوا به حتى يبكت
عبدتهم بتكذيبهم إياهم فيبهتوا ويخذلوا ويزيد حسرتهم ويكون ذلك نوعا مما يلحقهم من غضب الله
وعذابه ويغتبط المؤمنون ويفرحوا بحالهم ونجاتهم من فضيحة أولئك وليكون حكاية ذلك في القرآن
لطفا للمكلفين وفيه كسر بين لقول من يزعم أن الله يضل عباده على الحقيقة حيث يقول للمعبودين
من دونه أأنتم أضللتموهم أم هم ضلوا بأنفسهم فيتبرؤون من إضلالهم ويستعيذون به أن يكونوا
مضلين ويقولون بل أنت تفضلت من غير سابقة على هؤلاء وآبائهم تفضل جواد كريم فجعلوا النعمة التي
حقها أن تكون سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر وكان ذلك سبب هلاكهم فإذا برأت الملائكة والرسل
أنفسهم من نسبة الإضلال الذي هو عمل الشياطين إليهم واستعاذوا منه فهم لربهم الغني العدل
أشد تبرئة وتنزيها منه ولقد نزهوه حين أضافوا إليه التفضل بالنعمة والتمتيع بها وأسندوا نسيان
الذكر والتسبب به للبوار إلى الكفرة فشرحوا الإضلال المجازي الذي أسنده الله إلى ذاته في قوله يضل
من يشاء ولو كان هو المضل على الحقيقة لكان الجواب العتيد أن يقولوا بل أنت أضللتهم والمعنى أأنتم
أوقعتموهم في الضلال عن طريق الحق أم هم ضلوا عنه بأنفسهم وضل مطاوع أضله وكان القياس
ضلوا عن السبيل إلا أنهم تركوا الجار كما تركوه في هداه الطريق والأصل إلى الطريق وللطريق وقولهم
أضل البعير في معنى جعله ضالا أي ضائعا لما كان أكثر ذلك بتفريط من صاحبه وقلة احتياط في حفظه قيل
أضله سواء كان منه فعل أو لم يكن • قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن
متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا • سبحانك تعجب منهم قد تعجبوا مما قيل لهم لأنهم ملائكة
وأنبياء معصومون فما أبعدهم عن الإضلال الذي هو مختص بإبليس وحزبه أو نطقوا بسبحانك ليدلوا على
أنهم هم المسبحون المقدسون الموسومون بذلك فكيف يليق بحالهم أن يضلوا عباده أو قصدوا به تنزيهه
عن الأنداد وأن يكون له ملك أو نبي أو غيرهما ندا ثم قالوا ما كان يصح لنا ولا يستقيم ونحن معصومون أن

نتولى احدا دونك فكيف يصح لنا ان نحمل غيرنا على ان يتولونا دونك او ما كان ينبغي لنا ان نكون امثال
الشياطين في توليهم الكفار كما تولاهم الكفار قال الله تعالى فقاتلوا اولياء الشيطان يريد الكفرة وقال
والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت وقرا ابو جعفر المدني نتخذ على البناء للمفعول وهذا الفعل اعني اتخذ
يتعدى الى مفعول واحد كقولك اتخذ وليا والى مفعولين كقولك اتخذ فلانا وليا قال الله تعالى ام
اتخذوا آلهة من الارض وقال واتخذ الله ابراهيم خليلا فالقراءة الاولى من المتعدي الى واحد وهو من
اولياء والاصل ان نتخذ اولياء فزيدت من لتاكيد معنى النفي والثانية من المتعدي الى مفعولين
فالاول ما بني له الفعل والثاني من اولياء ومن للتبعيض اي لا نتخذ بعض اولياء وتنكير اولياء من حيث
انهم اولياء مخصوصون وهم الجن والاصنام والذكر ذكر الله والايمان به او القرآن والشرائع والبور
الهلاك يوصف به الواحد والجمع ويجوز ان يكون جمع بائر كعائذ وعوذ • فقد كذبوكم بما تقولون فما
يستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا • هذه المفاجاة بالاحتجاج والالزام
حسنة رائعة وخاصة اذا انضم اليها الالتفات وحذف القول ونحوه قوله عز وجل يا اهل الكتاب
قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير
وقول القائل • قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا • وقرئ يقولون بالتاء والياء
فمعنى من قرا بالتاء فقد كذبوكم بقولكم انهم آلهة ومعنى من قرا بالياء فقد كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان
ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء • فان قلت هل يختلف حكم الباء مع التاء والياء قلت اي والله
هي مع التاء كقوله بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من الضمير كانه قيل فقد كذبوا بما تقولون
وهي مع الياء كقولك كتبت بالقلم وقرئ تستطيعون بالتاء والياء ايضا يعني فما تستطيعون انتم يا كفار صرف
العذاب عنكم وقيل الصرف التوبة وقيل الحيلة من قولهم انه ليتصرف اي يحتال او فما يستطيع آلهتكم ان يصرفوا
عنكم العذاب وان يحتالوا لكم الخطاب على العموم للمكلفين والعذاب الكبير لاحق بكل من ظلم والكافر
ظالم لقوله ان الشرك لظلم عظيم والفاسق ظالم لقوله ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون وقرئ يذقه
بالياء وفيه ضمير الله او ضمير مصدر يظلم الجملة بعد الا صفة لموصوف محذوف • وما ارسلنا قبلك من المرسلين

96

الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون وكان ربك
بصيرا • والمعنى وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا آكلين وماشين وانما حذف اكتفاء بالجار
والمجرور اعني من المرسلين ونحوه قوله عز وجل وما منا الا له مقام معلوم على معنى وما منا احد
وقرئ ويمشون على البناء للمفعول اي تمشيهم حوائجهم او الناس ولو قرئ يمشون لكان اوجه لولا
الرواية وقيل هو احتجاج على من قال ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق فتنة اي محنة وابتلاء
وهذا تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قالوه واستبدعوه من اكله الطعام ومشيه في الاسواق
بعدما احتج عليهم بسائر الرسل يقول وجرت عادتي وموجب حكمتي على ابتلاء بعضكم ايها الناس ببعض
والمعنى انه ابتلى المرسلين بالمرسل اليهم وبمناصبتهم لهم العداوة واقاويلهم الخارجة عن حد الانصاف
وانواع اذاهم وطلب منهم الصبر الجميل ونحوه ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين
اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وموقع اتصبرون بعد ذكر الفتنة
موقع ايكم بعد الابتلاء في قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا بصيرا عالما بالصواب فيما يبتلي به وغيره فلا
يضيقن صدرك ولا يستخفنك اقاويلهم فان في صبرك عليها سعادتك وفوزك في الدارين وقيل
هو تسلية له عما عيروه به من الفقر حين قالوا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة وانه جعل الاغنياء
فتنة للفقراء لينظر هل يصبرون وانها حكمته ومشيته يغني من يشاء ويفقر من يشاء وقيل جعلناك
فتنة لهم لانك لو كنت غنيا صاحب كنوز وجنان لكان ميلهم اليك وطاعتهم لك للدنيا او ممزوجة
بالدنيا فانما بعثناك فقيرا لتكون طاعة من يطيعك خالصة لوجه الله من غير طمع دنياوي وقيل
كان ابو جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل ومن في طبقتهم يقولون ان اسلمنا وقد اسلم
قبلنا عمار وصهيب وبلال وفلان وفلان ترفعوا علينا ادلالا بالسابقة فهو افتتان بعضهم ببعض
وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتوا
عتوا كبيرا • اي لا يأملون لقاءنا بالخير لانهم كفرة او لا يخافون لقاءنا بالشر والرجاء في لغة
تهامة الخوف وبه فسر قوله تعالى لا ترجون لله وقارا جعلت الصيرورة الى دار جزائه بمنزلة لقائه لو

كان مقيتًا اقترحوا من الآيات أن ينزل الله عليهم الملائكة فتخبرهم بأن محمدًا صادق حتى يصدقوه
او يروا الله جهرة فيأمرهم بتصديقه واتباعه ولا يخلوا اما ان يكونوا عالمين بأن الله لا يرسل الملائكة
الى غير الانبياء وأن الله لا يصح ان يرى وانما علقوا ايمانهم بما لا يكون واما ان لا يكونوا عالمين بذلك و[انما]
ارادوا التعنت باقتراح آيات سوى الآيات التي نزلت وقامت بها الحجة عليهم كما فعل قوم موسى
حين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فان قلت ما معنى في انفسهم قلت معناه انهم اضمروا الاستكبار
عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم واعتقدوه كما قال ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه وعتوا
وتجاوزوا الحد في الظلم يقال عتا علينا فلان وقد وصف العتو بالكبير فبالغ في افراطه يعني انهم
لم يجسروا على هذا القول العظيم الا لانهم بلغوا غاية الاستكبار واقصى العتو واللام جواب قسم محذوف
وهذه الجملة في حسن استئنافها غاية وفي اسلوبها قول القائل • وجارة جساس ابأنا بنابها كليبا
غلت ناب كليب بواؤها • وفي فحوى هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ التعجب الا ترى ان المعنى
ما اشد استكبارهم وما اكبر عتوهم وما اغلى نابا بواؤها كليب • يوم يرون الملائكة لا بشرى
يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا • يوم يرون منصوب باحد شيئين اما بما دل عليه لا بشرى
اي يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى او يعدمونها ويومئذ للتكرير واما باضمار اذكر اي اذكر
يوم يرون الملائكة ثم قال لا بشرى يومئذ للمجرمين وقوله للمجرمين اما ظاهر في موضع ضمير واما لانه
عام فقد تناولهم بعمومه حجرا محجورا ذكره سيبويه في باب المصادر غير المتصرفة المنصوبة بافعال متروك
اظهارها نحو معاذ الله وقعدك وعمرك وهذه كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور او
هجوم نازلة او نحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة قال سيبويه يقول الرجل للرجل أتفعل كذا وكذا
فيقول حجرا وهي من حجره اذا منعه لان المستعيذ طالب من الله ان يمنع المكروه فلا يلحقه
فكان المعنى اسأل الله ان يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا ومجيئه على فِعل او فُعل في قراءة الحسن تصرف
فيه لاختصاصه بموضع واحد كما كان قعدك وعمرك كذلك وانشدت لبعض الرجاز • قالت وفيها
حيدة وذعر عوذ بربي منكم وحجر فان قلت فاذ قد ثبت انه من باب المصادر فما معنى وصفه بمحجور

قلت جاءت هذه الصفة لتأكيد معنى الحجر كما قالوا ذيل ذائل والذيل الهوان وموت مائت والمعنى
في الآية انهم يطلبون نزول الملائكة ويقترحونه وهم اذا رأوهم عند الموت او يوم القيمة كرهوا لقاءهم
وفزعوا منهم لانهم لا يلقونهم الا بما يكرهون وقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو الموتور
والشدة النازلة وقيل هو من قول الملائكة ومعناه حراما محرما عليكم الغفران والجنة او البشرى
اي جعل الله ذلك حراما عليكم • وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا • ليس ههنا قدوم ولا
ما يشبه القدوم ولكن مثلت حال هؤلاء واعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم واغاثة ملهوف
وقرى ضيف ومن على اسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا
عليه فقدم الى اسبابهم وقصد الى ما تحت ايديهم فافسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها اثرا ولا
عثيرا والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار وفي امثالهم اقل من الهباء منثورا صفة
للهباء شبههم بالهباء في قلته وحقارته عنده وانه لا ينتفع به ثم بالمنثور منه لانك تراه منتظما مع الضوء
فاذا حركته الريح رأيته قد تناثر وذهب كل مذهب ونحوه قوله كعصف مأكول لم يكف ان شبههم بالعصف
حتى جعله موصوفا بالاكال ولا ان شبه عملهم بالهباء حتى جعله متناثرا او مفعولا ثالثا لجعلناه
اي فجعلناه جامعا لحقارة الهباء والتناثر كقوله كونوا قردة خاسئين اي جامعين للمسخ والخسأ
ولام الهباء واو بدليل الهبوة • اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا • المستقر المكان
الذي يكونون فيه في اكثر اوقاتهم مستقرين يتجالسون ويتحادثون والمقيل المكان الذي يأوون
اليه للاسترواح الى ازواجهم والتمتع بمغازلتهن وملامستهن كما ان المترفين في الدنيا يعيشون
على ذلك الترتيب وروي انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار
في النار وفي معناه قوله عز وعلا ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وازواجهم في ظلال
على الارائك متكئون قيل في تفسير الشغل افتضاض الابكار ولا نوم في الجنة وانما سمي مكان دعتهم
واسترواحهم الى الحور مقيلا على طريق التشبيه وفي لفظ الاحسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن
الوجوه وملاحة الصور الى غير ذلك من التحاسين والزين • ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة

تنزيلا • وقرئ تشقق والاصل تتشقق فحذف بعضهم التاء وغيره ادغمها ولما كان انشقاق السماء
كما تقول شق السنام بالشفرة وانشق بها ونظيره قوله تعالى السماء منفطر به فان قلت اى فرق بين
قولك انشقت الارض بالنبات وانشقت عن النبات قلت معنى انشقت به ان الله شقها بطلوعه
فانشقت به ومعنى انشقت عنه ان التربة ارتفعت عنه عند طلوعه والمعنى ان السماء تنفتح بغمام
يخرج منها وفى الغمام الملائكة ينزلون وفى ايديهم صحائف الاعمال وروى تنشق سماء سماء وتنزل الملائكة
الى الارض وقيل هو غمام ابيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا لبنى اسرائيل فى تيههم وفى معناه قوله تعالى
هل ينظرون الا ان ياتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة وقرئ وننزل الملائكة وننزل وتنزل الملائكة
ونزلت الملائكة وانزل الملائكة ونزل الملائكة ونزل الملائكة على حذف النون الذى هو فاء
الفعل من ننزل قراءة اهل مكة • الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا • الحق
الثابت لان كل ملك يزول يومئذ ولا يبقى الا ملكه • ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت
مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا لقد اضلنى عن الذكر بعد اذ جاءنى وكان الشيطان
للانسان خذولا • عض اليدين والانامل والسقوط فى اليد واكل البنان وحرق الاسنان والارم
ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفهما فيذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع
الكلام به فى طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده فى نفسه من الروعة والاستحسان ما لا يجده عند
لفظ المكنى عنه وقيل نزلت فى عقبة بن ابى معيط بن امية بن عبد شمس وكان يكثر مجالسة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقيل اتخذ ضيافة فدعا اليها رسول الله صلعم فابى ان ياكل من طعامه حتى ينطق
بالشهادتين ففعل وكان ابى بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت يا عقبة قال لا ولكن ابى ان
ياكل من طعامى وهو فى بيتى فاستحييت منه فشهدت له والشهادة ليست فى نفسى فقال وجهى من
وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأ قفاه وتبزق فى وجهه وتلطم عينه فوجده ساجدا فى دار
الندوة ففعل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا القاك خارجا من مكة الا علوت راسك
بالسيف فقتل يوم بدر امر عليا رضى الله عنه بقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت بن افلح الانصارى وقال

يا محمد الى من الصبية قال الى النار وطعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابيا باحد فرجع الى مكة فمات و
اللام فى الظالم يجوز ان يكون للعهد يراد به عقبة خاصة ويجوز ان يكون للجنس فيتناول عقبة
وغيره تمنى ان لو صحب الرسول وسلك معه طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم يتشعب به طرق
الضلالة والهوى واراد انى كنت ضالا لم يكن لى سبيل قط فليتنى حصلت لنفسى فى صحبة الرسول
سبيلا وقرئ يا ويلتى بالياء وهو الاصل لان الرجل ينادى ويلته وهى هلكته يقول لها تعالى فهذا
اوانك وانما قلبت الياء الفا كما فى صحارى ومدارى فلان كناية عن الاعلام كما ان الهن كناية
عن الاجناس فان اريد بالظالم عقبة فالمعنى ليتنى لم اتخذ ابيا خليلا فكنى عن اسمه وان اريد به الجنس
فكل من اتخذ من المضلين خليلا كان لخليله اسم علم لا محالة فجعله كناية عنه عن الذكر عن ذكر الله
او القرآن او موعظة الرسول ويجوز ان يريد نطقه بشهادة الحق وعزمه على الاسلام والشيطان
اشارة الى خليله سماه شيطانا لانه اضله كما يضل الشيطان ثم خذله ولم ينفعه فى العاقبة او اراد
ابليس وانه هو الذى حمله على مخالة المضل ومخالفة الرسول ثم خذله او اراد الجنس وكل من تشيطن
من الجن والانس ويحتمل ان يكون وكان الشيطان حكاية كلام الظالم وان يكون كلام الله تعالى اتخذت
يقرأ على الادغام والاظهار والادغام اكثر • وقال الرسول يا رب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا
وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا • الرسول محمد صلى الله عليه وسلم
وقومه قريش حكى الله عنه شكواه قومه اليه وفى هذه الحكاية تعظيم للشكاية وتخويف لقومه لان الانبياء
كانوا اذا التجأوا اليه وشكوا اليه قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا ثم اقبل عليه مسليا ومواسيا
وواعدا النصرة عليهم فقال كذلك كان كل نبى قبلك مبتلى بعداوة قومه وكفاك بى هاديا الى طريق
قهرهم والانتصار منهم وناصرا لك عليهم مهجورا تركوه وصدوا عنه وعن الايمان به وعن النبى صلعم
من تعلم القرآن وعلمه وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيمة متعلقا به يقول يا رب العالمين
عبدك هذا اتخذنى مهجورا اقض بينى وبينه وقيل هو من هجر اذا هذى اى جعلوه مهجورا فيه فحذف الجار
وهو على وجهين احدهما زعمهم انه هذيان وباطل واساطير الاولين والثانى انهم كانوا اذا سمعوه هجروا

فيه كقوله لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ويجوز ان يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول والمعنى
اتخذوه هجرا والعدو يجوز ان يكون واحدا وجمعا كقوله فانهم عدو لي وقيل المعنى وقال الرسول يوم القيمة
وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا
ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اولئك
شر مكانا واضل سبيلا • نزل ههنا بمعنى انزل لا غير كخبر بمعنى اخبر والا كان متدافعا وهذا ايضا
من اعتراضاتهم واقتراحاتهم الدالة على شرادهم عن الحق وتجافيهم عن اتباعه قالوا هلا انزل عليه
دفعة واحدة في وقت واحد كما انزلت الكتب الثلثة وما له انزل على التفاريق والقائلون قريش
وقيل اليهود وهذا فضول من القول ومماراة بما لا طائل تحته لان امر الاعجاز والاحتجاج به لا يختلف
بنزوله جملة واحدة او مفرقا وقوله كذلك جواب لهم اي كذلك انزل مفرقا والحكمة فيه ان نقوي بتفريقه
فؤادك حتى تعيه وتحفظه لان المتلقن انما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شيء وجزءا عقيب
جزء ولو القي عليه جملة واحدة لبعل به وتعيا بحفظه والرسول صلى الله عليه وسلم فارقت حاله حال موسى
وداود وعيسى حيث كان اميا لا يقرأ ولا يكتب وهم كانوا قارئين كاتبين فلم يكن له بد من التلقن و
التحفظ فانزل عليه منجما في عشرين سنة وقيل في ثلث وعشرين وايضا فكان ينزل على حسب الحوادث
وجوابات السائلين لان بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ولا يتأتى ذلك الا فيما انزل مفرقا فان قلت ذلك
كذلك يجب ان يكون اشارة الى شيء تقدمه والذي تقدم هو انزاله جملة واحدة فكيف فسرته بكذلك
انزلناه مفرقا قلت لان قولهم لولا انزل عليه جملة معناه لم انزل مفرقا والدليل على فساد هذا الاعتراض
انهم عجزوا عن ان يأتوا بنجم واحد من نجومه وتحدوا بسورة واحدة من اصغر السور فابرزوا صفحة
عجزهم وسجلوا به على انفسهم حين لاذوا بالمناصبة وفزعوا الى المحاربة ثم قالوا هلا انزل جملة
كانهم قدروا على تفاريقه حتى يقدروا على جملته ورتلناه معطوف على الفعل الذي تعلق به كذلك
قال كذلك فرقناه ورتلناه ومعنى ترتيله ان قدره آية بعد آية ووقفة عقيب وقفة ويجوز ان يكون
المعنى وامرنا بترتيل قراءته وذلك قوله ورتل القرآن ترتيلا اي اقرأه بترسل وتثبت ومنه ثغر

عائشة رضي الله عنها في صفة قراءته لا كسردكم هذا لو اراد السامع ان يعد حروفه لعدها واصله
الترتيل في الاسنان وهو تفليجها يقال ثغر رتل ورتل ويشبه بنور الاقحوان في تفليجه وقيل هو
ان نزله مع كونه متفرقا على تمكث وتمهل في مدة متباعدة وهي عشرون سنة ولم يفرقه في مدة متقاربة
ولا يأتونك بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة كانه مثل في البطلان الا اتيناك نحن بالجواب الحق
الذي لا محيد عنه بما هو احسن معنى ومؤدى من سؤالهم ولما كان التفسير هو التكشيف عما يدل
عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا او لا
يأتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا كانت هذه صفتك وحالك نحو ان يقرن بك ملك ينذر
معك او يلقى اليك كنز او تكون لك جنة او ينزل عليك القرآن جملة الا اعطيناك نحن من الاحوال
ما يحق لك في حكمتنا ومشيتنا ان تعطاه وما هو احسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته
يعني ان تنزيله مفرقا وتحديهم بان يأتوا ببعض تلك التفاريق كلما نزل شيء منها ادخل في الاعجاز
وانور للحجة من ان ينزل كله جملة ويقال لهم جيئوا بمثل هذا الكتاب في فصاحته مع بعد ما بين طرفيه
كانه قيل لهم ان حاملكم على هذه السؤالات انكم تضللون سبيله وتحتقرون مكانه ومنزلته ولو
نظرتم بعين الانصاف وانتم من المسحوبين على وجوههم الى جهنم لعلمتم ان مكانكم شر من مكانه وسبيلكم
اضل من سبيله ونحو طريقته قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب
عليه الآية ويجوز ان يراد بالمكان الشرف والمنزلة وان يراد الدار والمسكن كقوله اي الفريقين
خير مقاما واحسن نديا ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازي وعن النبي صلى الله عليه وسلم
يحشر الناس يوم القيمة على ثلثة اثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على اقدامهم
ينسلون نسلا • ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا • الوزارة لا تنافي
النبوة فقد كان يبعث في الزمن الواحد انبياء ويؤمرون بان يوازر بعضهم بعضا • فقلنا اذهبا
الى القوم الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم تدميرا • والمعنى فذهبا اليهم فكذباهما فدمرناهم كقوله
ان اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فضرب فانفلق اراد اختصار القصة فذكر حاشيتيها اولها وآخرها

لانها المقصود من القصة بطولها اعني الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق المدمرين بتكذيبهم وعن
علي رضي الله عنه ودمّرتهم وعنه فدمّراهم وقرئ فدمّرانهم على التاكيد بالنون الثقيلة • وقوم
نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم وجعلناهم للناس آية واعتدنا للظالمين عذابا اليما • كانهم كذبوا
نوحا ومن قبله من الرسل صريحا او كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيبا للجميع اولم يروا بعثة الرسل
اصلا كالبراهمة وجعلناهم وجعلنا اغراقهم او قصتهم للظالمين اما ان يعني بهم قوم نوح واصله
واعتدنا لهم الا انه قصد تظليمهم فاظهر واما ان يتناولهم بعمومه • وعادا وثمود واصحاب الرس و
قرونا بين ذلك كثيرا • عطف عادا على هم في جعلناهم او على الظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين
وقرئ وثمودَ على تاويل القبيلة واما المنصرف فعلى تاويل الحي او لانه اسم الاب الاكبر قيل في اصحاب
الرس كانوا قوما من عبدة الاصنام اصحاب آبار ومواش فبعث الله اليهم شعيبا فدعاهم الى الاسلام
فتمادوا في طغيانهم وفي ايذائه فبيناهم حول الرس وهو البئر غير المطوية عن ابي عبيدة انهارت بهم
فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فهلكوا وهم بقية ثمود قوم صالح وقيل
هم اصحاب النبي حنظلة بن صفوان كانوا مبتلين بالعنقاء وهي اعظم ما يكون من الطير سميت لطول
عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ وهي تنقض على صبيانهم فتخطفهم ان اعوزها الصيد
فدعا حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوا حنظلة فاهلكوا وقيل هم اصحاب الاخدود والرس
هو الاخدود وقيل الرس بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل كذبوا نبيهم ورسوه في بئر اي
دسوه فيها بين ذلك اي بين ذلك المذكور وقد يذكر الذاكر اشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك ويحسب
الحاسب اعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على معنى فذلك المحسوب او المعدود • وكلا
ضربنا له الامثال وكلا تبرنا تتبيرا • ضربنا له الامثال بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين
ووصفنا لهم ما اجروا اليه من تكذيب الانبياء وجرى عليهم من عذاب الله وتدميره والتتبير التفتيت
والتكسير ومنه التبر وهو كسار الذهب والفضة والزجاج وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا
له الامثال وهو انذرنا او حذرنا والثاني بتبرنا لانه فارغ له • ولقد اتوا على القرية التي امطرت مطر

السوء

السوء فلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا • اراد بالقرية سدوم من قرى قوم لوط وكانت
خمسا اهلك الله اربعا باهلها وبقيت واحدة ومطر السوء الحجارة يعني ان قريشا مروا مرارا كثيرة
في متاجرهم الى الشام على تلك القرية التي اهلكت بالحجارة من السماء افلم يكونوا في مرار مرورهم ينظرون
الى آثار عذاب الله ونكاله ويذكرون بل كانوا قوما كفرة بالبعث لا يتوقعون نشورا وعاقبة فوضع
الرجاء موضع التوقع لانه انما يتوقع العاقبة من يؤمن فمن ثم لم ينظروا ولم يذكروا ومروا بها كما مرت
ركابهم او لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون لطمعهم في الوصول الى ثواب اعمالهم او لا يخافون على
اللغة التهامية • واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي بعث الله رسولا • ان الاولى نافية
والثانية مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينهما واتخذه هزوا في معنى استهزأ به والاصل
اتخذه موضع هزؤ او مهزوا به اهذا محكي بعد القول المضمر وهذا استصغار وبعث الله رسولا
واخراجه في معرض التسليم والاقرار وهم على غاية الجحود والانكار سخرية واستهزاء ولو لم يستهزؤا
لقالوا اهذا الذي زعم او ادعى انه مبعوث من عند الله رسولا • ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا ان
صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا • وقولهم ان كاد ليضلنا دليل على فرط
مجاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوتهم وبذله قصارى الوسع والطاقة في استعطافهم مع عرض
الآيات والمعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم ان يتركوا دينهم الى دين الاسلام لولا فرط لجاجهم و
استمساكهم بعبادة آلهتهم ولولا في مثل هذا الكلام جار من حيث المعنى لا من حيث الصنعة مجرى
التقييد للحكم المطلق وسوف يعلمون وعيد ودلالة على انهم لا يفوتونه وان طالت مدة الامهال
ولا بد للوعيد ان يلحقهم فلا يغرنهم التاخير وقوله من اضل سبيلا كالجواب عن قولهم ان كاد ليضلنا
لانه نسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى الضلال من حيث لا يضل غيره الا من هو ضال في نفسه ويروى انه
من قول ابي جهل لعنه الله • ارايت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا ام تحسب ان
اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا • من كان في طاعة الهوى في دينه يتبعه
في كل ما ياتي ويذر لا يتبصر دليلا ولا يصغي الى برهان فهو عابد هواه وجاعله الهه فيقول لرسوله

هذا الذي لا يرى معبودا الا هواه كيف تستطيع ان تدعوه الى الهدى افتتوكل عليه وتجبره على الاسلام
وتقول لا بد ان تسلم شئت او ابيت ولا اكراه في الدين وهذا كقوله وما انت عليهم بجبار لست عليهم
بمصيطر ويروى ان الرجل منهم كان يعبد الحجر فاذا رأى احسن منه رمى به واخذ آخر ومنهم الحرث بن
قيس السهمي ام هذه منقطعة معناه بل اتحسب كان هذه المذمة اشد من التي تقدمتها حتى حققت
بالاضراب عنها اليها وهي كونهم مسلوبي الاسماع والعقول لانهم لا يلقون الى استماع الحق اذنا ولا
الى تدبره عقلا ومشبهين بالانعام التي هي مثل في الغفلة والضلالة ثم ارجح ضلالة منها فان قلت
لم اخر هواه والاصل قولك اتخذ الهوى الها قلت ما هو الا تقديم المفعول الثاني على الاول للعناية
كما تقول علمت منطلقا زيدا لفضل عنايتك بالمنطلق فان قلت ما معنى ذكر الاكثر قلت كان فيهم
من لم يصده عن الاسلام الا داء واحد وهو حب الرياسة وكفى به داء عضالا فان قلت كيف
جعلوا اضل من الانعام قلت لان الانعام تنقاد لاربابها التي تعلفها وتتعهدها وتعرف من
يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها وهؤلاء
لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذي هو عدوهم ولا
يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار والمهالك
ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهنيء والعذب الروي • الم تر الى ربك كيف مد الظل
ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا • الم تر الى ربك
الم تنظر الى صنع ربك وقدرته ومعنى مد الظل ان جعله يمتد وينبسط فينتفع به الناس
ولو شاء لجعله ساكنا اي لاصقا باصل كل مظل من جبل وبناء وشجرة غير منبسط فلم ينتفع به احد
سمى انبساط الظل وامتداده تحركا منه وعدم ذلك سكونا ومعنى كون الشمس دليلا ان الناس
يستدلون بالشمس وباحوالها في مسيرها على احوال الظل من كونه ثابتا في مكان وزائلا ومتسعا
ومتقلصا فيبنون حاجتهم الى الظل واستغناءهم عنه على حسب ذلك وقبضه اليه انه ينسخه
بنسخ الشمس يسيرا اي على مهل وفي هذا القبض اليسير شيئا بعد شيء من المنافع ما لا يعد ولا

يحصر ولو قبض دفعة واحدة لتعطلت اكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعا فان قلت
ثم في هذين الموضعين كيف موقعها قلت موقعها لبيان تفاضل الامور الثلثة كان الثاني اعظم
من الاول والثالث اعظم منهما تشبيها لتباعد ما بينهما في الفضل بتباعد ما بين الحوادث في الوقت
ووجه آخر وهو انه مد الظل حين بنى السماء كالقبة المضروبة ودحا الارض تحتها فالقت
القبة ظلها على الارض فيناتا ما في اديمه جوب لعدم النير ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا
على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل اي سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا
له كما يتبع الدليل في الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه قبضا
سهلا يسيرا غير عسير ويحتمل ان يريد قبضه عند قيام الساعة بقبض اسبابه وهي الاجرام التي
تلقي الظل فيكون قد ذكر اعدامه باعدام اسبابه كما ذكر انشاءه بانشاء اسبابه وقوله قبضناه
الينا يدل عليه وكذلك قوله يسيرا كما قال ذلك حشر علينا يسير • وهو الذي جعل لكم الليل لباسا
والنوم سباتا وجعل النهار نشورا • شبه ما يستر من ظلام الليل باللباس الساتر والسبات
الموت والمسبوت الميت لانه مقطوع الحيوة وهذا كقوله وهو الذي يتوفيكم بالليل فان قلت هلا
فسرته بالراحة قلت النشور في مقابلته ياباه اباء العيوف الورد وهو مرنق وهذه الآية مع
دلالتها على قدرة الخالق فيها اظهار لنعمته على خلقه لان الاحتجاب بستر الليل كم فيه لكثير من
الناس من فوائد دينية ودنيوية والنوم واليقظة وشبههما بالموت والحيوة اي عبرة فيهما
لمن اعتبر وعن لقمن انه قال لابنه يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر • وهو الذي ارسل
الرياح بشرا بين يدي رحمته وانزلنا من السماء ماء طهورا لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما
خلقنا انعاما واناسي كثيرا • قرئ الريح والرياح نشرا احياء ونشرا جمع نشور وهي المحيية ونشرا
تخفيف نشر وبشرا تخفيف بشر جمع بشور وبشرى وبين يدي رحمته استعارة مليحة اي قدام
المطر طهورا بليغا في طهارته وعن احمد بن يحيى هو ما كان طاهرا في نفسه مطهرا لغيره فان كان ما قاله
شرحا لبلاغته في الطهارة كان سديدا ويعضده قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم والا فليس

فعول من التفعيل في شيء والطهور على وجهين في العربية صفة واسم غير صفة فالصفة قولك ماء طهور
كقولك طاهر والاسم قولك لما يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به وتوقد به النار وقولهم
تطهرت طهورا حسنا كقولك وضوءا حسنا ذكره سيبويه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا صلوة الا بطهور
اي طهارة فان قلت ما الذي يزيل عن الماء اسم الطهور قلت تيقن مخالطة النجاسة او غلبتها على الظن
تغير احد اوصافه الثلثة او لم يتغير او استعماله في البدن لاداء عبادة عند ابي حنيفة وعند مالك
بن انس ما لم يتغير احد اوصافه فهو طهور فان قلت فما تقول في قوله صلى الله عليه وسلم حين سئل عن بئر
بضاعة فقال الماء طهور لا ينجسه شيء الا ما غير لونه او طعمه او ريحه قلت قال الواقدي كان بئر
بضاعة طريقا للماء الى البساتين وانما قال ميتا لان البلدة في معنى البلد في قوله فسقناه الى بلد ميت
وانه غير جار على الفعل كفعول ومفعال ومفعيل وقرئ نسقيه بالفتح وسقى واسقى لغتان وقيل
اسقاه جعل له سقيا الاناسي جمع انسي او انسان ونحوه ظرابي في ظربان على قلب النون ياء و
الاصل اناسين وظرابين وقرئ بالتخفيف بحذف ياء افاعيل كقولك اناعم في اناعيم فان قلت
انزال الماء موصوفا بالطهارة وتعليله بالاحياء والسقي يؤذن بان الطهارة شرط في صحة ذلك كما
تقول حملني الامير على فرس جواد لاصيد عليه الوحش قلت لما كان سقي الاناسي من جملة ما انزل
له الماء وصفه بالطهور اكراما لهم وتتميما للمنة عليهم وبيانا ان من حقهم حين اراد الله لهم
الطهارة وارادهم عليها ان يؤثروها في بواطنهم ثم في ظواهرهم وان يربأوا بانفسهم عن مخالطة
القاذورات كلها كما ربأ بهم ربهم فان قلت لم خص الانعام من بين خلق من الحيوان الشارب قلت
لان الطير والوحش تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب بخلاف الانعام ولانها قنية الاناسي
وعامة منافعهم متعلقة بها فكان الانعام عليهم بسقي انعامهم كالانعام بسقيهم فان قلت فما معنى تنكير
الانعام والاناسي ووصفها بالكثرة قلت معنى ذلك ان علية الناس وجلهم منيخون بالقرب من
الاودية والانهار ومنابع الماء ففيهم غنية عن سقي السماء واعقابهم وهم كثير منهم لا يعيشهم الا ما
ينزل الله من رحمته وسقيا سمائه وكذلك قوله لنحيي به بلدة ميتا يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين

من مظان

102

من مظان الماء فان قلت لم قدم احياء الارض وسقي الانعام على سقي الاناسي قلت لان حيوة
الاناسي بحياة ارضهم وحياة انعامهم فقدم ما هو سبب حياتهم وتعيشهم على سقيهم ولانهم اذا ظفروا
بما يكون سقيا ارضهم ومواشيهم لم يعدموا سقياهم • ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فابى اكثر الناس
الا كفورا • يريد ولقد صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وفي سائر الكتب والصحف التي انزلت
على الرسل وهو ذكر انشاء السحاب وانزال القطر ليفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه ويشكروا
فابى اكثرهم الا كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتراث لها وقيل صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة
والاوقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة ورهام
فابوا الا الكفور وان يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله ورحمته وعن ابن عباس ما
من عام اقل مطرا من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الآية وروي ان الملائكة
يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام لانه لا يختلف ولكن يختلف فيه البلاد وينتزع من ههنا
جواب في تنكير البلدة والانعام والاناسي كانه قال لنحيي به بعض البلاد الميتة ونسقيه بعض الانعام
والاناسي وذلك البعض كثير فان قلت هل يكفر من ينسب المطر الى الانواء قلت ان كان لا يراها
الا من الانواء ويجحد ان يكون هي والانواء من خلق الله فهو كافر وان كان يرى ان الله خالقها وقد
نصب الانواء دلائل وامارات عليها لم يكفر • ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين
وجاهدهم به جهادا كبيرا • يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم ولو شئنا لخففنا عنك اعباء نذارة جميع
القرى ولبعثنا في كل قرية نبيا ينذرها وانما قصرنا الامر عليك وعظمناك به واجللناك و
فضلناك على سائر الرسل فقابل ذلك بالتشدد والتصبر ولا تطع الكافرين فيما يريدونك عليه وانما
اراد بهذا تهييجه وتهييج المؤمنين وتحريكهم والضمير للقرآن او لترك الطاعة التي يدل عليه ولا
تطع والمراد ان الكفار يجدون ويجتهدون في توهين امرك فقابلهم من جدك واجتهادك
وعضك على نواجذك بما تغلبهم به وتعلوهم وجعله جهادا كبيرا لما يحتمل فيه من المشاق العظام ويجوز
ان يرجع الضمير في به الى ما دل عليه ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا من كونه نذير كافة القرى لانه

لو بعثت في كل قرية نذيرا لوجبت على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده من اجل ذلك وعظم فقال له وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة
القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة • وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح
اجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا • سمى الماءين الكثيرين الواسعين بحرين والفرات البليغ
العذوبة حتى يضرب الى الحلاوة والاجاج نقيضه ومرجهما خلاهما متجاورين متلاصقين وهو
بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج وهذا من عظيم اقتداره وفي كلام بعضهم وبحران احدهما مع الآخر
ممزوج وما العذب منهما بالاجاج ممزوج برزخا حائلا من قدرته كقوله عز وجل بغير عمد ترونها
يريد بغير عمد مرئية وهو قدرته وقرئ ملح على فعل وقيل كانه حذف من مالح تخفيفا كما قال
وصليانا بردا • يريد باردا فان قلت وحجرا محجورا ما معناه قلت هي الكلمة التي يقولها المتعوذ وقد
فسرناها وهي ههنا واقعة على سبيل المجاز كان كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له حجرا
محجورا كما قال لا يبغيان اي لا يبغي احدهما على صاحبه بالممازجة فانتفاء البغي ثم كالتعوذ ههنا جعل
كل واحد منهما في صورة الباغي على صاحبه فهو يتعوذ منه وهي من احسن الاستعارات واشهدها على
البلاغة • وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا • اراد فقسم البشر قسمين
ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر اي
اناثا يصاهر بهن ونحوه قوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا حيث خلق من
النطفة الواحدة بشرا نوعين ذكرا وانثى • ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان
الكافر على ربه ظهيرا • الظهير والمظاهر كالعوين والمعاون وفعيل بمعنى مفاعل غير عزيز والمعنى
ان الكافر يظاهر الشيطان على ربه بالعداوة والشرك روي انها نزلت في ابي جهل ويجوز ان
يريد بالظهير الجماعة كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير كما جاء الصديق والخليط ويريد بالكافر الجنس و
ان بعضهم مظاهر لبعض على اطفاء نور دين الله وقيل معناه وكان الذي يفعل هذا الفعل وهو عبادة ما
لا ينفع ولا يضر على ربه هينا مهينا من قولهم ظهرت به اذا خلفته خلف ظهرك لا تلتفت اليه

وهذا

وهذا نحو قوله اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم • وما ارسلناك الا مبشرا
ونذيرا قل ما اسالكم من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا • مثال الا من شاء والمراد الا فعل من شاء
واستثناؤه عن الاجر قول ذي شفقة عليك قد سعى لك في تحصيل مال ما اطلب منك ثوابا على ما
سعيت الا ان تحفظ هذا المال ولا تضيعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب لكن صوره
هو بصورة الثواب وسماه باسمه فافاد فائدتين احداهما قلع شبهة الطمع في الثواب من اصله كانه يقول
لك ان كان حفظك لمالك ثوابا فاني اطلب الثواب والثانية اظهار الشفقة البالغة وانك ان حفظت
مالك اعتد بحفظك ثوابا ورضي به كما يرضى المثاب بالثواب ولعمري ان رسول الله صلعم كان مع المبعوث
اليهم بهذا الصدد وفوقه ومعنى اتخاذهم الى الله سبيلا تقربهم اليه وطلبهم عنده الزلفى بالايمان و
الطاعة وقيل المراد التقرب بالصدقة والنفقة في سبيل الله • وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده
وكفى به بذنوب عباده خبيرا • امره بان يثق به ويسند امره اليه في استكفاء شرورهم مع التمسك بقاعدة
التوكل واساس الالتجاء وهو طاعته وعبادته وتنزيهه وتحميده وعرفه ان الحي الذي لا يموت حقيق بان
يتوكل عليه وحده ولا يتكل على غيره من الاحياء الذين يموتون وعن بعض السلف انه قراها فقال لا يصح
لذي عقل ان يثق بعدها بمخلوق ثم اراه ان ليس اليه من امر عباده شيء آمنوا ام كفروا وانه خبير باحوالهم
كاف في جزاء اعمالهم • الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن
فسئل به خبيرا • في ستة ايام يعني في مدة مقدارها هذه المدة لانه لم يكن حينئذ نهار ولا ليل وقيل ستة ايام
من ايام الآخرة وكل يوم الف سنة والظاهر انها من ايام الدنيا وعن مجاهد اولها يوم الاحد وآخرها
يوم الجمعة ووجهه ان يسمي الله تعالى لملائكته تلك الايام المقدرة بهذه الاسماء فلما خلق الشمس وادارها
وترتب امر العالم على ما هو عليه جرت التسمية على هذه الايام واما الداعي الى هذا العدد اعني الستة دون
سائر الاعداد فلا نشك انه داعي حكمة لعلمنا انه لا يقدر تقديرا الا بداعي حكمة وان كنا لا نطلع عليه
ولا نهتدي الى معرفته ومن ذلك تقدير الملائكة الذين هم اصحاب النار تسعة عشر وحملة العرش ثمانية و
الشهور اثني عشر والسموات سبعا والارض كذلك والصلوات خمسا واعداد النصب والحدود والكفارات وغير

ذلك والإقرار ببدائع الحكمة في جميع افعاله وبان ما قدره حق وصواب هو الايمان وقد نص عليه في قوله
وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب
ويزداد الذين آمنوا ايمانا ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض و
الكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا ثم قال وما يعلم جنود ربك الا هو وهو الحجة الجلي في ان لم يخلقهما في لحظة
وهو قادر على ذلك وعن سعيد بن جبير انما خلقها في ستة ايام وهو يقدر على ان يخلقها في لحظة تعليما لخلقه
الرفق والتثبت وقيل اجتمع خلقها يوم الجمعة فجعله الله عيدا للمسلمين الذي خلق مبتدأ والرحمن خبره
او هو صفة للحي والرحمن خبر مبتدأ محذوف او بدل عن المستتر في استوى وقرئ الرحمن بالجر صفة للحي
وقرئ فسل والباء في به صلة سل كقوله سأل سائل بعذاب واقع كما يكون عنه صلته في نحو قوله ثم لتسألن
يومئذ عن النعيم فسأل به كقوله اهتم به واعتنى به واشتغل به وسأل عنه كقولك بحث عنه ونقر عنه
او صلة خبيرا وتجعل خبيرا مفعول سل يريد فسأل عنه رجلا عارفا يخبرك برحمته اي فسل رجلا خبيرا
به وبرحمته او فسل بسؤاله خبيرا كقولك رأيت به اسدا اي برؤيته والمعنى ان سألته وجدته خبيرا
او تجعله حالا عن الهاء تريد فسل عنه عالما بكل شيء وقيل الرحمن اسم من اسماء الله مذكور في الكتب المتقدمة
ولم يكونوا يعرفونه فقيل فسل بهذا الاسم من يخبرك من اهل الكتاب حتى يعرف من ينكره ومن ثم كانوا
يقولون ما نعرف الرحمن الا الذي باليمامة يعنون مسيلمة وكان يقال له رحمان اليمامة • واذا قيل لهم اسجدوا
للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا • وما الرحمن يجوز ان يكون سؤالا عن المسمى به
لانهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما ويجوز ان يكون سؤالا عن معناه لانه لم يكن
مستعملا في كلامهم كما استعمل الرحيم والرحوم والراحم او لانهم انكروا اطلاقه على الله لما تأمرنا اي
للذي تأمرناه بمعنى تأمرنا سجوده على قوله امرتك الخير او لامرك لنا وقرئ بالياء كأن بعضهم قال
لبعض انسجد لما يأمرنا محمد او يأمرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو وزادهم قوله اسجدوا للرحمن لانه
هو المقول • تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا • البروج منازل الكواكب
السبعة السيارة الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس

والجدي والدلو والحوت سميت بالبروج التي هي القصور العالية لانها لهذه الكواكب كالمنازل
لسكانها واشتقاق البرج من التبرج لظهوره والسراج الشمس كقوله وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا
وهي الشمس والكواكب الكبار معها وقرأ الحسن والاعمش وقمرا منيرا وهي جمع ليلة قمراء كأنه قال وذا قمر
منيرا لان الليالي تكون قمرا بالقمر فاضافه اليها ونظيره في حكم بقاء المضاف بعد سقوطه وقيام المضاف
اليه مقامه قول حسان بردى يصفق بالرحيق السلسل • يريد ماء بردى ولا يبعد ان يكون القمر بمعنى
القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب • وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او
اراد شكورا • الخلفة من خلف كالركبة من ركب وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد
منهما الآخر والمعنى جعلهما ذوي خلفة اي ذوي عقبة اي يعقب هذا ذاك وذاك هذا ويقال الليل و
النهار يختلفان كما يقال يعتقبان ومنه قوله واختلاف الليل والنهار ويقال بفلان خلفة واختلاف
اذا اختلف كثيرا الى متبرزه وقرئ يذكر ويذكر وعن ابي بن كعب يتذكر والمعنى لينظر في اختلافهما
الناظر فيعلم ان لا بد لانتقالهما من حال الى حال وتغيرهما من ناقل ومغير ويستدل بذلك على عظم
قدرته ويشكر الشاكر على النعمة فيهما من السكون بالليل والتصرف بالنهار كما قال تعالى ومن رحمته جعل
لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله او ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته في احدهما
ورده من العبادة قام به في الآخر وعن الحسن من فاته عمله من التذكر والشكر بالنهار كان له في الليل مستعتب
ومن فاته بالليل كان له في النهار مستعتب • وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلاما • وعباد الرحمن مبتدأ خبره في آخر السورة كأنه قيل وعباد الرحمن الذين هذه
صفاتهم اولئك يجزون الغرفة ويجوز ان يكون خبره الذين يمشون واضافهم الى الرحمن تخصيصا وتفضيلا
وقرئ وعباد الرحمن وقرئ يمشون هونا حال او صفة للمشي بمعنى هينين او مشيا هينا الا ان في وضع
المصدر موضع الصفة مبالغة والهون الرفق واللين ومنه الحديث احبب حبيبك هونا ما وقوله
المؤمنون هينون لينون والمثل اذا عز اخوك فهن ومعناه اذا عاسر فياسر والمعنى انهم يمشون بسكينة
ووقار وتواضع لا يضربون باقدامهم ولا يخفقون بنعالهم اشرا وبطرا ولذلك كره بعض العلماء الركوب في

الاسواق ولقوله ويمشون في الاسواق سلامًا تسلّمًا منكم لا نجاهلكم ومتاركة لا خير بيننا ولا شرّ
اى نتسلّم منكم تسلّمًا فاقيم السلام مقام التسلّم وقيل قالوا سدادًا من القول يسلمون فيه من الايذاء و
الاثم والمراد بالجهل السفه وقلة الادب وسوء الرعة من قوله • الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق
جهل الجاهلينا • وعن ابي العالية نسختها آية القتال ولا حاجة الى ذلك لان الاغضاء عن السفهاء وترك
المقابلة مستحسن في الادب والمروءة والشريعة واسلم للعرض والورع • والذين يبيتون لربهم سجدًا
وقيامًا • البيتوتة خلاف الظلول وهو ان يدركك الليل نمت او لم تنم وقالوا من قرا شيئا من القرآن
في صلوة وان قل فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء والظاهر
انه وصفهم باحياء الليل او اكثره يقال فلان يظل صائمًا ويبيت قائمًا • والذين يقولون ربنا اصرف
عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غرامًا • غرامًا هلاكًا وخسرانًا ملحًّا لازمًا قال يوم النسار ويوم
الجفار كانا عذابا وكانا غراما • وقال ان يعاقب يكن غراما وان يعط جزيلا فانه لا يبالي ومنه
الغريم لالحاحه ولزامه وصفهم باحياء الليل ساجدين وقائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه ايذانا
بانهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون الى الله في صرف العذاب عنهم كقوله والذين يؤتون ما اتوا و
قلوبهم وجلة • انها ساءت مستقرا ومقاما • ساءت في حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا
والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم انّ
وجعلها خبرا لها ويجوز ان يكون ساءت بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم انّ ومستقرا حال او تمييز و
التعليلان يصح ان يكونا متداخلين ومترادفين وان يكونا من كلام الله وحكاية لقولهم • والذين
اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما • قرئ يقتروا بكسر التاء وضمها ويقتروا بتخفيف
التاء وتشديدها والقتر والاقتار والتقتير التضييق الذي هو نقيض الاسراف والاسراف مجاوزة
الحد في النفقة ووصفهم بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير وبمثله امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقيل الاسراف انما هو الانفاق في المعاصي
فاما في القرب فلا اسراف وسمع رجل رجلا يقول لا خير في الاسراف فقال لا اسراف في الخير وعن عمر بن عبد العزيز

انه شكر عبد الملك بن مروان حين زوجه ابنته واحسن اليه فقال وصلت الرحم وفعلت وصنعت
وجاء بكلام حسن فقال ابن لعبد الملك انما هو كلام اعده لهذا المقام فسكت عبد الملك فلما كان بعد
ايام دخل عليه والابن حاضر فسأله عن نفقته واحواله فقال الحسنة بين السيئتين فعرف عبد الملك
انه اراد ما في هذه الآية فقال لابنه يا بني اهذا ايضا مما اعده وقيل اولئك اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
كانوا لا ياكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثيابا للجمال والزينة ولكن كانوا ياكلون ما يسد جوعتهم
ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون ما يستر عوراتهم ويكنهم من الحر والقر وقال عمر رضي الله عنه كفى سرفا
ان لا يشتهي رجل شيئا الا اشتراه فاكله والقوام العدل بين الشيئين لاستقامة الطرفين واعتدالهما و
نظير القوام من الاستقامة السواء من الاستواء وقرئ قِواما بالكسر وهو ما يقام به الشيء يقال انت قوامنا
بمعنى ما تقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص والمنصوبان اعني بين ذلك قواما جائز ان يكونا خبرين معا
وان يجعل بين ذلك لغوا وقواما مستقرا وان يكون الظرف خبرا وقواما حالا مؤكدة واجاز الفراء ان
يكون بين ذلك اسم كان على انه مبني لاضافته الى غير متمكن كقوله • لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت • وهو
من جهة الاعراب لا باس به ولكن المعنى ليس بقوي لان ما بين الاسراف والتقتير قوام لا محالة فليس في
الخبر الذي هو معتمد الفائدة فائدة • والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي
حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما • حرم الله اي حرمها والمعنى حرم قتلها
والا بالحق متعلق بهذا القتل المحذوف او بلا يقتلون ونفى هذه المقبحات العظام عن الموصوفين
بتلك الخلال العظيمة في الدين للتعريض بما كان عليه اعداء المؤمنين من قريش وغيرهم كانه قيل
والذين برأهم الله وطهرهم مما انتم عليه والقتل بغير حق يدخل فيه الوأد وغيره وعن ابن مسعود
يا رسول الله اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم اي قال ان تقتل ولدك
خشية ان ياكل معك قلت ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك فانزل الله تصديقه وقرئ يلق
فيه اثاما وقرئ يلقى باثبات الالف وقد مر مثله والاثام جزاء الاثم بوزن الوبال والنكال ومعناهما
قال جزى الله ابن عروة حيث امسى عقوقا والعقوق له اثام • وقيل هو الاثم ومعناه يلق جزاء اثام

وقرأ ابن مسعود أياما أي شدائد يقال يوم ذو أيام لليوم العصيب • يضاعف له العذاب يوم القيمة
ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله
غفورا رحيما ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا • يضاعف بدل من يلق لانهما في معنى واحد
كقوله • متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا • وقرئ يضعف ونضعف له العذاب
بالنون ونصب العذاب وقرئ بالرفع على الاستيناف او على الحال وكذلك يخلد وقرئ ويخلد على البناء للمفعول
مخففا ومثقلا من الاخلاد والتخليد وقرئ وتخلد بالتاء على الالتفات يبدل مخفف ومثقل وكذلك
سيئاتهم • فان قلت ما معنى مضاعفة العذاب وابدال الحسنات سيئات قلت اذا ارتكب المشرك معاصي مع
الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعا فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه وابدال السيئات
حسنات انه يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات الايمان والطاعة والتقوى وقيل يبدلهم
بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا يريد ومن يترك المعاصي
ويندم عليها ويدخل في العمل الصالح فانه بذلك تائب الى الله متابا مرضيا عنده مكفرا للخطايا محصلا
للثواب او فانه تائب متابا الى الله الذي يعرف حق التائبين ويفعل بهم ما يستوجبون والذي
يحب التوابين ويحب المتطهرين وفي كلام بعض العرب لله افرح بتوبة العبد من المضل الواجد
والظمآن الوارد والعقيم الوالد او فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا واي مرجع • والذين لا
يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما • يحتمل انهم ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين
فلا يحضرونها ولا يقربونها تنزها عن مخالطة الشر واهله وصيانة لدينهم عما يثلمه لان مشاهدة
الباطل شركة فيه ولذلك قيل في النظارة الى كل ما لم تسوغه الشريعة هم شركاء فاعليه في الاثم لان حضورهم
ونظرهم دليل الرضا به وسبب وجوده والزيادة فيه لان الذي سلط على فعله هو استحسان النظارة و
رغبتهم في النظر اليه وفي مواعظ عيسى بن مريم صلوات الله عليه اياكم ومجالسة الخطائين ويحتمل انهم لا
يشهدون شهادة الزور فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وعن قتادة مجالس الباطل وعن ابن
الحنفية اللهو والغناء وعن مجاهد اعياد المشركين اللغو كل ما ينبغي ان يلغى ويطرح والمعنى واذا

مروا باهل اللغو والمشتغلين به مروا معرضين عنهم مكرمين انفسهم عن التوقف عليهم والخوض معهم كقوله
واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وعن الحسن
لم تسفههم المعاصي وقيل اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى اعرضوا وصفحوا وقيل اذا ذكروا النكاح كنوا
عنه • والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا • لم يخروا عليها ليس بنفي للخرور
وانما هو اثبات له ونفي للصمم والعمى كما تقول لا يلقاني زيد مسلما هو نفي للسلام لا للقاء والمعنى انهم
اذا ذكروا بها اكبوا عليها حرصا على استماعها واقبلوا على المذكر بها وهم في اكبابهم عليها سامعون باذان واعية
ومبصرون بعيون راعية لا كالذين يذكرون بها فتراهم مكبين عليها مقبلين على من يذكر بها مظهرين
الحرص الشديد على استماعها وهم كالصم العميان حيث لا يعونها ولا يتبصرون ما فيها كالمنافقين
واشباههم • والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما •
قرئ ذريتنا وذرياتنا وقرة اعين وقرات اعين سالوا ربهم ان يرزقهم ازواجا واعقابا عمالا لله
يسرون بمكانهم وتقر بهم عيونهم وعن محمد بن كعب ليس شيء اقر لعين المؤمن من ان يرى
زوجته واولاده مطيعين لله وعن ابن عباس هو الولد اذا راه يكتب الفقه وقيل سألوا ان يلحق الله
بهم ازواجهم وذريتهم في الجنة ليتم لهم سرورهم اراد ائمة فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم
اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا او اراد واجعل كل واحد منا اماما او اراد جمع آم كصائم وصيام او اراد
واجعلنا اماما واحدا لاتحادنا واتفاق كلمتنا وعن بعضهم في الآية ما يدل على ان الرياسة في الدين يجب
ان تطلب ويرغب فيها وقيل نزلت هذه الآيات في العشرة المبشرين بالجنة • فان قلت من في قوله
من ازواجنا ما هي قلت يحتمل ان تكون بيانية كانه قيل هب لنا قرة اعين ثم بينت القرة وفسرت
بقوله من ازواجنا وذرياتنا ومعناه ان يجعلهم الله لهم قرة اعين وهو من قولهم رأيت منك
اسدا اي انت اسد وان تكون ابتدائية على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح
فان قلت لم قال قرة اعين فنكر وقلل قلت اما التنكير فلاجل تنكير القرة لان المضاف لا سبيل الى
تنكيره الا بتنكير المضاف اليه كانه قال هب لنا منهم سرورا وفرحا وانما قيل اعين دون عيون لانه اراد

أعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور ويجوز
ان يقال في تنكير اعين انها اعين خاصة وهي اعين المتقين • اولئك يجزون الغرفة بما صبروا
ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما • المراد يجزون الغرفات وهي
العلالي في الجنة فوحد اقتصارا على الواحد الدال على الجنس والدليل على ذلك قوله تعالى وهم في الغرفات
آمنون وقراءة من قرا في الغرفة بما صبروا بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى اذى الكفار
ومجاهدتهم وعلى الفقر وغير ذلك واطلاقه لاجل الشياع في كل مصبور عليه وقرئ يلقون كقوله تعالى
ولقيهم نضرة وسرورا ويلقون كقوله تعالى يلق اثاما والتحية دعاء بالتعمير والسلام دعاء بالسلامة
يعني ان الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه او يعطون التبقية
والتخليد مع السلامة عن كل آفة اللهم وفقنا لطاعتك واجعلنا مع اهل رحمتك وارزقنا مما ترزقهم
في دار رضوانك • قل ما يعبؤا بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما • لما وصف عباده
العباد وعدد صالحاتهم وحسناتهم واثنى عليهم من اجلها ووعدهم الرفع من درجاتهم في الجنة
اتبع ذلك بيان انه انما اكترث لاولئك وعبأ بهم واعلى ذكرهم ووعدهم ما وعدهم لاجل عبادتهم
فامر رسوله ان يصرح للناس ويجزم لهم القول بان الاكتراث لهم عند ربهم انما هو للعبادة وحدها
لا لمعنى آخر ولولا عبادتهم لم يكترث لهم البتة ولم يعتد بهم ولم يكونوا عنده شيئا يبالى به والدعاء
العبادة وما متضمنة لمعنى الاستفهام وهي في محل النصب وهي عبارة عن المصدر كانه قيل واي عبء
يعبأ بكم لولا دعاؤكم يعني انكم لا تستاهلون شيئا من العبء بكم لولا عبادتكم وحقيقة قولهم ما عبأت
به ما اعتددت به من فوادح همومي ومما يكون عبئا علي كما تقول ما اكترثت له اي ما اعتددت
به من كوارثي ومما يهمني وقال الزجاج في تأويل ما يعبأ بكم ربي اي وزن يكون لكم عنده ويجوز
ان يكون ما نافية فقد كذبتم يقول اذا اعلمتكم ان حكمي اني لا اعتد بعبادي الا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم
حكمي فسوف يلزمكم اثر تكذيبكم حتى يكبكم في النار ونظيره في الكلام ان يقول الملك لمن استعصى عليه
ان من عادتي ان احسن الى من يطيعني ويتبع امري فقد عصيت فسوف ترى ما احل بك بسبب عصيانك

وقيل معناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام وقيل ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة
فان قلت الى من يتوجه هذا الخطاب قلت الى الناس على الاطلاق ومنهم مؤمنون عابدون ومكذبون
عاصون فخوطبوا بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب وقرئ فقد كذب الكافرون وقيل يكون العذاب
لزاما وعن مجاهد هو القتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى لزاما وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم
كالثبات والثبوت والوجه ان ترك اسم كان غير منطوق به بعدما علم انه مما توعد به لاجل الابهام
وتناوله ما لا يكتنهه الوصف والله اعلم بالصواب • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفرقان
لقي الله يوم القيمة وهو مؤمن بان الساعة آتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب

سورة الشعراء مكية الا قوله والشعراء الى آخر السورة وهي مائتان وسبع وعشرون آية وقيل وست وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم • طسم تلك آيات الكتاب المبين
طسم بتفخيم الالف وامالتها واظهار النون وادغامها الكتاب المبين الظاهر اعجازه وصحة انه من
عند الله والمراد به السورة او القرآن والمعنى آيات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب
المبين • لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين • البخع ان يبلغ بالذبح البخاع بالباء وهو عرق مستبطن
الفقار وذلك اقصى حد الذابح ولعل للاشفاق يعني اشفق على نفسك ان تقتلها حسرة على ما فاتك
من اسلام قومك ان لا يكونوا مؤمنين لئلا يؤمنوا او لامتناع ايمانهم او خيفة ان لا يؤمنوا وعن
قتادة باخع نفسك على الاضافة • ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين
اراد آية ملجئة الى الايمان قاسرة عليه فظلت معطوف على الجزاء الذي هو ننزل لانه لو قيل انزلنا
لكان صحيحا ونظيره فاصدق واكن كانه قيل اصدق وقد قرئ لو شئنا لانزلنا وقرئ فتظل
اعناقهم • فان قلت كيف صح مجيء خاضعين خبرا عن الاعناق قلت اصل الكلام فظلوا لها خاضعين فاقحمت
الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على اصله كقوله ذهبت اهل اليمامة كان الاهل غير
مذكور او لما وصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء قيل خاضعين كقوله تعالى لي ساجدين وقيل اعناق الناس
رؤساؤهم ومقدموهم شبهوا بالاعناق كما قيل لهم الرؤس والنواصي والصدور قال في محفل من نواصي

الناس شهود وقيل جماعات الناس يقال جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ فظلت اعناقهم لها
خاضعة وعن ابن عباس نزلت هذه الآية فينا وفي بني امية قال ستكون لنا عليهم الدولة فتذل
لنا اعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة • وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا
عنه معرضين فقد كذبوا فسيأتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون • اي وما يجدد لهم الله بوحيه موعظة
وتذكيرا الا جددوا اعراضا عنه وكفرا به فان قلت كيف خولف بين الالفاظ والغرض واحد
وهي الاعراض والتكذيب والاستهزاء قلت انما خولف بينها لاختلاف الاغراض كأنه قيل حين اعرضوا عن
الذكر فقد كذبوا به وحين كذبوا به فقد خف عندهم قدره وصار عرضة للاستهزاء والسخرية لان
من كان قابلا للحق مقبلا عليه كان مصدقا به لا محالة ولم يظن به التكذيب ومن كان مصدقا به
كان موقرا له فسيأتيهم وعيد لهم وانذار بانهم سيعلمون اذا مسهم عذاب الله يوم بدر او يوم القيامة
ما الشيء الذي كانوا يستهزءون به وهو القرآن وسيأتيهم انباؤه واحواله التي كانت خافية عليهم •
اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين و
ان ربك لهو العزيز الرحيم • وصف الزوج وهو الصنف من النبات بالكرم والكريم صفة لكل ما يرضى
ويحمد في بابه يقال وجه كريم اذا رضي في حسنه وجماله وكتاب كريم مرضي في معانيه وفوائده
وقال حتى يشق الصفوف من كرمه • اي من كونه مرضيا في شجاعته وبأسه والنبات الكريم المرضي
فيما يتعلق به من المنافع ان في انبات تلك الاصناف لآية على ان منبتها قادر على احياء الموتى
وقد علم الله ان اكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مرجي ايمانهم وان ربك لهو العزيز في انتقامه من الكفرة
الرحيم لمن تاب وآمن وعمل صالحا فان قلت ما معنى الجمع بين كم وكل ولو قيل كم انبتنا فيها من زوج كريم
قلت قد دل كل على الاحاطة بازواج النبات على سبيل التفصيل وكم على ان هذا المحيط متكاثر
مفرط الكثرة فهذا معنى الجمع بينهما وبه نبه على كمال قدرته فان قلت فما معنى وصف الزوج بالكريم قلت
يحتمل معنيين احدهما ان النبات على نوعين نافع وضار فذكر كثرة ما انبت في الارض من جميع
اصناف النبات النافع وخلى ذكر الضار والثاني ان يعم جميع النبات نافعه وضاره ويصفهما

جميعا

جميعا بالكرم وينبه على انه ما انبت شيئا الا وفيه فائدة لان الحكيم لا يفعل فعلا الا لغرض صحيح و
لحكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الى معرفتها العاقلون فان قلت فحين ذكر الازواج
ودل عليها بكلمتي الكثرة والاحاطة وكانت بحيث لا يحصيها الا عالم الغيب كيف قال ان في ذلك
لآية وهلا قال لآيات قلت فيه وجهان ان يكون ذلك مشارا به الى مصدر انبتنا فكأنه قال
ان في الانبات لآية اي آية وان يراد ان في كل واحد من تلك الازواج لآية وقد سبقت لهذا
الوجه نظائر • واذ نادى ربك موسى ان ائت القوم الظالمين قوم فرعون الا يتقون • سجل
عليهم بالظلم بان قدم القوم الظالمين ثم عطفهم عليهم عطف البيان كأن معنى القوم الظالمين
وترجمته قوم فرعون وكأنهما عبارتان تعتقبان على مؤدى واحد ان شاء ذاكرهم عبر عنهم
بالقوم الظالمين وان شاء عبر بقوم فرعون وقد استحقوا هذا الاسم من جهتين من جهة ظلمهم انفسهم
بالكفر وشرارتهم ومن جهة ظلمهم لبني اسرائيل باستعبادهم لهم قرئ الا يتقون بكسر النون بمعنى
الا يتقونني فحذفت النون لاجتماع النونين والياء للاكتفاء بالكسرة فان قلت بم تعلق قوله الا
يتقون قلت هو كلام مستأنف اتبعه عز وجل ارساله اليهم للانذار والتسجيل عليهم بالظلم
تعجيبا لموسى عليه السلام من حالهم التي شنعت في الظلم والعسف ومن امنهم العواقب وقلة خوفهم
وحذرهم من ايام الله ويحتمل ان يكون لا يتقون حالا من الضمير في الظالمين اي يظلمون غير متقين
الله وعقابه فادخلت همزة الانكار على الحال واما من قرأ الا تتقون على الخطاب فعلى
طريقة الالتفات اليهم وجبههم وضرب وجوههم بالانكار والغضب عليهم كما ترى من يشكو
من ركب جناية الى بعض خصائه والجاني حاضر فاذا اندفع في الشكاية وحر مزاجه وحمي غضبه
قطع مباثة صاحبه واقبل على الجاني يوبخه ويعنف به ويقول الم تتق الله الم تستحي من
الناس فان قلت فما فائدة هذا الالتفات والخطاب مع موسى عم في وقت المناجاة والملتفت اليهم
غيب لا يشعرون قلت اجراء ذلك في تكليم المرسل اليهم في معنى اجرائه بحضرتهم والقائه الى
مسامعهم لانه مبلغه ومنهيه وناشره بين الناس وله فيه لطف وحث على زيادة التقوى وكم

من آية أنزلت في شان الكافرين وفيهما وفر نصيب للمؤمنين تدبرا لها واعتبارا بموردها وفي
الا يتقون بالياء وكسر النون وجه آخر وهو ان يكون المعنى الا يا ناس اتقون كقوله الا يا اسجدوا
قال رب اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فارسل الى هرون ولهم علي ذنب
فاخاف ان يقتلون ويضيق وينطلق بالرفع لانهما معطوفان على خبر ان وبالنصب لعطفهما على صلة
ان والفرق بينهما في المعنى ان الرفع يفيد ان فيه ثلث علل خوف التكذيب وضيق الصدر وامتناع
انطلاق اللسان والنصب على ان خوفه متعلق بهذه الثلثة فان قلت في النصب تعليق الخوف
بالامور الثلثة وفي جملتها نفي انطلاق اللسان وحقيقة الخوف انما هي غم يلحق الانسان لامر سيقع
وذلك كان واقعا فكيف جاز تعليق الخوف به قلت قد علق الخوف بتكذيبهم وبما يحصل له بسببه
من ضيق الصدر والحبسة في اللسان زائدة على ما كان به على ان تلك الحبسة التي كانت به
قد زالت بدعوته وقيل بقيت منها بقية يسيرة فان قلت اعتذارك هذا يرده الرفع لان المعنى اني
خائف ضيق الصدر غير منطلق اللسان قلت يجوز ان يكون هذا قبل الدعوة واستجابتها ويجوز
ان يريد القدر اليسير الذي بقي به ويجوز ان لا يكون مع حل العقدة من لسانه من الفصحاء
المصاقع الذين اوتوا سلاطة الالسنة وبسطة المقال وهرون كان بتلك الصفة فاراد ان
يقرن به ويدل عليه قوله عز وجل واخي هرون هو افصح مني لسانا ومعنى فارسل الى هرون ارسل
اليه جبرئيل واجعله نبيا وآزرني به واشدد به عضدي وهذا كلام مختصر وقد بسطه في
غير هذا الموضع وقد احسن في الاختصار حيث قال فارسل الى هرون فجاء بما يتضمن معنى الاستنباء
ومثله في تقصير الطويلة والحسن قوله عز وجل فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم
تدميرا حيث اقتصر على ذكر طرفي القصة اولها وآخرها وهما الانذار والتدمير ودل بذكرهما على ما هو
الغرض من القصة الطويلة كلها وهو انهم قوم كذبوا بايات الله فاراد الله الزام الحجة عليهم فبعث اليهم رسولين
فكذبوهما فاهلكهم فان قلت كيف ساغ لموسى ان يامره الله بامر فلا يتقبله بسمع وطاعة من غير توقف
وتشبث بعلل وقد علم ان الله من ورائه قلت قد امتثل وتقبل ولكنه التمس من ربه ان يعضده

باخيه

باخيه حتى يتعاونا على تنفيذ امره وتبليغ رسالته فمهد قبل التماسه عذره فيما التمسه ثم التمس بعد ذلك
وتمهيد العذر في التماس المعين على تنفيذ الامر ليس بتوقف في امتثال الامر ولا بتعلل فيه وكفى بطلب العون
دليلا على التقبل لا على التعلل اراد بالذنب قتله القبطي وقيل كان خباز فرعون واسمه فاتون
يعني ولهم علي تبعة ذنب وهي قود ذلك القتل فاخاف ان يقتلوني به فحذف المضاف وسمى تبعة الذنب
ذنبا كما سمى جزاء السيئة سيئة فان قلت قد ابيت ان تكون تلك الثلث عللا وجعلتها تمهيد العذر
فيما التمسه فما قولك في هذه الرابعة قلت هذه استدفاع للبلية المتوقعة وفرق من ان يقتل قبل
اداء الرسالة فكيف يكون تعللا والدليل عليه ما جاء بعده من كلمة الردع والموعد بالكلاءة والدفع
قال كلا فاذهبا باياتنا انا معكم مستمعون جمع الله سبحانه له الاستجابتين معا في قوله كلا فاذهبا
لانه استدفعه بلاءهم فوعده الدفع بردعه عن الخوف والتمس منه الموازرة باخيه فاجابه بقوله
اذهبا اي اذهب انت والذي طلبته وهو هرون فان قلت علام عطف قوله فاذهبا قلت على الفعل
الذي يدل عليه كلا كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت وهرون وقوله معكم مستمعون
من مجاز الكلام يريد انا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه اذا حضر واستمع ما يجري بينكما
وبينه فاظهركما وغلبكما وكسر شوكته عنكما ونكسه ويجوز ان يكونا خبرين لان او يكون مستمعون
مستقرا ومعكم لغوا فان قلت لم جعلت مستمعون قرينة معكم في كونه من باب المجاز والله تعالى يوصف على
الحقيقة بانه سامع وسميع قلت ولكن لا يوصف بالمستمع على الحقيقة لان الاستماع جار مجرى الاصغاء
والاستماع من السمع بمنزلة النظر من الرؤية ومنه قوله تعالى قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا
انا سمعنا قرآنا عجبا ويقال استمع الى حديثه وسمع حديثه اي اصغى اليه وادركه بحاسة السمع ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم من استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صب في اذنيه البرم فاتيا فرعون فقولا
انا رسول رب العالمين فان قلت هلا ثنى الرسول كما في قوله رسولا ربك قلت الرسول يكون بمعنى المرسل
وبمعنى الرسالة فجعل ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعل ههنا بمعنى الرسالة فجاز التسوية
فيه اذا وصف به بين الواحد والتثنية والجمع كما يفعل في الصفة بالمصادر نحو صوم وزور قال

الكنى اليها وخبر الرسول اعلمهم بنواحي الحي فجعله للجماعة والشاهد في الرسول بمعنى الرسالة قوله
لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول ويجوز ان يوحد لان حكمهما لتساندهما
واتفاقهما على شريعة واحدة واتحادهما لذلك وللاخوة كان حكما واحدا فكانهما رسول واحد او
اريد ان كل واحد منا . ان ارسل معنا بني اسرائيل . ان ارسل بمعنى اى ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال
وتقول ارسلت اليك ان افعل كذا لما في الارسال من معنى القول كما في المناداة والكتابة ونحو ذلك ومعنى
هذا الارسال التخلية كقولك ارسل البازي يريد خلهم يذهبوا معنا الى فلسطين وكانت مسكنهما و
يروى انهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم انه رسول
رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فاديا اليه الرسالة فعرف موسى فقال له الم نربك
حذف فاتيا فرعون فقولا له ذلك لانه معلوم لا يشتبه وهذا النوع من الاختصار كثير في التنزيل
قال الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين
الوليد الصبي لقرب عهده من الولادة وفي رواية عن ابي عمرو من عمرك بسكون الميم سنين قيل مكث
عندهم ثلثين سنة وقيل وكز القبطي وهو ابن ثنتي عشرة سنة وفر منهم على اثرها والله اعلم بصحيح ذلك
وعن الشعبي فِعلتك بالكسر وهي قتلة القبطي لانه قتله بالوكزة وهو ضرب من القتل واما الفعلة
فلانها كانت وكزة واحدة عدد عليه نعمته من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال ووبخه بما جرى
عليه من قتل خبازه وعظم ذلك وفظعه بقوله وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين
يجوز ان يكون حالا اى قتلته وانت لذلك من الكافرين بنعمتي او وانت اذ ذاك ممن تكفرهم
الساعة وقد افترى عليه او جهل امره لانه كان يعايشهم بالتقية فان الله عز وعلا عاصم من
يريد ان يستنبئه من كل كبيرة ومن بعض الصغائر فما بال الكفر ويجوز ان يكون قوله وانت من الكافرين
حكما عليه بانه من الكافرين بالنعم ومن كانت عادته كفران النعم لم يكن قتل خواص المنعم عليه بدعا منه
او بانه من الكافرين بفرعون والهيته او من الذين كانوا يكفرون في دينهم فقد كانت لهم آلهة يعبدونهم
يشهد لذلك قوله تعالى ويذرك والهتك وقرئ والاهتك . قال فعلتها اذا وانا من الضالين ففررت

منكم

منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل
فاجابه موسى صلوات الله عليه بان تلك الفعلة انما فرطت منه وهو من الضالين اى الجاهلين وقراءة
ابن مسعود رضي الله عنه من الجاهلين مفسرة والمعنى من الفاعلين فعل اولي الجهل والسفه كما قال يوسف
لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون او المخطئين كمن يقتل خطأ من غير تعمد
للقتل او الذاهبين عن الصواب والناسين من قوله ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى و
كذب فرعون ودفع الوصف بالكفر عن نفسه وبرأ ساحته بان وضع الضالين موضع الكافرين
ربا بمحل من رشح للنبوة عن تلك الصفة ثم كر على امتنانه عليه بالتربية فابطله من اصله واستأصله
من سنخه وابى ان يسمى نعمته الا نقمة حيث بين ان حقيقة انعامه عليه تعبيد بني اسرائيل لان تعبيدهم
وقصدهم بذبح ابنائهم هو السبب في حصوله عنده وتربيته فكانه امتن عليه بتعبيد قومه اذا حققت
وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم عبيدا يقال عبدت الرجل واعبدته اذا اتخذته عبدا قال علام يعبدني
قومي وقد كثرت فيهم اباعر ما شاؤا وعبدان . فان قلت اذن جواب وجزاء معا والكلام وقع جوابا
لفرعون فكيف وقع جزاء قلت قول فرعون وفعلت فعلتك فيه معنى انك جازيت نعمتي بما
فعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازيا لك تسليما لقوله لان نعمته كانت عنده جديرة بان
تجازى بنحو ذلك الجزاء فان قلت لم جمع الضمير في منكم وخفتكم مع افراده في تمنها وعبدت قلت الخوف
والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملائه المؤتمرين بقتله بدليل قوله تعالى ان الملأ يأتمرون بك
ليقتلوك واما الامتنان فمنه وحده وكذلك التعبيد فان قلت تلك اشارة الى ماذا وان عبدت
ما محلها من الاعراب قلت تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة لا يدرى ما هي الا بتفسيرها ومحل ان
عبدت الرفع عطف بيان لتلك ونظيره قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع
والمعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي وقال الزجاج ويجوز ان يكون ان في موضع نصب المعنى انما
صارت نعمة علي لان عبدت بني اسرائيل اى لو لم تفعل ذلك لكفلني اهلي ولم يلقوني في اليم . قال
فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين قال لمن حوله الا

تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الاولين قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون قال رب المشرق
والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين • لما قال
له بوابه ان ههنا من يزعم انه رسول رب العالمين قال له عند دخوله وما رب العالمين يريد اي شيء
رب العالمين وهذا السؤال لا يخلو اما ان يريد به اي شيء هو من الاشياء التي شوهدت وعرفت اجناسها
فاجاب بما يستدل به عليه من افعاله الخاصة ليعرفه انه ليس بشيء مما شوهد وعرف من الاجرام
والاعراض وانه شيء مخالف لجميع الاشياء ليس كمثله شيء واما ان يريد به اي شيء هو على الاطلاق
تفتيشا عن حقيقته الخاصة ما هي فاجابه بان الذي اليه سبيل وهو الكافي في معرفته معرفة ثباته
بصفاته استدلالا بافعاله الخاصة على ذلك واما التفتيش عن حقيقته الخاصة التي هي فوق فطر
العقول فتفتيش عما لا سبيل اليه والسائل عنه متعنت غير طالب للحق والذي يليق بحال فرعون ويدل
عليه الكلام ان يكون سؤاله هذا انكارا لان يكون للعالمين رب سواه لادعائه الالهية فلما اجاب موسى
بما اجاب عجب قومه من جوابه حيث نسب الربوبية الى غيره فلما ثنى بتقرير قوله جننه الى قومه
وطنز به حيث سماه رسولهم فلما ثلث بتقرير آخر احتد واحتدم وقال لئن اتخذت الها غيري وهذا
يدل على صحة هذا الوجه الاخير فان قلت كيف قيل وما بينهما على التثنية والمرجوع اليه مجموع قلت
اريد وما بين الجنسين فعل بالمضمر ما فعل بالظاهر من قال في الهيجاء جمالين فان قلت ما معنى قوله
ان كنتم موقنين واين عن فرعون وملائه الايقان قلت معناه ان كان يرجى منكم الايقان الذي
يؤدي اليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب والا لم ينفع وان كنتم موقنين بشيء قط فهذا اولى ما توقنون
به لظهوره وانارة دليله فان قلت ومن كان حوله قلت اشراف قومه قيل كانوا خمسمائة رجل
عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة فان قلت ذكر السموات والارض وما بينهما قد استوعب به الخلائق
كلها فما معنى ذكرهم وذكر آبائهم بعد ذلك وذكر المشرق والمغرب قلت قد عمم اولا ثم خصص من
العام للبيان انفسهم وآباءهم لان اقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولده ومنه وما شاهد
وعاين من الدلائل على الصانع والناقل من هيئة الى هيئة وحال الى حال من وقت ميلاده الى وقت

وفاته

وفاته ثم خصص المشرق والمغرب لان طلوع الشمس من احد الخافقين وغروبها في الآخر على تقدير
مستقيم في فصول السنة وحساب مستو من اظهر ما استدل به ولظهوره انتقل الى الاحتجاج به خليل
الله عن الاحتجاج بالاحياء والاماتة على نمروذ بن كنعان فبهت الذي كفر وقرئ رب المشارق والمغارب
الذي ارسل اليكم بفتح الهمزة فان قلت كيف قال اولا ان كنتم موقنين وآخرا ان كنتم تعقلون قلت
لاين اولا فلما رأى منهم شدة الشكيمة في العناد وقلة الاصغاء الى عرض الحجج خاشن وعارض ان
رسولكم لمجنون بقوله ان كنتم تعقلون فان قلت الم يكن لاسجننك اخصر من لاجعلنك من المسجونين
ومؤديا مؤداه قلت اما اخصر فنعم واما مؤد مؤداه فلا لان معناه لاجعلنك واحدا ممن عرفت
حالهم في سجوني وكان من عادته ان يأخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الارض بعيدة العمق
فردا لا يبصر فيها ولا يسمع فكان ذلك اشد من القتل واشد • قال اولو جئتك بشيء مبين قال فأت به
ان كنت من الصادقين • الواو في قوله اولو جئتك واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام معناه
اتفعل بي ذلك ولو جئتك بشيء مبين اي جائيا بالمعجزة وفي قوله ان كنت من الصادقين انه لا يأتي بالمعجزة
الا الصادق في دعواه لان المعجزة تصديق من الله تعالى لمدعي النبوة والحكيم لا يصدق الكاذب ومن العجب
ان مثل فرعون لم يخف عليه هذا وخفي على ناس من اهل القبلة حيث جوزوا القبيح على الله تعالى حتى
لزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات وتقديره ان كنت من الصادقين في دعواك اتيت به فحذف الجزاء
لان الامر بالاتيان به يدل عليه • فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين • ثعبان مبين ظاهر الثعبانية لا شيء
يشبه الثعبان كما تكون الاشياء المزورة بالشعوذة والسحر وروي انها انقلبت حية ارتفعت في
السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون
اسألك بالذي ارسلك الا اخذتها فاخذها فعادت عصا • ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين •
للناظرين دليل على ان بياضها كان شيئا يجتمع النظارة على النظر اليه لخروجه عن العادة وكان بياضا
نوريا روي ان فرعون لما ابصر الآية الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده فقال له ما هذه قال يدك فما
فيها فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق • قال للملأ حوله ان

هذا الساحر عليم • فإن قلت ما العامل في حوله قلت هو منصوب نصبين نصب في اللفظ ونصب في
المحل فالعامل في النصب اللفظي ما يقدر في الظرف والعامل في النصب المحلي وهو النصب على الحال
قال ولقد تحير فرعون لما أبصر الآيتين وبقي لا يدري أي طرفيه أطول حتى زل عنه ذكر دعوى
الإلهية وحط عن منكبيه كبرياء الربوبية وارتعدت فرائصه وانتفخ سحره خوفا وفرقا وبلغت
به الاستكانة لقومه الذين هم بزعمه عبيده وهو إلههم أن طفق يؤامرهم ويعترف لهم بما حذره
منه وتوقعه وأحس به من جهة موسى وغلبته على ملكه وأرضه وقوله إن هذا لساحر عليم قول
باهت إذا غلب ومتمحل إذا لزم • يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون • تأمرون من
المؤامرة وهي المشاورة أو من الأمر الذي هو ضد النهي جعل العبيد آمرين وربهم مأمورا لما استولى
عليه من فرط الدهش والحيرة وماذا منصوب إما لكونه في معنى المصدر وإما لأنه مفعول
من قوله أمرتك الخير • قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم
قرئ أرجئه وأرجه بالهمز والتخفيف وهما لغتان يقال أرجأته وأرجيته إذا أخرته ومنه المرجئة
وهم الذين لا يقطعون بوعيد الفساق ويقولون هم مرجون لأمر الله والمعنى أخره ومناظرته
لوقت اجتماع السحرة وقيل احبسه حاشرين شرطا يحشرون السحرة وعارضوا قوله إن هذا
لساحر بقولهم بكل سحار فجاؤوا بكلمة الإحاطة وصفة المبالغة ليطامنوا من نفسه ويسكنوا
بعض قلقه وقرأ الأعمش بكل ساحر • فجمع السحرة لميقات يوم معلوم • اليوم المعلوم يوم الزينة
وميقاته وقت الضحى لأنه الوقت الذي وقته لهم موسى صلوات الله عليه من يوم الزينة في قوله موعدكم
يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى والميقات ما وقت به أي حدد من زمان أو مكان ومنه مواقيت
الإحرام • وقيل للناس هل أنتم مجتمعون • هل أنتم مجتمعون استبطاء لهم في الاجتماع والمراد منه استعجالهم
واستحثاثهم كما يقول الرجل لغلامه هل أنت منطلق إذا أراد أن يحرك منه ويحثه على الانطلاق
كأنما يخيل له أن الناس قد انطلقوا وهو واقف ومنه قول تأبط شرا هل أنت باعث دينار لحاجتنا
أو عبد رب أخا عون بن مخراق يريد ابعثه إلينا سريعا ولا تبطئ به • لعلنا نتبع السحرة إن كانوا

هم الغالبين • لعلنا نتبع السحرة أي في دينهم إن غلبوا موسى ولا نتبع موسى في دينه وليس غرضهم
باتباع السحرة وإنما الغرض الكلي أن لا يتبعوا موسى فساقوا الكلام مساق الكناية لأنهم إذا اتبعوهم
لم يكونوا متبعين لموسى • فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أإن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين قال
نعم وإنكم إذا لمن المقربين • وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان ولما كان قوله أإن لنا لأجرا في معنى جزاء الشرط
لدلالته عليه وكان قوله وإنكم إذا لمن المقربين معطوفا عليه ومدخلا في حكمه دخلت إذن قارة في مكانها
الذي تقتضيه من الجواب والجزاء وعدهم أن يجمع لهم إلى الثواب على سحرهم الذي قدروا أنهم يغلبون به
موسى القربة عنده والزلفى • قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا
بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون • أقسموا بعزة فرعون وهي من أيمان الجاهلية وكذا كل حلف بغير
الله ولا يصح في الإسلام إلا الحلف بالله معلقا ببعض أسمائه أو صفاته كقولك بالله والرحمن وربي
ورب العرش وعزة الله وقدرة الله وجلال الله وعظمة الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحلفوا
بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالطواغيت ولا تحلفوا إلا بالله ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون ولقد
استحدث الناس في هذا الباب في إسلامهم جاهلية نسبت لها الجاهلية الأولى وذلك أن الواحد
منهم لو أقسم بأسماء الله كلها وصفاته على شيء لم يقبل منه ولم يعتد بها حتى يقسم برأس سلطانه فإذا
أقسم به فتلك عندهم جهد اليمين التي ليس وراءها حلف لحالف • فألقى موسى عصاه فإذا هي
تلقف ما يأفكون فألقي السحرة ساجدين • ما يأفكون ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم وكيدهم
ويزورونه فيخيلون في حبالهم وعصيهم أنها حيات تسعى بالتمويه على الناظرين أو إفكهم سمى تلك
الأشياء إفكا مبالغة روي أنهم قالوا إن يك ما جاء به موسى سحرا فلن يغلب وإن كان من عند الله
فلن يخفى علينا فلما قذف عصاه فتلقفت ما أتوا به علموا أنه من الله فآمنوا وعن عكرمة أصبحوا
سحرة وأمسوا شهداء وإنما عبر عن الخرور بالإلقاء لأنه ذكر مع الإلقاءات فسلك به طريق المشاكلة
وفيه أيضا مع مراعاة المشاكلة أنهم حين رأوا ما رأوا لم يتمالكوا أن رموا بأنفسهم إلى الأرض ساجدين
كأنهم أخذوا فطرحوا طرحا فإن قلت فاعل الإلقاء ما هو لو صرح به قلت هو الله عز وجل بما خولهم

من التوفيق او ايمانهم او ما عاينوا من المعجزة الباهرة ولك ان لا تقدر فاعلا لان القوا بمعنى خروا
وسقطوا • قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون رب موسى وهرون عطف بيان لرب العالمين
لان فرعون كان يدعي الربوبية فارادوا ان يعزلوه ومعنى اضافته اليهما في ذلك المقام انه الذي
يدعو اليه هذان والذي اجرى على ايديهما ما اجرى • قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي
علمكم السحر فلسوف تعلمون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين قالوا لا ضير انا
الى ربنا منقلبون انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المؤمنين • فلسوف تعلمون اي وبال
ما فعلتم الضر والضير والضور واحد ارادوا لا ضرر علينا في ذلك بل لنا فيه اعظم النفع لما يحصل لنا
في الصبر عليه لوجه الله تعالى من تكفير الخطايا والثواب العظيم مع الاعواض الكثيرة او لا ضير علينا
فيما تتوعدنا به من القتل انه لا بد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من اسباب الموت والقتل اهون اسبابه
وارجاها او لا ضير علينا في قتلك انك ان قتلتنا انقلبنا الى ربنا انقلاب من يطمع في مغفرته ويرجو
رحمته لما رزقنا من السبق الى الايمان وخبر لا محذوف والمعنى لا ضير في ذلك او علينا ان كنا
لان كنا وكانوا اول جماعة مؤمنين من اهل زمانهم او من رعية فرعون او من اهل المشهد وقرئ ان
كنا بالكسر وهو من الشرط الذي يجيء به المدل بامره المتحقق لصحته وهم كانوا متحققين انهم اول المؤمنين
ونظيره قول العامل لمن يؤخر جعله ان كنت عملت لك فوفني حقي ومنه قوله عز وجل ان كنتم خرجتم
جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي مع علمه انهم لم يخرجوا الا لذلك • واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي انكم
متبعون • قرئ اسر بقطع الهمزة ووصلها وسر انكم متبعون علل الامر بالاسراء باتباع فرعون و
جنوده آثارهم والمعنى اني بنيت تدبير امركم وامرهم على ان تتقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم
ويسلكوا مسلككم من طريق البحر فاطبقه عليهم فاهلكهم • وروي انه مات في تلك الليلة في كل بيت
من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه وروي ان الله تعالى اوحى الى موسى ان اجمع
بني اسرائيل كل اربعة ابيات في بيت ثم اذبحوا الجداء واضربوا بدمائها على ابوابكم فاني سامر الملائكة
ان لا يدخلوا بيتا على بابه دم وسامرهم بقتل ابكار القبط واخبزوا خبزا فطيرا فانه اسرع لكم ثم اسر

بعبادي

بعبادي حتى تنتهي الى البحر فياتيك امري • فارسل فرعون في المدائن حاشرين ان هؤلاء لشرذمة
قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون • فارسل فرعون في اثرهم الف الف وخمسمائة الف
ملك مسور مع كل ملك الف وخرج فرعون في جمع عظيم وكانت مقدمته سبعمائة الف كل رجل
على حصان وعلى راسه بيضة وعن ابن عباس خرج فرعون في الف الف حصان سوى الاناث
فلذلك استقل قوم موسى وكانوا ستمائة الف وسبعين الفا وسماهم شرذمة قليلين ان هؤلاء
محكي بعد قول مضمر والشرذمة الطائفة القليلة ومنها قولهم ثوب شراذم للذي بلي وتقطع قطعا
ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلا واختار
جمع السلامة الذي هو للقلة وقد يجمع القليل على اقلة وقلل ويجوز ان يريد بالقلة الذلة والقماءة
ولا يريد قلة العدد والمعنى انهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون افعالا
تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا
خرج علينا خارج سارعنا الى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى اهل المدائن لئلا يظن به
ما يكسر من قهره وسلطانه وقرئ حذرون وحاذرون وحادرون بالدال غير المعجمة فالحذر اليقظ
والحاذر الذي يجدد حذره وقيل المؤدي في السلاح وانما يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه و
الحادر السمين القوي قال • احب الصبي السوء من اجل امه وابغضه من بغضها وهو حادر • اراد
انهم اقوياء اشداء وقيل مدججون في السلاح قد كسبهم ذلك حدارة في اجسامهم • فاخرجناهم من
جنات وعيون وكنوز ومقام كريم • وعن مجاهد سماها كنوزا لانهم لم ينفقوا منها في طاعة الله عز وجل
والمقام المكان يريد المنازل الحسنة والمجالس البهية وعن الضحاك المنابر وقيل السرر في الحجال
كذلك واورثناها بني اسرائيل فاتبعوهم مشرقين • كذلك يحتمل ثلاثة اوجه النصب على اخرجناهم
مثل ذلك الاخراج الذي وصفناه والجر على انه وصف لمقام اي مقام كريم مثل ذلك المقام الذي
كان لهم والرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي الامر كذلك فاتبعوهم فلحقوهم وقرئ فاتبعوهم مشرقين
داخلين في وقت الشروق من شرقت الشمس شروقا اذا طلعت • فلما تراءى الجمعان قال اصحاب

موسى انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين سيهديني طريق النجاة من ادراكهم واضرارهم و
قرئ فلما تراءت الفئتان انا لمدركون بتشديد الدال وكسر الراء من ادرك الشيء اذا تتابع
ففني ومنه قوله تعالى بل ادارك علمهم في الآخرة وقال الحسن جهلوا علم الآخرة وفي معناه بيت الحماسة
ابعد بني امي الذين تتابعوا ارجي الحيوة ام من الموت اجزع • والمعنى انا لمتتابعون في الهلاك
على ايديهم حتى لا يبقى منا احد • فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود
العظيم وازلفنا ثم الآخرين وانجينا موسى ومن معه اجمعين ثم اغرقنا الآخرين ان في ذلك لآية
وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم • الفرق الجزء المتفرق منه وقرئ كل فلق
والمعنى واحد والطود الجبل العظيم المنطاد في السماء وازلفنا ثم حيث انفلق البحر الآخرين قوم
فرعون اي قربناهم من بني اسرائيل او ادنينا بعضهم من بعض وجمعناهم حتى لا ينجو منهم احد او قدمناهم
الى البحر وقرئ وازلقنا بالقاف اي ازللنا اقدامهم والمعنى اذهبنا عزهم كقوله • تداركتما عبسا
وقد ثل عرشها وذبيان اذ زلت باقدامها النعل • ويحتمل ان يجعل الله طريقهم في البحر على خلاف ما
جعله لبني اسرائيل يبسا فيزلقهم فيه عن عطاء بن السائب ان جبرئيل كان بين بني اسرائيل وبين آل
فرعون فكان يقول لبني اسرائيل ليلحق آخركم باولكم ويستقبل القبط فيقول رويدكم يلحق آخركم فلما
انتهى موسى الى البحر قال له مؤمن آل فرعون وكان بين يدي موسى اين امرت فهذا البحر امامك
وقد غشيك آل فرعون قال امرت بالبحر ولا يدري موسى ما يصنع فاوحى الله عز وجل اليه ان
اضرب بعصاك البحر فضربه فصار فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق وروي ان يوشع قال
يا كليم الله اين امرت فقد غشينا فرعون والبحر امامنا قال موسى ههنا فخاض يوشع الماء وضرب
بعصاه البحر فدخلوا وروي ان موسى قال عند ذلك يا من كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء و
الكائن بعد كل شيء ويقال هذا البحر هو بحر القلزم وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له اساف ان في
ذلك لآية آية وآية لا توصف قد عاينها الناس وشاع امرها فيهم وما تنبه عليها اكثرهم ولا
آمن بالله وبنو اسرائيل الذين كانوا اصحاب موسى المخصوصين بالانجاء قد سألوه بقرة يعبدونها

سنح لي بعد الاستخارة ما صمم به عزمي على الشروع فيما اردته والاتيان بما قصدته ناويا ان اسميه بعد ان اتممه
انوار التنزيل واسرار التأويل فها انا الآن اشرع وبحسن توفيقه اقول وهو الموفق
لكل خير ومعطي كل مسؤول ... وتسمى ام القرآن لانها مفتتحه ومبدؤه فكانها
اصله ومنشاؤه ولذلك تسمى اساسا او لانها تشتمل على ما فيه من الثناء على الله تعالى والتعبد بامره ونهيه
وبيان وعده ووعيده وعلى جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التي هي سلوك الطريق
المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الاشقياء وسورة الكنز والوافية والكافية
لذلك وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسألة لاشتمالها عليها والصلوة لوجوب قراءتها
او استحبابها فيها والشافية والشفاء لقوله عليه السلام هي شفاء لكل داء والسبع المثاني لانها
سبع آيات بالاتفاق الا ان منهم من عد التسمية دون انعمت عليهم ومنهم من عكس وتثنى في
الصلوة او الانزال ان صح انها نزلت بمكة حين فرضت الصلوة وبالمدينة حين حولت القبلة
وقد صح انها مكية لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني وهو مكي بالنص بسم الله الرحمن الرحيم
من الفاتحة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك والشافعي وخالفهم قراء المدينة والبصرة
والشام وفقهاؤها ومالك والاوزاعي ولم ينص ابو حنيفة رحمه الله فيه بشيء فظن انها ليست من
السورة عنده وسئل محمد بن الحسن عنها فقال ما بين الدفتين كلام الله تعالى ولنا احاديث كثيرة منها ما روى
ابو هريرة انه عم قال فاتحة الكتاب سبع آيات اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وقول ام سلمة قرأ
رسول الله عم الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية ومن اجلها اختلف
في انها آية برأسها ام بما بعدها والاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله والوفاق على اثباتها
في المصاحف مع المبالغة في تجريد القرآن العظيم حتى لم يكتب آمين والباء متعلقة بمحذوف تقديره
بسم الله اقرأ لان الذي يتلوه مقروء وكذلك يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية مبدأ له وذلك اولى من
ان يضمر ابدأ لعدم ما يطابقه ويدل عليه او ابتدائي لزيادة اضمار فيه وتقديم المعمول ههنا اوقع
كما في قوله بسم الله مجريها وقوله اياك نعبد لانه اهم وادل على الاختصاص وادخل في التعظيم واوفق
للوجود فان اسمه تعالى مقدم على القراءة كيف وقد جعل آلة لها من حيث ان الفعل لا يتم ولا يعتد به
شرعا ما لم يصدر باسمه تعالى لقوله عم كل امر ذي بال لم يبدأ ببسم الله فهو ابتر وقيل الباء للمصاحبة

والمعنى متبركا باسم الله اقرا وهذا وما بعده الى آخر السورة مقول على السنة العباد ليعلموا كيف يتبرك
باسمه تعالى ويحمد على نعمه ويسئل من فضله وانما كسرت ومن حق الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم
الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر للفصل بينهما وبين لام الابتداء
والاسم عند البصريين من الاسماء التي حذفت اعجازها لكثرة الاستعمال وبنيت اوايلها على السكون
وادخل عليها مبتدا بها همزة الوصل لان من دابهم ان يبتدؤا بالمتحرك ويقفوا على الساكن
ويشهد له تصريفهم على اسماء واسامي وسمي وسميت ومجي سمى كهدى لغة فيه قال والله
اسماك سمى مباركا آثرك الله به ايثاركا والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه عند البصريين
من السمو لانه رفعة للمسمى وشعار له ومن السمة عند الكوفيين واصله وسم حذفت الواو وعوضت عنها
همزة الوصل ليقل اعلاله ورد بان الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم ومن لغاته
سم وسُم قال باسم الذي في كل سورة سمه والاسم ان اريد به اللفظ فغير المسمى لانه يتالف من
اصوات مقطعة غير قارة ويختلف باختلاف الامم والاعصار ويتعدد تارة ويتحد اخرى والمسمى
لا يكون كذلك وان اريد به ذات الشي فهو المسمى لكن لم يشتهر بهذا المعنى وقوله سبح اسم ربك
المراد به اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقايص يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة لها عن الرفث
وسوء الادب او الاسم فيه مقحم كما في قول الشاعر الى الحول ثم اسم السلام عليكما وان اريد به الصفة
كما هو راي الشيخ ابي الحسن الاشعري انقسم انقسام الصفة عنده الى ما هو نفس المسمى والى ما هو غيره والى ما
قال بسم الله ولم يقل بالله لان التبرك والاستعانة بذكر اسمه او للفرق بين اليمين والتيمن ولم
تكتب الالف على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا عنها والله اصله اله
فحذفت الهمزة وعوض عنها الالف واللام ولذلك قيل يا الله بالقطع الا انه مختص بالمعبود بالحق
والاله في اصله يقع لكل معبود ثم غلب على المعبود بالحق واشتقاقه من اله الهة والوهة والوهية
بمعنى عبد ومنه تاله واستاله وقيل من اله اذا تحير اذ العقول تتحير في معرفته او من الهت الى
فلان اي سكنت اليه لان القلوب تطمئن بذكره والارواح تسكن الى معرفته او من اله اذا فزع
من امر نزل عليه والهه غيره اجاره اذ العابد يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او بزعمه او من اله الفصيل
اذا ولع بامه اذ العباد يولعون بالتضرع اليه في الشدايد او من وله اذا تحير وتخبط عقله وكان اصله

والا

ومن القلقلة وهي حروف تضطرب عند خروجها ويجمعها قد طبج نصفها الاقل لقلتها ومن اللينتين
الياء لانها اقل ثقلا ومن المستعلية وهي التي يتصعد الصوت بها في الحنك الاعلى وهي سبعة
القاف والصاد والطاء والخاء والغين والضاد والظاء نصفها الاقل ومن البواقي
المنخفضة نصفها ومن حروف البدل وهي احد عشر على ما ذكره سيبويه واختاره ابن جني ويجمعها
اجد طويت منها الستة الشايعة المشهورة التي يجمعها اهطمين وقد زاد بعضهم سبعة اخرى
وهي اللام في اصيلال وقيل الالف من اقصى الحلق وهو مبدا المخارج واللام من طرف اللسان
وهو وسطها والميم من الشفة وهي آخرها جمع بينها ايماء الى ان العبد ينبغي ان يكون اول كلامه واوسطه
وآخره ذكر الله وقيل انه سر استاثره الله بعلمه وقد روي عن الخلفاء الاربعة وعن غيرهم من الصحابة
ما يقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله ورسوله ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد
الخطاب بما لا يفيد فان جعلتها اسماء الله تعالى او القرآن او السور كان لها حظ من الاعراب اما الرفع على
الابتداء والخبر او النصب بتقدير فعل القسم على طريقة الله لافعلن بالنصب او غيره كما ذكر او الجر على
اضمار حرف القسم ويتاتى الاعراب لفظا والحكاية فيما كانت مفردة او موازنة لمفرد كحم فانها
كهابيل والحكاية ليست الا فيما عدا ذلك وسيعود اليك ذكره مفصلا ان شاء الله تعالى وان ابقيتها
على معانيها فان قدرت بالمؤلف من هذه الحروف كان في حيز الرفع بالابتداء او الخبر على ما مر وان
جعلتها مقسما بها يكون كل كلمة منها منصوبا او مجرورا على اللغتين في الله لافعلن فيكون جملة قسمية
بالفعل المقدر له وان جعلتها ابعاض كلمات او اصواتا منزلة منزلة حروف التنبيه لم يكن لها محل من
الاعراب كالجمل المبتدأة والمفردات المعدودة ويوقف عليها وقف التمام اذا قدرت بحيث
لا يحتاج الى ما بعدها وليس شي منها آية عند غير الكوفيين واما عندهم فالم والمص وكهيعص وطه وطسم
ويس وحم آية وحم عسق آيتان والباقي ليست بآيات وهذا توقيف لا مجال للقياس فيه
ذلك الكتاب ذلك اشارة الى الم ان اريد به المؤلف من هذه الحروف او فسر بالسورة او
القرآن فانه لما تكلم به وتقضى او وصل من المرسل الى المرسل اليه صار متباعدا اشير اليه بما يشار به الى البعيد وتذكيره متى
اريد بالم السورة لتذكير الكتاب فانه صفته او خبره الذي هو هو او الى الكتاب فيكون صفته
والمراد به الكتاب الموعود انزاله بقوله انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ونحوه او في الكتب المتقدمة

وهو مصدر سمي به المفعول للمبالغة او فعال بني للمفعول كاللباس ثم اطلق على المنظوم عبارة قبل ان تكتب
لانه مما يكتب واصل الكتب الجمع ومنه الكتيبة لا ريب فيه معناه انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث
لا يرتاب العاقل بعد النظر الصحيح في كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لا ان احدا لا يرتاب فيه الا ترى الى قوله تعالى وان كنتم في
ريب مما نزلنا على عبدنا الاية فانه ما ابعد الريب عنهم بل عرفهم الطريق المزيح له وهو ان يجتهدوا في معارضة نجم
من نجومه ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى اذا عجزوا عنها تحقق لهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة
وقيل معناه لا ريب فيه للمتقين وهدى حال عن الضمير المجرور والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي
والريب في الاصل مصدر رابني الشيء اذا حصل فيك الريبة وهي قلق النفس واضطرابها سمي به
الشك لانه يقلق النفس ويزيل الطمانينة وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق
طمانينة ومنه ريب الزمان لنوائبه هدى للمتقين يهديهم الى الحق والهدى في الاصل مصدر كالسرى والبكى وهو
الدلالة وقيل الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل الضلال في قوله تعالى لعلى هدى او في ضلال مبين ولانه
لا يقال مهدي الا لمن اهتدى الى المطلوب واختصاصه بالمتقين لانهم المهتدون به والمنتفعون بنصه
وان كانت دلالته عامة لكل ناظر من مسلم او كافر وبهذا الاعتبار قال تعالى هدى للناس او لانه لا ينتفع
بالتامل فيه الا من صقل العقل واستعمله في تدبر الايات والنظر في المعجزات وتعرف النبوات لانه كالغذاء
الصالح لحفظ الصحة فانه لا يجلب نفعا ما لم تكن الصحة حاصلة واليه اشار بقوله وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة
للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ولا يقدح ما فيه من المجمل والمتشابه في كونه هدى لما لم ينفك
عن بيان يعين المراد منه والمتقي اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهو في عرف
الشرع اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الاخرة وله ثلاث مراتب الاولى التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن
الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر
عند قوم وهو المتعارف باسم التقوى في الشرع وهو المعني بقوله ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا والثالثة ان
يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى اتقوا الله
حق تقاته وقد فسر قوله هدى للمتقين ههنا على الوجوه الثلاثة واعلم ان الاية تحتمل اوجها من الاعراب ان يكون
الم مبتدأ على انه اسم القران او السورة او مقدر بالمؤلف منها وذلك خبره وان كان اخص من المؤلف
مطلقا والاصل ان الاخص لا يحمل على الاعم لان المراد به المؤلف الكامل في تاليفه البالغ اقصى درجات

واتخذوا العجل وطلبوا رؤية الله جهرة وان ربك لهو العزيز المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه
واتل عليهم نبأ ابرهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين
كان ابرهيم صلوات الله عليه يعلم انهم عبدة اصنام ولكنه سألهم ليريهم ان ما يعبدونه ليس
استحقاق العبادة في شيء كما تقول للتاجر ما مالك وانت تعلم ان ماله الرقيق ثم تقول له الرقيق جمال
وليس بمال فان قلت ما تعبدون سؤال عن المعبود فحسب فكان القياس ان يقولوا اصناما كقوله
تعالى ماذا ينفقون قل العفو ماذا قال ربكم قالوا الحق ماذا انزل ربكم قالوا خيرا قلت هؤلاء
قد جاؤا بقصة امرهم كاملة كالمبتهجين بها والمفتخرين فاشتملت على جواب ابرهيم وعلى ما
قصدوه من اظهار ما في نفوسهم من الابتهاج والافتخار الا تراهم كيف عطفوا على قولهم نعبد فنظل لها
عاكفين ولم يقتصروا على زيادة نعبد وحده ومثاله ان يقول لبعض الشطار ما تلبس في بلادك فيقول
البس البرد الاتحمي فاجر ذيله بين جواري الحي وانما قالوا نظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل
قال هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون لا بد في يسمعونكم من تقدير حذف المضاف
معناه هل يسمعون دعاءكم وقرأ قتادة يسمعونكم اي هل يسمعونكم الجواب عن دعائكم وهل يقدرون
على ذلك وجاء مضارعا مع ايقاعه في اذ على حكاية الحال الماضية ومعناه استحضروا الاحوال الماضية
التي كنتم تدعونها فيها وقولوا هل سمعوا او اسمعوا قط وهذا ابلغ في التبكيت قالوا بل وجدنا اباءنا
كذلك يفعلون قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين
اجابوا بجواب المقلدين لابائهم فقال لهم رقوا امر تقليدكم هذا الى اقصى غاياته وهي عبادة الاقدمين
الاولين من ابائكم فان التقدم والاولية لا يكون برهانا على الصحة والباطل لا ينقلب حقا بالقدم
وما عبادة من عبد هذه الاصنام الا عبادة اعداء له ومعنى العداوة قوله تعالى كلا سيكفرون
بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ولان المغري على عبادتها اعدى اعداء الانسان وهو الشيطان
وانما قال عدو لي تصويرا للمسألة في نفسه على معنى اني فكرت في امري فرأيت عبادتي لها عبادة للعدو
فاجتنبتها واثرت عبادة من الخير كله منه واراهم بذلك انها نصيحة نصح بها نفسه اولا وبنى

عليها تدبر امره لينظروا فيقولوا ما نصحنا ابرهيم الا بما نصح به نفسه وما اراد لنا الا ما اراد
لروحه ليكون ادعى لهم الى القبول وابعث على الاستماع منه ولو قال فانه عدو لكم لم يكن بتلك
المثابة ولانه دخل في باب من التعريض وقد يبلغ التعريض للمنصوح ما لا يبلغه التصريح لانه يتأمل
فيه فربما قاده التأمل الى التقبل ومنه ما يحكى عن الشافعي ان رجلا واجهه بشيء فقال لو
كنت بحيث انت لاحتجت الى ادب وسمع رجل ناسا يتحدثون في الحجر فقال ما هو بيتي ولا بيتكم
والعدو والصديق يجيئان في معنى الوحدة والجماعة قال وقوم علي ذوي مئرة اراهم عدوا و
كانوا صديقا ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو شبههما بالمصادر للموازنة كالقبول والولوع والحنين
والصهيل الا رب العالمين استثناء منقطع كانه قال ولكن رب العالمين فهو يهديني الذي خلقني
فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين
يريد انه حين اتم خلقه ونفخ فيه الروح عقب ذلك هدايته المتصلة التي لا تنقطع الى كل
ما يصلحه ويعنيه والا فمن هداه الى ان يغتذي بالدم في البطن امتصاصا ومن هداه
الى معرفة الثدي عند الولادة والى معرفة مكانه ومن هداه لكيفية الارتضاع الى غير ذلك من
هدايات المعاش والمعاد وانما قال مرضت دون امرضني لان كثيرا من اسباب المرض يحدث
بتفريط من الانسان في مطاعمه ومشاربه وغير ذلك ومن ثم قالت الحكماء لو قيل لاكثر الموتى
ما سبب آجالكم لقالوا التخم والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وقرئ خطاياي
والمراد ما يندر منه من بعض الصغائر لان الانبياء معصومون مختارون على العالمين وقيل هي
قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي اختي وما هي الا معاريض كلام و
تخيلات للكفرة وليست بخطايا يطلب لها الاستغفار فان قلت اذا لم يندر منهم الا الصغائر
وهي تقع مكفرة فما له اثبت لنفسه خطيئة او خطايا وطمع ان تغفر له قلت الجواب ما سبق
لي ان استغفار الانبياء تواضع منهم لربهم وهضم لانفسهم ويدل عليه قوله اطمع ولم يجزم
القول بالمغفرة وفيه تعليم لاممهم وليكون لطفا لهم في اجتناب المعاصي والحذر منها وطلب المغفرة

مما يفرط منهم فان قلت لم علق مغفرة الخطيئة بيوم الدين وانما تغفر في الدنيا قلت لان
اثرها يتبين يومئذ وهو الآن خفي لا يعلم رب هب لي حكما والحقني بالصالحين واجعل لي
لسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم الحكم الحكمة او الحكم بين الناس بالحق
وقيل النبوة لان النبي ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله والالحاق بالصالحين ان يوفقه لعمل
ينتظم به في جملتهم او يجمع بينه وبينهم في الجنة ولقد اجابه حيث قال وانه في الآخرة لمن الصالحين
واغفر لابي انه كان من الضالين ولا تخزني يوم يبعثون والاخزاء من الخزي وهو الهوان
ومن الخزاية وهي الحياء وهذا ايضا من نحو استغفارهم مما علموا انه مغفور وفي يبعثون ضمير العباد
لانه معلوم او ضمير الضالين وان تجعل من جملة الاستغفار لابيه يعني ولا تخزني يوم يبعث الضالون
وابي فيهم يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم الا حال من اتى الله
بقلب سليم وهو من قولهم تحية بينهم ضرب وجيع وما ثوابه الا السيف وبيانه ان يقال لك هل لزيد
مال وبنون فتقول ماله وبنوه سلامة قلبه تريد نفي المال والبنين عنه واثبات سلامة القلب له
بدلا عن ذلك وان شئت حملت الكلام على المعنى وجعلت المال والبنين في معنى الغنى كانه قيل
يوم لا ينفع غنى الا غنى من اتى الله بقلب سليم لان غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه كما ان غناه
في دنياه بماله وبنيه ولك ان تجعل الاستثناء منقطعا ولا بد مع ذلك من تقدير المضاف وهو الحال
والمراد بها سلامة القلب وليست هي من جنس المال والبنين حتى يؤول المعنى الى ان المال والبنين لا
ينفعان وانما ينفع سلامة القلب ولو لم يقدر المضاف لم يتحصل للاستثناء معنى وقد جعل من مفعولا
لينفع اي لا ينفع مال ولا بنون الا رجلا سلم قلبه مع ماله حيث انفقه في طاعة الله ومع بنيه حيث
ارشدهم الى الدين وعلمهم الشرائع ويجوز على هذا الا من اتى الله بقلب سليم من فتنة المال والبنين
ومعنى سلامة القلب سلامته من آفات الكفر والمعاصي ومما اكرم الله تعالى به خليله ونبه على جلالة
محله في الاخلاص ان حكى استثناءه هذا حاكيا راضيا باصابته فيه ثم جعله صفة له في قوله وان
من شيعته لابرهيم اذ جاء ربه بقلب سليم ومن بدع التفاسير تفسير بعضهم السليم باللديغ من خشية الله

وقول آخر هو الذي سلم وسلّم واسلم وسالم واستسلم وما احسن ما رتب ابرهيم عليه السلم كلامه
مع المشركين حين سالهم اولًا عما يعبدون سوال مقرر لا مستفهم ثم انحى على الهتهم فابطل امرها بانها
لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع وعلى تقليدهم اباءهم الاقدمين فكسره واخرجه من ان يكون
شبهة فضلًا ان يكون حجة ثم صوّر المسئلة في نفسه دونهم حتى تخلص منها الى ذكر الله عز وعلا فعظم
شانه وعدد نعمته من لدن خلقه وانشائه الى حين وفاته مع ما يرجى في الاخرة من رحمته ثم
اتبع ذلك ان دعاه بدعوات المخلصين وابتهل اليه ابتهال الاوابين ثم وصله بذكر يوم القيمة
وثواب الله وعقابه وما يدفع اليه المشركون يومئذ من الحسرة والندم على ما كانوا فيه من الضلال
وتمنى الكرة الى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا ● وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين و
قيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم او ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاوون
الجنة تكون قريبة من موقف السعداء ينظرون اليها ويغتبطون بانهم المحشورون اليها والنار
تكون بارزة مكشوفة للاشقياء بمرأى منهم يتحسرون على انهم المسوقون اليها قال الله تعالى وازلفت
الجنة للمتقين غير بعيد وقال فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا يجمع عليهم الغموم كلها
والحسرات فتجعل النار بمرأى منهم فيهلكون غمًا في كل لحظة ويوبخون على اشراكهم فيقال لهم
اين الهتكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم او هل ينفعون انفسهم بانتصارهم لانهم والهتهم وقود النار
وهو قوله فكبكبوا فيها هم اي الالهة والغاوون وعبدتهم الذين برزت لهم الجحيم والكبكبة تكرير
الكب جعل التكرير في اللفظ دليلًا على التكرير في المعنى كانه اذا القي في جهنم ينكب مرة بعد مرة
حتى يستقر في قعرها اللهم اجرنا منها يا خير مستجار ● وجنود ابليس اجمعون قالوا وهم فيها يختصمون
تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وما اضلنا الا المجرمون ● وجنود ابليس
شياطينه او متبعوه من عصاة الجن والانس يجوز ان ينطق الله الاصنام حتى يصح التقاول والتخاصم
ويجوز ان يجري ذلك بين العصاة والشياطين والمراد بالمجرمين الذين اضلوهم رؤساؤهم و
كبراؤهم كقوله ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا وعن السدي الاولون الذين

اقتدينا بهم وعن ابن جريج ابليس وابن آدم القاتل لانه اول من سن القتل وانواع المعاصي ● فما لنا
من شافعين ولا صديق حميم ● فما لنا من شافعين كما نرى المؤمنين لهم شفعاء من الملائكة والنبيين ولا
صديق كما نرى لهم اصدقاء لانه لا يتصادق في الآخرة الا المؤمنون واما اهل النار فبينهم التعادي
والتباغض قال الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او فما لنا من شافعين ولا
صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء واصدقاء لانهم كانوا يعتقدون في اصنامهم انهم شفعاؤهم
عند الله وكان لهم الاصدقاء من شياطين الانس وارادوا انهم وقعوا في مهلكة علموا ان الشفعاء والاصدقاء
لا ينفعونهم ولا يدفعون عنهم فقصدوا بنفيهم نفي ما يتعلق بهم من النفع لان ما لا ينفع حكمه حكم المعدوم
والحميم من الاحتمام وهو الاهتمام وهو الذي يهمه ما يهمك او من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص
فان قلت لم جمع الشافع ووحد الصديق قلت لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق الا ترى
ان الرجل اذا امتحن بارهاق ظالم نهضت جماعة وافرة من اهل بلده لشفاعته رحمة له وحسبة
وان لم يسبق له باكثرهم معرفة واما الصديق وهو الصادق في ودادك الذي يهمه ما اهمك فاعز
من بيض الانوق وعن بعض الحكماء انه سئل عن الصديق فقال اسم لا معنى له ويجوز ان يريد بالصديق
الجمع ● فلو ان لنا كرة فنكون من المؤمنين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك
لهو العزيز الرحيم الكرة الرجعة الى الدنيا ولو في مثل هذا الموضع في معنى التمني كانه قيل فليت لنا كرة
وذلك لما بين معنى لو وليت من التلاقي في التقدير ويجوز ان يكون على اصلها ويحذف الجواب
وهو لفعلنا كيت وكيت ● كذبت قوم نوح المرسلين اذ قال لهم اخوهم نوح الا تتقون القوم مؤنثة
وتصغيرها قويمة ونظير قوله المرسلين والمراد نوح عم قولك فلان يركب الدواب ويلبس البرود
وماله الا دابة وبرد وقيل اخوهم لانه كان منهم من قول العرب يا اخا بني تميم يريدون يا واحدًا
منهم ومنه بيت الحماسة لا يسألون اخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا ● اني لكم رسول
امين فاتقوا الله واطيعون كان امينا فيهم مشهورًا بالامانة كمحمد صلى الله عليه وسلم في قريش واطيعون
في نصحي لكم وفيما ادعوكم اليه من الحق ● وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين فاتقوا

الله واطيعون عليه على هذا الامر وعلى ما انا فيه يعني دعاءه ونصحه وسمى فاتقوا الله في طاعتي وكرره
ليؤكده عليهم ويقرره في نفوسهم مع تعليق كل واحد منهما بعلة جعل علة الاول كونه اميناً فيما بينهم وفي
الثاني حسم طمعه عنهم قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون قال وما علمي بما كانوا يعملون ان حسابهم الا
على ربي لو تشعرون وما انا بطارد المؤمنين ان انا الا نذير مبين قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن
من المرجومين قال رب ان قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحاً ونجني ومن معي من المؤمنين وقرئ
واتباعك جمع تابع كشاهد واشهاد او جمع تبع كبطل وابطال والواو للحال وحقها ان يضمر بعدها قد
واتبعك وقد جمع الارذل على الصحة وعلى التكسير في قوله الذين هم اراذلنا والرذالة والنذالة
والدناءة وانما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من اهل الصناعات الدنية
كالحياكة والحجامة والصناعة لا تزري بالديانة وهكذا كانت قريش تقول في اصحاب رسول الله صلعم
وما زالت اتباع الانبياء كذلك حتى صارت من سماتهم وكمالاتهم الا ترى الى هرقل حين سأل ابا
سفيان عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قال ضعفاء الناس واراذلهم قال ما زالت اتباع الا
كذلك وعن ابن عباس هم الغاغة وعن عكرمة الحاكة والاساكفة وعن مقاتل السفلة وما علمي
اي شيء علمي والمراد انتفاء علمه باخلاص اعمالهم لله والاطلاع على سرائرهم وما باطنه وانما قال هذا
لانهم طعنوا مع استرذالهم في ايمانهم وانهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة وانما آمنوا هوى وبديهة كما
حكى الله عنهم في قوله الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي ويجوز ان يتغابى لهم نوح عليه السلم فيفسر
قولهم الارذلين بما هو الرذالة عنده من سوء الاعمال وفساد العقائد ولا يلتفت الى ما هو الرذالة
عندهم ثم يبني جوابه على ذلك فيقول ما علي الا اعتبار الظواهر دون التفتيش عن اسرارهم والشق
عن قلوبهم وان كان لهم عمل سيء فالله محاسبهم ومجازيهم عليه وما انا الا منذر لا محاسب ولا مجازي
لو تشعرون ذلك ولكنكم تجهلون فتنساقون مع الجهل حيث سيركم وقصد بذلك رد اعتقادهم
وانكار ان يسمى المؤمن رذلاً وان كان افقر الناس واوضعهم نسباً فان الغنى غنى الدين والنسب
التقوى وما انا بطارد المؤمنين يريد ليس من شاني ان اتبع شهواتكم واطيب نفوسكم بطرد المؤمنين الذين

صح ايمانهم طمعاً في ايمانكم وما علي الا ان انذركم انذاراً بيناً بالبرهان الصحيح الذي يتميز به الحق من الباطل
ثم انتم اعلم بشانكم ليس هذا باخبار بالتكذيب لعلمه ان عالم الغيب والشهادة اعلم ولكنه اراد اني لا ادعوك
عليهم لما غاظوني وآذوني وانما ادعوك لاجلك ولاجل دينك ولانهم كذبوني في وحيك ورسالتك
فاحكم بيني وبينهم والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم لانه يفتح المستغلق كما سمي فيصلاً لانه يفصل
بين الخصومات فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون ثم اغرقنا بعد الباقين ان في ذلك لآية وما كان
اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم الفلك السفينة وجمعه فلك قال الله تعالى وترى الفلك
فيه مواخر فالواحد بوزن قفل والجمع بوزن اسد كسروا فعلاً على فعل كما كسروا فعلاً على فعل لانهما
اخوان في قولك العرب والعرب والرشد والرشد فقالوا اسد واسد وفلك وفلك ونظيره
بعير هجان وابل هجان ودرع دلاص ودروع دلاص فالواحد بوزن كناز والجمع بوزن كرام و
المشحون المملوء يقال شحنها عليهم خيلاً ورجالاً كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون
اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتبنون
بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون قرئ بكل ريع بالكسر والفتح وهو المكان المرتفع
قال المسيب بن علس في الآل يرفعها ويخفضها ريع يلوح كانه سحل ومنه قولهم كم ريع ارضك وهو ارتفاعها
والآية العلم وكانوا ممن يهتدون بالنجوم في اسفارهم فاتخذوا في طرقهم اعلاماً طوالاً فعبثوا بذلك
لانهم كانوا مستغنين عنها بالنجوم وعن مجاهد بنوا بكل ريع بروج الحمام والمصانع ماخذ الماء وقيل
القصور المشيدة والحصون لعلكم تخلدون ترجون الخلود في الدنيا او تشبه حالكم حال من يخلد وفي
حرف ابي كانكم وقرئ تخلدون بضم التاء مخففاً ومشدداً واذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله
واطيعون واتقوا الذي امدكم بما تعلمون واذا بطشتم بسوط او سيف كان ذلك ظلماً وعلواً وقيل الجبار
الذي يقتل ويضرب على الغضب وعن الحسن تبادرون تعجيل العذاب لا تتثبتون متفكرين في العواقب
امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم بالغ في تنبيههم على نعم الله
حيث اجملها ثم فصلها مستشهداً بعلمهم وذلك انه ايقظهم عن سنة غفلتهم عنها حين قال امدكم بما

تعلمون ثم عددها عليهم وعرفهم المنعم بتعديد ما يعلمون من نعمته وانه كما قدر ان يتفضل عليكم بهذه
النعمة فهو قادر على الثواب والعقاب فاتقوه ونحوه قوله تعالى ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد
فان قلت كيف قرن البنين بالانعام قلت هم الذين يعينونهم على حفظها والقيام عليها • قالوا
سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين • فان قلت لو قيل اوعظت ام لم تعظ كان اخصر
والمعنى واحد قلت ليس المعنى بواحد وبينهما فرق لان المراد سواء علينا افعلت هذا الفعل الذي
هو الوعظ ام لم تكن اصلا من اهله ومباشريه فهو ابلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قولك ام لم تعظ
ان هذا الا خلق الاولين وما نحن بمعذبين فكذبوه فاهلكناهم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم
مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم • من قرأ خلق الاولين بالفتح فمعناه ان ما جئت به اختلاق
الاولين وتخرصهم كما قالوا اساطير الاولين او ما خلقنا هذا الا خلق القرون الخالية نحيى كما حيوا
ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب ومن قرأ خلق بضمتين وبواحدة فمعناه ما هذا الذي نحن
عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم كانوا يدينونه ويعتقدونه ونحن بهم مقتدون او ما
هذا الذي نحن عليه من الحيوة والموت الا عادة لم يزل عليها الناس في قديم الدهر او ما هذا الذي
جئت به من الكذب الا عادة الاولين كانوا يلفقون مثله ويسطرونه • كذبت ثمود المرسلين
اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من
اجر ان اجري الا على رب العالمين اتتركون فيما ههنا آمنين في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها
هضيم • اتتركون يجوز ان يكون انكارا لان يتركوا مخلدين في نعيمهم لا يزالون عنه وان يكون تذكيرا
بالنعمة في تخلية الله اياهم وما يتنعمون فيه من الجنات وغير ذلك مع الامن والدعة فيما ههنا الذي
استقر في هذا المكان من النعيم ثم فسره بقوله في جنات وعيون وهذا ايضا اجمال ثم تفصيل فان قلت
لم قال ونخل بعد قوله في جنات والجنة تتناول النخل اول شيء كما يتناول النعم الابل كذلك من بين
الازواج حتى انهم ليذكرون الجنة ولا يقصدون الا النخيل كما يذكرون النعم ولا يريدون الا الابل
قال زهير تسقي جنة سحقا قلت فيه وجهان ان يخص النخل بافراده بعد دخوله في جملة سائر الشجر

تنبيها على انفراده عنها بفضله عليها وان يريد بالجنات غيرها من الشجر لان اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف
عليها النخل الطلعة هي التي تطلع من النخلة كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو والقنو اسم للخارج
من الجذع كما هو بعرجونه وشماريخه والهضيم اللطيف الضامر من قولهم كشح هضيم وطلع اناث
النخل فيه لطف وفي طلع الفحاحيل جفاء وكذلك طلع البرني الطف من طلع اللون فذكرهم نعمة
الله في ان وهب لهم اجود النخل وانفعه لان الاناث ولادة التمر والبرني اجود التمر واطيبه
ويجوز ان يريد ان نخيلهم اصابت جودة المنابت وسعة الماء وسلمت من العاهات فحملت الحمل
الكثير واذا كثر الحمل هضم واذا قل جاء فاخرا وقيل الهضيم اللين النضيج كانه قال ونخل قد ارطب
ثمره • وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين • وقرأ
الحسن تنحتون بفتح الحاء وقرئ فرهين وفارهين والفراهة الكيس والنشاط ومنه خيل فرهة
استعير لامتثال الامر وارتسامه طاعة الآمر المطاع او جعل الامر مطاعا على المجاز الحكمي والمراد الآمر
ومنه قولهم لك علي امرة مطاعة وقوله تعالى واطيعوا امري • الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون
قالوا انما انت من المسحرين ما انت الا بشر مثلنا فأت باية ان كنت من الصادقين • فان قلت ما فائدة
قوله ولا يصلحون قلت فائدته ان فسادهم فساد مصمت ليس معه شيء من الصلاح كما يكون حال بعض
المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح المسحر الذي سحر كثيرا حتى غلب على عقله وقيل هو من السحر الرئة وانه
بشر • قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم
عظيم • الشرب النصيب من الماء نحو السقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم روي
انهم قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا فقعد صالح يتفكر فقال له جبريل صل
ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة وبركت بين ايديهم ونتجت سقبا مثلها في العظم
وعن ابي موسى رايت مصدرها فاذا هو ستون ذراعا وعن قتادة اذا كان يوم شربها شربت
ماءهم كله ولهم شرب يوم لا تشرب فيه الماء بسوء بضرب او عقر او غير ذلك عظم اليوم لحلول العذاب
فيه ووصف اليوم به ابلغ من وصف العذاب لان الوقت اذا عظم بسببه كان موقعه من

العظيم اشد • فعقروها فاصبحوا نادمين فاخذهم العذاب ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم • وروي ان مسطعا ألجاها الى مضيق في شعب فرماها بسهم فاصاب
رجلها فسقطت ثم ضربها قدار وروي ان عاقرها قال لا اعقرها حتى ترضوا اجمعين فكانوا
يدخلون على المرأة في خدرها فيقولون اترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم فان قلت لم اخذهم
العذاب وقد ندموا قلت لم يكن ندمهم ندم تائبين ولكن ندم خائفين ان يعاقبوا على العقر
عقابا عاجلا كمن يرى في بعض الامور رأيا فاسدا ويبني عليه ثم يندم ويتحسر كندامة الكسعي
او ندموا ندم تائبين ولكن في غير وقت التوبة وذلك عند معاينة العذاب وقال عز وجل وليست
التوبة للذين يعملون السيئات الاية وقيل كانت ندامتهم على ترك الولد وهو بعيد واللام في العذاب
اشارة الى عذاب يوم عظيم • كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول
امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتأتون الذكران
من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم بل انتم قوم عادون • اراد بالعالمين الناس اي أتأتون
من بين اولاد آدم على فرط كثرتهم وتفاوت اجناسهم وغلبة اناثهم على ذكورهم في الكثرة ذكرانهم
كأن الاناث قد اعوزتكم او اتأتون انتم من بين من عداكم من العالمين الذكران يعني انكم يا قوم
لوط وحدكم مختصون بهذه الفاحشة والعالمون على هذا القول كل ما ينكح من الحيوان من ازواجكم
يصلح ان يكون تبيينا لما خلق وان يكون للتبعيض ويراد بما خلق العضو المباح منهن وفي قراءة
ابن مسعود ما اصلح لكم ربكم من ازواجكم وكأنهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم العادي المتعدي
في ظلمه المتجاوز فيه الحد ومعناه اترتكبون هذه المعصية على عظمها بل انتم قوم عادون في جميع
المعاصي فهذا من جملة ذاك او بل انتم قوم احقاء بان توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه
العظيمة • قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين • لئن لم تنته عن نهينا وتقبيح امرنا
لتكونن من جملة من اخرجناه من بين اظهرنا وطردناه من بلدنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه
على اسوء حال من تعنيف به واحتباس لاملاكه وكما يكون حال الظلمة اذا اجلوا بعض من يغضبون عليه

عليه وكما كان يفعل اهل مكة بمن يريد المهاجرة • قال اني لعملكم من القالين ومن القالين ابلغ
من ان تقول اني لعملكم قال كما تقول فلان من العلماء فيكون ابلغ من قولك فلان عالم لانك
تشهد له بكونه معدودا في زمرتهم ومعروفة مساهمته لهم في العلم ويجوز ان يريد من الكاملين
في قلاكم والقلي البغض الشديد كانه بغض يقلي الفؤاد والكبد وفي هذا دليل على عظم المعصية
والمراد القلي من حيث الدين والتقوى وقد تقوى همة الدين في دين الله حتى تقرب كراهته
للمعاصي من الكراهة الجبلية • رب نجني واهلي مما يعملون فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في
الغابرين ثم دمرنا الاخرين • مما يعملون من عقوبة عملهم وهو الظاهر ويحتمل ان يريد بالتنجية
العصمة فان قلت فما معنى قوله فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا قلت معناه انه عصمه واهله
من ذلك الا العجوز فانها كانت غير معصومة منه لكونها راضية به ومعينة عليه ومحرشة والراضي
بالمعصية في حكم العاصي فان قلت كان اهله مؤمنين ولولا ذلك لما طلب لهم النجاة فكيف استثنى
الكافرة منهم قلت الاستثناء انما وقع من الاهل وفي هذا الاسم لها معهم شركة بحق الزواج وان
لم تشاركهم في الايمان فان قلت في الغابرين صفة لها كانه قيل الا عجوزا غابرة ولم يكن الغبور
صفتها وقت تنجيتهم قلت معناه الا عجوزا مقدرا غبورها ومعنى الغابرين في العذاب والهلاك
غير الناجين • وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم • قيل انها هلكت مع من خرج من القرية بما امطر عليهم من الحجارة
ولم يرد بتدميرهم الائتفاك بهم واما الامطار فعن قتادة امطر الله على شذاذ القوم حجارة من
السماء فاهلكهم وعن ابن زيد لم يرض بالائتفاك حتى اتبعه مطرا من حجارة وفاعل ساء مطر
المنذرين ولم يرد بالمنذرين قوما باعيانهم انما هو للجنس والمخصوص بالذم محذوف وهو
مطرهم • كذب اصحاب الايكة المرسلين اذ قال لهم شعيب الا تتقون اني لكم رسول امين
فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين • قرئ اصحاب الايكة
بالهمزة وبتخفيفها وبالجر على الاضافة وهو الوجه ومن قرأ بالنصب وزعم ان ليكة بوزن ليلة

اسم بلدٍ فتوهّم قاد اليه خط المصحف حيث وجدت مكتوبة في هذه السورة وفي سورة ص بغير
الف وفي المصحف اشياء كتبت على خلاف قياس الخط المصطلح عليه وانما كتبت في هاتين السورتين
على حكم لفظ اللافظ كما يكتب اصحاب النحو لان ولولى على هذه الصورة لبيان لفظ المخفف
وقد كتبت في سائر القرآن على الاصل والقصة واحدة على ان ليكة اسم لا يعرف وروي
ان اصحاب الايكة كانوا اصحاب شجر ملتف وكان شجرهم الدوم فان قلت هلا قيل اخوهم
شعيب كما في سائر المواضع قلت قالوا ان شعيبا لم يكن من اصحاب الايكة وفي الحديث ان شعيبا اخا
مدين ارسل اليهم والى اصحاب الايكة • اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس
المستقيم • الكيل على ثلثة اضرب وافٍ وطفيف وزائد فامر بالواجب الذي هو الايفاء و
نهى عن المحرم الذي هو التطفيف ولم يذكر الزائد وكان تركه عن الامر والنهي دليل على
انه ان فعله فقد احسن وان لم يفعله فلا عليه قرئ بالقسطاس مضموما ومكسورا وهو الميزان
وقيل القرسطون فان كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس والا فهو
رباعي وقيل هو بالرومية العدل • ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين واتقوا
الذي خلقكم والجبلة الاولين • يقال بخسته حقه اذا نقصته اياه ومنه قيل المكس البخس وهو عام
في كل حق ثبت لاحد ان لا يهضم وفي كل ملك ان لا يغصب عليه مالكه ولا يتحيف منه ولا يتصرف
فيه الا باذنه تصرفا شرعيا يقال عثا في الارض وعثي وعاث وذلك نحو قطع الطريق والغارة و
اهلاك الزروع وكانوا يفعلون ذلك مع توليهم انواع الفساد فنهوا عن ذلك وقرئ الجبلة بوزن
الابلة والجبلة بوزن الخلقة ومعناهن واحد اي ذوي الجبلة وهو كقولك والخلق الاولين
قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين • فان قلت هل
اختلف المعنى بادخال الواو ههنا وتركها في قصة ثمود قلت اذا ادخلت الواو فقد قصد معنيان كلاهما
مناف للرسالة عندهم التسحير والبشرية وان الرسول لا يجوز ان يكون مسحرا ولا يجوز ان يكون
بشرا واذا تركت الواو فلم يقصد الا معنى واحد وهو كونه مسحرا ثم قرر بكونه بشرا مثلهم فان قلت

ان المخففة من الثقيلة ولامها كيف تفرقتا على فعل الظن وثاني مفعوليه قلت اصلهما ان يتفرقا
على المبتدأ والخبر كقولك ان زيد لمنطلق فلما كان البابان اعني باب كان وباب ظننت من جنس
باب المبتدأ والخبر فعل ذلك في البابين فقيل ان كان زيد لمنطلقا وان ظننته لمنطلقا • فاسقط
علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين قال ربي اعلم بما تعملون • قرئ كسفا بالسكون
والحركة وكلاهما جمع كسفة نحو قطع وسدر وقيل الكسف والكسفة كالريع والريعة وهي القطعة
وكسفه قطعه والسماء السحاب او المظلة وما كان طلبهم ذلك الا لتصميمهم على الجحود والتكذيب
ولو كان فيهم ادنى ميل الى التصديق لما اخطروه ببالهم فضلا ان يطلبوه والمعنى ان كنت صادقا
انك نبي فادع الله ان يسقط علينا كسفا من السماء ربي اعلم بما تعملون يريد ان الله اعلم باعمالكم
وبما تستوجبون عليها من العقاب فان اراد ان يعاقبكم باسقاط كسف من السماء فعل وان اراد عقابا
آخر فاليه الحكم والمشية • فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم ان في
ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم • فاخذهم الله بنحو ما اقترحوا
من عذاب الظلة ان ارادوا بالسماء السحاب وان ارادوا المظلة فقد خالف بهم عن مقترحهم
يروى انه حبس عنهم الريح سبعا وسلط عليهم الومد فاخذ بانفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا سرب
فاضطروا الى ان خرجوا الى البرية فاظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا
فاحترقوا وروي ان شعيبا بعث الى امتين اصحاب مدين واصحاب الايكة فاهلكت مدين بصيحة
جبريل واصحاب الايكة بعذاب يوم الظلة فان قلت كيف كرر في هذه السورة في اول كل
قصة وآخرها ما كرر قلت كل قصة منها كتنزيل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت كل
واحدة منها تدلي بحق في ان تفتتح بما افتتحت به صاحبتها وان تختتم بما اختتمت به ولان في
التكرير تقريرا للمعاني في الانفس وتثبيتا لها في الصدور الا ترى انه لا طريق الى تحفظ العلوم الا ترديد
ما يراد تحفظه منها وكلما زاد ترديده كان امكن له في القلب وارسخ في الفهم واثبت للذكر وابعد
من النسيان ولان هذه القصص طرقت بها اذان وقر عن الانصات للحق وقلوب غلف عن

تدبره تكورت بالوعظ والتذكير وروجعت بالترديد والتكرير لعل ذلك يفتح اذنا او يفتق ذهنا
او يصقل عقلا طال عهده بالصقل ويجلو فهما قد غطى عليه تراكم الصداء • وانه لتنزيل رب العالمين
نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين • وانه وان هذا التنزيل
يعني ما نزل من هذه القصص والآيات والمراد بالتنزيل المنزل والباء في نزل به الروح وتنزل
به الروح على القراءتين للتعدية ومعنى تنزيله الروح جعل الله الروح نازلا به على قلبك اي حفظكه
وفهمك اياه واثبته في قلبك اثبات ما لا ينسى كقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى بلسان عربي اما ان يتعلق
بالمنذرين فيكون المعنى لتكون من الذين انذروا بهذا اللسان وهم خمسة هود وصالح وشعيب واسمعيل
ومحمد عليهم السلام واما ان يتعلق بنزل فيكون المعنى نزله باللسان العربي لتنذر به لانه لو نزله
باللسان الاعجمي لتجافوا عنه اصلا ولقالوا ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الانذار به وفي هذا الوجه
ان تنزيله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لانك تفهمه وتفهمه قومك
ولو كان اعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك لانك تسمع اجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها
وقد يكون الرجل عارفا بعدة لغات فاذا كلم بلغته التي لقنها اولا ونشا عليها وتطبع بها لم
يكن قلبه الا الى معاني الكلام يتلقاها بقلبه ولا يكاد يفطن للالفاظ كيف جرت وان كلم
بغير تلك اللغة وان كان ماهرا بمعرفتها كان نظره اولا في الفاظها ثم في معانيها فهذا تقرير انه نزل
على قلبه لنزوله بلسان عربي مبين • وانه لفي زبر الاولين • وانه وان القرآن يعني ذكره مثبت في
سائر الكتب السماوية وقيل ان معانيه فيها وبه يحتج لابي حنيفة رحمه الله في جواز القراءة بالفارسية
في الصلوة على ان القرآن قرآن اذا ترجم بغير العربية حيث قيل وانه لفي زبر الاولين لكون معانيه
فيها وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك في ان يعلمه وليس بواضح • اولم يكن لهم آية ان يعلمه
علماء بني اسرائيل ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين • وقرئ يكن بالتذكير
وآية بالنصب على انها خبره وان يعلمه هو الاسم وقرئ تكن بالتانيث وجعلت آية اسما وان يعلمه
خبرا وليس كالاولى لوقوع النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد خرج لها وجه آخر ليتخلص من ذلك

فيقال في تكن ضمير القصة وآية ان يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز على هذا ان يكون لهم آية هي جملة
الشأن وان يعلمه بدلا من آية ويجوز مع نصب الآية تأنيث تكن كقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا
ومنه بيت لبيد • فمضى وقدمها وكانت عادة منه اذا هي عردت اقدامها • وقرئ تعلمه
بالتاء وعلماء بني اسرائيل عبد الله بن سلام وغيره قال الله تعالى واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق
من ربنا انا كنا من قبله مسلمين فان قلت كيف خط في المصحف علمؤا بواو قبل الالف قلت خط
على لغة من يميل الالف الى الواو وعلى هذه اللغة كتبت الصلوة والزكوة والربوا الاعجمين الذي
لا يفصح وفي لسانه عجمة واستعجام والاعجمي مثله الا ان فيه لزيادة ياء النسبة زيادة تاكيد وقرأ
الحسن الاعجميين ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له اعجم واعجمي
شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين وقالوا لكل ذي صوت من البهائم والطيور وغيرها اعجم قال حميد • ولا
عربيا شاقه صوت اعجما • كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم
فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون افبعذابنا يستعجلون افرأيت ان متعناهم
سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون • سلكناه ادخلناه ومكناه والمعنى
انا انزلنا هذا القرآن على رجل عربي مبين فسمعوا به وفهموه وعرفوا فصاحته وانه معجز لا يعارض
بكلام مثله وانضم الى ذلك اتفاق علماء اهل الكتب المنزلة قبله على ان البشارة بانزاله وتحلية
المنزل عليه وصفته في كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه وصح بذلك انها من عند الله وليست
باساطير كما زعموا فلم يؤمنوا به وجحدوه وسموه شعرا تارة وسحرا اخرى وقالوا هو من تلفيق محمد و
افترائه ولو نزلناه على بعض الاعاجم الذي لا يحسن العربية فضلا ان يقدر على نظم مثله فقرأه
عليهم هكذا فصيحا معجزا متحدى به لكفروا به كما كفروا ولتمحلوا لجحودهم عذرا ولسموه سحرا ثم قال
كذلك سلكناه اي مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم وهكذا مكناه وقررناه فيها وعلى مثل هذه الحال
وهذه الصفة من الكفر به والتكذيب له وضعناه فيها فكيف ما فعل بهم وصنع وعلى اي وجه دبر
امرهم فلا سبيل الى ان يتغيروا عما هم عليه من جحوده وانكاره كما قال ولو نزلنا عليك كتابا في

قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين فان قلت كيف اسند السلك بصفة
التكذيب الى ذاته قلت اراد به الدلالة على تمكنه مكذبا في قلوبهم اشد التمكن واثبته فجعله بمنزلة
امر قد جبلوا عليه وفطروا الا ترى الى قولهم هو مجبول على الشح يريدون تمكن الشح فيه لان الامور
الخلقية اثبت من العارضة والدليل عليه انه اسند ترك الايمان به اليهم على عقبه وهو قوله لا
يؤمنون به فان قلت ما موقع لا يؤمنون به من قوله سلكناه في قلوب المجرمين قلت موقعه
موقع الموضح والملخص لانه مسوق لثباته مكذبا مجحودا في قلوبهم فاتبع ما يقرر هذا المعنى من انهم
لا يزالون على التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد ويجوز ان يكون حالا اى سلكناه فيها غير مؤمن
به وقرا الحسن فتاتيهم بالتاء يعني الساعة وبغتة بالتحريك وفي حرف ابي ويروه بغتة فان قلت
ما معنى التعقيب في قوله فياتيهم بغتة فيقولوا قلت ليس المعنى ترادف رؤية العذاب ومفاجاته وسؤال
النظرة فيه في الوجود وانما المعنى ترتبها في الشدة كانه قيل لا يؤمنون بالقرآن حتى يكون رؤيتهم للعذاب
فما هو اشد منها وهو لحوقه بهم مفاجاة فما هو اشد منه وهو سؤالهم النظرة ومثل ذلك ان تقول لمن تعظه ان
اسات مقتك الصالحون فمقتك الله فانك لا تقصد بهذا الترتيب ان مقت الله يوجد عقيب مقت
الصالحين وانما قصدك الى ترتيب شدة الامر على المسيء وانه يحصل له بسبب الاساءة مقت الصالحين فما هو
اشد من مقتهم وهو مقت الله وترى ثم يقع في هذا الاسلوب فيحل موقعه افبعذابنا يستعجلون
تبكيت لهم بانكار وتهكم ومعناه كيف يستعجل العذاب من هو معرض لعذاب يسال فيه من جنس ما هو فيه
اليوم من النظرة والامهال طرفة عين فلا يجاب اليها ويحتمل ان يكون هذا حكاية توبيخ يوبخون به
عند استنظارهم يومئذ ويستعجلون على هذا الوجه حكاية حال ماضية ووجه آخر متصل بما بعده وهو
ان استعجالهم بالعذاب انما كان لاعتقادهم انه غير كائن ولا لاحق بهم وانهم ممتعون باعمار طوال
في سلامة وامن فقال عز وعلا افبعذابنا يستعجلون اشرا وبطرا واستهزاء واتكالا على الامل الطويل
ثم قال هب ان الامر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم فاذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم
ما مضى من طول اعمارهم وطيب معايشهم وعن ميمون بن مهران انه لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى

لقاءه فقال له عظني فلم يزده على تلاوة هذه الآية فقال ميمون لقد وعظت فابلغت وقرئ يمتعون
بالتخفيف وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين وما تنزلت به الشياطين
وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون منذرون رسل ينذرونهم وذكرى منصوبة
بمعنى تذكرة اما لان انذر وذكر متقاربان فكانه قيل مذكرون تذكرة واما لانها حال من الضمير
في منذرون اي ينذرونهم ذوي تذكرة واما لانها مفعول له على معنى انهم ينذرون لاجل الموعظة
والتذكرة او مرفوعة على انها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية او صفة بمعنى منذرون
ذوو ذكرى او جعلوا ذكرى لامعانهم في التذكرة واطنابهم فيها ووجه آخر وهو ان يكون ذكرى
متعلقة باهلكنا مفعولا له والمعنى وما اهلكنا من اهل قرية ظالمين الا بعد ما الزمناهم الحجة بارسال
المنذرين اليهم ليكون اهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم وما كنا ظالمين فنهلك
قوما غير ظالمين وهذا الوجه عليه المعول فان قلت كيف عزلت الواو عن الجملة بعد الا ولم تعزل
عنها في قوله وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم قلت الاصل عزل الواو لان الجملة صفة لقرية
واذا زيدت فلتاكيد وصل الصفة بالموصوف كما في قوله سبعة وثامنهم كلبهم كانوا يقولون ان
محمدا كاهن وما يتنزل عليه من جنس ما يتنزل به الشياطين على الكهنة فكذبوا بان ذلك مما لا
يتسهل للشياطين ولا يقدرون عليه لانهم مرجومون بالشهب معزولون عن استماع كلام اهل السماء
وقرا الحسن الشياطون ووجهه انه راى آخره كآخر يبرين وفلسطين فتخير بين ان يجري الاعراب
على النون وبين ان يجريه على ما قبله فيقول الشياطين والشياطون كما تخيرت العرب بين ان يقولوا
هذه يبرون ويبرين وفلسطون وفلسطين وحقه ان تشتقه من الشيطوطة وهي الهلاك كما
قيل له الباطل وعن الفراء غلط الشيخ في قراءته الشياطون ظن انها النون التي على هجائين فقال النضر بن
شميل ان جاز ان يحتج بقول العجاج ورؤبة فهلا جاز ان يحتج بقول الحسن وصاحبه يريد محمد بن سيرين
مع انا نعلم انهما لم يقرا به الا وقد سمعا فيه فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين وانذر عشيرتك
الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون فقد علم

ان ذلك لا يكون ولكنه اراد ان يحرك منه لازدياد الاخلاص والتقوى وفيه لطف لسائر المكلفين
كما قال ولو تقول علينا بعض الاقاويل فان كنت في شك مما انزلنا اليك فيه وجهان احدهما الامر
بالانذار الاقرب فالاقرب من قومه ويبدأ في ذلك بمن هو اولى بالبداءة ثم بمن يليه وان يقدم انذارهم
على انذار غيرهم كما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه لما دخل مكة قال كل ربوا في الجاهلية موضوع تحت قدمي
هاتين واول ما اضعه ربوا العباس والثاني ان يؤمر بان لا ياخذه ما ياخذ القريب للقريب من العطف
والرأفة ولا يحابيهم في الانذار والتخويف وروي انه صعد الصفا لما نزلت فنادى الاقرب
فالاقرب فخذا فخذا وقال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف يا عباس عم النبي يا صفية
عمة رسول الله اني لا املك لكم من الله شيئا سلوني من مالي ما شئتم وروي انه جمع بني عبد المطلب
هم يومئذ اربعون رجلا الرجل منهم ياكل الجذعة ويشرب العس على رجل شاة وقعب من لبن فاكلوا
وشربوا حتى صدروا ثم انذرهم فقال يا بني عبد المطلب لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم
مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد وروي انه قال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم
يا بني عبد مناف افتدوا انفسكم من النار فاني لا اغني عنكم شيئا ثم قال يا عائشة بنت ابي بكر ويا حفصة بنت عمر
ويا فاطمة بنت محمد ويا صفية عمة محمد اشترين انفسكن من النار فاني لا اغني عنكن شيئا الطائر اذا اراد
ان ينحط للوقوع كسر جناحه وخفضه واذا اراد ان ينهض الى الطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه
عند الانحطاط مثلا في التواضع ولين الجانب منه قول بعضهم وانت الشهير بخفض الجناح فلا تكن
في رفعه اجدلا ينهاه عن التكبر بعد التواضع فان قلت المتبعون للرسول هم المؤمنون والمؤمنون
هم المتبعون للرسول فما قوله لمن اتبعك من المؤمنين قلت فيه وجهان ان يسميهم قبل الدخول في
الايمان مؤمنين لمشارفتهم ذلك وان يريد بالمؤمنين المصدقين بالسنتهم وهم صنفان صنف صدق
واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به وصنف ما وجد منه الا التصديق فحسب ثم اما ان يكونوا
منافقين او فاسقين والمنافق والفاسق لا يخفض لهما الجناح والمعنى من المؤمنين من عشيرتك
وغيرهم يعني انذر قومك فان اتبعوك واطاعوك فاخفض لهم جناحك وان عصوك ولم يتبعوك

فتبرأ منهم ومن اعمالهم من الشرك بالله وغيره وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك
في الساجدين انه هو السميع العليم وتوكل على الله يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم والتوكل
تفويض الرجل امره الى من يملك امره ويقدر على نفعه وضره وقالوا المتوكل من ان دهمه امر لم يحاول
دفعه عن نفسه بما هو معصية لله فعلى هذا اذا وقع الانسان في محنة ثم سال غيره خلاصه لم يخرج
من حد التوكل لانه لم يحاول دفع ما نزل به عن نفسه بمعصية الله وفي مصاحف اهل المدينة
والشام فتوكل وبه قرأ نافع وابن عامر وله محلان في العطف ان يعطف على فقل او فلا تدع على العزيز
الرحيم على الذي يقهر اعداءك بعزته وينصرك عليهم برحمته ثم اتبع كونه رحيما على رسوله ما هو من اسباب الرحمة
وهو ذكر ما كان يفعله في جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه في تصفح احوال المتهجدين من اصحابه
ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون ويستبطن سرائرهم وكيف يعبدون الله وكيف يعملون لآخرتهم
كما يحكى انه حين نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون لحرصه عليهم
وعلى ما يوجد منهم من فعل الطاعات وتكثير الحسنات فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من دندنتهم
بذكر الله والتلاوة والمراد بالساجدين المصلون وقيل معناه يراك حين تقوم للصلوة بالناس جماعة
وتقلبه في الساجدين تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده اذا امهم وعن مقاتل انه سأل
ابا حنيفة رحمه الله هل تجد الصلوة في الجماعة في القرآن فقال لا يحضرني فتلى هذه الآية ويحتمل انه لا يخفى
عليه حالك كلما قمت وتقلبت مع الساجدين في كفاية امور الدين انه هو السميع لما تقوله العليم بما تنويه
وتعمله وقيل هو تقلب بصره فيمن يصلي خلفه من قوله صلى الله عليه وسلم اتموا الركوع والسجود فوالله
اني لاريكم من خلف ظهري اذا ركعتم وسجدتم وقرئ ويقلبك هل انبئكم على من تنزل الشياطين
تنزل على كل افاك اثيم يلقون السمع واكثرهم كاذبون كل افاك اثيم هم الكهنة والمتنبئة كشق
وسطيح ومسيلمة وطليحة يلقون السمع هم الشياطين كانوا قبل ان يحجبوا بالرجم يستمعون الى الملأ
الاعلى فيختطفون بعض ما يتكلمون به مما اطلعوا عليه من الغيوب ثم يوحون به الى اوليائهم من
واكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم لانهم يسمعونهم ما لم يسمعوا وقيل يلقون الى اوليائهم السمع اي

المسموع من الملائكة وقيل الأفاكون يلقون السمع الى الشياطين فيلقون وحيهم اليهم او يلقون
المسموع من الشياطين الى الناس واكثر الافاكين كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا اليهم
وترى اكثر ما يحكمون به باطلا وزورا وفي الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه
فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة والقر الصب فان قلت كيف دخل حرف الجر على من المتضمنة لمعنى
الاستفهام والاستفهام له صدر الكلام الا ترى الى قولك أعلى زيد مررت ولا تقول على أزيد مررت
قلت ليس معنى التضمن ان الاسم دل على معنيين معا معنى الاسم ومعنى الحرف وانما معناه ان الاصل أمن
فحذف حرف الاستفهام واستمر الاستعمال على حذفه كما حذف من هل والاصل أهل قال • أهل رأونا
بسفح القاع ذي الاكم • فاذا ادخلت حرف الجر على من فقدر الهمزة قبل حرف الجر في ضميرك كأنك
تقول أعلى من تنزل الشياطين كقولك أعلى زيد مررت فان قلت يلقون ما محله قلت يجوز ان يكون
في محل النصب على الحال اى تنزل ملقين السمع وفي محل الجر صفة لكل افاك لانه في معنى الجمع وان لا يكون
له محل بان يستأنف كان قائلا قال لم تنزل على الافاكين فقيل يفعلون كيت وكيت فان قلت
واكثرهم كاذبون بعد ما قضى عليهم ان كل واحد منهم افاك قلت الافاكون هم الذين يكثرون
الافك ولا يدل ذلك على انهم لا ينطقون الا بالافك فاراد ان هؤلاء الافاكين قل من يصدق
منهم فيما يحكي عن الجني واكثرهم مفتر عليه فان قلت وانه لتنزيل رب العالمين وما تنزلت به الشياطين
هل انبئكم على من تنزل الشياطين لم فرق بينهن وهن اخوات قلت اريد التفريق بينهن
بآيات ليست في معناهن ليرجع الى المجيء بهن وتطرية ذكر ما فيهن كرة بعد كرة فيدل بذلك
ان المعنى الذي نزلن فيه من المعاني التي اشتدت كراهة الله لخلافها ومثاله ان يحدث الرجل بحديث
وفي صدره اهتمام بشيء وفضل عناية فتراه يعيد ذكره ولا ينفك عن الرجوع اليه • والشعراء يتبعهم
الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون • والشعراء مبتدأ ويتبعهم الغاوون
خبره ومعناه انه لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وفضول قولهم وما هم عليه من الهجاء وتمزيق الاعراض
في الانساب والنسيب بالحرم والغزل والابتهار ومدح من لا يستحق المدح ولا ...

ولا يطرب على قولهم الا الغاوون والسفهاء والشطار وقيل الغاوون الراوون وقيل الشياطين
وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن ابي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف
وابو عزة الجمحي ومن ثقيف امية بن ابي الصلت قالوا نحن نقول مثل قول محمد وكانوا يهجونه
ويجتمع اليهم الاعراب من قومهم يستمعون اشعارهم واهاجيهم وقرأ عيسى بن عمر والشعراء
على اضمار فعل يفسره الظاهر قال ابو عبيد كان الغالب عليه حب النصب قرأ حمالة الحطب
والسارق والسارقة وسورة انزلناها وقرئ يتبعهم على التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيها
لبعه بعضد ذكر الوادي والهيوم فيه تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول واعتسافهم وقلة
مبالاتهم بالغلو في المنطق ومجاوزة حد القصد فيه حتى يفضلوا اجبن الناس على عنترة واشحهم
على حاتم وان يبهتوا البريء ويفسقوا التقي وعن الفرزدق ان سليمان بن عبد الملك سمع قوله
فبتن بجانبي مصرعات وبت افض اغلاق الختام • فقال قد وجب عليك الحد فقال يا امير
المؤمنين قد درأ الله عني الحد بقوله وانهم يقولون ما لا يفعلون • الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون • استثنى الشعراء
المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة القرآن وكان ذلك اغلب عليهم من الشعر
واذا قالوا شعرا قالوه في توحيد الله والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد والآداب الحسنة
ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة وصلحاء الامة وما لا بأس به من المعاني التي لا يتلطخون فيها بذنب
ولا يتلبسون بشائنة ولا منقصة وكان هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم قال الله تعالى
لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وذلك من غير اعتداء ولا زيادة على ما هو جواب لقوله
تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وعن عمرو بن عبيد ان رجلا من العلوية قال له
ان صدري ليجيش بالشعر فقال فما يمنعك منه فيما لا بأس به والقول فيه ان الشعر باب من الكلام
فحسنه حسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام وقيل المراد بالمستثنين عبد الله بن رواحة وحسان
بن ثابت والكعبان كعب بن مالك وكعب بن زهير والذين كانوا ينافحون عن رسول الله صلعم

ويكافحون هجاة قريش وعن كعب بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اهجهم فوالذي نفسي بيده
لهو اشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك ختم السورة بآية ناطقة بما لا
شيء اهيب منه واهول ولا انكأ لقلوب المتأملين ولا اصدع لاكباد المتدبرين وذلك قوله
سيعلم وما فيه من الوعيد البليغ وقوله الذين ظلموا واطلاقه وقوله اى منقلب ينقلبون وابهامه
وقد تلاها ابو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد اليه وكان السلف الصالح يتواعظون بها ويتناذرون
شدتها وتفسير الظلم بالكفر تعليل ولأن تخاف فتبلغ الامن خير من ان تأمن فتبلغ الخوف
وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما اى منفلت ينفلتون ومعناها ان الذين ظلموا يطمعون ان ينفلتوا
عذاب الله تعالى وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات وهو النجاة اللهم اجعلنا ممن جعل
هذه الآية بين عينيه فلم يغفل عنها وعلم ان من عمل سيئة فهو من الذين ظلموا والله اعلم بالصواب
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح
وكذب به وهود وشعيب وصالح وابرهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلوات الله عليهم اجمعين

سورة النمل مكية وهي ثلث وتسعون وقيل اربع وتسعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين طس قرئ بالتفخيم والامالة وتلك اشارة الى آيات السورة
والكتاب المبين اما اللوح وابانته انه قد خط فيه كل ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه ابانة واما
السورة واما القرآن وابانتهما انهما يبينان ما اودعاه من العلوم والحكم والشرائع وان اعجازهما
ظاهر مكشوف واضافة الآيات الى القرآن والكتاب المبين على سبيل التفخيم لها والتعظيم لان
المضاف الى العظيم يعظم بالاضافة اليه فان قلت لم نكر الكتاب المبين قلت ليبهم بالتنكير
فيكون افخم له كقوله تعالى في مقعد صدق عند مليك مقتدر فان قلت ما وجه عطفه على القرآن
اذا اريد به القرآن قلت كما يعطف احدى الصفتين على الاخرى في نحو قولك هذا فعل السخي والجواد
الكريم لان القرآن هو المنزل المبارك المصدق لما بين يديه وكان حكمه حكم الصفات المستقلة
بالمدح فكأنه قيل تلك الآيات آيات المنزل المبارك وآيات كتاب مبين وقرأ ابن ابي عبلة وكتاب مبين

بالرفع على تقدير وآيات كتاب مبين فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فان قلت ما الفرق
بين هذا وبين قوله الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين قلت لا فرق بينهما الا ما بين المعطوف
والمعطوف عليه من التقدم والتأخر وذلك على ضربين ضرب جار مجرى التثنية لا يترجح فيه جانب
على جانب وضرب فيه ترجح فالاول نحو قوله وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا ومنه ما نحن
بصدده والثاني نحو قوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم هدى وبشرى
للمؤمنين الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون هدى وبشرى في محل
النصب او الرفع فالنصب على الحال اى هادية ومبشرة والعامل فيه ما في تلك من معنى الاشارة و
الرفع على ثلثة اوجه على هي هدى وبشرى وعلى البدل من الآيات وعلى ان يكون خبرا بعد خبر
اى جمعت انها آيات وانها هدى وبشرى والمعنى في كونها هدى للمؤمنين انها زائدة في
هديهم قال الله تعالى فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا فان قلت وهم بالآخرة هم يوقنون كيف
يتصل بما قبله قلت يحتمل ان يكون من جملة صلة الموصول ويحتمل ان تتم الصلة عنده ويكون جملة اعتراضية
كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة هم الموقنون
بالآخرة وهو الوجه ويدل عليه انه عقد جملة ابتدائية وكرر فيها المبتدأ الذي هو هم حتى صار
معناها وما يوقن بالآخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان خوف
العاقبة يحملهم على تحمل المشاق ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون فان قلت
كيف اسند تزيين اعمالهم الى ذاته وقد اسنده الى الشيطان في قوله عز من قائل وزين لهم الشيطان
اعمالهم قلت بين الاسنادين فرق وذلك ان اسناده الى الشيطان حقيقة واسناده الى الله تعالى
مجاز وله طريقان في علم البيان احدهما ان يكون من المجاز الذي يسمى الاستعارة والثاني ان يكون من المجاز
الحكمي فالطريق الاول انه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا انعام الله بذلك عليهم واحسانه
اليهم ذريعة الى اتباع شهواتهم وبطرهم وايثارهم الروح والترفه ونفارهم عما يلزمهم فيه التكاليف الصعبة
والمشاق المتعبة فكأنه زين لهم بذلك اعمالهم واليه اشارت الملائكة صلوات الله عليهم اجمعين في قولهم

عليهم السلام ولكن متعتهم حتى نسوا الذكر والطريق الثاني ان امهاله الشيطان وتخليته حتى
يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزيين فاسند اليه لان المجاز الحكمي يصححه بعض الملابسات و
قيل هي اعمال الخير التي وجب عليهم ان يعملوها زينها لهم فعموا عنها وضلوا ويعزى الى الحسن والعمه
التحير والتردد كما يكون حال الضال عن الطريق وعن بعض الاعراب انه دخل السوق وما ابصرها
قط فقال رايت الناس عمهين اراد مترددين في اعمالهم واشغالهم • اولئك الذين لهم سوء
العذاب وهم في الآخرة هم الاخسرون وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم • سوء العذاب
القتل والاسر يوم بدر والاخسرون اشد الناس خسرانا لانهم لو آمنوا لكانوا من الشهداء
على جميع الامم فخسروا ذلك مع خسران النجاة وثواب الله لتلقى القرآن لتؤتاه وتلقنه من
اي حكيم واي عليم وهذا معنى مجيئهما نكرتين وهذه الآية بساط وتمهيد لما يريد ان يسوق بعدها
من الاقاصيص وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه • اذ قال موسى لاهله اني آنست نارا
سآتيكم منها بخبر او آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون • اذ منصوب بمضمر وهو اذكر كانه قال على
اثر ذلك خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى ويجوز ان ينتصب بعليم وروي انه لم يكن معه
غير امرأته وقد كنى الله عنها بالاهل فتبع ذلك ورود الخطاب على لفظ الجمع وهو قوله امكثوا الشهاب
الشعلة والقبس النار المقبوسة واضاف الشهاب الى القبس لانه يكون قبسا وغير قبس ومن
قرا بالتنوين جعل القبس بدلا او صفة لما فيه من معنى القبس والخبر ما يخبر به عن حال الطريق
لانه كان قد ضله فان قلت سآتيكم منها بخبر ولعلي آتيكم منها بخبر كالمتدافعين لان احدهما ترج
والآخر تيقن قلت قد يقول الراجي اذا قوي رجاؤه سأفعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة
فان قلت كيف جاء بسين التسويف قلت عدة لاهله انه يأتيهم به وان ابطأ او كانت المسافة
بعيدة فان قلت فلم جاء باو دون الواو قلت بنى الرجاء على انه ان لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم
واحدة منهما اما هداية الطريق واما اقتباس النار ثقة بعادة الله انه لا يكاد يجمع بين حرمانين
على عبده وما ادراه حين قال ذلك انه ظافر على النار بحاجتيه الكليتين جميعا وهما العزان عز

الدنيا وعز الآخرة • فلما جاءها نودي ان بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب
العالمين • ان هي المفسرة لان النداء فيه معنى القول والمعنى قيل له بورك فان قلت هل يجوز
ان يكون المخففة من الثقيلة وتقديره نودي بانه بورك والضمير ضمير الشان قلت لا لانه
لا بد من قد فان قلت فعلى اضمارها قلت لا يصح لانها علامة لا تحذف ومعنى بورك من في النار
ومن حولها بورك من في مكان النار ومن حول مكانها ومكانها البقعة التي حصلت فيها
وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة
وتدل عليه قراءة ابي تباركت الارض ومن حولها وعنه بوركت النار والذي بوركت له
البقعة وبورك من فيها وحواليها حدوث امر ديني فيها وهو تكليم الله موسى واستنباؤه وتكليمه
واظهار المعجزات عليه ورب خير يتجدد في بعض البقاع فينشر الله بركة ذلك الخير في اقاصيها
ويبث آثار يمنه في اباعدها فكيف بمثل ذلك الامر العظيم الذي جرى في تلك البقعة وقيل المراد
بالمبارك فيهم موسى والملائكة الحاضرون والظاهر انه عام في كل من كان في تلك الارض
وفي ذلك الوادي وحواليهما من ارض الشام ولقد جعل الله ارض الشام بالبركات موسومة
في قوله ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين وحقت ان تكون كذلك فهي مبعث
الانبياء صلوات الله عليهم ومهبط الوحي اليهم وكفاتهم احياء وامواتا فان قلت فما معنى ابتداء خطاب
الله موسى بذلك عند مجيئه قلت هي بشارة له بانه قد قضي امر عظيم تنتشر منه في ارض الشام
كلها البركة • وسبحان الله رب العالمين تعجيب لموسى من ذلك وايذان بان ذلك الامر مريده و
مكونه رب العالمين تنبيها على ان الكائن من جلائل الامور وعظائم الشؤون • يا موسى انه انا
الله العزيز الحكيم • الهاء في انه يجوز ان يكون ضمير الشان وانا الله مبتدأ وخبر والعزيز الحكيم
صفتان للخبر وان يكون راجعا الى ما دل عليه ما قبله يعني ان مكلمك انا والله بيان لانا والعزيز الحكيم
صفتان للمبين وهذا تمهيد لما اراد ان يظهره على يده من المعجزة يريد انا القوي القادر على ما يبعد من
الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما افعله بحكمة وتدبير • والق عصاك فلما رآها تهتز كانها

جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون الا من ظلم ثم بدل
حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم • فان قلت علام عطف قوله والق عصاك قلت على بورك لان
المعنى نودى ان بورك من فى النار وان الق عصاك كلاهما تفسير لنودى والمعنى قيل له بورك
من فى النار وقيل له الق عصاك والدليل على ذلك قوله تعالى وان الق عصاك بعد قوله ان يا موسى
انى انا الله على تكرير حرف التفسير كما تقول كتبت اليك ان حج وان اعتمر وان شئت ان حج واعتمر
قرأ الحسن جأن على لغة من يجد فى الهرب من التقاء الساكنين فيقول شأبة ودأبة ومنها قراءة
عمرو بن عبيد ولا الضألين لم يعقب لم يرجع يقال عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار قال
فما عقبوا اذ قيل هل من معقب ولا نزلوا يوم الكريهة منزلا • وانما رعب لظنه ان ذلك لامر اريد
به ويدل عليه انى لا يخاف لدى المرسلون والا بمعنى لكن لانه لما اطلق نفى الخوف عن الرسل
كان ذلك مظنة لطروء الشبهة فاستدرك ذلك والمعنى ولكن من ظلم منهم اى فرطت منه صغيرة
مما يجوز على الانبياء كالذى فرط من آدم ويونس وداود وسليمن واخوة يوسف ومن موسى عليه السلم
بوكزه القبطى ويوشك ان يقصد بهذا التعريض بما وجد من موسى وهو من التعريضات التى يلطف
مأخذها وسماه ظلما كما قال موسى رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى والحسن والسوء حسن التوبة وقبح
الذنب وقرئ الا من ظلم بحرف التنبيه وعن ابى عمرو فى رواية عصمة حسنا • وادخل يدك فى جيبك
تخرج بيضاء من غير سوء فى تسع آيات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين • فى تسع آيات
كلام مستأنف وحرف الجر فيه متعلق بمحذوف والمعنى اذهب فى تسع آيات الى فرعون ونحوه فقلت
الى الطعام فقال منهم فريق نحسد الانس الطعاما • ويجوز ان يكون المعنى والق عصاك وادخل يدك
فى تسع آيات اى فى جملة تسع آيات وعدادهن ولقائل ان يقول كانت الآيات احدى عشرة ثنتان
منها اليد والعصا والتسع الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة
والجدب فى بواديهم والنقصان فى مزارعهم • فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين المبصرة
الظاهرة البينة جعل الابصار لها وهو فى الحقيقة لمتأمليها لانهم لابسوها وكانوا بسبب منها بنظرهم

وتفكرهم فيها ويجوز ان يراد بحقيقة الابصار كل ناظر فيها من كافة اولى العقل وان يراد
ابصار فرعون وملائه لقوله واستيقنتها انفسهم او جعلت كانها تبصر فتهدى لان العمى لا
تقدر على الاهتداء فضلا ان تهدى غيرها ومنه قولهم كلمة عيناء وكلمة عوراء لان الكلمة الحسنة ترشد
والسيئة تغوى ونحوه قوله تعالى لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر فوصفها
بالبصارة كما وصفها بالابصار وقرأ على بن الحسين وقتادة مبصرة وهى نحو مجبنة ومبخلة ومجفرة
اى مكانا يكثر فيه التبصر • وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين
الواو فى واستيقنتها واو الحال وقد بعدها مضمرة والعلو الكبر والترفع عن الايمان بما جاء به موسى
كقوله فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون وقرئ
عليا وعليا بالضم والكسر كما قرئ عتيا وعتيا وفائدة ذكر الانفس انهم جحدوا بالسنتهم واستيقنوها
فى قلوبهم وضمائرهم والاستيقان ابلغ من الايقان وقد قوبل بين المبصرة والمبين واى ظلم افحش
من ظلم من اعتقد واستيقن انها آيات بينة واضحة جاءت من عند الله ثم كابر بتسميتها سحرا بينا
مكشوفا لا شبهة فيه • ولقد آتينا داود وسليمن علما وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين
علما طائفة من العلم او علما سنيا غزيرا فان قلت اليس هذا موضع الفاء دون الواو كقولك اعطيته
فشكر ومنعته فصبر قلت بلى ولكن عطفه بالواو اشعار بان ما قالاه بعض ما احدث فيهما ايتاء العلم
وشىء من مواجبه فاضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كانه قال ولقد آتيناهما علما فعملا به وعلماه
وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة وقالا الحمد لله الذى فضلنا والكثير المفضل عليه من لم يؤت علما
او من لم يؤت مثل علمهما وفيه انهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وفى الآية دليل على شرف العلم و
انافة محله وتقدم حملته وان نعمة العلم من اجل النعم واجزل القسم وان من اوتيه فقد
اوتى فضلا على كثير من عباد الله كما قال والذين اوتوا العلم درجات وما سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورثة الانبياء الا لمداناتهم لهم فى الشرف والمنزلة لانهم القوام بما بعثوا من اجله وفيها انه يلزمهم
لهذه النعمة الفاضلة لوازم منها ان يحمدوا الله على ما اوتوه من فضلهم على غيرهم وفيها التذكير بالتواضع

وان يعتقد العالم انه وان فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما احسن قول عمر كل الناس افقه من عمر
وورث سليمن داود وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل
المبين وحشر لسليمن جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون ● ورث منه النبوة والملك
دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وكان داود اكثر تعبدا وسليمن اقضى واشكر لنعمة الله وقال
يا ايها الناس تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها واعترافا بمكانها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة التي
هي علم منطق الطير وغير ذلك مما اوتيه من عظائم الامور والمنطق كل ما يصوت به من المفرد
والمؤلف المفيد وغير المفيد وقد ترجم يعقوب كتابه باصلاح المنطق وما اصلح فيه الا مفردات الكلم
وقالت العرب نطقت الحمامة وكل صنف من الطير يتفاهم اصواته والذي علمه سليمن من منطق
الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه واغراضه ويحكى انه مر على بلبل في شجرة يحرك راسه
ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون ما يقول قالوا الله ونبيه اعلم قال يقول اكلت نصف تمرة فعلى
الدنيا العفاء وصاحت فاختة فاخبر انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال
يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبون وصاح طيطوى فقال
يقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاحت
رخمة فقال تقول سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وارضه وصاح قمري فاخبر انه يقول سبحان ربي
الاعلى وقال الحدأ يقول كل شيء هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء تقول
ويل لمن الدنيا همه والديك يقول اذكروا الله يا غافلون والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت
آخرك الموت والعقاب يقول في البعد من الناس انس والضفدع يقول سبحان ربي القدوس
اراد بقوله من كل شيء كثرة ما اوتي كما تقول فلان يقصده كل احد ويعلم كل شيء تريد كثرة قصاده
ورجوعه الى غزارة في العلم واستكثاره منه ومثله قوله واوتيت من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين
قوله وارد على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر اي اقول
هذا القول شكرا ولا اقوله فخرا فان قلت كيف قال علمنا واوتينا وهو من كلام المتكبرين قلت فيه وجهان

احدهما ان يريد نفسه واباه والثاني ان هذه النون يقال لها نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا
فكلم اهل طاعته على صفته وحاله التي كان عليها وليس التكبر من لوازم ذلك وقد يتعلق بتجمل
الملك وتفخيمه واظهار ابهته وسياسته مصالح فيعود تكلف ذلك واجبا وقد كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يفعل نحوا من ذلك اذا وفد عليه وفد واحتاج ان يرجح في عين عدو الا ترى كيف امر العباس
بان يحبس ابا سفيان حتى يمر عليه الكتائب ● وروي ان معسكره كان مائة فرسخ في مائة خمسة و
عشرون للجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له
الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا
من ذهب وابريسم فرسخا في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله
ستمائة الف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة و
حولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا يقع عليه الشمس وترفع
ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى انه كان يامر الريح العاصف تحمله ويامر الرخاء
تسيره فاوحى الله اليه وهو يسير بين السماء والارض اني قد زدت في ملكك لا يتكلم احد بشيء
الا القته الريح في سمعك فيحكى انه مر بحراث فقال لقد اوتي آل داود ملكا عظيما فالقته
الريح في اذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال انما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة
واحدة يقبلها الله تعالى خير مما اوتي آل داود يوزعون يحبسون اولهم على آخرهم اي توقف سلاف
العسكر حتى تلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم احد وذلك للكثرة العظيمة ● حتى اذا
اتوا على وادي النمل قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمن وجنوده وهم لا يشعرون
قيل هو واد بالشام كثير النمل فان قلت لم عدي اتوا بعلى قلت يتوجه على معنيين احدهما ان اتيانهم
كان من فوق فاتى بحرف الاستعلاء كما قال ابو الطيب ولشد ما قربت عليك الانجم ● لما كان قربا
من فوق والثاني ان يراد قطع الوادي وبلوغ آخره من قولهم اتى على الشيء اذا انفده وبلغ آخره كانهم
ارادوا ان ينزلوا عند منقطع الوادي لانهم ما دامت الريح تحملهم في الهواء لا يخاف حطمهم وقرئ نملة يا ايها

النُمُل بضم الميم وبضم النون والميم وكان الاصل النمل بوزن الرجل والنمل الذي عليه الاستعمال تخفيف
عنه كقولهم السبع في السبع قيل كانت تمشي وهي عرجاء تتكاوس فنادت يا ايها النمل الآية فسمع سليمان
كلامها من ثلثة اميال وقيل كان اسمها طاخية وعن قتادة انه دخل الكوفة فالتف عليه الناس
فقال سلوا عما شئتم وكان ابو حنيفة حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمن اكانت ذكرا
ام انثى فسألوه فافحم فقال ابو حنيفة كانت انثى فقيل له من اين عرفت فقال من كتاب الله وهو قوله
قالت نملة ولو كانت ذكرا لقال قال نملة وذلك ان النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر
والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة انثى وهو وهي وقرئ مسكنكم ولا يحطمنكم
بتخفيف النون وقرئ لا يحطّمنّكم بفتح الحاء وكسرها واصله يحتطمنكم ولما جعلها قائلة والنمل
مقولا لهم كما يكون في اولي العقل اجرى خطابهم مجرى خطابهم فان قلت لا يحطمنكم ما هو قلت يحتمل
ان يكون جوابا للامر وان يكون نهيا بدلا من الامر والذي جوّز ان يكون بدلا منه انه في معنى لا تكونوا
حيث انتم فيحطمكم على طريقة لا ارينك ههنا اراد لا يحطمنكم جنود سليمن فجاء بما هو ابلغ ونحوه عجبت
من نفسي ومن اشفاقها • فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي
وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضيه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين • ومعنى تبسم ضاحكا
تبسم شارعا في الضحك وآخذا فيه يعني انه قد تجاوز حد التبسم الى الضحك وكذلك ضحك الانبياء واما
ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فالغرض المبالغة في وصف ما وجد منه من
الضحك النبوي والا فبدو النواجذ على الحقيقة انما يكون عند الاستغراب وقرأ ابن السميفع ضحكا
فان قلت ما اضحكه من قولها قلت شيئان اعجابه بما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده و
شفقتهم وعلى شهرة حاله وحالهم في باب التقوى وذلك قولها وهم لا يشعرون تعني انهم لو شعروا لم يفعلوا
وسروره بما آتاه الله مما لم يؤت احدا من ادراكه بسمعه ما همس به بعض الحكل الذي هو مثل في الصغر
والقلة ومن احاطته بمعناه ولذلك اشتمل دعاؤه على استيزاع الله شكر ما انعم به عليه وعلى استيهابه لزيادة
العمل الصالح والتقوى وحقيقة اوزعني اجعلني ازع شكر نعمتك عندي واكفه وارتبطه لا ينفلت

عني حتى لا انفك شاكرا لك وانما ادرج ذكر والديه لان النعمة على الولد نعمة على الوالدين خصوصا
النعمة الراجعة الى الدين فانه اذا كان تقيا نفعهما بدعائه وشفاعته وبدعاء المؤمنين لهما كلما
دعوا له وقالوا رضي الله عنك وعن والديك وروي ان النملة احست بصوت الجنود ولا تعلم
انهم في الهواء فامر سليمن عليه السلم الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة
ومعنى وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين واجعلني من اهل الجنة • وتفقد الطير فقال ما لي لا
ارى الهدهد ام كان من الغائبين لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه او ليأتيني بسلطان مبين •
ام هي المنقطعة نظر الى مكان الهدهد فلم يبصره فقال ما لي لا اراه على معنى انه لا يراه وهو حاضر
لساتر ستره او غير ذلك ثم لاح له انه غائب فاضرب عن ذلك واخذ يقول اهو غائب كانه يسأل
عن صحة ما لاح له ونحوه قولهم انها لابل ام شاء وذكر من قصة الهدهد ان سليمان حين تم له
بناء بيت المقدس تجهز للحج بحشره فوافى الحرم واقام به ما شاء وكان يقرب كل يوم طول
مقامه بخمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين الف شاة ثم عزم على السير الى اليمن فخرج
من مكة صباحا يؤم سهيلا فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى ارضا حسناء
اعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجدوا الماء وكان الهدهد قناقنه وكان يرى الماء
من تحت الارض كما يرى الماء في الزجاجة فيجيء الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الاهاب ويستخرجون
الماء فتفقده لذلك وحين نزل سليمن حلق الهدهد فرأى هدهدا واقعا فانحط اليه فوصف
له ملك سليمن وما سخر له من كل شيء وذكر له صاحبه ملك بلقيس وان تحت يدها اثني
عشر الف قائد تحت يد كل قائد مائة الف وذهب معه لينظر فما رجع الا بعد العصر وذكر
انه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمن فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير
وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب علي به فارتفعت
فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله وقال بحق الله الذي قواك واقدرك علي
الا رحمتني فتركته وقالت ثكلتك امك ان نبي الله حلف ليعذبنك قال وما استثنى قالت

بلى او ليأتيني بعذر مبين فلما قرب من سليمن ارخى ذنبه وجناحه يجرها على الارض تواضعا له
فلما دنا منه اخذ برأسه فمده اليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فارتعد سليمن و
عفا عنه ثم سأله تعذيبه ان يؤدب بما يحتمله حاله ليعتبر به ابناء جنسه وقيل كان عذاب سليمن
للطير ان ينتف ريشه ويشمسه وقيل ان يطلى بالقطران ويشمس وقيل ان يلقى للنمل تأكله و
قيل ايداعه القفص وقيل التفريق بينه وبين الفه وقيل لالزمنه صحبة الاضداد وعن بعضهم
اضيق السجون معاشرة الاضداد وقيل لالزمنه خدمة اقرانه فان قلت من اين حل له تعذيب
الهدهد قلت يجوز ان يبيح الله له ذلك لما رأى فيه من المصلحة والمنفعة كما اباح ذبح البهائم
والطيور للاكل وغيره من المنافع واذا سخر له الطير ولم يتم ما سخر من اجله الا بالتاديب والسياسة
جاز ان يباح له ما يستصلح به وقرئ ليأتينني وليأتين والسلطان الحجة والعذر فان قلت
قد حلف على احد ثلثة اشياء فحلفه على فعليه لا مقال فيه ولكن كيف صح حلفه على فعل الهدهد
ومن اين درى انه يأتي بسلطان حتى يقول والله ليأتيني بسلطان قلت لما نظم الثلثة باو
في الحكم الذي هو الحلف آل كلامه الى قولك ليكونن احد الامور يعني ان كان الاتيان بالسلطان
لم يكن تعذيب ولا ذبح وان لم يكن كان احدهما وليس في هذا ادعاء دراية على انه يجوز ان يتعقب حلفه
بالفعلين وحي من الله بانه سيأتيه بسلطان مبين فثلث بقوله او ليأتيني بسلطان مبين
عن دراية وايقان • فمكث غير بعيد فقال احطت بما لم تحط به وجئتك من سبإ بنبإ يقين •
فمكث قرئ بفتح الكاف وضمها غير بعيد غير زمان بعيد كقوله عن قريب ووصف مكثه بقصر المدة
للدلالة على اسراعه خوفا من سليمن وليعلم كيف كان الطير مسخرا له ولبيان ما اعطي من المعجزة الدالة
على نبوته وعلى قدرة الله عز وجل احطت بادغام الطاء في التاء باطباق وبغير اطباق الهم الله
الهدهد فكافح سليمن بهذا الكلام على ما اوتي من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة
بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له في علمه وتنبيها على ان في ادنى خلقه واضعفه من احاط علما بما لم يحط به
لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفا له في ترك الاعجاب الذي هو فتنة العلماء

واعظم

محل لطيف

واعظم بها فتنة والاحاطة بالشيء علما ان يعلم من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم قالوا وفيه دليل
على بطلان قول الرافضة ان الامام لا يخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه احد اعلم منه سبإ
قرئ بالصرف ومنعه وقد روي بسكون الباء وعن ابن كثير في رواية سبا بالالف كقولهم ذهبوا ايدي سبا
وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان فمن جعله اسما للقبيلة لم يصرف ومن جعله اسما للحي او
الاب الاكبر صرف وقال • من سبإ الحاضرين مأرب اذ يبنون من دون سيله العرما • وقال الواردون و
تيم في ذرى سبإ قد عض اعناقهم جلد الجواميس ثم سميت مدينة مأرب بسبإ وبينها وبين صنعاء
مسيرة ثلث كما سميت معافر بمعافر بن اد ويحتمل ان يراد المدينة والقوم والنبأ الخبر الذي له
شأن وقوله من سبإ بنبإ من جنس الكلام الذي سماه المحدثون البديع وهو من محاسن الكلام الذي
يتعلق باللفظ بشرط ان يكون مطبوعا او يصنعه عالم بجوهر الكلام يحفظ صحة المعنى وسداده و
لقد جاء ههنا زائدا على الصحة فحسن وبدع لفظا ومعنى الا ترى انه لو وضع مكان بنبإ بخبر لكان
المعنى صحيحا وهو كما جاء اصح لما في النبإ من الزيادة التي يطابقها وصف الحال • اني وجدت امرأة
تملكهم واوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله
وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء
في السموات والارض ويعلم ما يخفون وما يعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم • المرأة
بلقيس بنت شراحيل وكان ابوها ملك ارض اليمن كلها وقد ولده اربعون ملكا ولم يكن له ولد
غيرها فغلبت على الملك وكانت هي وقومها مجوسا يعبدون الشمس والضمير في تملكهم راجع الى سبإ
فان اريد به القوم فالامر ظاهر وان اريدت المدينة فمعناه تملك اهلها وقيل في وصف عرشها كان
ثمانين ذراعا في ثمانين وسمكه ثمانين وقيل ثلثين مكان ثمانين وكان من ذهب وفضة مكللا
بانواع الجواهر وكانت قوائمه من ياقوت احمر واخضر ودر وزمرد وعليه سبعة ابيات على
كل بيت باب مغلق فان قلت كيف استعظم عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمن قلت يجوز ان يستصغر
حالها الى حال سليمن فاستعظم لها ذلك العرش ويجوز ان لا يكون لسليمن مثله وان عظمت مملكته

في كل شيء كما يكون لبعض امراء الاطراف شيء لا يكون مثله للملك الذي يملك عليهم امرهم ويستخدمهم
ومن نوكى القصاص من يقف على قوله ولها عرش ثم يبتدئ عظيم وجدتها يريد امر عظيم ان
وجدتها وقومها يسجدون للشمس فر من استعظام الهدهد عرشها فوقع في عظيمة وهي مسخ كتاب
الله فان قلت كيف قال واوتيت من كل شيء مع قول سليمن واوتينا من كل شيء كانه سوى بينهما
قلت بينهما فرق بين لان سليمن عطف قوله على ما هو معجزة من الله وهو تعليم منطق الطير فرجع
اولا الى ما اوتي من النبوة والحكمة واسباب الدين ثم الى الملك واسباب الدنيا وعطفه الهدهد على
الملك فلم يرد الا ما اوتيت من اسباب الدنيا اللائقة بحالها فبين الكلامين بون بعيد فان قلت
كيف خفي على سليمن مكانها وكانت المسافة بين محطه وبين بلدها قريبة وهي مسيرة ثلث بين
صنعاء ومارب قلت لعل الله عز وجل اخفى عنه ذلك لمصلحة رآها كما اخفى مكان يوسف على
يعقوب فان قلت من اين للهدهد التهدي الى معرفة الله عز وجل ووجوب السجود له وانكار سجودهم
للشمس واضافته الى الشيطان وتزيينه قلت لا يبعد ان يلهمه الله ذلك كما الهمه وغيره من الطيور
وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التي لا يكاد العقلاء الرجاح العقول يهتدون لها ومن اراد
استقراء ذلك فعليه بكتاب الحيوان خصوصا في زمن نبي سخرت له الطيور وعلم منطقها وجعل ذلك
معجزة له من قرأ بالتشديد اراد فصدهم عن السبيل لان لا يسجدوا فحذف الجار مع ان ويجوز ان لا
يكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم لا يهتدون الى ان يسجدوا ومن قرأ بالتخفيف فهو الا يا اسجدوا
الا للتنبيه ويا حرف النداء ومناداه محذوف كما حذفه من قال • الا يا اسلمي يا دارمي على البلى • وفي حرف
عبد الله وهي قراءة الاعمش هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء وعن عبد الله هلا تسجدون بمعنى الا تسجدون
على الخطاب وفي قراءة ابي الا تسجدون لله الذي يخرج الخبء من السماء والارض ويعلم سركم وما
تعلنون وسمى المخبوء بالمصدر وهو النبات والمطر وغيرهما مما خبأه عز وعلا من غيوبه وقرئ الخب
على تخفيف الهمزة بالحذف والخبا على تخفيفها بالقلب وهي قراءة ابن مسعود ومالك بن دينار ووجهها
ان تخرج على لغة من يقول في الوقف هذا الخبو ورأيت الخبا ومررت بالخبي ثم اجرى الوصل

مجرى الوقف لا على لغة من يقول الكماة والحماة لانها ضعيفة مسترذلة وقرئ يخفون ويعلنون
بالتاء والياء وقيل من احطت الى العظيم هو كلام الهدهد وقيل كلام رب العزة وفي اخراج
الخبء امارة على انه من كلام الهدهد لهندسته ومعرفته الماء تحت الارض وذلك بالهام من يخرج
الخبء في السموات والارض جلت قدرته ولطف علمه ولا يكاد تخفى على ذي الفراسة النظار
بنور الله مخائل كل مختص بصناعة او فن من العلم في روائه ومنطقه وشمائله ولهذا ورد ما عمل
عبد عملا الا القى الله عليه رداء عمله فان قلت اسجدة التلاوة واجبة في القراءتين جميعا ام في
احديهما قلت هي واجبة فيهما جميعا لان مواضع السجدة اما امر بها او مدح لمن اتى بها او ذم
لمن تركها واحدى القراءتين امر بالسجود والاخرى ذم للتارك وقد اتفق ابو حنيفة والشافعي
رحمهما الله على ان سجدات القرآن اربع عشرة وانما اختلفا في سجدة ص فهي عند ابي حنيفة
سجدة تلاوة وعند الشافعي سجدة شكر وفي سجدتي سورة الحج وما ذكره الزجاج من وجوب السجدة
مع التخفيف دون التشديد فغير مرجوع اليه فان قلت هل يفرق الواقف بين القراءتين
قلت نعم اذا خفف وقف على فهم لا يهتدون ثم ابتدأ الا يا اسجدوا وان شاء وقف على الا يا ثم
ابتدأ اسجدوا واذا شدد لم يقف الا على العرش العظيم فان قلت كيف سوى الهدهد بين عرش
بلقيس وعرش الله في الوصف بالعظم قلت بين الوصفين بون عظيم لان وصف عرشها بالعظم
تعظيم له بالاضافة الى عروش ابناء جنسها من الملوك ووصف عرش الله بالعظم تعظيم له
بالنسبة الى سائر ما خلق من السموات والارض وقرئ العظيم بالرفع • قال سننظر اصدقت
ام كنت من الكاذبين • سننظر من النظر الذي هو التأمل والتصفح واراد اصدقت ام كذبت
الا ان كنت من الكاذبين ابلغ لانه اذا كان معروفا بالانخراط في سلك الكاذبين كان كاذبا لا
محالة واذا كان كاذبا اتهم بالكذب فيما اخبر به فلم يوثق به • اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم
تول عنهم فانظر ماذا يرجعون • تول عنهم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه ليكون ما يقولونه
بمسمع منك ويرجعون من قوله تعالى يرجع بعضهم الى بعض القول فيقال دخل عليها من كوة فالقى الكتاب

الیها وتوارى فی الكوة فان قلت لم قال فالقه الیهم على لفظ الجمع قلت لانه قال وجدتها
وقومها یسجدون للشمس فقال فالقه الى الذین هذا دینهم اهتماما منه بامر الدین واشتغالا به
عن غیره وبنى الخطاب فی الكتاب على لفظ الجمع لذلك • قالت یا ایها الملأ انی القی الی كتاب كریم
انه من سلیمن وانه بسم الله الرحمن الرحیم الا تعلوا علی واتونی مسلمین • كریم حسن
مضمونه وما فیه او وصفته بالكرم لانه من عند ملك كریم او مختوم قال صلى الله علیه وسلم كرم
الكتاب ختمه وكان صلعم یكتب الى العجم فقیل له انهم لا یقبلون الا كتابا علیه خاتم فاصطنع خاتما
وعن ابن المقفع من كتب الى اخیه كتابا ولم یختمه فقد استخف به وقیل مصدر ببسم الله الرحمن الرحیم
هو استیناف وتبیین لما القی الیها كانها لما قالت انی القی الی كتاب كریم قیل لها ممن هو وما هو
فقالت انه من سلیمن وانه كیت وكیت وقرأ عبد الله وانه من سلیمن وانه عطفا على انی وقرئ
انه من سلیمن وانه بالفتح على انه بدل من كتاب كانه قیل القی الی انه من سلیمن ویجوز ان یرید
لانه من سلیمن ولانه كانها عللت كرمه بكونه من سلیمن وتصدیره باسم الله وقرأ ابی ان من
سلیمن وان بسم الله على ان المفسرة وان فی ان لا تعلوا مفسرة ایضا لا تعلوا لا تتكبروا كما
یفعل الملوك وقرأ ابن عباس بالغین معجمة من الغلو وهو مجاوزة الحد یروى ان نسخة الكتاب من
عبد الله سلیمن بن داود الى بلقیس ملكة سبا السلام على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا علی
واتونی مسلمین وكانت كتب الانبیاء جملا لا یطیلون ولا یكثرون وطبع الكتاب بالمسك وختمه
بخاتمه فوجدها الهدهد راقدة فی قصرها بمارب وكانت اذا رقدت غلقت الابواب ووضعت
المفاتیح تحت راسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهی مستلقیة وقیل نقرها فانتبهت
فزعة وقیل اتاها والقادة والجنود حوالیها فرفرف ساعة والناس ینظرون حتى رفعت راسها
فالقى الكتاب فی حجرها وكانت قارئة كاتبة عربیة من نسل تبع بن شراحیل الحمیری فلما رأت
الخاتم ارتعدت وخضعت وقالت لقومها ما قالت • مسلمین منقادین او مؤمنین • قالت یا ایها
الملأ افتونی فی امری ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون • الفتوى الجواب فی الحادثة اشتقت

على طریق

على طریق الاستعارة من الفتاء فی السن والمراد بالفتوى ههنا الاشارة علیها بما عندهم فیما حدث
لها من الرأی والتدبیر وقصدت بالانقطاع الیهم والرجوع الى استشارتهم واستطلاع آرائهم
استعطافهم وتطییب نفوسهم لیمالئوها ویقوموا معها قاطعة امرا فاصلة وفی قراءة ابن مسعود
قاضیة ای لا ابت امرا الا بمحضركم وقیل كان اهل مشورتها ثلثمائة وثلثة عشر رجلا كل واحد
على عشرة آلاف • قالوا نحن اولوا قوة واولوا باس شدید والامر الیك فانظری ماذا تامرین
ارادوا بالقوة قوة الاجساد وقوة الآلات والعدد وبالباس النجدة والبلاء فی الحرب والامر
الیك ای هو موكول الیك ونحن مطیعون لك فمرینا بامرك نطعك ولا نخالفك كانهم اشاروا
علیها بالقتال او ارادوا نحن من ابناء الحرب لا من ابناء الرأی والمشورة وانت ذات الرأی
والتدبیر فانظری ماذا ترین نتبع رایك • قالت ان الملوك اذا دخلوا قریة افسدوها وجعلوا اعزة
اهلها اذلة وكذلك یفعلون • لما احست منهم المیل الى المحاربة رات من الرأی المیل الى
الصلح والابتداء بما هو احسن ورتبت الجواب فزیفت اولا ما ذكروه واریتهم الخطاء فیه بان
الملوك اذا دخلوا قریة عنوة وقهرا افسدوها ای خربوها ومن ثمة قالوا للفساد الخربة و
اذلوا اعزتها واهانوا اشرافها وقتلوا واسروا فذكرت لهم عاقبة الحرب وسوء مغبتها ثم قالت
وكذلك یفعلون ارادت وهذه عادتهم المستمرة الثابتة التی لا تتغیر لانها كانت فی بیت الملك
القدیم فسمعت نحو ذلك ورات ثم ذكرت بعد ذلك حدیث الهدیة وما رأت من الرأی السدید
وقیل هو تصدیق من الله لقولها وقد یتعلق الساعون فی الارض بالفساد بهذه الآیة ویجعلونها
حجة لانفسهم ومن استباح حراما فقد كفر فاذا احتج له بالقرآن على وجه التحریف فقد جمع بین
كفرین • وانی مرسلة الیهم بهدیة فناظرة بم یرجع المرسلون فلما جاء سلیمن قال اتمدونن بمال
فما آتانی الله خیر مما آتیكم بل انتم بهدیتكم تفرحون • مرسلة الیهم بهدیة ای مرسلة رسلا
بهدیة اصانعه بها عن ملكی فناظرة ما یكون منه حتى اعمل على حسب ذلك فروی انها بعثت
خمسمائة غلام علیهم ثیاب الجواری وحلیهن الاساور والاطواق والقرطة راكبی خیل مغشاة

بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان
وألف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقا
فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلين من أشراف قومها المنذر بن عمرو
وآخر ذا رأي وعقل وقالت إن كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا
وسلك في الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر إن نظر إليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك
وإن رأيته بشا لطيفا فهو نبي فأقبل الهدهد فأخبر سليمان فأمر الجن فضربوا لبن الذهب و
الفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفه
من الذهب والفضة وأمر بأحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على
اللبن وأمر بأولاد الجن وهم خلق كثير فأقيموا عن اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي من
جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والإنس صفوفا فراسخ والوحش والسباع و
الطيور والهوام كذلك فلما دنى القوم ونظروا بهتوا ورأوا الدواب تروث على اللبن فتقاصرت
إليهم نفوسهم ورموا بما معهم ولما وقفوا بين يديه نظر إليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال
أين الحق وأخبره جبريل بما فيه فقال لهم إن فيه كذا وكذا ثم أمر الأرضة فأخذت شعرة و
نفذت فيها فجعل رزقها في الشجرة وأخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت فيها فجعل رزقها
في الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء فتجعله في الأخرى ثم تضرب به وجهها
والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال للمنذر ارجع إليهم فقالت هو نبي
وما لنا به طاقة فشخصت إليه في اثني عشر ألف قيل تحت كل قيل ألوف وفي قراءة ابن مسعود
فلما جاؤوا أتمدونني وقرئ بحذف الياء والاكتفاء بالكسرة وبالإدغام كقوله أتحاجوني
وبنون واحدة أتمدوني الهدية اسم المهدى كما أن العطية اسم المعطى فتضاف إلى المهدي
والمهدى له تقول هذه هدية فلان تريد هي التي أهداها أو أهديت إليه والمضاف إليه ههنا
هو المهدى إليه والمعنى أن ما عندي خير مما عندكم وذلك أن الله آتاني الدين الذي هو الحظ

الاوفر

الأوفر والغنى الأوسع وآتاني من الدنيا ما لا يستزاد عليه فكيف يرضى مثلي بأن يمد بمال ويصانع به
بل أنتم قوم لا تعلمون إلا ظاهرا من الحياة الدنيا فلذلك تفرحون بما تزادون ويهدى إليكم لأن
ذلك مبلغ همتكم وحالي خلاف حالكم وما أرضى منكم بشيء ولا أفرح به إلا بالإيمان وترك المجوسية
فإن قلت ما الفرق بين قولك أتمدني بمال وأنا أغنى منك وبين أن تقوله بالفاء قلت إذا قلته
بالواو فقد جعلت مخاطبي عالما بزيادتي عليه في الغنى واليسار وهو مع ذلك يمدني بمال وإذا
قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالي فأنا أخبره الساعة بما لا أحتاج معه إلى إمداده
كأني أقول له أنكر عليك ما فعلت فإني غني عنه وعليه ورد قوله فما آتاني الله فإن قلت فما وجه
الإضراب قلت لما أنكر عليهم الإمداد وعلل إنكاره أضرب عن ذلك إلى بيان السبب الذي حملهم عليه
وهو أنهم لا يعرفون سبب رضا ولا فرح إلا أن يهدى إليهم حظ من الدنيا التي لا يعلمون غيرها ويجوز
أن تجعل الهدية مضافة إلى المهدي ويكون المعنى بل أنتم بهديتكم هذه التي أهديتموها تفرحون
فرح افتخار على الملوك بأنكم قدرتم على إهداء مثلها ويحتمل أن يكون عبارة عن الرد كأنه قال بل
أنتم من حقكم أن تأخذوا هديتكم وتفرحوا بها ● ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم
منها أذلة وهم صاغرون قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين ● ارجع خطاب
للرسول وقيل للهدهد محملا كتابا آخر لا قبل لا طاقة وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة أي
لا يقدرون أن يقابلوهم وقرأ ابن مسعود لا قبل لهم بهم والضمير في منها لسبأ والذل أن يذهب عنهم
ما كانوا فيه من العز والملك والصغار أن يقعوا في أسر واستعباد ولا يقتصر بهم على أن يرجعوا
سوقة بعد أن كانوا ملوكا يروى أنها أمرت عند خروجها إلى سليمان عليه السلام فجعل عرشها في آخر
سبعة أبيات بعضها في بعض في آخر قصر من قصور سبعة لها وغلقت الأبواب ووكلت به حرسا
يحفظونه ولعله أوحي إلى سليمان باستيثاقها من عرشها فأراد أن يغرب عليها ويريها بذلك
بعض ما خصه الله به من إجراء العجائب على يده مع اطلاعها على عظيم قدرة الله وعلى ما يشهد لنبوته
ويصدقها وعن قتادة أراد أن يأخذه قبل أن تسلم لعلمه أنها إذا أسلمت لم يحل له

آخذها وقيل اراد ان يؤتى به فينكر ويغير ثم ينظر اتثبته ام تنكره اختبارا لعقلها • قال
عفريت من الجن انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك واني عليه لقوي امين • وقرئ
عفرية والعفر والعفريت والعفرية والعفراة والعفاريت من الرجال الخبيث المنكر
الذي يعفر اقرانه ومن الشياطين الخبيث المارد وقالوا كان اسمه ذكوان لقوي على حمله
امين آتي به كما هو لا اختزل منه شيئا ولا ابدله • قال الذي عنده علم من الكتاب انا آتيك به
قبل ان يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني ءاشكر ام اكفر
ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم • الذي عنده علم من الكتاب رجل
كان عنده اسم الله الاعظم وهو يا حي يا قيوم وقيل يا الهنا واله كل شيء الها واحدا لا اله
الا انت وقيل يا ذا الجلال والاكرام وعن الحسن الله والرحمن وقيل هو آصف بن برخيا كاتب سليمان
وكان صديقا عالما وقيل اسمه اسطوم وقيل هو جبرئيل وقيل ملك ايد الله به سليمن وقيل هو سليمن
نفسه كانه استبطأ العفريت فقال له انا اريك ما هو اسرع مما تقول وعن ابن لهيعة بلغني انه الخضر
عليه السلم علم من الكتاب المنزل وهو علم الوحي والشرائع وقيل هو اللوح والذي عنده علم منه
جبرئيل وآتيك في الموضعين يجوز ان يكون فعلا واسم فاعل الطرف تحريكك اجفانك اذا نظرت
فوضع موضع النظر ولما كان الناظر موصوفا بارسال الطرف في نحو قوله • وكنت اذا ارسلت طرفك
رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر • وصف برد الطرف ووصف الطرف بالارتداد ومعنى قوله
قبل ان يرتد اليك طرفك انك ترسل طرفك الى شيء فقبل ان ترده ابصرت العرش بين يديك
ويروى ان آصف قال لسليمن مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمن ودعا آصف
فغار العرش في مكانه بمأرب ثم نبع عند مجلس سليمن بالشام بقدرة الله قبل ان يرد طرفه ويجوز
ان يكون هذا مثلا لاستقصار مدة المجيء به كما تقول لصاحبك افعل كذا في لحظة وفي ردة طرف
والتفت ترني وما اشبه ذلك تريد السرعة يشكر لنفسه لانه يحط عنها عبء الواجب ويصونها
عن سمة الكفران ويرتبط به النعمة ويستمد المزيد وقيل الشكر قيد للنعم الموجودة وصيد

المفقودة وفي كلام بعض المتقدمين ان كفران النعمة بوار وقلما اقشعت نافرة فرجعت في
نصابها فاستدع شاردها بالشكر واستدم راهنها بكرم الجوار واعلم ان سبوغ ستر الله متقلص
عما قريب اذا انت لم ترج لله وقارا غني عن الشكر كريم بالانعام على من يكفر نعمته والذي
قاله سليمن عند رؤية العرش شاكرا لربه جرى على شاكلة ابناء جنسه من انبياء الله والمخلصين
من عباده يتلقون النعمة القادمة بحسن الشكر كما يشيعون النعمة المودعة بجميل الصبر • قال
نكروا لها عرشها ننظر اتهتدي ام تكون من الذين لا يهتدون • نكروا اجعلوه متنكرا متغيرا
عن هيئته وشكله كما يتنكر الرجل للناس لئلا يعرفوه قالوا وسعوه وجعلوا مقدمه مؤخره
واعلاه اسفله وقرئ ننظر بالجزم على الجواب وبالرفع على الاستيناف اتهتدي لمعرفته او للجواب
الصواب اذا سئلت عنه او للدين والايمان بنبوة سليمن اذا رأت تلك المعجزة البينة من تقدم
عرشها وقد خلفته واغلقت عليه الابواب ونصبت عليه الحراس • فلما جاءت قيل اهكذا
عرشك قالت كانه هو واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين • هكذا ثلث كلمات حرف التنبيه وكاف
التشبيه واسم الاشارة لم يقل اهذا عرشك ولكن امثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا فقالت كانه
هو ولم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع في المحتمل واوتينا العلم من
كلام سليمن وملائه • فان قلت علام عطف هذا الكلام وبم اتصل قلت لما كان المقام
الذي سئلت فيه عن عرشها واجابت بما اجابت به مقاما اجرى فيه سليمن وملاؤه ما يناسب
قولهم واوتينا العلم نحو ان يقولوا عند قولها كانه هو قد اصابت في جوابها وطبقت المفصل وهي
عاقلة لبيبة وقد رزقت الاسلام وعلمت قدرة الله وصحة النبوة بالآيات التي تقدمت عند
وفدة المنذر وبهذه الآية العجيبة من امر عرشها عطفوا على ذلك قولهم واوتينا نحن العلم بالله
وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها ولم نزل على دين الاسلام شكرا لله على فضلهم عليها و
سبقهم الى العلم بالله والاسلام قبلها • وصدها ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم
كافرين • وصدها عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس ونشؤها بين ظهراني الكفرة ويجوز

أن يكون من كلام بلقيس موصولا بقولها كأنه هو والمعنى وأوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمان
قبل هذه المعجزة أو قبل هذه الحالة يعني ما تبينت من الآيات عند وفدة المنذر ودخلنا في الإسلام
ثم قال الله تعالى وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه ضلالها عن سواء السبيل وقيل وصدها الله
أو سليمان عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار وإيصال الفعل وقرئ أنها بالفتح على أنه بدل من فاعل صد
أو بمعنى لأنها • قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرد
من قوارير قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين • الصرح القصر وقيل
صحن الدار وقرأ ابن كثير سأقيها بالهمز ووجهه أنه سمع سؤقا فأجري عليه الواحد والممرد المملس وروي
أن سليمان أمر قبل قدومها فبني له على طريقها قصر من زجاج أبيض وأجري من تحته الماء وألقي
فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والإنس
وإنما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لأمره وتحققا لنبوته وثباتا على الدين وزعموا أن الجن كرهوا
أن يتزوجها فتفضي إليه بأسرارهم لأنها كانت بنت جنية وقيل خافوا أن يولد له منها ولد تجتمع له
فطنة الجن والإنس فيخرجون من ملك سليمان إلى ملك هو أشد وأفظع فقالوا له إن في عقلها شيئا و
هي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها
فكشفت عنهما فإذا هي أحسن الناس ساقا وقدما إلا أنها شعراء ثم صرف بصره وناداها إنه صرح
ممرد من قوارير وقيل هو السبب في اتخاذ النورة أمر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها سليمان وأحبها
وأقرها على ملكها وأمر الجن فبنوا لها سيلحين وغمدان وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة
أيام وولدت له وقيل بل زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطه على اليمن وأمر زوبعة أمير جن اليمن
أن يطيعه فبنى له المصانع ولم يزل أميرا حتى مات سليمان ظلمت نفسي تريد بكفرها فيما تقدم وقيل
حسبت أن سليمان يغرقها في اللجة فقالت ظلمت نفسي بسوء ظني بسليمان • ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم
صالحا أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون • وقرئ أن اعبدوا بالضم على اتباع النون الباء فريق
مؤمن وفريق كافر وقيل يريد بالفريقين صالحا وقومه قبل أن يؤمن منهم أحد يختصمون يقول

137

كل فريق الحق معه • قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون •
السيئة العقوبة والحسنة التوبة فإن قلت ما معنى استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة وإنما يكون ذلك
إذا كانتا متوقعتين إحداهما قبل الأخرى قلت كانوا يقولون لجهلهم إن العقوبة التي يعدها صالح
إن وقعت على زعمه تبنا حينئذ واستغفرنا مقدرين أن التوبة مقبولة في ذلك الوقت وإن لم تقع فنحن
على ما نحن عليه فخاطبهم صالح على حسب قولهم واعتقادهم ثم قال لهم هلا تستغفرون الله قبل نزول
العذاب لعلكم ترحمون تنبيها لهم على الخطأ فيما قالوه وتجهيلا فيما اعتقدوه • قالوا اطيرنا بك وبمن
معك قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون • كان الرجل يخرج مسافرا فيمر بطائر فيزجره فإن
مر سانحا تيمن وإن مر بارحا تشاءم فلما نسبوا الخير والشر إلى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر
الله وقسمته أو من عمل العبد الذي هو السبب في الرحمة والنقمة ومنه قالوا طائر الله لا طائرك أي
قدر الله الغالب الذي ينسب إليه الخير والشر لا طائرك الذي تتشاءم به وتتيمن فلما قالوا اطيرنا
بكم أي تشاءمنا وكانوا قد قحطوا قال طائركم عند الله أي سببكم الذي يجيء منه خيركم وشركم عند الله
وهو قدره وقسمته إن شاء رزقكم وإن شاء حرمكم ويجوز أن يريد عملكم مكتوب عند الله فمنه نزل بكم
ما نزل عقوبة لكم وفتنة ومنه قوله طائركم معكم وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه وقرئ تطيرنا
بكم على الأصل ومعنى تطير به تشاءم به وتطير منه نفر منه تفتنون تختبرون أو تعذبون أو يفتنكم
الشيطان بوسوسته إليكم الطيرة • وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا
يصلحون • المدينة الحجر وإنما جاز تمييز التسعة بالرهط لأنه في معنى الجماعة فكأنه قيل تسعة أنفس و
الفرق بين الرهط والنفر أن الرهط من الثلاثة إلى العشرة أو من السبعة إلى العشرة والنفر من الثلاثة إلى
التسعة وأسماؤهم عن وهب الهذيل بن عبد رب غنم بن غنم رئاب بن مهرج مصدع بن مهرج
عمير بن كردبة عاصم بن مخرمة سبيط بن صدقة سمعان بن صفي قدار بن سالف وهم الذين
سعوا في عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من أبناء أشرافهم ولا يصلحون يعني أن شأنهم الإفساد
البحت الذي لا يخلطه شيء من الصلاح كما ترى بعض المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح • قالوا

تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون
تقاسموا يحتمل أن يكون أمرا وخبرا في محل الحال بإضمار قد أي قالوا متقاسمين وقرئ تقسموا وقرئ
لنبيتنه بالتاء والياء والنون فتقاسموا مع التاء والنون يصح فيه الوجهان ومع الياء لا يصح فيه
إلا أن يكون خبرا والتقاسم والتقسم كالتظاهر والتظهر التحالف والبيات مباغتة العدو ليلا
وعن الإسكندر أنه أشير عليه بالبيات فقال ليس من آيين الملوك استراق الظفر وقرئ مهلك بفتح
الميم واللام وكسرها من هلك ومهلك بضم الميم من أهلك ويحتمل المصدر والمكان والزمان فإن قلت
كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فأتوا بالخبر على خلاف المخبر عنه قلت كأنهم اعتقدوا
أنهم إذا بيتوا صالحا وبيتوا أهله فجمعوا بين البياتين ثم قالوا ما شهدنا مهلك أهله فذكروا أحدهما كانوا
صادقين لأنهم فعلوا البياتين جميعا لا أحدهما وفي هذا دليل قاطع على أن الكذب قبيح عند الكفرة الذين
لا يعرفون الشرع ونواهيه ولا يخطر ببالهم ألا ترى أنهم قصدوا قتل نبي الله ولم يرضوا لأنفسهم بأن يكونوا
كاذبين حتى سووا للصدق في خبرهم حيلة يتفصون بها عن الكذب ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا
يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين مكرهم ما أخفوه من تدبير الفتك
بصالح وأهله ومكر الله إهلاكهم من حيث لا يشعرون شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة روي أنه
كان لصالح مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح أنه يفرغ منا إلى ثلاث فنحن نفرغ منه
ومن أهله قبل الثلاث فخرجوا إلى الشعب وقالوا إذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا إلى أهله فقتلناهم فبعث
الله صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم أين هم ولم
يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلا منهم في مكانه ونجى صالحا ومن معه وقيل جاءوا بالليل شاهري
سيوفهم وقد أرسل الله الملائكة ملء دار صالح فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا إنا
دمرناهم استئناف ومن قرأ بالفتح رفعه بدلا من العاقبة أو خبر مبتدأ محذوف تقديره هي تدميرهم أو
نصبه على معنى لأنا أو على أنه خبر كان أي كان عاقبة مكرهم الدمار فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في
ذلك لآية لقوم يعلمون وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون خاوية حال عمل فيها ما دل عليه تلك

وقرأ

وقرأ عيسى بن عمر خاوية بالرفع على خبر المبتدأ المحذوف ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة
وأنتم تبصرون أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون واذكر لوطا أو
وأرسلنا لوطا لدلالة ولقد أرسلنا عليه وإذ بدل على الأول ظرف على الثاني وأنتم تبصرون من بصر
القلب أي تعلمون أنها فاحشة لم تسبقوا إليها وأن الله إنما خلق الأنثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر
ولا الأنثى للأنثى فهي مضادة لله في حكمته وحكمه وعلمكم بذلك أعظم لذنوبكم وأدخل في القبح والسماجة
وفيه دليل على أن القبيح من الله أقبح منه من عباده لأنه أعلم العالمين وأحكم الحاكمين أو تبصرونها
بعضكم من بعض لأنهم كانوا في ناديهم يرتكبونها معالنين لا يستتر بعضهم من بعض خلاعة ومجانة و
انهماكا في المعصية وكان أبو نواس بنى على مذهبهم قوله وبح باسم من تأتي وذرني من الكنى فلا خير في
اللذات من دونها ستر أو تبصرون آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم فإن قلت فسرت تبصرون
بالعلم وبعده بل أنتم قوم تجهلون فكيف يكونون علماء جهلاء قلت أراد تفعلون فعل الجاهلين بأنها
فاحشة مع علمكم بذلك أو تجهلون العاقبة أو أراد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا عليها فإن قلت
تجهلون صفة لقوم والموصوف لفظه لفظ الغائب فهلا طابقت الصفة الموصوف فقرئ بالياء دون
التاء وكذلك بل أنتم قوم تفتنون قلت اجتمعت الغيبة والمخاطبة فغلبت المخاطبة لأنها أقوى و
أرسخ أصلا من الغيبة فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون
فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين وقرأ
الأعمش جواب قومه بالرفع والمشهورة أحسن يتطهرون يتنزهون عن القاذورات كلها فينكرون
هذا العمل القذر ويغيظنا إنكارهم وعن ابن عباس هو استهزاء قدرناها قدرنا كونها من الغابرين كقوله
تعالى قدرنا إنها لمن الغابرين فالتقدير واقع على الغبور في المعنى قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى
آلله خير أما يشركون أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يتلو هذه الآيات الناطقة بالبراهين على وحدانيته
وقدرته على كل شيء وحكمته وأن يستفتح بتحميده والسلام على أنبيائه والمصطفين من عباده وفيه
تعليم حسن وتوقيف على أدب جميل وبعث على التيمن بالذكرين والتبرك بهما والاستظهار بمكانهما على

قبول لما يلقى الى السامعين واصغائهم اليه وانزاله من قلوبهم المنزلة التى يبغيها المستمع ولقد
توارث العلماء والخطباء والوعاظ كابرا عن كابر هذا الادب فحمدوا الله وصلوا على رسول الله
امام كل علم مفاد وقبل كل عظة وتذكرة وفى مفتتح كل خطبة وتبعهم المترسلون فاجروا عليه اوائل
كتبهم فى الفتوح والتهانى وغير ذلك من الحوادث التى لها شان وقيل هو متصل بما قبله وامر بالتحميد
على الهالكين من كفار الامم والصلوة على الانبياء واشياعهم الناجين وقيل هو خطاب للوط عليه السلام
وان يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم
معلوم ان لا خير فيما اشركوه اصلا حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل خير ومالكه وانما هو
الزام لهم وتبكيت وتهكم بحالهم وذلك انهم آثروا عبادة الاصنام على عبادة الله ولا يؤثر عاقل شيئا
على شيء الا لداع يدعوه الى ايثاره من زيادة خير ومنفعة فقيل لهم مع العلم بانه لا خير فيما آثروه
وانهم لم يؤثروه لزيادة الخير ولكن هوى وعبثا لينبهوا على الخطاء المفرط والجهل المورط واضلالهم
التمييز ونبذهم المعقول وليعلموا ان الايثار يجب ان يكون للخير الزائد ونحوه ما حكاه عن فرعون
ام انا خير من هذا الذى هو مهين مع علمه انه ليس لموسى مثل انهاره التى كانت تجرى تحته ثم عدد
سبحانه الخيرات والمنافع التى هى آثار رحمته وفضله كما عددها فى موضع آخر ثم قال هل من شركائكم
من يفعل من ذلكم من شيء وقرئ تشركون بالتاء والياء وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قرأها
قال بل الله خير وابقى واجل واكرم • امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به
حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ءاله مع الله بل هم قوم يعدلون • فان قلت ما الفرق
بين ام وام فى اما تشركون وامن خلق قلت تلك متصلة لان المعنى ايهما خير وهذه منقطعة بمعنى بل
والهمزة لما قال الله تعالى آلله خير ام الالهة قال بل امن خلق السموات والارض خير تقريرا لهم بان من
قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شيء وقرأ الاعمش امن بالتخفيف ووجهه ان يجعل
بدلا من الله كانه قال امن خلق السموات والارض خير اما تشركون فان قلت اى نكتة فى نقل الاخبار عن
الغيبة الى التكلم عن ذاته فى قوله فانبتنا قلت تاكيد معنى اختصاص الفعل بذاته والايذان

انبات الحدائق المختلفة الاصناف والالوان والطعوم والروايح والاشكال مع حسنها وبهجتها
بماء واحد لا يقدر عليه الا هو وحده الا ترى كيف رشح معنى الاختصاص بقوله ما كان لكم ان تنبتوا
شجرها ومعنى الكينونة الانبغاء اراد ان تاتى ذلك محال من غيره وكذلك قوله بل هم قوم يعدلون بعد
الخطاب ابلغ فى تخطئة رايهم والحديقة البستان عليه حائط من الاحداق وهو الاحاطة وقيل ذات
لان المعنى جماعة حدائق ذات بهجة كما يقال النساء ذهبت والبهجة الحسن لان الناظر يبتهج به
ءاله مع الله اغيره يقرن به ويجعل شريكا له وقرئ ءالها مع الله بمعنى اتدعون او اتشركون
ولك ان تحقق الهمزتين وتوسط بينهما مدة وتخرج الثانية بين بين يعدلون به غيره او يعدلون
عن الحق الذى هو التوحيد • امن جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواسى
وجعل بين البحرين حاجزا ءاله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون • امن جعل وما بعده بدل من امن خلق
فكان حكمها حكمه قرارا دحاها وسواها للاستقرار عليها حاجزا كقوله برزخا • امن يجيب المضطر
اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض ءاله مع الله قليلا ما تذكرون • الضرورة الحالة
المحوجة الى اللجاء والاضطرار افتعال منها يقال اضطره الى كذا والفاعل والمفعول مضطر والمضطر
الذى احوجه مرض او فقر او نازلة من نوازل الدهر الى اللجاء والتضرع الى الله عز وجل وعن ابن
عباس هو المجهود وعن السدى الذى لا حول له ولا قوة وقيل المذنب اذا استغفر فان قلت قد عم
المضطرين بقوله يجيب المضطر اذا دعاه وكم من مضطر يدعو فلا يجاب قلت الاجابة موقوفة
على ان يكون المدعو به مصلحة ولهذا لا يحسن دعاء العبد الا شارطا فيه المصلحة واما المضطر
فمتناول للجنس مطلقا يصلح لكله ولبعضه فلا طريق الى الجزم على احدهما الا بدليل وقد قام الدليل
على البعض وهو الذى اجابته مصلحة فبطل التناول على العموم خلفاء الارض خلفاء فيها وذلك توارثهم
سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن او اراد بالخلافة الملك والتسلط وقرئ يذكرون بالياء مع
الادغام والحذف وما مزيدة اى يذكرون تذكرا قليلا والمعنى نفى التذكر والقلة تستعمل فى معنى النفى
امن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته ءاله مع الله تعالى الله

عما يشركون • يهديكم بالنجوم في السماء والعلامات في الارض اذا جن الليل عليكم مسافرين في البر
والبحر • أمن يبدؤا الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض أإله مع الله قل هاتوا
برهانكم ان كنتم صادقين • فان قلت كيف قيل لهم امن يبدؤا الخلق ثم يعيده وهم منكرون للاعادة
قلت قد ازيحت عليهم بالتمكين من المعرفة والاقرار فلم يبق لهم عذر في الانكار ومن السماء الماء ومن
الارض النبات ان كنتم صادقين ان مع الله الها فاين دليلكم عليه • قل لا يعلم من في السموات والارض
الغيب الا الله وما يشعرون ايان يبعثون • فان قلت لم رفع اسم الله والله يتعالى ان يكون ممن في السموات
والارض قلت جاء على لغة بني تميم حيث يقولون ما في الدار احد الا حمار يريدون ما فيها الا حمار كان احدا
لم يذكر ومنه قوله • عشية ما تغني الرماح مكانها ولا النبل الا المشرفي المصمم • وقولهم ما اتاني زيد
الا عمرو وما اعانه اخوانكم الا اخوانه فان قلت ما الداعي الى اختيار المذهب التميمي على الحجازي قلت
دعت اليه نكتة سرية حيث اخرج المستثنى مخرج قوله الا اليعافير بعد قوله ليس بها انيس
ليؤول المعنى الى قولك ان كان الله ممن في السموات والارض فهم يعلمون الغيب يعني ان علمهم الغيب
في استحالته كاستحالة ان يكون الله منهم كما ان معنى ما في البيت ان كانت اليعافير انيسا ففيها انيس
بتا للقول بخلوها عن الانيس فان قلت هلا زعمت ان الله ممن في السموات والارض كما يقول المتكلمون
الله في كل مكان على معنى ان علمه في الاماكن كلها فكان ذاته فيها حتى لا تحمله على مذهب بني تميم قلت
يأبى ذلك ان كونه في السموات والارض مجاز وكونهم فيهن حقيقة وارادة المتكلم بعبارة واحدة
حقيقة ومجازا غير صحيحة على ان قولك من في السموات والارض وجمعك بينه وبينهم في اطلاق
اسم واحد فيه ايهام تسوية والايهامات مزالة عنه وعن صفاته الا ترى كيف قال عليه السلام لمن
قال ومن يعصهما فقد غوى بئس خطيب القوم انت وعن عائشة رضي الله عنها من زعم انه يعلم ما في غد
فقد اعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وعن
بعضهم اخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه احدا لئلا يأمن احد من عبيده مكره وقيل نزلت في المشركين
حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة ايان بمعنى متى ولو سمي به لكان فعالا من آن

ولانصرف وقرئ إيان بكسر الهمزة • بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون • قرئ
بل أدرك بل ادّارك بل تدارك بل أأدرك بهمزتين بل آأدرك بالف بينهما بل ادّرك
بالتخفيف والنقل بلَ ادّرك بفتح اللام وتشديد الدال واصله بل أدرك على الاستفهام بلى أدرك
بلى أأدرك ام تدارك ام أدرك فهذه ثنتا عشرة قراءة وادّارك اصله تدارك فادغمت التاء في
الدال وادّرك افتعل ومعنى ادرك علمهم انتهى وتكامل وادّارك تتابع واستحكم وهو على وجهين
احدهما ان اسباب استحكام العلم وتكامله بان القيامة كائنة لا ريب فيها قد حصلت لهم ومكنوا من
معرفته وهم شاكون جاهلون وهو قوله بل هم في شك منها بل هم منها عمون يريد المشركين ممن في السموات
والارض لانهم لما كانوا في جملتهم نسب فعلهم الى الجميع كما يقال بنو فلان فعلوا كذا وانما فعله ناس منهم
فان قلت انه لآية سيقت لاختصاص الله بعلم الغيب وان العباد لا علم لهم بشيء منه وان وقت بعثهم
ونشورهم من جملة الغيب وهم لا يشعرون به فكيف لاءم هذا المعنى وصف المشركين بانكارهم البعث
مع استحكام اسباب العلم والتمكن من المعرفة قلت لما ذكر ان العباد لا يعلمون الغيب ولا يشعرون
بالبعث الكائن ووقته الذي يكون فيه وكان هذا بيانا لعجزهم ووصفا لقصور علمهم وصل به
ان عندهم عجزا ابلغ منه وهو انهم يقولون للكائن الذي لا بد ان يكون وهو وقت جزاء اعمالهم
لا يكون مع ان عندهم اسباب معرفة كونه واستحكام العلم به والوجه الثاني ان وصفهم باستحكام العلم
وتكامله تهكم بهم كما تقول لاجهل الناس ما اعلمك على سبيل الهزء وذلك حيث شكوا وعموا عن اثباته
الذي الطريق الى علمه مسلوك فضلا ان يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق الى معرفته وفي ادرك
علمهم وادارك علمهم وجه آخر وهو ان يكون ادرك بمعنى انتهى وفني من قولك ادركت الثمرة لان تلك
غايتها التي عندها تعدم وقد فسره الحسن باضمحل علمهم وتدارك من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا
في الهلاك فان قلت فما وجه قراءة من قرأ بل أأدرك على الاستفهام قلت هو استفهام على وجه الانكار
لادراك علمهم وكذلك من قرأ ام ادرك وام تدارك لانها ام التي بمعنى بل والهمزة فان قلت فمن قرأ
بلى ادرك وبلى أأدرك قلت لما جاء ببلى بعد قوله وما يشعرون كان معناه بلى يشعرون ثم فسر الشعور

بقوله ادرك علمهم في الآخرة على سبيل التهكم الذي معناه المبالغة في نفي العلم فكأنه قال شعورهم بوقت
الآخرة انهم لا يعلمون كونها فيرجع الى نفي الشعور على ابلغ ما يكون واما من قرأ بل أادرك على الاستفهام
فمعناه بل يشعرون متى يبعثون ثم انكر علمهم بكونها واذا انكر علمهم بكونها لم يتحصل لهم شعور بوقت كونها
لان العلم بوقت الكائن تابع للعلم بكون الكائن في الآخرة في شأن الآخرة ومعناها فان قلت هذه
الاضرابات الثلث ما معناها قلت ما هي الا تنزيل لاحوالهم وصفهم اولا بانهم لا يشعرون وقت البعث
ثم بانهم لا يعلمون ان القيمة كائنة ثم بانهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه والازالة مستطاعة
الا ترى ان من لم يسمع اختلاف المذاهب وتضليل اربابها بعضهم لبعض كان امره اهون ممن سمع به وهو
جاثم لا يتخض به طلب التمييز بين الحق والباطل ثم بما هو اسوأ حالا وهو العمى وان يكون مثل البهيمة
قد عكف همه على بطنه وفرجه لا يخطر بباله حقا ولا باطلا ولا يفكر في عاقبة وقد جعل الآخرة مبدأ عماهم
ومنشأه فلذلك عداه بمن دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي جعلهم كالبهائم لا يتدبرون
ولا يتبصرون • وقال الذين كفروا أإذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون • العامل في اذا ما دل عليه
أئنا لمخرجون وهو نخرج لان بين يدي عمل اسم الفاعل فيه عقابا وهي همزة الاستفهام وان ولام
الابتداء وواحدة منها كافية فكيف اذا اجتمعن والمراد الاخراج من الارض او من حال الفناء الى الحيوة
وتكرير حرف الاستفهام بادخاله على اذا وان جميعا انكار على انكار وجحود عقيب جحود ودليل على كفر
مؤكد مبالغ فيه والضمير في انا لهم ولآبائهم لان كونهم ترابا قد تناولهم وآباءهم • لقد وعدنا هذا نحن
وآباؤنا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين • فان قلت
لم قدم في هذه الآية هذا على نحن وآباؤنا وفي آية اخرى قدم نحن وآباؤنا على هذا قلت التقديم دليل
على ان المقدم هو الغرض المتعمد بالذكر وان الكلام انما سيق لاجله ففي احدى الآيتين دل على ان اتخاذ
البعث هو الذي تعمد بالكلام وفي الاخرى على ان اتخاذ المبعوث بذلك الصدد لم تلحق علامة التأنيث
بفعل العاقبة لان تأنيثها غير حقيقي ولان المعنى كيف كان آخر امرهم واراد بالمجرمين الكافرين وانما عبر
عن الكفر بلفظ الاجرام ليكون لطفا للمسلمين في ترك الجرائم وتخوف عاقبتها الا ترى الى قوله فدمدم

عليهم ربهم بذنبهم وقوله مما خطيئاتهم اغرقوا • ولا تحزن عليهم لانهم لم يتبعوك ولم يسلموا فيسلموا وهم
قومه قريش كقوله فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا • ولا تحزن عليهم
ولا تكن في ضيق مما يمكرون • في حرج صدر من مكرهم وكيدهم لك ولا تبال بذلك فان الله
يعصمك من الناس يقال ضاق الشيء ضيقا وضيقا بالفتح والكسر وقد قرئ بهما والضيق ايضا تخفيف الضيق
قال الله تعالى ضيقا حرجا قرئ مخففا ومثقلا ويجوز ان يراد في امر ضيق من مكرهم • ويقولون متى
هذا الوعد ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون • استعجلوا العذاب
الموعود فقيل لهم عسى ان يكون ردفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فزيدت اللام للتأكيد كالباء في ولا
تلقوا بايديكم او ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم وازف لكم ومعناه تبعكم ولحقكم وقد عدي بمن قال
فلما ردفنا من عمير وصحبه تولوا سراعا والمنية تعنق • يعني دنونا من عمير وقرأ الاعرج ردف لكم
بوزن ذهب وهما لغتان والكسر افصح وعسى ولعل وسوف في وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق
الامر وجده وما لا مجال للشك بعده وانما يعنون بذلك اظهار وقارهم وانهم لا يعجلون بالانتقام
لادلالهم بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم بان عدوهم لا يفوتهم وان الرمزة الى الاغراض كافية من جهتهم فعلى
ذلك جرى وعد الله ووعيده • وان ربك لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون • الفضل
والفاضلة الافضال ولفلان فواضل في قومه وفضول ومعناه انه مفضل عليهم بتأخير العقوبة
وانه لا يعاجلهم بها واكثرهم لا يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه ولكنهم بجهلهم يستعجلون
وقوع العقاب وهم قريش • وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون • قرئ تكن يقال كننت
الشيء واكننته اذا سترته واخفيته يعني انه يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله صلعم
وكيدهم له وهو معاقبهم على ذلك بما يستوجبونه • وما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين
سمى الشيء الذي يغيب ويخفى غائبة وخافية فكانت التاء فيهما بمنزلتها في العافية والعاقبة ونظائرها
النطيحة والرمية والذبيحة في انها اسماء غير صفات ويجوز ان يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة
كالراوية في قولهم ويل للشاعر من راوية السوء كانه قال وما من شيء شديد الغيبوبة والخفاء

الا وقد علمه الله واحاط به واثبته في اللوح المبين الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة
ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وانه لهدى ورحمة للمؤمنين قد
اختلفوا في المسيح فتحزبوا فيه احزابا ووقع بينهم التناكر في اشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا وقد
نزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه لو انصفوا واخذوا به واسلموا يريد اليهود والنصارى للمؤمنين
لمن انصف منهم وآمن اي من بني اسرائيل او منهم ومن غيرهم بينهم بين من آمن بالقرآن ومن كفر به
ان ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم فان قلت ما معنى يقضي بحكمه ولا يقال زيد يضرب بضربه
ويمنع بمنعه قلت معناه بما يحكم به وهو عدله لانه لا يقضي الا بالعدل فسمى المحكوم به حكما او اراد
بحكمته وتدل عليه قراءة من قرأ بحكمه جمع حكمة وهو العزيز فلا يرد قضاؤه العليم بمن يقضي له
وبمن يقضي عليه او العزيز في انتقامه من المبطلين العليم بالفصل بينهم وبين المحقين فتوكل على الله انك
على الحق المبين امره بالتوكل على الله وقلة المبالاة باعداء الدين وعلل التوكل بانه على الحق الابلج
الذي لا يتعلق به الشك والظن وفيه بيان ان صاحب الحق حقيق بالوثوق بصنع الله وبنصرته و
ان مثله لا يخذل انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما انت بهادي
العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن باياتنا فهم مسلمون فان قلت انك لا تسمع الموتى يشبه
ان يكون تعليلا آخر للتوكل فما وجه ذلك قلت وجهه ان الامر بالتوكل جعل مسببا [illegible]
رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة المشركين واهل الكتاب من ترك اتباعه وتشييع ذلك
بالعداوة والاذى فلاءم ذلك ان يعلل توكل متوكل مثله بان اتباعهم امر قد يئس منه فلم يبق
الا الاستنصار عليهم لعداوتهم واستكفاء شرورهم واذاهم وشبهوا بالموتى وهم احياء صحاح
الحواس لانهم اذا سمعوا ما يتلى عليهم من آيات الله فكانوا اقماع القول لا تعيه آذانهم وكان سماعهم
كلا سماع كانت حالهم لانتفاء جدوى السماع كحال الموتى الذين فقدوا مصحح السماع وكذلك
تشبيههم بالصم الذين ينعق بهم فلا يسمعون وشبهوا بالعمي حيث يضلون الطريق ولا يقدر
احد ان ينزع ذلك عنهم ويجعلهم هداة بصراء الا الله عز وجل فان قلت ما معنى قوله اذا

مدبرين قلت هو تأكيد لحال الاصم لانه اذا تباعد عن الداعي بان تولى عنه مدبرا كان ابعد
عن ادراك صوته وقرئ ولا يسمع الصم وما انت بهادي العمي على الاصل وتهدي العمي وعن
ابن مسعود وما ان تهدي العمي وهداه عن الضلال كقولك سقاه عن العيمة اي ابعده عنها
بالسقي وابعده عن الضلال بالهدى ان تسمع اي ما يجدي اسماعك الا على الذين علم الله انهم يؤمنون
باياته اي يصدقون بها فهم مسلمون اي مخلصون من قوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله يعني جعله سالما
لله خالصا له واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا باياتنا
لا يوقنون سمي معنى القول ومؤداه بالقول وهو ما وعدوا من قيام الساعة والعذاب ووقوعه
حصوله والمراد مشارفة الساعة وظهور اشراطها وحين لا تنفع التوبة ودابة الارض الجساسة
جاء في الحديث ان طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وروي لها اربع قوائم
وزغب وريش وجناحان وعن ابن جريج في وصفها رأس ثور وعين خنزير واذن فيل وقرن ايل
وعنق نعامة وصدر اسد ولون نمر وخاصرة هر وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين
اثنا عشر ذراعا بذراع آدم عليه السلم وروي لا تخرج الا رأسها ورأسها يبلغ اعنان السماء او يبلغ السحاب
وعن ابي هريرة فيها من كل لون وما بين قرنيها فرسخ للراكب وعن الحسن لا يتم خروجها الا بعد ثلثة
ايام وعن علي رضي الله عنه انها تخرج ثلثة ايام والناس ينظرون فلا يخرج الا ثلثها وعن النبي صلى الله عليه
وسلم انه سئل من اين تخرج الدابة فقال من اعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام وروي
انها تخرج ثلث خرجات تخرج باقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهرا طويلا فبينا الناس
في اعظم المساجد حرمة واكرمها على الله فما يهولهم الا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن
يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة وقيل تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية
بلسان ذلق فتقول ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون يعني ان الناس كانوا لا يوقنون بخروجي
لان خروجها من الآيات وتقول الا لعنة الله على الظالمين وعن السدي تكلمهم ببطلان الاديان كلها
سوى دين الاسلام وعن ابن عمر تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل المشرق ثم الشام

ثم اليمن فتفعل مثل ذلك وروي تخرج من أجياد وروي بينا عيسى عم يطوف بالبيت ومعه المسلمون
اذ تضطرب الارض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا
ومعها عصا موسى عم وخاتم سليمن فتضرب المؤمن في مسجده او فيما بين عينيه بعصا موسى فتنكت
نكتة بيضاء فيفشو تلك النكتة في وجهه حتى يضيء لها وجهه او فتترك وجهه كانه كوكب
دري وتكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم في انفه فيفشو النكتة حتى يسود لها
وجهه وتكتب بين عينيه كافر وروي فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتخطم انف الكافر بالخاتم ثم
تقول لهم يا فلان انت من اهل الجنة ويا فلان انت من اهل النار وقرئ تكلمهم من الكلم وهو الجرح
والمراد به الوسم بالعصا والخاتم ويجوز ان يكون تكلمهم من الكلم ايضا على معنى التكثير يقال فلان مكلم
اي مجرح ويجوز ان يستدل بالتخفيف على ان المراد بالتكليم التجريح كما فسر لنحرقنه بقراءة علي
لنحرقنه وان يستدل بقراءة ابي تنبئهم وبقراءة ابن مسعود تكلمهم بان الناس على انه من الكلام
والقراءة بان مكسورة حكاية لقول الدابة اما لان الكلام بمعنى القول او باضمار القول اي تقول
الدابة ذلك او هي حكاية لقوله تعالى عند ذلك فان قلت اذا كانت حكاية لقول الدابة فكيف تقول
باياتنا قلت قولها حكاية لقول الله او على معنى بايات ربنا او لاختصاصها بالله واثرتها عنده
وانها من خواص خلقه اضافت ايات الله الى نفسها كما يقول بعض خاصة الملك خيلنا وبلادنا
وانما هي خيل مولاه وبلاده ومن قرأ بالفتح فعلى حذف الجار اي تكلمهم بان • ويوم نحشر من كل
امة فوجا ممن يكذب باياتنا فهم يوزعون • فهم يوزعون يحبس اولهم على آخرهم حتى يجتمعوا
فيكبكبوا في النار وهذه عبارة عن كثرة العدد وتباعد اطرافه كما وصفت جنود سليمن
بذلك عم وكذلك قوله فوجا فان الفوج الجماعة الكثيرة ومنه قوله تعالى يدخلون في دين الله افواجا
وعن ابن عباس رضي ابو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي اهل مكة
وكذلك يحشر قادة سائر الامم بين ايديهم الى النار فان قلت اي فرق بين من الاولى والثانية
قلت الاولى للتبعيض والثانية للتبيين كقوله من الاوثان • حتى اذا جاءوا قال اكذبتم •

ولم تحيطوا بها علما اماذا كنتم تعملون • ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون • الواو للحال
كانه قال اكذبتم بها بادي الرأي من غير فكر ولا نظر يؤدي الى احاطة العلم بكنهها وانها حقيقة
بالتصديق او بالتكذيب او للعطف اي اجحدتموها ومع جحودكم لم تلقوا اذهانكم لتحققها و
تبصرها فان المكتوب اليه قد يجحد ان يكون الكتاب من عند من كتبه ولا يدع مع ذلك ان
يقرأها ويتفهم مضامينه ويحيط بمعانيه ام ماذا كنتم تعملون بها للتبكيت لا غير وذلك انهم
لم يعملوا الا التكذيب فلا يقدرون ان يكذبوا ويقولوا قد صدقنا بها وليس الا التصديق بها او
التكذيب ومثاله ان تقول لراعيك وقد عرفته رويعي سوء اتأكل نعمي ام ماذا تعمل بها فتجعل ما ابتدأت
به وجعلته اصل كلامك وأساسه هو الذي صح عندك من اكله وفساده وترمي بقولك ام ماذا
تعمل بها مع علمك انه لا يعمل بها الا الاكل لتبهته وتعلمه علمك بانه لا يجيء منه الا اكلها وانه لا يقدر
ان يدعي الحفظ والاصلاح لما شهر من خلاف ذلك واراد اما كان لكم عمل في الدنيا الا الكفر والتكذيب
بايات الله اماذا كنتم تعملون من غير ذلك يعني انه لم يكن لهم عمل غيره كانهم لم يخلقوا الا للكفر والمعصية
وانما خلقوا للايمان والطاعة يخاطبون بهذا قبل كبهم في النار ثم يكبون فيها وذلك قوله ووقع القول
عليهم يريد ان العذاب الموعود يغشاهم بسبب ظلمهم وهو التكذيب بايات الله فيشغلهم عن النطق و
الاعتذار كقوله هذا يوم لا ينطقون • الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في
ذلك لايات لقوم يؤمنون • جعل الابصار للنهار وهو لاهله فان قلت ما للتقابل لم يراع في
قوله ليسكنوا ومبصرا حيث كان احدهما علة والآخر حالا قلت هو مراعى من حيث المعنى وهكذا
النظم المطبوع غير المتكلف لان معنى مبصرا ليبصروا فيه طرق التقلب في المكاسب • ويوم ينفخ في
الصور ففزع من في السموات ومن في الارض الا ما شاء الله وكل اتوه داخرين • فان قلت لم
قيل ففزع دون فيفزع قلت لنكتة وهي الاشعار بتحقق الفزع وثبوته وانه كائن لا محالة
واقع على اهل السموات والارض لان الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا به والمراد
فزعهم عند النفخة الاولى حتى يصعقون الا من شاء الله الا من ثبت الله قلبه من الملائكة قالوا

هم جبرئيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وقيل الشهداء وعن الضحاك الحور وخزنة النار و
حملة العرش وعن جابر منهم موسى لانه صعق مرة ومثله قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات
ومن في الارض الا من شاء الله وقرئ اتوه واتاه ودخرين فالجمع على المعنى والتوحيد على اللفظ و
الداخر والدخر الصاغر وقيل معنى الاتيان حضورهم الموقف بعد النفخة الثانية ويجوز ان يراد
رجوعهم الى امره وانقيادهم له • وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي
اتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء
بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون • جامدة من جمد في مكانه اذا لم
يبرح تجمع الجبال فتسير كما تسير الريح السحاب فاذا نظر اليها الناظر حسبها واقفة ثابتة في مكان واحد
وهي تمر مرا حثيثا كما يمر السحاب وهكذا الاجرام العظام المتكاثرة العدد اذا تحركت لا تكاد
تتبين حركتها كما قال النابغة في صفة جيش • بارعن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج والركاب
تهملج • صنع الله من المصادر المؤكدة كقوله وعد الله وصبغة الله الا ان مؤكده محذوف وهو
الناصب ليوم ينفخ والمعنى ويوم ينفخ في الصور وكان كيت وكيت اثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين
ثم قال صنع الله يريد به الاثابة والمعاقبة وجعل هذا الصنع من جملة الاشياء التي اتقنها واتى بها
على الحكمة والصواب حيث قال صنع الله الذي اتقن كل شيء يعني ان مقابلته الحسنة بالثواب و
السيئة بالعقاب من جملة احكامه للاشياء واتقانه لها واجرائه لها على قضايا الحكمة انه عالم
بما يفعل العباد وبما يستوجبون عليه فيكافيهم على حسب ذلك ثم لخص ذلك بقوله من جاء بالحسنة
الى الآيتين فانظر الى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانة اضماده ورصانة تفسيره
واخذ بعضه بحجزة بعض كانما افرغ افراغا واحدا ولامر ما اعجز القوى واخرس الشقاشق ونحو
هذا المصدر اذا جاء عقيب كلام جاء كالشاهد بصحته والمنادي على سداده وانه ما كان ينبغي
ان يكون الا كما قد كان الا ترى الى قوله صنع الله وصبغة الله ووعد الله وفطرة الله بعد ما وسمها
باضافتها اليه بسمة التعظيم كيف تلاها بقوله الذي اتقن كل شيء ومن احسن من الله صبغة

الله لا يخلف الميعاد لا تبديل لخلق الله وقرئ تفعلون على الخطاب فله خير منها يريد الاضعاف
وان العمل يتقضى والثواب يدوم وشتان ما بين فعل العبد وفعل السيد وقيل فله خير منها اي
خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعن ابن عباس الحسنة كلمة الشهادة وقرئ يومئذ مفتوحا مع الاضافة
لانه اضيف الى غير متمكن ومنصوبا مع تنوين فزع فان قلت ما الفرق بين الفزعين قلت الفزع الاول
هو ما لا يخلو منه احد عند الاحساس بشدة تقع وهول يفجأ من رعب وهيبة وان كان المحسن يأمن
لحاق الضرر به كما يدخل الرجل على الملك بصدر هياب وقلب وجاب وان كانت ساعة اعزاز
وتكرمة واحسان وتولية واما الثاني فالخوف من العذاب فان قلت فمن قرأ من فزع بالتنوين ما معناه
قلت يحتمل معنيين من فزع واحد وهو خوف العقاب واما ما يلحق الانسان من التهيب والرعب لما
يرى من الاهوال والعظائم فلا يخلون منه لان البشرية تقتضي ذلك وفي الاخبار والآثار ما يدل عليه
ومن فزع شديد مفرط الشدة لا يكتنهه الوصف وهو خوف النار امن يعدى بالجار وبنفسه كقوله
افأمنوا مكر الله وقيل السيئة الاشراك يعبر عن الجملة بالوجه والرأس والرقبة فكانه قيل فكبوا
في النار كقوله فكبكبوا فيها ويجوز ان يكون ذكر الوجوه ايذانا بانهم يكبون على وجوههم فيها منكوسين
هل تجزون يجوز فيه الالتفات وحكاية ما يقال لهم عند الكب باضمار القول • انما امرت ان اعبد
رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وامرت ان اكون من المسلمين وان اتلو القرآن فمن اهتدى
فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل انما انا من المنذرين • امر رسوله بان يقول امرت ان اخص الله
وحده بالعبادة ولا اتخذ له شريكا كما فعلت قريش وان اكون من الحنفاء الثابتين على ملة الاسلام
وان اتلو القرآن من التلاوة او التلو كقوله واتبع ما يوحى اليك والبلدة مكة حرسها الله اختصها من بين
سائر البلاد باضافة اسمه اليها لانها احب بلاده اليه واكرمها عليه واعظمها عنده وهكذا قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين خرج في مهاجره فلما بلغ الحزورة استقبلها بوجهه الكريم فقال اني اعلم انك
لاحب بلاد الله الى الله ولولا ان اهلك اخرجوني ما خرجت واشار اليها اشارة تعظيم لها وتقريب
دالا على انها موطن نبيه ومهبط وحيه ووصف ذاته بالتحريم الذي هو خاص وصفها فاجزل بذلك

قيمها في الشرف والعلو ووصفها بانها محرمة لا ينتهك حرمتها الا ظالم مضاد لربه ومن يرد
فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها واللاجئ
اليها آمن وجعل دخول كل شيء تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها تحتهما وفي ذلك اشارة
الى ان ملكا ملك مثل هذه البلدة عظيم الشان قد ملكها وملك اليها كل شيء اللهم بارك لنا في
سكناها وآمنا فيها شر كل ذي شر ولا تنقلنا من جوار بيتك الا الى دار رحمتك وقرئ التي حرمها
واتل عليهم هذا القرآن عن ابي وان اتل عن ابن مسعود فمن اهتدى باتباعه اياي فيما انا بصدده
من توحيد الله ونفي الانداد عنه والدخول في الملة الحنيفية واتباع ما انزل علي من الوحي
فمنفعة اهتدائه راجعة اليه لا الي ومن ضل ولم يتبعني فلا علي وما انا الا رسول منذر وما
على الرسول الا البلاغ • وقل الحمد لله سيريكم اياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون • ثم امره ان
يحمد الله على ما خوله من نعمة النبوة التي لا توازيها نعمة وان يهدد اعداءه بما سيريهم الله من آياته
التي تلجئهم الى المعرفة والاقرار بانها آيات الله وذلك حين لا تنفعهم المعرفة يعني في الآخرة عن الحسن
وعن الكلبي الدخان وانشقاق القمر وما حل بهم من نقمات الله في الدنيا وقيل هو كقوله سنريهم آياتنا
في الآفاق وفي انفسهم الآية وكل عمل يعملونه فالله عالم به غير غافل عنه لان الغفلة والسهو لا يجوزان
على عالم الذات وهو من وراء جزاء العاملين قرئ تعملون بالتاء والياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قرأ طس سليمان كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به وهود وشعيب و
صالح وابرهيم ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله **سورة القصص مكية وهي ثمانون آية**
بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك
من نبا موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون • من نبا موسى وفرعون مفعول نتلو اي نتلو عليك
بعض خبرهما بالحق محقين كقوله تنبت بالدهن لقوم يؤمنون لمن سبق في علمنا انه يؤمن لان
التلاوة انما تنفع هؤلاء دون غيرهم • ان فرعون علا في الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف طائفة
منهم يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين • ان فرعون جملة مستانفة كالتفسير

للجملة كان قائلا قال وكيف كان نباهما فقال ان فرعون علا في الارض يعني ارض مملكته قد طغى
فيها وجاوز الحد في الظلم والعسف شيعا فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك احد منهم ان
يلوي عنقه قال الاعشى وبلدة يرهب الجواب دلجتها حتى تراه عليها يبتغي الشيعا او يشيع
بعضهم بعضا في طاعته او اصنافا في استخدامه يسخر صنفا في بناء وصنفا في حرث وصنفا في حفر
ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية او فرقا مختلفة قد اغرى بينهم العداوة وهم بنو اسرائيل والقبط
والطائفة المستضعفة بنو اسرائيل وسبب ذبح الابناء ان كاهنا قال له يولد مولود في بني
اسرائيل يذهب ملكك على يده وفيه دليل بين على ثخانة حمق فرعون فانه ان صدق الكاهن لم يدفع
القتل الكائن وان كذب فما وجه القتل ويستضعف حال من الضمير في وجعل او صفة لشيعا او كلام مستانف
ويذبح بدل من يستضعف وقوله انه كان من المفسدين بيان ان القتل ما كان الا فعل المفسدين
فحسب لانه فعل لا طائل تحته صدق الكاهن او كذب • ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض
ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين • فان قلت علام عطف قوله ونريد ان نمن وعطفه على نتلو ويستضعف
غير سديد قلت هي جملة معطوفة على قوله ان فرعون علا في الارض لانها نظيرة تلك في وقوعها تفسيرا
لنبا موسى وفرعون واقتصاصا له ونريد حكاية حال ماضية ويجوز ان يكون حالا من يستضعف اي
يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان نمن عليهم فان قلت كيف يجتمع استضعافهم وارادة الله المنة عليهم
واذا اراد الله شيئا كان ولم يتوقف الى وقت آخر قلت لما كانت منة الله بخلاصهم من فرعون
قريبة الوقوع جعلت ارادة وقوعها كانها مقارنة لاستضعافهم ائمة مقدمين في الدين والدنيا
يطا الناس اعقابهم وعن ابن عباس قادة يقتدى بهم في الخير وعن مجاهد دعاة الى الخير وعن قتادة
ولاة كقوله تعالى وجعلكم ملوكا الوارثين يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم • ونمكن لهم
في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون • مكن له اذا جعل له مكانا
يقعد عليه او يرقد فوطاه ومهده ونظيره ارض له ومعنى التمكين لهم في الارض وهي ارض مصر و
الشام ان يجعلها بحيث لا تنبو بهم ولا تغث عليهم كما كانت في ايام الجبابرة وينفذ امرهم ويطلق ايديهم

ويسلطهم وقرئ ويرى فرعون وهامان وجنودهما اى يرون منهم ما حذروه من ذهاب ملكهم
وهلاكهم على يد مولود منهم • واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم
ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين • اليم البحر قيل هو نيل مصر فان قلت ما المراد
بالخوفين حتى اوجب احدهما ونهى عن الآخر قلت اما الاول فالخوف عليه من القتل لانه كان اذا
صاح خافت ان يسمع الجيران صوته فينموا عليه واما الثاني فالخوف من الغرق ومن الضياع و
الوقوع في يد بعض العيون المبثوثة من قبل فرعون في تطلب الولدان وغير ذلك من المخاوف فان قلت
ما الفرق بين الخوف والحزن قلت الخوف غم يلحق الانسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو
فراقه والاخطار به فنهيت عنهما جميعا واومنت بالوحي اليها ووعدت ما يسليها ويطامن قلبها
ويملؤها غبطة وسرورا وهو رده اليها وجعله من المرسلين وروي انه ذبح في طلب موسى تسعون
الف وليد وروي انها حين اقربت ضربها الطلق وكانت بعض القوابل الموكلات بحبالى بني اسرائيل
مصافية لها فقالت لها لينفعني حبك اليوم فعالجتها فلما وقع الى الارض هالها نور بين عينيه و
ارتعش كل مفصل منها ودخل حبه قلبها ثم قالت ما جئتك الا لاقتل مولودك واخبر فرعون
وجدت لابنك حبا ما وجدت مثله فاحفظيه فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته في خرقة
ووضعته في تنور مسجور ولم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا وهي لا
تدري مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فلما
الح فرعون في طلب الولدان اوحى الله اليها فالقته في اليم وقد روي انها ارضعته ثلثة اشهر في
تابوت من بردي مطلي بالقار من داخله • فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ان فرعون
وهامان وجنودهما كانوا خاطئين • اللام في ليكون هي لام كي التي معناها التعليل كقولك جئتك
لتكرمني سواء بسواء ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة لانه لم يكن داعيهم الى
الالتقاط ان يكون لهم عدوا وحزنا ولكن المحبة والتبني غير ان ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له
وثمرته شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لاجله وهو الاكرام الذي هو نتيجة المجيء

الذي هو ثمرة الضرب في قولك ضربته ليتأدب وتحريره ان هذه اللام حكمها حكم الاسد حيث استعيرت
لما يشبه التعليل كما يستعار الاسد لمن يشبه الاسد وقرئ وحزنا وهما لغتان كالعدم والعدم
كانوا خاطئين في كل شيء فليس خطاؤهم في تربية عدوهم ببدع منهم او كانوا مذنبين مجرمين فعاقبهم
الله بان ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على ايديهم وقرئ خاطين تخفيف خاطئين او خاطين
الصواب الى الخطاء • وقالت امرأة فرعون قرت عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا
وهم لا يشعرون • روي انهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه فعالجوا كسره
فاعياهم فدنت آسية فرأت في جوف التابوت نورا فعالجته ففتحته فاذا بصبي نوره بين
عينيه وهو يمص ابهامه لبنا فاحبوه وكانت لفرعون بنت برصاء وقالت له الاطباء لا تبرأ
الا من قبل البحر يوجد فيه شبه انسان دواؤها ريقه فلطخت البرصاء برصها بريقه فبرأت و
قيل لما نظرت الى وجهه برأت فقالت ان هذه لنسمة مباركة فهذا احد ما عطفهم عليه فقال الغواة
من قومه هو الصبي الذي نحذر منه فأذن لنا في قتله فهم بذلك فقالت آسية قرت عين لي ولك
فقال فرعون لك لا لي وروي في حديث لو قال هو قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها وهذا على
سبيل الفرض والتقدير اي لو كان غير مطبوع على قلبه كآسية لقال مثل قولها ولأسلم كما اسلمت هذا
ان صح الحديث تأويله والله اعلم بصحته وروي انها قالت له لعله من قوم آخرين ليس من بني اسرائيل
قرت عين خبر مبتدا محذوف ولا يقوى ان تجعله مبتدا ولا تقتلوه خبرا ولو نصب لكان اقوى و
قراءة ابن مسعود دليل على انه خبر قرأ لا تقتلوه قرت عين لي ولك بتقديم لا تقتلوه عسى ان ينفعنا
فان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع لاهله وذلك لما عاينت من النور وارتضاع الابهام
وبرء البرصاء ولعلها توسمت في سيمائه النجابة المؤذنة بكونه نفاعا او نتبناه فانه اهل للتبني
ولان يكون ولدا لبعض الملوك فان قلت وهم لا يشعرون حال فما ذو حالها قلت ذو حالها آل
فرعون وتقدير الكلام فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأة فرعون كذا وهم
لا يشعرون انهم على خطأ عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه وقوله ان فرعون الآية

جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطائهم وما احسن نظم هذا الكلام
عند المرتاض بعلم محاسن النظم • واصبح فؤاد ام موسى فارغا ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على
قلبها لتكون من المؤمنين • فارغا صفرا من العقل والمعنى انها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار
عقلها لما دهمها من فرط الجزع والدهش ونحوه قوله تعالى وافئدتهم هواء اي جوف لا عقول فيها ومنه
بيت حسان • الا ابلغ ابا سفيان عني فانت مجوف نخب هواء • وذلك ان القلوب مراكز العقول
الا ترى الى قوله فتكون لهم قلوب يعقلون بها وتدل عليه قراءة من قرا فرغا وقرئ قرعا اي خاليا من قولهم
اعوذ بالله من صفر الاناء وقرع الفناء وفرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اي هدر يعني بطل قلبها وذهب
وبقيت لا قلب لها من شدة ما ورد عليها لتبدي به لتصحر به والضمير لموسى والمراد بامره وقصته وانه ولدها
لولا ان ربطنا على قلبها بالهام الصبر كما يربط على الشيء المنفلت ليقر ويطمئن لتكون من المؤمنين من المصدقين
بوعد الله وهو قوله انا رادوه اليك ويجوز واصبح فؤادها فارغا من الهم حين سمعت ان فرعون عطف
عليه وتبناه ان كادت لتبدي بانه ولدها لانها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت لولا انا طامنا قلبها
وسكنا قلقه الذي حدث به من شدة الفرح والابتهاج لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لا بتبني
فرعون وتعطفه وقرئ موسيا بالهمز جعلت الضمة في جارة الواو وهي الميم كانها فيها فهمزت كما تهمز واو
وجوه • وقالت لاخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون • قصيه اتبعي اثره وتتبعي خبره
وقرئ فبصرت بالكسر يقال بصرت به عن جنب وعن جنابة بمعنى عن بعد وقرئ عن جانب وعن جنب
والجنب الجانب يقال قعد الى جنبه والى جانبه اي نظرت اليه مزورة متجانفة مخاتلة وهم لا
يحسون بانها اخته وكان اسمها مريم • وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل ادلكم على اهل بيت
يكفلونه لكم وهم له ناصحون • التحريم استعارة للمنع لان من حرم عليه الشيء فقد منعه الا ترى الى
قولهم محظور وحجر وذلك لان الله منعه ان يرضع ثديا فكان لا يقبل ثدي مرضع قط حتى اهمهم
ذلك والمراضع جمع مرضع وهي المراة التي ترضع او جمع مرضع وهو موضع الرضاع يعني الثدي او
الرضاع من قبل من قبل قصصها اثره روي انها لما قالت وهم له ناصحون قال هامان انها لتعرفه

وتعرف اهله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون والنصح اخلاص العمل من شائب الفساد • فرددناه
الى امه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون • فانطلقت
الى امها بامرهم فجاءت بها والصبي على يد فرعون يعلله شفقة عليه وهو يبكي يطلب الرضاع فحين
وجد ريحها استانس والتقم ثديها فقال لها فرعون ومن انت منه فقد ابى كل ثدي الا ثديك فقالت
اني امراة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها واجرى عليها وذهبت به الى بيتها
وانجز الله وعده في الرد فعندها ثبت واستقر في علمها ان سيكون نبيا وذلك قوله ولتعلم ان وعد
الله حق يريد وليثبت علمها ويتمكن • فان قلت كيف حل لها ان تاخذ الاجر على ارضاع ولدها قلت ما
كانت تاخذه على انه اجر على الرضاع ولكنه مال حربي كانت تاخذه على وجه الاستباحة وقوله ولكن
اكثرهم لا يعلمون داخل تحت علمها المعنى لتعلم ان وعد الله حق ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه حق فيرتابون
ويشبه التعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى فجزعت واصبح فؤادها فارغا يروى انها حين القت
التابوت في اليم جاءها الشيطان فقال لها يا ام موسى كرهت ان يقتل فرعون موسى فتوجري ثم ذهبت
فتوليت قتله فلما اتاها الخبر بان فرعون اصابه قالت وقع في يد العدو فنسيت وعد الله ويجوز
ان يتعلق ولكن بقوله ولتعلم ومعناه ان الرد انما كان لهذا الغرض الديني وهو علمها بصدق وعد الله
ولكن الاكثر لا يعلمون بان هذا هو الغرض الاصلي الذي ما سواه تبع له من قرة العين وذهاب الحزن
ولما بلغ اشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين • واستوى واعتدل وتم استحكامه
وبلغ المبلغ الذي لا يزاد عليه كما قال لقيط • واستحملوا امركم لله دركم • شزر المريرة لا قحما ولا ضرعا
وذلك اربعون سنة ويروى انه لم يبعث نبي الا على راس اربعين سنة العلم التوراة والحكم السنة
وحكمة الانبياء سنتهم قال الله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة وقيل معناه آتيناه سيرة
الحكماء العلماء وسمتهم قبل البعث فكان لا يفعل فعلا يستجهل فيه • ودخل المدينة على حين غفلة من
اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي
من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين قال رب اني ظلمت نفسي

فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم • المدينة مصر وقيل مدينة منف من ارض مصر وحين غفلتهم
ما بين العشائين وقيل وقت القائلة وقيل يوم عيد لهم هم مشتغلون فيه بلهوهم وقيل لما شب وعقل
اخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم فاخافوه فلا يدخل قرية الا على تغفل وقرأ سيبويه فاستعانه من شيعته
ممن شايعه على دينه من بني اسرائيل وقيل هو السامري من عدوه من مخالفيه من القبط وهو فاتون وكان
يتسخر الاسرائيلي لحمل الحطب الى مطبخ فرعون والوكز الدفع باطراف الاصابع وقيل بجمع الكف وقرأ ابن
مسعود فلكزه باللام فقضى عليه فقتله فان قلت لم جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلما لنفسه
واستغفر منه قلت لانه قتله قبل ان يؤذن له في القتل فكان ذنبا يستغفر منه وعن ابن جريج ليس
لنبي ان يقتل ما لم يؤمر • قال رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين بما انعمت علي يجوز ان يكون
قسما جوابه محذوف تقديره اقسم بانعامك علي بالمغفرة لاتوبن فلن اكون ظهيرا للمجرمين وان يكون
استعطافا كانه قال رب اعصمني بحق ما انعمت علي من المغفرة فلن اكون ان عصمتني ظهيرا للمجرمين واراد
بمظاهرة المجرمين اما صحبة فرعون وانتظامه في جملته وتكثيره سواده حيث كان يركب بركوبه
كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون واما مظاهرة من ادت مظاهرته الى الجرم والاثم
كمظاهرة الاسرائيلي المؤدية الى القتل الذي لم يحل له وعن ابن عباس لم يستثن فابتلي به مرة اخرى
لم يقل فلن اكون ان شاء الله وهذا نحو قوله ولا تركنوا الى الذين ظلموا وعن عطاء رحمه الله ان رجلا قال
له ان اخي يضرب بقلمه ولا يعدو رزقه قال فمن الرأس يعني من يكتب له قال خالد بن عبد الله القسري
قال فاين قول موسى وتلا هذه الاية وفي الحديث ينادي مناد يوم القيمة اين الظلمة واشباه الظلمة و
اعوان الظلمة حتى من لاق لهم دواة او برى لهم قلما فيجمعون في تابوت من حديد فيرمى به في جهنم وقيل
معناه بما انعمت علي من القوة فلن استعملها الا في مظاهرة اوليائك واهل طاعتك والايمان بك ولا
ادع قبطيا يغلب احدا من بني اسرائيل • فاصبح في المدينة خائفا يترقب فاذا الذي استنصره بالامس
يستصرخه قال له موسى انك لغوي مبين • يترقب المكروه وهو الاستقادة منه او الاخبار وما يقال فيه
ووصف الاسرائيلي بالغي لانه كان سبب قتل رجل وهو يقاتل آخر • فلما اراد ان يبطش بالذي

عدو لهما قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض
وما تريد ان تكون من المصلحين • وقرئ يبطش بالضم والذي هو عدو لهما القبطي لانه ليس على دينهما ولان
القبط كانوا اعداء بني اسرائيل والجبار الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم لا ينظر في العواقب
ولا يدفع بالتي هي احسن وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لامر الله ولما قال هذا افشى على موسى فانتشر الحديث
في المدينة ورقي الى فرعون وهموا بقتله • وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان الملأ يأتمرون
بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين • قيل الرجل مؤمن آل فرعون وكان ابن عم فرعون ويسعى يجوز
ارتفاعه وصفا لرجل وانتصابه حالا عنه لانه قد تخصص بان وصف بقوله من اقصى المدينة و
اذا جعل صلة لجاء لم يجز في يسعى الا الوصف والايتمار التشاور يقال الرجلان يتآمران ويأتمران
لان كل واحد منهما يأمر صاحبه بشيء او يشير عليه بامر والمعنى يتشاورون بسببك لك بيان وليس
بصلة الناصحين • فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين ولما توجه تلقاء مدين
قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل • يترقب التعرض له في الطريق وان يلحق تلقاء مدين قصدها
ومدين قرية شعيب عليه السلام سميت بمدين بن ابرهيم ولم تكن في سلطان فرعون وبينها وبين مصر
مسيرة ثمان وكان موسى عليه السلام لا يعرف اليها الطريق قال ابن عباس خرج وليس له علم بالطريق الا حسن ظنه
بربه وسواء السبيل وسطه ومعظم نهجه وقيل خرج حافيا لا يعيش الا بورق الشجر فما وصل حتى سقط
خف قدمه وقيل جاءه ملك على فرس بيده عنزة فانطلق به الى مدين • ولما ورد ماء مدين وجد
عليه امة من الناس يسقون • ماء مدين ماؤهم الذي يستقون منه وكان بئرا فيما روي ووروده
مجيئه والوصول اليه وجد عليه وجد فوق شفيره ومستقاه امة جماعة كثيفة العدد من اناس من
الناس مختلفين • ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء
وابونا شيخ كبير • من دونهم في مكان اسفل من مكانهم والذود الطرد والدفع وانما كانتا تذودان لان
على الماء من هو اقوى منهما فلا يتمكنان من السقي وقيل كانتا تكرهان المزاحمة على الماء وقيل لئلا تختلط
اغنامهما باغنامهم وقيل تذودان عن وجوههما نظر الناظر لتسترهما ما خطبكما ما شأنكما وحقيقته

ما تخطوبكما اي مطلوبكما من الذياد فسمى المخطوب خطبا كما سمي المشؤون شانا في قولهم ما شانك يقال
شانت شانه اي قصدت قصده وقرئ لا نسقي ونصدر والرعاء بضم النون والياء والراء والرعاء
اسم جمع كالرخال والثناء واما الرعاء بالكسر فقياس كصيام وقيام كبير كبير السن • فسقى لهما ثم تولى
الى الظل فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير • فسقى لهما فسقى غنمهما لاجلهما وروي ان الرعاة
كانوا يضعون على راس البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال وقيل عشرة وقيل اربعون وقيل مائة فاقله
وحده وروي انه سالهم دلوا من ماء فاعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكانت لا ينزعها الا اربعون
فاستقى بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة وروى غنمهما واصدرهما وروي انه دفعهم عن الماء حتى
سقى لهما وقيل كانت بئرا اخرى عليها الصخرة وانما فعل هذا رغبة في المعروف واغاثة للملهوف والمعنى
انه وصل الى ذلك الماء وقد ازدحمت عليه امة من اناس مختلفة متكاثفة العدد وراى الضعيفتين
من ورائهم مع غنيمتهما مترقبتين لفراغهم فما اخطات همته في دين الله تلك الفرصة مع ما كان به
من النصب وسقوط خف القدم والجوع ولكنه رحمهما فاغاثهما وكفاهما امر السقي في مثل تلك الزحمة
بقوة قلبه وقوة ساعده وما آتاه الله من الفضل في متانة الفطرة ورصانة الجبلة وفيه مع ارادة اقتصاص
امره وما اوتي من البطش والقوة وما لم يغفل عنه على ما كان به من انتهاز فرصة الاحتساب ترغيب
في الخير وانتهاز فرصه وبعث على الاقتداء في ذلك بالصالحين والاخذ بسيرهم ومذاهبهم فان قلت
لم ترك المفعول غير مذكور في قوله يسقون وتذودان ولا نسقي قلت لان الغرض هو الفعل لا المفعول
الا ترى انه انما رحمهما لانهما كانتا على الذياد وهم على السقي ولم يرحمهما لان مذودهما غنم ومسقيهم
ابل مثلا وكذلك قولهما لا نسقي حتى يصدر الرعاء المقصود فيه السقي لا المسقي فان قلت كيف
طابق جوابهما سؤاله قلت سالهما عن سبب الذود فقالتا السبب في ذلك انا امرأتان ضعيفتان
مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم فلا بد لنا من تاخير السقي الى ان يفرغوا وما لنا
رجل يقوم بذلك وابونا شيخ قد اضعفه الكبر فلا يصلح للقيام به ابانتا اليه عذرهما في توليهما السقي
بانفسهما فان قلت كيف ساغ لنبي الله الذي هو شعيب عليه السلم ان يرضى لابنتيه بسقي الماشية

الامر في نفسه ليس بمحظور فالدين لا يأباه واما المروة فالناس مختلفون في ذلك والعادات متباينة
فيه واحوال العرب فيه خلاف احوال العجم ومذهب اهل البدو فيه غير مذهب اهل الحضر خصوصا اذا
كانت الحالة حالة ضرورة اني لاي شيء انزلت الي قليل او كثير غث او سمين لفقير وانما عدى
فقير باللام لانه ضمن معنى سائل وطالب قيل ذكر ذلك وان خضرة البقل تتراءى في بطنه من الهزال
ما سأل الله الا اكلة ويحتمل ان يريد اني فقير من الدنيا لاجل ما انزلت الي من خير الدين وهو النجاة
من الظالمين لانه كان عند فرعون في ملك وثروة قال ذلك رضا بالبدل السني وفرحا به وشكرا له
وكان الظل ظل سمرة • فجاءته احداهما تمشي على استحياء قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا
فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين • على استحياء في موضع الحال
اي مستحيية متخفرة وقيل قد استترت بكم درعها روي انهما لما رجعتا الى ابيهما قبل الناس واغنامهما
حفل بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه
لي فتبعها موسى فالزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشي خلفي وانعتي لي الطريق فلما قص
عليه قصته قال له لا تخف فلا سلطان لفرعون بارضنا فان قلت كيف ساغ لموسى عليه السلم ان يعمل
بقول امرأة وان يمشي معها وهي اجنبية قلت اما العمل بقول امرأة فكما نعمل بقول الواحد حرا كان او
عبدا ذكرا كان او انثى في الاخبار وما كانت الا مخبرة عن ابيها بانه يدعوه ليجزيه واما مماشاته امرأة
اجنبية فلا باس بها في نظائر تلك الحال مع ذلك الاحتياط والتورع فان قلت كيف صح له اخذ الاجر
على البر والمعروف قلت يجوز ان يكون قد فعل ذلك لوجه الله وعلى سبيل البر والمعروف وقبل اطعام
شعيب واحسانه لا على سبيل اخذ الاجر ولكن على سبيل التقبل لمعروف مبتدأ كيف وقد قص عليه قصصه
وعرفه انه من بيت النبوة من اولاد يعقوب ومثله حقيق بان يضيف ويكرم خصوصا في دار
نبي من انبياء الله وليس بمنكر ان يفعل ذلك لاضطرار الفقر والفاقة طلبا للاجر وقد روي ما يعضد
كلا القولين روي انها لما قالت ليجزيك كره ذلك ولما قدم اليه الطعام امتنع وقال انا اهل بيت
لا نبيع ديننا بطلاع الارض ذهبا ولا ناخذ على المعروف ثمنا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من

نزل بنا وعن عطاء بن السائب رفع صوته بدعائه ليسمعهما فلذلك قيل له ليجزيك اجر ما سقيت اى
جزاء سقيك والقصص مصدر كالعلل سمى به المقصوص • قالت احديهما يا ابت استاجره ان خير
من استاجرت القوى الامين • كبراهما كانت تسمى صفراء والصغرى صفيراء وصفراء هى التى
ذهبت به وطلبت الى ابيها ان يستاجره وهى التى تزوجها وعن ابن عباس رض ان شعيبا احفظته
الغيرة فقال وما علمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر ونزع الدلو وانه صوب راسه حين
بلغته رسالته وامرها بالمشى خلفه وقولها ان خير من استاجرت القوى الامين كلام حكيم
جامع لا يزاد عليه لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان اعنى الكفاية والامانة فى القائم بامرك فقد
فرغ بالك وتم مرادك وقد استغنت بارسال هذا الكلام الذى سياقه سياق المثل والحكمة ان تقول
استاجره لقوته وامانته فان قلت كيف جعل خير من استاجرت اسما لان والقوى الامين خبرا قلت
هو مثل قوله • الا ان خير الناس حيا وهالكا اسير ثقيف عندهم فى السلاسل فى ان العناية هى سبب
التقديم وقد صدقت حتى جعل لها ما هو احق بان يكون خبرا اسما وورود الفعل بلفظ الماضى للدلالة
على انه امر قد جرب وعرف ومنه قولهم • اهون ما اعملت لسان ممخ • وعن ابن مسعود رضى الله عنه
افرس الناس ثلثة بنت شعيب وصاحب يوسف فى قوله عسى ان ينفعنا وابو بكر فى عمر روى انه
انكحه صفراء وقوله هاتين فيه دليل على انه كانت له غيرهما • قال انى اريد ان انكحك احدى ابنتى
هاتين على ان تاجرنى ثمانى حجج فان اتممت عشرا فمن عندك وما اريد ان اشق عليك ستجدنى ان شاء
الله من الصالحين • تاجرنى من اجرته اذا كنت له اجيرا كقولك ابوته اذا كنت له ابا وثمانى
حجج ظرفه او من اجرته كذا اذا اثبته اياه ومنه تعزية رسول الله صلى الله عليه وسلم اجركم الله و
رحمكم وثمانى حجج مفعول به ومعناه رعية ثمانى حجج فان قلت كيف صح ان ينكحه احدى ابنتيه من
غير تمييز قلت لم يكن ذلك عقدا للنكاح ولكن مواعدة ومواصفة امر قد عزم عليه ولو كان عقدا
لقال قد انكحتك ولم يقل انى اريد ان انكحك فان قلت كيف صح ان يمهرها اجارة نفسه فى رعية
الغنم ولا بد من تسليم ما هو مال الا ترى الى ابى حنيفة رحمه الله كيف منع ان تتزوج امراة بان يخدمها

وتجوز ان تتزوجها بان يخدمها عبده سنة او يسكنها داره سنة لانه فى الاول مسلم نفسه
وليس بمال وفى الثانى هو مسلم مالا وهو العبد او الدار قلت الامر على مذهب ابى حنيفة على ما ذكرت
واما الشافعى فقد جوز التزوج على الاجارة لبعض الاعمال والخدمة اذا كان المستاجر له او
المخدوم فيه امرا معلوما ولعل ذلك كان جائزا فى تلك الشريعة ويجوز ان يكون المهر شيئا آخر و
انما اراد ان يكون راعى غنمه هذه المدة واراد ان ينكحه ابنته فذكر له المرادين وعلق الانكاح بالرعية
على معنى انى افعل هذا اذا فعلت ذلك على وجه المعاهدة لا على وجه المعاقدة ويجوز ان
يستاجره لرعية ثمانى سنين بمبلغ معلوم ويوفيه اياه ثم ينكحه ابنته به ويجعل قوله على ان
تاجرنى ثمانى حجج عبارة عما جرى بينهما فان اتممت عمل عشر حجج فمن عندك فاتمامه من عندك
ومعناه فهو من عندك لا من عندى يعنى لا الزمكه ولا احتمه عليك ولكنك ان فعلته فهو منك
تفضل وتبرع والا فلا عليك وما اريد ان اشق عليك بالزام اتم الاجلين وايجابه فان قلت ما
حقيقة قولهم شققت عليه وشق عليه الامر قلت حقيقته ان الامر اذا تعاظمك فكانه شق
عليك ظنك باثنين تقول تارة اطيقه وتارة لا اطيقه او وعده المساهلة والمسامحة
من نفسه وانه لا يشق عليه فيما استاجره له من رعى غنمه ولا يفعل نحو ما يفعل المعاسرون من
المسترعين من المناقشة ومراعاة الاوقات والمداقة فى استيفاء الاعمال وتكليف الرعاة
اشغالا خارجة عن حد الشرع وهكذا كان الانبياء عليهم السلام آخذين بالاسمح فى معاملات الناس
ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شريكى فكان خير شريك لا يدارى ولا يشارى ولا يمارى
وقوله ستجدنى ان شاء الله من الصالحين يدل على ذلك يريد بالصلاح حسن المعاملة ووطاءة
الخلق ولين الجانب ويجوز ان يريد الصلاح على العموم ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد
باشتراطه مشية الله فيما وعد من الصلاح الاتكال على توفيقه فيه ومعونته لا انه يستعمل الصلاح
ان شاء الله وان شاء استعمل خلافه • قال ذلك بينى وبينك ايما الاجلين قضيت فلا عدوان
على والله على ما نقول وكيل • ذلك مبتدا وبينى وبينك خبره وهو اشارة الى ما عاهده عليه شعيب

يريد ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم بيننا جميعا لا يخرج كلانا عنه
لا انا عما شرطت علي ولا انت عما شرطت على نفسك ثم قال اي اجل قضيت من الاجلين
اطولهما الذي هو العشر او اقصرهما الذي هو الثماني فلا عدوان علي اي لا يعتدى علي في
طلب الزيادة عليه فان قلت تصور العدوان انما هو في احد الاجلين الذي هو الاقصر وهو
المطالبة بتتمة العشر فما معنى تعليق العدوان بهما جميعا قلت معناه كما اني ان طولبت بالزيادة
على العشر كان عدوانا لا شك فيه فكذلك ان طولبت بالزيادة على الثماني اراد بذلك تقرير
امر الخيار وانه ثابت مستقر وان الاجلين على السواء اما هذا واما هذا من غير تفاوت بينهما
في القضاء واما التتمة فموكولة الى رايي ان شئت اتيت بها والا لم اجبر عليها وقيل معناه
فلا اكون معتديا وهو في نفي العدوان عن نفسه كقولك لا اثم علي ولا تبعة علي وفي قراءة ابن
مسعود اي الاجلين ما قضيت وقرئ ايما بسكون الياء كقوله ● تنظرت نصرا والسماكين ايهما
علي من الغيث استهلت مواطره ● وعن ابن قطيب عدوان بالكسر فان قلت ما الفرق بين موقعي
ما المزيدة في القراءتين قلت وقعت في المستفيضة مؤكدة لابهام اي زائدة في شياعها وفي الشاذة
تاكيدا للقضاء كانه قال اي الاجلين صممت على قضائه وجردت عزيمتي له الوكيل الذي وكل
ولما استعمل في موضع الشاهد والمهيمن والمقيت عدي بعلى لذلك روي ان شعيبا كانت عنده عصي
الانبياء عليهم الصلوة والسلام فقال لموسى بالليل ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي فاخذ
عصا هبط بها ادم من الجنة ولم يزل الانبياء يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب فمسها وكان مكفوفا
فضن بها فقال غيرها فما وقع في يده الا هي سبع مرات فعلم ان له شانا وقيل اخذها جبريل بعد موت
ادم فكانت معه حتى لقي بها موسى ليلا وقيل اودعها شعيبا ملك في صورة رجل فامر بنته ان تاتيه
بعصا فاتته بها فردها سبع مرات فلم يقع في يدها غيرها فدفعها اليه ثم ندم لانها وديعة فتبعه فاختصما
فيها ورضيا ان يحكم بينهما اول طالع فاتاهما الملك فقال القياها فمن رفعها فهي له فعالجها الشيخ
فلم يطقها ورفعها موسى وعن الحسن ما كانت الا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا وعن الكلبي الشجرة

التي منها نودي شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما اصبح قال له شعيب اذا بلغت مفرق الطريق
فلا تاخذ على يمينك فان الكلا وان كان بها اكثر الا ان فيها تنينا اخشاه عليك وعلى الغنم فاخذت
الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها فمشى على اثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا بالتنين
قد اقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى دامية فلما ابصرها دامية والتنين
مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب مس الغنم فوجدها ملاى البطون غزيرة اللبن فاخبره موسى
ففرح وعلم ان لموسى والعصا شانا وقال له اني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل ادرع
ودرعاء فاوحي اليه في المنام ان اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما اخطات واحدة
الا وضعت ادرع ودرعاء فوفى له بشرطه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الاجلين قضى موسى
قال ابعدهما وابطاهما وروي انه قال قضى اوفاهما وتزوج صغراهما وهذا خلاف الرواية التي
سبقت ● فلما قضى موسى الاجل وسار باهله انس من جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا اني انست
نارا لعلي اتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون ● الجذوة باللغات الثلث وقرئ بهن
جميعا العود الغليظ كانت في راسه نار او لم تكن قال كثير ● باتت حواطب ليلى يلتمسن لها جزل
الجذى غير خوار ولا دعر ● وقال ● والقى على قبس من النار جذوة شديدا عليه حرها والتهابها ● فلما
اتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى اني انا الله رب العالمين
وان الق عصاك فلما راها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى اقبل ولا تخف انك
من الامنين اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك من الرهب فذانك
برهانان من ربك الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين ● من الاولى والثانية لابتداء الغاية
اي اتاه النداء من شاطئ الوادي من قبل الشجرة ومن الشجرة بدل من قوله من شاطئ الوادي بدل
الاشتمال لان الشجرة كانت نابتة على الشاطئ كقوله لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم وقرئ البقعة
بالضم والفتح والرهب بفتحتين وضمتين وفتح وسكون وضم وسكون وهو الخوف فان قلت ما معنى قوله
واضمم اليك جناحك من الرهب قلت فيه معنيان احدهما ان موسى عليه السلم لما قلب الله العصا حية

فزع واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء فقيل له إن اتقاءك بيدك فيه غضاضة
عند الأعداء فإذا ألقيتها فكما تنقلب حية فأدخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم أخرجها
بيضاء ليحصل الأمران اجتناب ما هو غضاضة عليك وإظهار معجزة أخرى والمراد بالجناح اليد
لأن يدي الإنسان بمنزلة جناحي الطائر وإذا أدخل يده اليمنى تحت عضده اليسرى فقد ضم
جناحه إليه والثاني أن يراد بضم جناحه إليه تجلده وضبطه وتشدده عند انقلاب العصا حية حتى
لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر لأنه إذا خاف نشر جناحيه وأرخاهما وإلا فجناحاه
مضمومان إليه مشمران ومنه ما يحكى عن عمر بن عبد العزيز رح أن كاتبا له كان يكتب بين يديه فانفلتت
منه فلتة ريح فخجل وانكسر فقام وضرب بقلمه الأرض فقال له عمر خذ قلمك واضمم إليك جناحك
وليفرخ روعك فإني ما سمعتها من أحد أكثر مما سمعتها من نفسي ومعنى قوله من الرهب من أجل
الرهب أي إذا أصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم إليك جناحك جعل الرهب الذي كان يصيبه
سببا وعلة فيما أمر به من ضم جناحه إليه ومعنى واضمم إليك جناحك وقوله اسلك يدك في
جيبك على أحد التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين وإنما كرر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين
وذلك أن الغرض في أحدهما خروج اليد بيضاء وفي الثاني إخفاء الرهب فإن قلت قد جعل الجناح
وهو اليد في أحد الموضعين مضموما وفي الآخر مضموما إليه وذلك قوله واضمم إليك جناحك وقوله
واضمم يدك إلى جناحك فما التوفيق بينهما قلت المراد بالجناح المضموم هو اليد اليمنى وبالمضموم إليه
اليد اليسرى وكل واحدة من يمنى اليدين ويسراهما جناح ومن بدع التفاسير أن الرهب الكم
بلغة حمير وأنهم يقولون أعطني مما في رهبك وليت شعري كيف صحته في اللغة وهل سمع من
الأثبات الثقات الذين ترتضى عربيتهم ثم ليت شعري كيف موقعه في الآية وكيف تطبيقه المفصل
كسائر كلمات التنزيل على أن موسى عليه السلام ما كان عليه ليلة المناجاة إلا زرمانقة من صوف
لا كمي لها فذانك قرئ مخففا ومشددا فالمخفف مثنى ذاك والمشدد مثنى ذلك برهانان حجتان
بينتان نيرتان فإن قلت لم سميت الحجة برهانا قلت لبياضها وإنارتها من قولهم للمرأة البيضاء

مطلب ما يحكى عن عمر بن العزيز

برهرهة بتكرير العين واللام معا والدليل على زيادة النون قولهم أبره الرجل إذا جاء بالبرهان
ونظيره تسميتهم إياها سلطانا من السليط وهو الزيت لإنارتها • قال رب إني قتلت منهم نفسا
فأخاف أن يقتلون وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني إني أخاف أن يكذبون
يقال ردأته أعنته والردء اسم ما يعان به فعل بمعنى مفعول به كما أن الدفء اسم لما يتدفأ به قال
سلامة بن جندل • وردئي كل أبيض مشرفي شحيذ الحد عضب ذي فلول • وقرئ ردا على التخفيف
كما قرئ الخب ردا يصدقني بالرفع والجزم صفة وجواب نحو وليا يرثني سواء فإن قلت تصديق
أخيه ما الفائدة فيه قلت ليس الغرض بتصديقه أن يقول له صدقت أو يقول للناس صدق
موسى وإنما هو أن يلخص بلسانه الحق ويبسط القول فيه ويجادل به الكفار كما يفعل الرجل المنطيق
ذو العارضة فذلك جار مجرى التصديق المفيد كما يصدق القول بالبرهان ألا ترى إلى قوله وأخي
هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي وفضل الفصاحة إنما يحتاج إليه لذلك لا لقوله صدقت
فإن سحبان وباقلا يستويان فيه أو يصل جناح كلامه بالبيان حتى يصدقه الذي يخاف تكذيبه
فأسند التصديق إلى هارون لأنه السبب فيه إسنادا مجازيا ومعنى الإسناد المجازي أن التصديق
حقيقة في المصدق فإسناده إليه حقيقة وليس في السبب تصديق ولكن استعير له الإسناد لأنه لابس
التصديق بالتسبب كما لابسه الفاعل بالمباشرة والدليل على هذا الوجه قوله إني أخاف أن يكذبون
وقراءة من قرأ ردا يصدقولي وفيها تقوية للقراءة بجزم يصدقني • قال سنشد عضدك بأخيك
ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون • العضد قوام اليد وبشدتها
تشتد قال طرفة • أبني لبينى لستم بيد إلا يدا ليست لها عضد • ويقال في دعاء الخير شد الله عضدك
وفي ضده فت الله في عضدك ومعنى سنشد عضدك بأخيك سنقويك به ونعينك فإما أن يكون ذلك
لأن اليد تشتد بشدة العضد والجملة تقوى بشدة اليد على مزاولة الأمور وإما لأن الرجل شبه
باليد في اشتدادها باشتداد العضد فجعل كأنه يد مشتدة بعضد شديدة سلطانا غلبة وتسلطا أو
حجة واضحة بآياتنا متعلق بنحو ما تعلق به في تسع آيات أي اذهبا بآياتنا أو بنجعل لكما سلطانا أي نسلطكما

بآياتنا او بلا يصلون اي تمتنعون منهم بآياتنا او هو بيان للغالبون لا صلة لامتناع تقدم الصلة
على الموصول ولو تأخر لم يكن الا صلة له ويجوز ان يكون قسما جوابه لا يصلون مقدما عليه او من لغو
القسم • فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين
سحر مفترى سحر تعمله انت ثم تفتريه على الله او سحر ظاهر افتراؤه او موصوف بالافتراء كسائر
انواع السحر وليس بمعجزة من عند الله في آبائنا حال منصوبة عن هذا اي كائنا في زمانهم وايامهم يريد ما
حدثنا بكونه فيهم ولا يخلو من ان يكونوا كاذبين في ذلك وقد سمعوا وعلموا بنحوه او يريدوا انهم لم يسمعوا
بمثله في فظاعته او ما كان الكهان يخبرون بظهور موسى ومجيئه بما جاء به وهذا دليل انهم حجوا وبهتوا
وما وجدوا ما يدفعون به ما جاءهم من الآيات الا قولهم هذا سحر وبدعة لم يسمعوا بمثلها • وقال موسى
ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون • يقول ربي اعلم
منكم بحال من اهله الله للفلاح الاعظم حيث جعله نبيا وبعثه بالهدى ووعده حسن العقبى يعني نفسه
ولو كان كما تزعمون كاذبا ساحرا مفتريا لما اهله لذلك لانه غني حكيم لا يرسل الكاذبين ولا ينبئ
الساحرين ولا يفلح عنده الظالمون وعاقبة الدار هي العاقبة المحمودة والدليل عليه قوله عز وجل اولئك
لهم عقبى الدار جنات عدن وقوله وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها
ان تختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقى الملائكة بالبشرى عند الموت فان قلت العاقبة المحمودة
والمذمومة كلتاهما يصح ان تسمى عاقبة الدار لان الدنيا اما ان تكون خاتمتها بخير او بشر فلم اختصت
خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون خاتمتها بالشر قلت قد وضع الله سبحانه الدنيا مجازا الى الآخرة
واراد بعباده ان لا يعملوا فيها الا الخير وما خلقهم الا لاجله ليتلقوا خاتمة الخير وعاقبة الخير
ومن عمل فيها خلاف ما وضعها الله له فقد حرف فاذن عاقبتها الاصلية هي عاقبة الخير واما عاقبة
السوء فلا اعتداد بها لانها من نتائج تحريف الفجار وقرأ ابن كثير قال موسى بغير واو وكذلك هو في مصاحف
اهل مكة وهي قراءة حسنة لان الموضع موضع سؤال وبحث عما اجابهم به موسى عند تسميتهم مثل تلك
الآيات الباهرة سحرا مفترى ووجه الاخرى انهم قالوا ذلك وقال موسى هذا ليوازن الناظر بين القول

والقول ويتبصر فساد احدهما وصحة الآخر وبضدها تتبين الاشياء وقرئ يكون بالتاء والياء •
وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيري فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا
لعلي اطلع الى اله موسى واني لاظنه من الكاذبين • روي انه لما امر ببناء الصرح جمع هامان العمال
حتى اجتمع خمسون الف بناء سوى الاتباع والاجراء وامر بطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير
فشيدوه حتى بلغ ما لم يبلغه بنيان احد من الخلق فكان الباني لا يقدر ان يقوم على رأسه يبني فبعث الله
جبريل عليه السلام عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت
الف الف رجل ووقعت قطعة في البحر وقطعة في المغرب ولم يبق احد من عماله الا قد هلك ويروى في
هذه القصة ان فرعون ارتقى فوقه فرمى بنشابة نحو السماء فاراد الله تبارك وتعالى ان يفتنهم فردت
اليه وهي ملطوخة بالدم فقال قد قتلت اله موسى فعندها بعث الله تعالى جبريل لهدمه والله اعلم بصحته
قصد بنفي علمه باله غيره نفي وجوده معناه ما لكم من اله غيري كما قال عز وجل قل اتنبئون الله بما لا يعلم
في السموات ولا في الارض معناه بما ليس فيهن وذلك لان العلم تابع للمعلوم لا يتعلق به الا على ما هو عليه
فاذا كان الشيء معدوما لم يتعلق به موجودا فمن ثم كان انتفاء العلم بوجوده لانتفاء وجوده وعبر
عن انتفاء وجوده بانتفاء العلم بوجوده ويجوز ان يكون على ظاهره وان الها غيره غير معلوم عنده ولكنه
مظنون بدليل قوله تعالى واني لاظنه من الكاذبين واذا ظن موسى كاذبا في اثباته الها غيره ولم يعلمه
كاذبا فقد ظن ان في الوجود الها غيره ولو لم يكن المخذول ظانا ظنا كاليقين بل عالما بصحة قول موسى
لقول موسى له لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر لما تكلف ذلك البنيان العظيم
ولما تعب في بنائه ما تعب لعله يطلع بزعمه الى اله موسى وان كان جاهلا مفرط الجهل به وبصفاته حيث
حسب انه في مكان كما كان هو في مكان وانه يطلع اليه كما كان يطلع اليه اذا قعد في عليته وانه
ملك السماء كما انه ملك الارض ولا ترى بينة اثبت شهادة على افراط جهله وغباوته وجهل ملائه و
غباوتهم من انهم راموا نيل اسباب السموات بصرح يبنونه وليت شعري اكان يلبس على اهل بلاده
ويضحك من عقولهم حيث صادفهم اغبى الناس واخلاهم من الفطن واشبههم بالبهائم بذلك ام كان في

نفسه بتلك الصفة وإن صح ما حكي من رجوع النشابة إليه ملطوخة بالدم فتهكم به بالفعل كما جاء
التهكم بالقول في غير موضع من كتاب الله بنظرائه من الكفرة ويجوز أن يفسر الظن على القول الأول
باليقين كقوله • فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج • ويكون بناء الصرح مناقضة لما ادعاه من العلم واليقين
وقد خفيت على قومه لغباوتهم وبلههم أو لم تخف عليهم ولكن كلا كان يخاف على نفسه سوطه
وسيفه وإنما قال أوقد لي يا هامان على الطين ولم يقل اطبخ لي الآجر واتخذه لأنه أول من عمل
الآجر فهو يعلمه الصنعة ولأن هذه العبارة أحسن طباقا لفصاحة القرآن وعلو طبقته وأشبه
بكلام الجبابرة وأمر هامان وهو وزيره ورديفه بالإيقاد على الطين منادى باسمه بيا في وسط
الكلام دليل التعظم والتجبر وعن عمر رضي الله عنه أنه حين سافر إلى الشام ورأى القصور المشيدة
بالآجر قال ما علمت أن أحدا بنى بالآجر غير فرعون والطلوع والاطلاع الصعود يقال طلع الجبل
واطلع بمعنى • واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون • الاستكبار بالحق
إنما هو لله عز وجل وهو المتكبر على الحقيقة أي المبالغ في كبرياء الشأن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيما حكى عن ربه الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في النار وكل
مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق يرجعون بالضم والفتح • فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر
كيف كان عاقبة الظالمين • فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم من الكلام المفخم الذي دل به على عظمة
شأنه وكبرياء سلطانه شبههم استحقارا لهم واستقلالا لعددهم وإن كانوا الكثير الكثير والجم
الغفير بحصيات أخذهن آخذ في كفه فطرحهن في البحر ونحو ذلك وألقينا فيها رواسي شامخات
وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم
القيمة والسموات مطويات بيمينه وما هي إلا تصويرات وتمثيلات لاقتداره وأن كل مقدور وإن
عظم وجل فهو مستصغر إلى جنب قدرته • وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيمة لا
ينصرون وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة هم من المقبوحين • فإن قلت ما معنى قوله
وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار قلت معناه ودعوناهم أئمة دعاة إلى النار وقلنا إنهم أئمة

دعاة

دعاة إلى النار كما يدعى خلفاء الحق أئمة دعاة إلى الجنة وهو من قولك جعله بخيلا وفاسقا
إذا دعاه وقال إنه بخيل وفاسق ويقول أهل اللغة في تفسير فسقه وبخله جعله بخيلا وفاسقا
ومنه قوله عز وعلا وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا ومعنى دعوتهم إلى النار دعوتهم
إلى موجباتها من الكفر والمعاصي ويوم القيمة لا ينصرون كما ينصر الأئمة الدعاة إلى الجنة ويجوز صح
خذلناهم حتى كانوا أئمة الكفر ومعنى الخذلان منع الألطاف وإنما يمنعها من علم أنها لا تنفع فيه وهو
المصمم على الكفر الذي لا تغني عنه الآيات والنذر ومجراه مجرى الكناية لأن منع الألطاف يردف
التصميم والغرض بذكره التصميم نفسه فكأنه قيل صمموا على الكفر حتى كانوا أئمة فيه دعاة إليه وإلى
سوء عاقبته فإن قلت وأي فائدة في ترك المردوف إلى الرادفة قلت ذكر الرادفة يدل على وجود
المردوف مع الدليل الشاهد بوجوده فيكون أقوى لإثباته من ذكره ألا ترى أنك تقول لولا أنه
مصمم على الكفر لقطع أمره مبتوت حكمه لما منعت منه الألطاف فبذكر منع الألطاف يحصل العلم بوجود
التصميم على الكفر وزيادة وهو قيام الحجة على وجوده ونصر هذا الوجه قوله ويوم القيمة لا ينصرون
أي كما خذلناهم في الدنيا وهم يوم القيمة مخذولون كما قال وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة أي
طردا وإبعادا عن الرحمة ويوم القيمة هم من المقبوحين أي من المطرودين المبعدين • ولقد آتينا
موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون • بصائر
نصب على الحال والبصيرة نور القلب الذي يستبصر به كما أن البصر نور العين الذي يبصر به يريد
آتيناه التوراة أنوارا للقلوب لأنها كانت عميا لا تستبصر ولا تعرف حقا من باطل وإرشادا لأنهم
كانوا يخبطون في ضلال ورحمة لأنهم لو عملوا بها وصلوا إلى نيل الرحمة لعلهم يتذكرون إرادة أن
يتذكروا شبهت الإرادة بالترجي فاستعير لها ويجوز أن يراد به ترجي موسى لتذكرهم كقوله تعالى لعله
يتذكر • وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ولكنا أنشأنا قرونا
فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب
الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون • الغربي

المكان الواقع في شق الغرب وهو المكان الذي وقع فيه ميقات موسى عليه السلم من الطور و
كتب الله له في الالواح والامر المقضي الى موسى الوحي الذي اوحي اليه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول وما كنت حاضر المكان الذي اوحينا فيه الى موسى ولا كنت من جملة المشاهدين للوحي اليه
او على الوحي اليه وهم نقباؤه الذين اختارهم للميقات حتى تقف من جهة المشاهدة على ما جرى من امر
موسى في ميقاته وكتبة التورية له في الالواح وغير ذلك فان قلت كيف يتصل قوله ولكنا انشانا قرونا
بهذا الكلام ومن اى وجه يكون استدراكا قلت اتصاله به وكونه استدراكا له من حيث ان معناه
ولكنا انشانا بعد عهد الوحي الى عهدك قرونا كثيرة فتطاول على آخرهم وهو القرن الذي انت فيهم العمر
اى امد انقطاع الوحي واندرست العلوم فوجب ارسالك اليهم فارسلناك وكسبناك العلم بقصص الانبياء
وقصة موسى كانه قال وما كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكنا اوحيناه اليك فذكر سبب الوحي الذي
هو اطالة الفترة ودل به على المسبب على عادة الله عز وجل في اختصاراته فاذن هذا الاستدراك
شبيه الاستدراكين بعده وما كنت ثاويا اى مقيما في اهل مدين وهم شعيب والمؤمنون به تتلو عليهم
آياتنا تقرؤها عليهم تعلما منهم يريد الآيات التي فيها قصة شعيب وقومه ولكنا ارسلناك واخبرناك
بها وعلمناكها اذ نادينا يريد مناداة موسى عم ليلة المناجاة وتكليمه ولكن علمناك رحمة وقرئ
رحمة بالرفع اى هي رحمة ما اتاهم من نذير في زمان الفترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة
ونحوه قوله لتنذر قوما ما انذر آباؤهم ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا
ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين لولا الاولى امتناعية وجوابها
محذوف والثانية تحضيضية واحدى الفائين للعطف والاخرى جواب لولا لكونها في حكم الامر
من قبل ان الامر باعث على الفعل والباعث والمحضض من واد واحد والمعنى ولولا انهم
قائلون اذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصي هلا ارسلت الينا رسولا محتجين علينا بذلك
لما ارسلنا اليهم يعني ان ارسال الرسول اليهم انما هو ليلزموا الحجة ولا يلزموها كقوله تعالى لئلا
يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير لولا ارسلت الينا

فنتبع آياتك فان قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب في الارسال لا القول
لدخول حرف الامتناع عليها دونه قلت القول هو المقصود بان يكون سببا لارسال الرسل ولكن العقوبة
لما كانت هي السبب للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كانها سبب الارسال بواسطة
القول فادخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية معنى السببية ويؤول معناه
الى قولك ولولا قولهم هذا اذا اصابتهم مصيبة لما ارسلنا ولكن اختيرت هذه الطريقة لنكتة وهي انهم
لو لم يعاقبوا مثلا على كفرهم وقد عاينوا ما الجئوا به الى العلم اليقين لم يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا
وانما السبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير لا التأسف على ما فاتهم من الايمان بخالقهم وفي هذا من الشهادة
القوية على استحكام كفرهم ورسوخه فيهم ما لا يخفى كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولما كانت
اكثر الاعمال تزاول بالايدي جعل كل عمل معبرا عنه باجتراح الايدي وتقديم الايدي وان كان من
اعمال القلوب وهذا من الاتساع في الكلام وتصيير الاقل تابعا للاكثر وتغليب الاكثر على الاقل فلما جاءهم
الحق من عندنا قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل قالوا ساحران
تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون فلما جاءهم الحق وهو الرسول المصدق بالكتاب المعجز مع سائر
المعجزات وقطعت معاذيرهم وسد طريق احتجاجهم قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى من الكتاب
المنزل جملة واحدة ومن قلب العصا حية وفلق البحر وغيرها من الآيات فجاؤا بالاقتراحات المبنية
على التعنت والعناد كما قالوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وما اشبه ذلك اولم يكفروا يعني
ابناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة في زمن موسى بما اوتي موسى وعن
الحسن قد كان للعرب اصل في ايام موسى فمعناه على هذا اولم يكفر آباؤهم قالوا في موسى وهرون
ساحران تظاهرا اى تعاونا وقرئ اظاهرا على الادغام وسحران بمعنى ذوا سحر او جعلوهما سحرين مبالغة
في وصفهما بالسحر او ارادوا نوعان من السحر بكل بكل واحد منهما فان قلت بم علقت قوله من قبل في
هذا التفسير قلت باولم يكفروا ولى ان اعلقه باوتي فينقلب المعنى الى ان اهل مكة الذين قالوا هذه
المقالة كما كفروا بمحمد عليه السلم وبالقرآن فقد كفروا بموسى وبالتورية وقالوا في موسى ومحمد عليهما السلم

ساحران تظاهرا وفي الكتابين سحران تظاهرا وذلك حين بعثوا الرهط الى رؤساء اليهود بالمدينة
يسالونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فاخبروهم انه نعته وصفته وانه في كتابهم فرجع الرهط الى قريش
فاخبروهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك ساحران تظاهرا • قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى
منهما اتبعه ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم ومن اضل ممن اتبع
هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين • هو اهدى منهما مما انزل على موسى ومما انزل
على هذا الشرط من نحو ما ذكرت انه شرط المدل بالامر المتحقق لصحته لان امتناع الاتيان بكتاب
اهدى من الكتابين امر معلوم متحقق لا مجال فيه للشك ويجوز ان يقصد بحرف الشك التهكم بهم فان قلت
ما الفرق بين فعل الاستجابة في الآية وبينه في قوله فلم يستجبه عند ذاك مجيب حيث عدي بغير
اللام قلت هذا الفعل يتعدى الى الدعاء بنفسه والى الداعي باللام ويحذف الدعاء اذا عدي الى الداعي
في الغالب فيقال استجاب الله دعاءه او استجاب له ولا يكاد يقال استجاب له دعاءه واما البيت فمعناه فلم يستجب
دعاءه على حذف المضاف فان قلت فالاستجابة تقتضي دعاء ولا دعاء هاهنا قلت قوله فأتوا بكتاب
امر بالاتيان والامر بعث على الفعل ودعاء اليه فكانه قال فان لم يستجيبوا دعاءك الى الاتيان بالكتاب
الاهدى فاعلم انهم قد الزموا ولم تبق لهم حجة الا اتباع الهوى ثم قال ومن اضل ممن لا يتبع في دينه الا
هواه بغير هدى من الله اي مطبوعا على قلبه ممنوع الالطاف ان الله لا يهدي اي لا يلطف بالقوم
الثابتين على الظلم الذين اللطف بهم عابث وقوله بغير هدى في موضع الحال يعني مخذولا مخلى
بينه وبين هواه • ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به
يؤمنون • قرئ وصلنا بالتشديد والتخفيف والمعنى ان القرآن اتاهم متتابعا متواصلا وعدا ووعيدا
وقصصا وعبرا ومواعظ ونصائح ارادة ان يتذكروا فيفلحوا او نزل عليهم نزولا متصلا بعضه في
اثر بعض كقوله وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين نزلت في مؤمني اهل
الكتاب عن رفاعة بن قرظة نزلت في عشرة انا احدهم وقيل في اربعين من مسلمي اهل الانجيل اثنان
وثلاثون جاؤوا مع جعفر من ارض الحبشة وثمانية من الشام والضمير في من قبله للقرآن • واذا يتلى

عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين • فان قلت اي فرق بين الاستينافين
انه وانا قلت الاول تعليل للايمان به لان كونه حقا من الله حقيق بان يؤمن به والثاني بيان لقوله
آمنا به لانه يحتمل ان يكون ايمانا قريب العهد وبعيده فاخبروا ان ايمانهم به متقادم لان آباءهم
القدماء قرأوا في الكتب الاول ذكره وابناءهم من بعدهم من قبله من قبل وجوده ونزوله مسلمين
كائنين على دين الاسلام لان الاسلام صفة كل موحد مصدق للوحي • اولئك يؤتون اجرهم
مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون • بما صبروا بصبرهم على الايمان
بالتوراة والايمان بالقرآن او بصبرهم على الايمان بالقرآن قبل نزوله وبعد نزوله او بصبرهم
على اذى المشركين واهل الكتاب ونحوه يؤتكم كفلين من رحمته بالحسنة السيئة بالطاعة المعصية
المتقدمة او بالحلم الاذى سلام عليكم توديع ومتاركة وعن الحسن كلمة حلم من المؤمنين لا نبتغي الجاهلين
لا نريد مخالطتهم وصحبتهم • واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم
لا نبتغي الجاهلين انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين • فان
قلت من خاطبوا بقولهم ولكم اعمالكم قلت اللاغين الذين دل عليهم قوله واذا سمعوا اللغو لا تهدي
من احببت لا تقدر ان تدخل في الاسلام كل من احببت ان يدخل فيه من قومك وغيرهم لانك عبد
لا تعلم المطبوع على قلبه من غيره ولكن الله يدخل في الاسلام من يشاء وهو الذي علم انه غير مطبوع على قلبه
وان الالطاف تنفع فيه فيقرن به الطافه حتى تدعوه الى القبول وهو اعلم بالمهتدين بالقابلين
الذين لا يقبلون قال الزجاج اجمع المسلمون انها نزلت في ابي طالب وذلك ان ابا طالب قال
عند موته يا معشر بني هاشم اطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عم
تأمرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن اخي قال اريد منك كلمة واحدة
فانك في آخر يوم من ايام الدنيا ان تقول لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله قال يا ابن اخي قد علمت
انك لصادق ولكني اكره ان يقال خرع عند الموت ولولا ان يكون عليك وعلى بني ابيك غضاضة
ومسبة بعدي لقلتها ولاقررت بها عينك عند الفراق لما ارى من شدة وجدك ونصيحتك

ولكني سوف اموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف • وقالوا ان نتبع الهدى
معك نتخطف من ارضنا اولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا و
لكن اكثرهم لا يعلمون • قالت قريش وقيل ان القائل الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف
نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب بذلك وانما نحن اكلة رأس
قليلون ان يتخطفونا من ارضنا فالقمهم الله الحجر بانه مكن لهم في الحرم الذي آمنه بحرمة البيت
وآمن قطانه بحرمته وكانت العرب في الجاهلية حولهم يتغاورون ويتناحرون وهم آمنون
في حرمهم لا يخافون وبحرمة البيت هم قارون بواد غير ذي زرع والثمرات والارزاق تجبى
اليهم من كل اوب فاذا خولهم الله ما خولهم من الامن والرزق بحرمة البيت وحدها وهم كفرة
عبدة اصنام فكيف يستقيم ان يعرضهم للتخوف والتخطف ويسلبهم الامن اذا ضموا الى حرمة
البيت حرمة الاسلام واسناد الامن الى اهل الحرم حقيقة والى الحرم مجاز يجبى اليه تجلب
وتجمع قرئ بالياء والتاء وقرئ تجنى بالنون من الجنى وتعديته بالى كقولك يجنى الي فيه
ويجنى الى الخافة وثمرات بضمتين وبضمة وسكون ومعنى الكلية الكثرة كقوله تعالى واوتيت
من كل شيء ولكن اكثرهم لا يعلمون متعلق بقوله من لدنا اي قليل منهم يقرون بان ذلك رزق
من عند الله واكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك ولا يفطنون له ولو علموا انه من عند الله لعلموا ان
الخوف والامن من عنده ولما خافوا التخطف اذا آمنوا به وخلعوا انداده فان قلت بم انتصب
رزقا قلت ان جعلته مصدرا جاز ان ينتصب بمعنى ما قبله لان معنى يجبى اليه ثمرات كل شيء
ويرزق ثمرات كل شيء واحد وان يكون مفعولا له وان جعلته بمعنى مرزوق كان حالا من
الثمرات لتخصصها بالاضافة كما تنتصب عن النكرة المتخصصة بالصفة • وكم اهلكنا من قرية
بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين • هذا تخويف لاهل
مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم من انعام الله عليهم بالرقود في ظلال الامن وخفض العيش
فغمطوا النعمة وقابلوها بالاشر والبطر فدمرهم الله وخرب ديارهم وانتصب معيشتها اما بحذف



الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه واما على الظرف بنفسه كقولك زيد ظني مقيم و
بتقدير حذف الزمان المضاف اصله بطرت ايام معيشتها كخفوق النجم ومقدم الحاج واما بتضمين
بطرت معنى كفرت وغمطت وقيل البطر سوء احتمال الغنى وهو ان لا يحفظ حق الله فيه الا قليلا
من السكنى قال ابن عباس لم يسكنها الا المسافر ومار الطريق يوما او ساعة ويحتمل ان شؤم معاصي
المهلكين بقي اثره في ديارهم فكل من سكنها من اعقابهم لم يبق فيها الا قليلا وكنا نحن الوارثين لتلك
المساكن من ساكنيها اي تركناها على حال لا يسكنها احد او خربناها وسويناها بالارض تتخلف الآثار
عن اصحابها حينا ويدركها الفناء فتتبع • وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا
يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون • وما كانت عادة ربك ان يهلك القرى
في كل وقت حتى يبعث في القرية التي هي امها اي اصلها وقصبتها التي هي اعمالها وتوابعها رسولا لالزام
الحجة وقطع المعذرة مع علمه انهم لا يؤمنون او وما كان في حكم الله وسابق قضائه ان يهلك القرى
في الارض حتى يبعث في ام القرى يعني مكة رسولا وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وقرئ امها
بضم الهمزة وكسرها لاتباع الجر وهذا بيان لعدله وتقدسه عن الظلم حيث اخبر بانه لا يهلكهم الا اذا
استحقوا الاهلاك بظلمهم ولا يهلكهم مع كونهم ظالمين الا بعد تاكيد الحجة والالزام ببعثة الرسل ولا
يجعل علمه باحوالهم حجة عليهم ونزه ذاته ان يهلكهم وهم غير ظالمين كما قال وما كان ربك ليهلك
القرى بظلم واهلها مصلحون فنص في قوله بظلم انه لو اهلكهم وهم مصلحون لكان ذلك ظلما منه وان
ذلك في غناه وحكمته منافية للظلم دل على ذلك بحرف النفي مع لامه كما قال الله تعالى وما كان الله ليضيع
ايمانكم • وما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وما عند الله خير وابقى افلا تعقلون • واي شيء
اصبتموه من اسباب الدنيا فما هو الا تمتع وزينة اياما قلائل وهي مدة الحيوة المنقضية وما عند الله
وهو ثوابه خير في نفسه من ذلك وابقى لان بقاءه دائم سرمد وقرئ يعقلون بالياء وهو ابلغ في الموعظة
وعن ابن عباس رضي ان الله خلق الدنيا وجعل اهلها ثلثة اصناف المؤمن والمنافق والكافر فالمؤمن
يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع • افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع

الحيوة الدنيا ثم هو يوم القيمة من المحضرين هذه الآية تقرير وايضاح للتي قبلها والوعد الحسن الثواب
لانه منافع دائمة على وجه التعظيم والاستحقاق واي شيء احسن منها ولذلك سمي الجنة بالحسنى ولاقيه
كقوله ولقيهم نضرة وسرورا وعكسه فسوف يلقون غيا من المحضرين من الذين احضروا النار
ونحوه لكنت من المحضرين فكذبوه فانهم لمحضرون قيل نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي جهل وقيل
في علي وحمزة وابي جهل وقيل في عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة فان قلت فسر لي الفائين وثم واخبرني
عن مواقعها قلت قد ذكر في الآية التي قبلها متاع الحيوة الدنيا وما عند الله وتفاوتهما ثم عقبه بقوله افمن
وعدناه على معنى ابعد هذا التفاوت الظاهر يسوى بين ابناء الآخرة وابناء الدنيا فهذا معنى الفاء الاولى
وبيان موقعها واما الثانية فللتسبيب لان لقاء الموعود مسبب عن الوعد الذي هو الضمان في الخبر
واما ثم فلتراخي حال الاحضار عن حال التمتيع لا لتراخي وقته عن وقته وقرئ ثم هو بسكون الهاء
كما قيل عضد في عضد تشبيها المنفصل بالمتصل وسكون الهاء في فهو وهو ولهو احسن لان الحرف
الواحد لا ينطق به وحده فهو كالمتصل ويوم يناديهم فيقول اين شركاءي الذين كنتم تزعمون
شركائي مبني على زعمهم وفيه تهكم فان قلت زعم يطلب مفعولين كقوله ولم ازعمك عن ذاك معزلا
فاين هما قلت محذوفان تقديره الذين كنتم تزعمونهم شركائي ويجوز حذف المفعولين في باب
ولا يصح الاقتصار على احدهما قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين اغوينا اغويناهم كما
غوينا تبرانا اليك ما كانوا ايانا يعبدون الذين حق عليهم القول الشياطين وائمة الكفر
ومعنى حق عليهم القول وجب عليهم مقتضاه وثبت وهو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس
اجمعين وهؤلاء مبتدا والذين اغوينا صفته والراجع الى الموصول محذوف واغويناهم الخبر والكاف
صفة مصدر محذوف تقديره اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا يعنون انا لم نغو الا باختيارنا لا ان
فوقنا مغوين اغوونا بقسر منهم والجاء او دعونا الى الغي وسولوه لنا فهؤلاء كذلك غووا باختيارهم
لان اغواءنا لهم لم يكن الا وسوسة وتسويلا لا قسرا والجاء فلا فرق اذا بين غينا وغيهم وان
كان تسويلنا داعيا لهم الى الكفر فقد كان في مقابلته دعاء الله لهم الى الايمان بما وضع فيهم من ادلة

166 158

العقل وما بعث اليهم من الرسل وانزل عليهم من الكتب المشحونة بالوعد والوعيد والمواعظ والزواجر
وناهيك بذلك صارفا عن الكفر وداعيا الى الايمان وهذا معنى ما حكاه الله عن الشيطان ان الله
وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا
تلوموني ولوموا انفسكم والله عز وجل قدم هذا المعنى اول شيء حيث قال لابليس ان عبادي ليس لك
عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين تبرانا اليك منهم ومما اختاروه من الكفر بانفسهم هوى منهم
للباطل ومقتا للحق لا بقوة منا على استكراههم ولا سلطان ما كانوا ايانا يعبدون انما كانوا يعبدون
اهواءهم ويطيعون شهواتهم واخلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الاولى وقيل
ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وراوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون لو انهم كانوا يهتدون
بوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب او لو انهم كانوا مهتدين مؤمنين لما راوه او تمنوا لو كانوا
مهتدين او تحيروا عند رؤيته وسدروا فلا يهتدون طريقا حكى اولا ما يوبخهم به من اتخاذهم له
شركاء ثم ما يقوله الشياطين او ائمتهم عند توبيخهم لانهم اذا وبخوا بعبادة الآلهة اعترضوا وابان الشياطين
الذين استغووهم وزينوا لهم عبادتها ثم ما يشبه الشماتة بهم من استغاثتهم آلهتهم وخذلانهم لهم
وعجزهم عن نصرتهم ثم ما يبكتون به من الاحتجاج عليهم بارسال الرسل وازاحة العلل ويوم يناديهم
فيقول ماذا اجبتم المرسلين فعميت عليهم الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون فعميت عليهم الانباء
فصارت الانباء كالعمى عليهم جميعا لا تهتدي اليهم فهم لا يتساءلون لا يسال بعضهم بعضا كما يتساءل
الناس في المشكلات لانهم يتساوون جميعا في عمى الانباء عليهم والعجز عن الجواب وقرئ فعميت والمراد
بالنبا الخبر عما اجاب به الرسل اليه رسوله واذا كانت الانبياء لهول ذلك اليوم يتتعتعون في
الجواب عن مثل هذا السؤال ويفوضون الامر الى علم الله وذلك قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول
ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب فما ظنك بالضلال من اممهم فاما من تاب و
امن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين فاما من تاب من المشركين من الشرك وجمع بين الايمان
والعمل الصالح فعسى ان يفلح عند الله وعسى من الكرام تحقيق ويجوز ان يراد ترجي التائب وطمعه

كأنه قال فيطمع ان يفلح • وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى
عما يشركون • الخيرة من التخير كالطيرة من التطير تستعمل بمعنى المصدر وهو التخير وبمعنى المتخير
كقولهم محمد خيرة الله من خلقه ما كان لهم الخيرة بيان لقوله ويختار لان معناه ويختار ما يشاء
ولهذا لم يدخل العاطف والمعنى ان الخيرة لله تعالى في افعاله وهو اعلم بوجوه الحكمة فيها ليس لاحد
من خلقه ان يختار عليه قيل السبب فيه قول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين
عظيم يعني لا يبعث الله الرسل باختيار المرسل اليهم وقيل معناه ويختار الذي لهم فيه الخيرة اي يختار للعباد
ما هو خير لهم واصلح وهو اعلم بمصالحهم من انفسهم من قولهم في الامرين ليس فيهما خيرة لمختار فان قلت
فاين الراجع من الصلة الى الموصول اذا جعلت ما موصولة قلت اصل الكلام ما كان لهم فيه الخيرة
فحذف فيه كما حذف منه في قوله ان ذلك من عزم الامور لانه مفهوم سبحان الله اي الله بريء من اشراكهم
وما يحملهم عليه من الجرأة على الله واختيارهم عليه ما لا يختار • وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون
ما تكن صدورهم من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسده وما يعلنون من مطاعنهم فيه وقولهم
هلا اختير عليه غيره في النبوة • وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون
وهو الله وهو المستأثر بالالهية المختص بها ولا اله الا هو تقرير لذلك كقولك الكعبة القبلة
لا قبلة الا هي فان قلت الحمد في الدنيا ظاهر فما الحمد في الآخرة قلت هو قولهم الحمد لله الذي اذهب عنا
الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده وقيل الحمد لله رب العالمين والتحميد هناك على وجه اللذة
لا الكلفة وفي الحديث يلهمون التسبيح والتقديس وله الحكم القضاء بين عباده • قل ارايتم ان
جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء افلا تسمعون قل ارايتم ان
جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه افلا تبصرون
ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون • ارايتم
وقرئ اريتم بحذف الهمزة وليس بحذف قياسي ومعناه اخبروني من يقدر على هذا والسرمد
المتصل من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم في الاشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد والميم

ووزنه فعمل ونظيره دلامص من الدلاص فان قلت هلا قيل بنهار تتصرفون فيه كما قيل بليل تسكنون فيه
قلت ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لان المنافع التي تتعلق به متكاثرة ليس التصرف في المعاش وحده
والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثم قرن بالضياء افلا تسمعون لان السمع يدرك ما لا يدركه البصر
من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل افلا تبصرون لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره
انت من السكون ونحوه ومن رحمته زاوج بين الليل والنهار لاغراض ثلاثة لتسكنوا في احدهما وهو الليل
ولتبتغوا من فضل الله في الآخر وهو النهار ولارادة شكركم وقد سلكت بهذه الآية طريقة اللف
ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون • في تكرير التوبيخ باتخاذ الشركاء ايذان بان لا
شيء اجلب لغضب الله من الاشراك به كما لا شيء ادخل في مرضاته من توحيده اللهم فكما ادخلتنا في اهل
توحيدك فادخلنا في الناجين من وعيدك • ونزعنا من كل امة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا ان
الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون • ونزعنا واخرجنا من كل امة شهيدا وهو نبيهم لان انبياء الامم
شهداء عليهم يشهدون بما كانوا عليه فقلنا للامة هاتوا برهانكم فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسول
فعلموا ان الحق لله ولرسله لا لهم ولشياطينهم وضل عنهم وغاب عنهم غيبة الشيء الضائع ما كانوا
يفترون من الباطل والكذب • ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه
لتنوء بالعصبة اولي القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين • قارون اسم اعجمي
مثل هرون ولم ينصرف للعجمة والتعريف ولو كان فاعولا من قرن لانصرف وقيل معنى كونه من قوم
موسى انه آمن به وقيل كان اسرائيليا ابن عم لموسى هو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب
وموسى بن عمران بن قاهث وقيل كان موسى ابن اخيه وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان اقرأ
بني اسرائيل للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري وقال اذا كانت النبوة لموسى والمذبح والقربان
الى هرون فما لي وروي انه لما جاوز بهم موسى البحر وصارت الرسالة والحبورة لهرون يقرب القربان
ويكون راسا فيهم وكان القربان الى موسى فجعله موسى الى اخيه وجد قارون في نفسه وحسدهما
وقال لموسى الامر لكما ولست على شيء الى متى اصبر قال موسى هذا صنع الله قال والله لا اصدقك حتى تأتي بآية

فامر رؤساء بني اسرائيل ان يجيء كل واحد بعصاه فحزمها والقاها في القبة التي كان الوحي ينزل
عليه فيها وكانوا يحرسون عصيهم بالليل فاصبحوا واذا بعصا هرون تهتز ولها ورق اخضر وكانت
من شجر اللوز فقال قارون ما هو باعجب مما تصنع من السحر فبغى عليهم من البغي وهو الظلم قيل ملكه فرعون على بني
اسرائيل فظلمهم وقيل من البغي وهو الكبر والبذخ تبذخ عليهم بكثرة ماله وولده وقيل زاد عليهم في
الثياب شبرا المفاتح جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل هي الخزائن وقياس واحدها مفتح بالفتح و
يقال ناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة الجماعة الكثيرة والعصابة مثلها واعصوصبوا اجتمعوا
وقيل كانت تحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلا لكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على اصبع وكانت من
جلود قال ابو زيد يكفي الكوفة مفتاح وقد بولغ في ذكر ذلك بلفظ الكنوز والمفاتح والنوء
والعصبة واولي القوة وقرا بديل بن ميسرة لينوء بالياء ووجهه ان يفسر المفاتح بالخزائن ويعطيها حكم
ما اضيفت اليه للملابسة والاتصال كقولك ذهبت اهل اليمامة ومحل اذ منصوب بتنوء لا تفرح كقوله
ولا تفرحوا بما اتيكم وقول القائل ولست بمفراح اذا الدهر سرني وذلك انه لا يفرح بالدنيا الا من رضي
بها واطمان واما من قلبه الى الاخرة ويعلم انه مفارق ما فيه عن قريب لم تحدثه نفسه بالفرح وما احسن ما
قال القائل اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا وابتغ فيما اتيك الله الدار الاخرة
ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين
وابتغ فيما اتيك الله من الغنى والثروة الدار الاخرة بان تفعل فيه افعال الخير من اصناف الواجب
والمندوب اليه وتجعله زادك الى الاخرة ولا تنس نصيبك وهو ان تاخذ منه ما يكفيك ويصلحك
واحسن الى عباد الله كما احسن الله اليك او احسن بشكرك وطاعتك لله كما احسن اليك والفساد
في الارض ما كان عليه من الظلم والبغي وقيل ان القائل موسى صلوات الله عليه وقرئ واتبع قال انما
اوتيته على علم عندي اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر
جمعا ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون على علم اي على استحقاق واستيجاب لما في من العلم الذي فضلت
به الناس وذلك انه كان اعلم بني اسرائيل بالتورية وقيل هو علم الكيمياء عن سعيد بن المسيب كان موسى

يعلم علم الكيمياء فافاد يوشع بن نون ثلثه وكالب بن يوفنا ثلثه وقارون ثلثه فخدعهما قارون حتى
اضاف علمهما الى ما عنده فكان ياخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهبا وقيل علم الله موسى علم الكيمياء
فعلمه موسى اخته فعلمته اخته قارون وقيل هو بصره بانواع التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل
عندي معناه في ظني كما تقول الامر عندي كذا كانه قال انما اوتيته على علم كقوله تعالى ثم اذا خولناه نعمة منا
قال انما اوتيته على علم ثم زاد عندي اي هو في ظني ورايي هكذا يجوز ان يكون اثباتا لعلمه بان الله قد
اهلك من القرون قبله من هو اقوى منه واغنى لانه قد قراه في التورية واخبر به موسى وسمعه من حفاظ
التواريخ والايام كانه قيل اولم يعلم في جملة ما عنده من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته ويجوز ان يكون
نفيا لعلمه بذلك لانه لما قال اوتيته على علم عندي فتنفج بالعلم وتعظم به قيل اعنده مثل ذلك العلم
الذي ادعاه وراى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى يقي به نفسه مصارع
الهالكين واكثر جمعا للمال واكثر جماعة وعددا فان قلت ما وجه اتصال قوله ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون
بما قبله قلت لما ذكر قارون من اهلك من قبله من القرون الذين كانوا اقوى منه واغنى قال على سبيل التهديد
له والله مطلع على ذنوب المجرمين لا يحتاج الى سؤالهم عنها واستعلامهم وهو قادر على ان يعاقبهم عليها كقوله
والله خبير بما تعملون والله بما تعملون عليم وما اشبه ذلك فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحيوة
الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم في زينته قال الحسن في الحمرة والصفرة وقيل خرج على
بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم
الديباج الاحمر وعن يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلي والديباج وقيل في
تسعين الفا عليهم المعصفرات وهو اول يوم رؤي فيه المعصفر كان المتمنون قوما مسلمين وانما تمنوه
على سبيل الرغبة في اليسار والاستغناء كما هو عادة البشر وعن قتادة تمنوه ليتقربوا به الى الله وينفقوه
في سبل الخير وقيل كانوا قوما كفارا الغابط هو الذي يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير ان تزول عنه والحاسد
هو الذي يتمنى ان تكون نعمة صاحبه له دونه فمن الغبطة قوله تعالى يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون ومن الحسد
قوله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل يضر الغبط فقال لا الا كما

يعني القضاء الجبط والحظ الجد وهو البخت والدولة وصفوه بانه رجل مجدود مبخوت يقال
فلان ذو حظ وحظيظ ومحظوظ وما الدنيا الا احاظ وجدود • وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب
الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقيها الا الصابرون • ويلك اصله الدعاء بالهلاك ثم استعمل
في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرتضى كما استعمل لا ابا لك واصله الدعاء على الرجل بالاقراف
في الحث على الفعل والراجع في ولا يلقيها للكلمة التي تكلم بها العلماء او للثواب لانه في معنى المثوبة او الجنة
او للسيرة والطريقة وهي الايمان والعمل الصالح الصابرون على الطاعات وعن الشهوات وعلى ما قسم الله
من القليل عن الكثير • فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان
من المنتصرين • كان قارون يؤذي نبي الله موسى صلوات الله عليه كل وقت وهو يداريه للقرابة
التي بينهما حتى نزلت الزكوة فصالحه عن كل الف دينار على دينار وعن كل الف درهم على درهم فحسبه
فاستكثره فشحت به نفسه فجمع بني اسرائيل وقال ان موسى ارادكم على كل شيء وهو يريد ان ياخذ
اموالكم فقالوا انت كبيرنا وسيدنا فمر بما شئت قال نبرطل فلانة البغي حتى ترميه بنفسها فيرفضه
بنو اسرائيل فجعل لها الف دينار وقيل طستا من ذهب وقيل طستا من ذهب مملوة ذهبا وقيل حكمها فلما
كان يوم عيد قام موسى فقال يا بني اسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وهو
غير محصن جلدناه وان احصن رجمناه فقال قارون وان كنت انت قال وان كنت انا قال فان بني
اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها موسى بالذي فلق البحر وانزل التورية
ان تصدق فتداركها الله فقالت كذبوا بل جعل لي قارون جعلا على ان اقذفك بنفسي فخر موسى
ساجدا يبكي وقال يا رب ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت فانها
مطيعة لك فقال يا بني اسرائيل ان الله بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه
ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال
خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وقارون واصحابه يتضرعون
الى موسى ويناشدونه بالله والرحم وموسى لا يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانط

عليهم فاوحى الله الى موسى ما افظك استغاثوا بك مرارا فلم ترحمهم اما وعزتي لو اياي دعوا مرة
واحدة لوجدوني قريبا مجيبا فاصبحت بنو اسرائيل يتناجون بينهم انما دعا موسى على قارون ليستبد
بداره وكنوزه فدعا الله حتى خسف بداره واموالهم من المنتصرين من المنتقمين من موسى او
من الممتنعين من عذاب الله يقال نصره من عدوه فانتصر اي منعه منه فامتنع • واصبح الذين
تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا ان
من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون • قد يذكر الامس ولا يراد به اليوم الذي قبل
يومك ولكن الوقت المستقرب على طريق الاستعارة مكانه منزلته من الدنيا وي مفصولة عن
كان وهي كلمة تنبه على الخطاء وتندم ومعناه ان القوم قد تنبهوا على خطاءهم في تمنيهم وقولهم يا ليت
لنا مثل ما اوتي قارون وتندموا ثم قالوا كأنه لا يفلح الكافرون اي ما اشبه الحال بان الكافرين لا
ينالون الفلاح وهو مذهب الخليل وسيبويه قال ويكأن من يكن له نشب يحبب ومن يفتقر
يعش عيش ضر • وحكى الفراء ان اعرابية قالت لزوجها اين ابنك فقال ويكأنه وراء البيت وعند
الكوفيين ان ويك بمعنى ويلك وان المعنى الم تعلم انه لا يفلح الكافرون ويجوز ان يكون الكاف
كاف الخطاب مضمومة الى وي كقوله ويك عنتر اقدم وانه بمعنى لانه واللام لبيان المقول له
او لانه لا يفلح الكافرون كان ذلك وهو الخسف بقارون ومن الناس من يقف على وي ويبتدئ
كانه ومنهم من يقف على ويك وقرأ الاعمش لولا من الله علينا وقرئ لخسف بنا وفيه ضمير الله
ولا نخسف بنا كقوله انقطع به ولتخسف بنا • تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا
في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين • تلك تعظيم لها وتفخيم لشانها يعني تلك التي سمعت بذكرها
وبلغك وصفها ولم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك ارادتهما وميل القلوب اليهما
كما قال ولا تركنوا الى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون وعن علي رضي الله عنه ان الرجل ليعجبه
ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها وعن الفضيل انه قرأها ثم قال
ذهبت الاماني ههنا وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يرددها حتى قبض ومن الطماع من يجعل

العلو لفرعون والفساد لقارون متعلقا بقوله ان فرعون علا في الارض ولا تبغ الفساد
في الارض ويقول من لم يكن مثل فرعون وقارون فله تلك الدار الآخرة ولا يتدبر قوله و
العاقبة للمتقين كما تدبره علي والفضيل وعمر • من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة
فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون • معناه فلا يجزون فوضع الذين عملوا
السيئات موضع الضمير لان في اسناد عمل السيئة اليهم مكررا فضل تهجين لحالهم وزيادة
تبغيض للسيئة الى قلوب السامعين الا ما كانوا يعملون الا مثل ما كانوا يعملون وهذا من فضله
العظيم وكرمه الواسع ان لا يجزي السيئة الا بمثلها ويجزي الحسنة بعشر امثالها وبسبعمائة وهو
معنى قوله فله خير منها • ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد قل ربي اعلم من جاء بالهدى
ومن هو في ضلال مبين • فرض عليك القرآن اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه يعني ان
الذي حملك صعوبة هذا التكليف لمثيبك عليها ثوابا لا يحيط به الوصف ولرادك بعد الموت
الى معاد اي معاد والى معاد ليس لغيرك من البشر وتنكير المعاد لذلك وقيل المراد به مكة ووجهه
ان يراد رده اليها يوم الفتح ووجه تنكيره انها كانت في ذلك اليوم معادا له شأن ومرجعا له اعتداد
لغلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقهره لاهلها ولظهور عز الاسلام واهله وذل الشرك وحزبه و
السورة مكية فكان الله وعده وهو بمكة في اذى وغلبة من اهلها انه يهاجر به منها ويعيده اليها
ظاهرا ظافرا وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجره وقد اشتاق الى مولده ومولد ابائه
وحرم ابرهيم فنزل جبريل فقال له اتشتاق الى مكة قال نعم فاوحاها اليه فان قلت كيف اتصل
قوله قل ربي اعلم بما قبله قلت لما وعد رسوله الرد الى معاد قال قل للمشركين ربي اعلم من جاء
بالهدى يعني نفسه وما يستحقه من الثواب في معاده ومن هو في ضلال مبين يعنيهم وما يستحقونه
من العقاب في معادهم • وما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا
للكافرين • فان قلت قوله الا رحمة من ربك ما وجه الاستثناء فيه قلت هذا كلام محمول على
المعنى كانه قيل وما القى عليك الكتاب الا رحمة من ربك ويجوز ان يكون الا بمعنى لكن للاستدراك اي

162

اي ولكن لرحمة من ربك القي اليك • ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ انزلت اليك وادع
الى ربك ولا تكونن من المشركين • وقرئ يصدنك من اصده بمعنى صده وهي لغة كلب في
قال: اناس اصدوا الناس بالسيف عنهم صدود السواقي عن انوف الحوائم • بعد اذ انزلت
اليك بعد وقت انزاله واذ تضاف اليه اسماء الزمان كقولك حينئذ وليلتئذ ويومئذ وما
اشبه ذلك والنهي عن مظاهرة الكافرين ونحو ذلك من باب التهييج الذي سبق ذكره • ولا تدع
مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون • الا وجهه
الا اياه والوجه يعبر به عن الذات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ طسم القصص كان له
من الاجر بعدد من صدق موسى وكذب ولم يبق ملك في السموات والارض الا شهد له يوم
القيمة انه كان صادقا ان كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون

سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون • الحسبان لا يصح تعليقه بمعاني المفردات
ولكن بمضامين الجمل الا ترى انك لو قلت حسبت زيدا وظننت الفرس لم يكن شيئا حتى تقول
حسبت زيدا عالما وظننت الفرس جوادا لان قولك زيد عالم او الفرس جواد كلام دال على
مضمون فاردت الاخبار عن ذلك المضمون ثابتا عندك على وجه الظن لا اليقين فلم تجد بدا في
العبارة عن ثباته عندك على ذلك الوجه من ذكر شطري الجملة مدخلا عليهما فعل الحسبان حتى يتم
لك غرضك فان قلت فاين الكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه الحسبان في الآية قلت هو في
قوله ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وذلك ان تقديره احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم
آمنا فالترك اول مفعولي حسب ولقولهم آمنا هو الخبر واما غير مفتونين فتتمة الترك لانه من الترك الذي هو
بمعنى التصيير كقوله فتركته جزر السباع ينشنه الا ترى انك قبل المجيء بالحسبان تقدر ان تقول
تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام فان قلت ان يقولوا هو علة تركهم غير
مفتونين فكيف يصح ان يقع خبر مبتدأ قلت كما تقول خروجه لمخافة الشر وضربه للتأديب وقد كان

التأديب والمخافة في قولك خرجت مخافة الشر وضربته تأديبا تعليلين ويقول ايضا حسبت خروجه
لمخافة الشر وظننت ضربه للتأديب فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما مبتدأ وخبرا والفتنة الامتحان
بشدائد التكليف من مفارقة الاوطان ومجاهدة الاعداء وسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات
والملاذ وبالفقر والقحط وانواع المصائب في الانفس والاموال وبمصابرة الكفار على اذاهم وكيدهم و
ضرارهم والمعنى احسب الذين اجروا كلمة الشهادة على السنتهم واظهروا القول بالايمان انهم يتركون
لذلك غير ممتحنين بل يمتحنهم الله بضروب المحن حتى يبلو صبرهم وثبات اقدامهم وصحة عقائدهم و
نصوع نياتهم ليتميز المخلص من غير المخلص والراسخ في الدين من المضطرب والمتمكن من العابد على
حرف كما قال لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا
اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وروي انها نزلت في ناس من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد جزعوا من اذى المشركين وقيل في عمار بن ياسر وكان يعذب في الله وقيل في ناس اسلموا
بمكة فكتب اليهم المهاجرون لا يقبل منكم اسلامكم حتى تهاجروا فخرجوا فتبعهم المشركون فردوهم فلما
نزلت كتبوا بها اليهم فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا وقيل في مهجع بن عبد الله
مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو اول قتيل من المسلمين يوم بدر رماه عامر بن الحضرمي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سيد الشهداء مهجع وهو اول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة فجزع عليه ابواه وامرأته ● ولقد
فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ● ولقد فتنا موصول بأحسب
او بلا يفتنون كقولك الا يمتحن فلان وقد امتحن من هو خير منه يعني ان اتباع الانبياء عليهم السلام
قبلهم قد اصابهم من الفتن والمحن نحو ما اصابهم او ما هو اشد منه فصبروا كما قال وكأين من نبي قاتل
معه ربيون كثير فما وهنوا الآية وعن النبي صلعم قد كان من قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار على راسه فيفرق
فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بامشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك
عن دينه فليعلمن الله بالامتحان الذين صدقوا في الايمان وليعلمن الكاذبين فيه فان قلت كيف
علم بذلك فيما لم يزل قلت لم يزل يعلمه معدوما ولا يعلمه موجودا الا اذا وجد والمعنى وليتميز

الصادق منهم من الكاذب ويجوز ان يكون وعدا ووعيدا كانه قال وليثيبن الذين صدقوا وليعاقبن
الكاذبين وقرأ علي رضي الله عنه والزهري وليعلمن من الاعلام اي وليعرفنهم الله الناس من هم او
ليسمنهم بعلامة يعرفون بها من بياض الوجوه وسوادها وكحل العيون وزرقتها ● ام حسب الذين
يعملون السيئات ان يسبقونا ساء ما يحكمون ● ان يسبقونا ان يفوتونا يعني ان الجزاء يلحقهم لا محالة
وهم لم يطمعوا في الفوت ولم يحدثوا به نفوسهم ولكنهم لغفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة واصرارهم
على المعاصي في صورة من يقدر ذلك ويطمع فيه ونظيره وما هم بمعجزين في الارض ولا يحسبن الذين
كفروا سبقوا انهم لا يعجزون فان قلت اين مفعولا حسب قلت اشتمال صلة ان على مسند ومسند اليه
سد مسد المفعولين كقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ويجوز ان يضمن حسب معنى قدر وام منقطعة ومعنى
الاضراب فيها ان هذا الحسبان ابطل من الحسبان الاول لان ذاك يقدر انه لا يمتحن لايمانه وهذا يظن
انه لا يجازى بمساويه ساء ما يحكمون بئس الذي يحكمونه حكمهم هذا او بئس حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف
المخصوص بالذم ● من كان يرجو لقاء الله فان اجل الله لآت وهو السميع العليم ومن جاهد فانما يجاهد
لنفسه ان الله لغني عن العالمين ● لقاء الله مثل للوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت والبعث
والحساب والجزاء مثلت تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد اطلع مولاه على
ما كان يأتي ويذر فاما ان يلقاه ببشر وترحيب لما رضي من افعاله او بضد ذلك لما سخطه منها فمعنى
قوله من كان يرجو لقاء الله من كان يأمل تلك الحال وان يلقى فيها الكرامة من الله والبشرى فان اجل
الله وهو الموت لآت لا محالة فليبادر العمل الصالح الذي يصدق رجاءه ويحقق امله و
يكتسب به القربة عند الله والزلفى وهو السميع العليم الذي لا يخفى عليه شيء مما يقوله عباده ومما
يفعلونه فهو حقيق بالتقوى والخشية وقيل يرجو يخاف من قول الهذلي في صفة عسال ● اذا لسعته
الدبر لم يرج لسعها ● فان قلت فان اجل الله لآت كيف وقع جوابا للشرط قلت اذا علم ان لقاء الله
عنيت به تلك الحال الممثلة والوقت الذي تقع فيه تلك الحال هو الاجل المضروب للموت فكأنه قال
من كان يرجو لقاء الله فان لقاء الله لآت لان الاجل واقع فيه اللقاء كما تقول من كان يرجو لقاء الملك

فان يوم الجمعة قريب اذا علم انه يقعد للناس يوم الجمعة ومن جاهد نفسه في منعها ما تأمرها به و
حملها على ما تأباه فانما يجاهد لها لان منفعة ذلك راجعة اليها وانما امر الله ونهى رحمة لعباده وهو
الغني عنهم وعن طاعتهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن الذي
كانوا يعملون اما ان يريد قوما مسلمين صالحين قد اساؤا في بعض اعمالهم وسيئاتهم مغمورة بحسناتهم
فهو يكفرها عنهم اي يسقط عقابها بثواب الحسنات ويجزيهم احسن الذي كانوا يعملون اي احسن
جزاء اعمالهم واما قوما مشركين آمنوا وعملوا الصالحات فالله عز وجل يكفر سيئاتهم بان يسقط عقاب
ما تقدم لهم من الكفر والمعاصي ويجزيهم احسن جزاء اعمالهم في الاسلام ووصينا الانسان بوالديه
حسنا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون وصى
حكمه حكم امر في معناه وتصرفه يقال وصيت زيدا بان يفعل خيرا كما تقول امرته بان يفعل ومنه بيت
الاصلاح وذبيانية وصت بنيها بان كذب القراطف والقروف كما لو قال امرتهم بان ينتهبوها
ومنه قوله تعالى ووصى بها ابرهيم بنيه اي وصاهم بكلمة التوحيد وامرهم بها وقولك وصيت زيدا
بعمرو ومعناه وصيته بتعهد عمرو ومراعاته ونحو ذلك وكذلك معنى قوله ووصينا الانسان بوالديه
حسنا وصيناه بايتاء والديه حسنا او بايلاء والديه حسنا اي فعلا ذا حسن او ما هو في ذاته حسن
لفرط حسنه كقوله وقولوا للناس حسنا وقرئ حسنا واحسانا ويجوز ان يجعل حسنا من باب قولك
زيدا باضمار اضرب اذا رايته متهيئا للضرب فتنصبه باضمار اولهما او افعل بهما لان التوصية بهما
دالة عليه وما بعده مطابق له كانه قال قلنا اولهما معروفا ولا تطعهما في الشرك اذا حملاك عليه
وعلى هذا التفسير ان وقف على بوالديه وابتدأ حسنا حسن الوقف وعلى التفسير الاول لا بد من
اضمار القول معناه وقلنا ان جاهداك ايها الانسان ما ليس لك به علم اي لا علم لك بالهيته والمراد
بنفي العلم نفي المعلوم كانه قال لتشرك بي شيئا لا يصح ان يكون الها ولا يستقيم وصاه بوالديه وامره
بالاحسان اليهما ثم نبه بنهيه عن طاعتهما اذا اراداه على ما ذكر على ان كل حق وان عظم ساقط اذا
جاء حق الله فانه لا طاعة لمخلوق في معصية ثم قال الي مرجع من آمن منكم ومن اشرك فا[illegible]

حق جزائكم وفيه شيئان احدهما ان الجزاء الي فلا تحدث نفسك بجفوة والديك وعقوقهما
لشركهما ولا تحرمهما برك ومعروفك في الدنيا كما اني لا امنعهما رزقي والثاني التحذير من متابعتهما
على الشرك والحث على الثبات والاستقامة في الدين بذكر المرجع والوعيد روي ان سعد بن ابي
وقاص الزهري حين اسلم قالت امه وهي حمنة بنت ابي سفين بن امية بن عبد شمس يا سعد بلغني
انك قد صبأت فوالله لا يظلني سقف بيت من الضح والريح وان الطعام والشراب علي حرام حتى تكفر
بمحمد وكان احب ولدها اليها فابى سعد وبقيت ثلثة ايام كذلك فجاء سعد الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وشكا اليه فنزلت هذه الآية والتي في لقمن والتي في الاحقاف فامره رسول الله صلعم ان
يداريها ويترضاها بالاحسان وروي انها نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي وذلك انه هاجر
مع عمر بن الخطاب رضي الله عنهما مترافقين حتى نزلا المدينة فخرج ابو جهل بن هشام والحرث بن هشام
اخواه لامه اسماء بنت مخرمة امرأة من بني تميم من بني حنظلة فنزلا بعياش وقالا له ان من دين
محمد صلة الارحام وبر الوالدين وقد تركت امك لا تطعم ولا تشرب ولا تأوي بيتا حتى تراك
وهي اشد حبا لك منا فاخرج معنا وفتلا منه في الذروة والغارب فاستشار عمر رض فقال
هما يخدعانك ولك علي ان اقسم مالي بيني وبينك فما زالا به حتى اطاعهما وعصى عمر رضي الله عنه فقال
اما اذا عصيتني فخذ ناقتي فليس في الدنيا بعير يلحقها فان رابك منهم ريب فارجع فلما انتهوا الى
البيداء قال ابو جهل ان ناقتي قد كلت فاحملني معك قال نعم فنزل ليوطئ لنفسه وله فاخذاه
فشداه وثاقا وجلده كل واحد منهما مائة جلدة وذهبا به الى امه فقالت لا تزال في عذاب حتى
ترجع عن دين محمد فنزلت والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين في الصالحين في
جملتهم والصلاح من ابلغ صفات المؤمنين وهو متمنى انبياء الله قال الله تعالى حكاية عن سليمن وادخلني
برحمتك في عبادك الصالحين وقال في ابرهيم وانه في الآخرة لمن الصالحين او في مدخل الصالحين وهي
الجنة وهذا نحو قوله ومن يطع الله ورسوله فاولئك مع الذين انعم الله عليهم الآية ومن الناس
من يقول آمنا بالله فاذا اوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن

انا كنا معكم اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين • هم ناس
كانوا يؤمنون بالسنتهم فاذا مسهم اذى من الكفار وهو المراد بفتنة الناس كان ذلك صارفا لهم
عن الايمان كما ان عذاب الله صارف للمؤمنين عن الكفر او كما يجب ان يكون عذاب الله عز وجل
صارفا واذا نصر الله عز وجل المؤمنين وغنمهم اعترضوهم فقالوا انا كنا معكم اى مشايعين
لكم في دينكم ثابتين عليه بثباتكم ما قدر احد ان يفتننا فاعطونا نصيبنا من المغنم ثم اخبر سبحانه
انه اعلم بما في صدور العالمين من العالمين بما في صدورهم ومن ذلك ما تكن صدور هؤلاء من النفاق
وهذا اطلاع منه للمؤمنين على ما ابطنوه ثم وعد المؤمنين واوعد المنافقين وقرئ ليعلمن
بفتح اللام • وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من
خطاياهم من شيء انهم لكاذبون وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وليسألن يوم القيمة عما
كانوا يفترون • امروهم باتباع سبيلهم وهي طريقتهم التي كانوا عليها في دينهم وامروا انفسهم
بحمل خطاياهم فعطف الامر على الامر وارادوا ليجتمع هذان الامران في الحصول ان تتبعوا سبيلنا
وان نحمل خطاياكم والمعنى تعليق الحمل بالاتباع وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن آمن منهم
لا نبعث نحن ولا انتم فان عسى كان ذلك فانا نتحمل عنكم الاثم وترى في المتسمين بالاسلام من يستن
باولئك فيقول لصاحبه اذا اراد ان يشجعه على ارتكاب بعض العظائم افعل هذا واثمه في عنقي وكم من
مغرور بمثل هذا الضمان من ضعفة العامة وجهلتهم ومنه ما يحكى ان ابا جعفر المنصور رفع اليه
بعض اهل الحشو حوائجه فلما قضاها قال يا امير المؤمنين بقيت الحاجة العظمى قال وما هي قال
شفاعتك يوم القيمة فقال له عمرو بن عبيد اياك وهؤلاء فانهم قطاع الطريق في المأمن
فان قلت كيف سماهم كاذبين وانما ضمنوا شيئا علم الله عز وجل انهم لا يفون به وضامن
ما لا يعلم اقتداره على الوفاء به لا يسمى كاذبا لا حين ضمن ولا حين عجز لانه في الحالين لا يدخل تحت
حد الكاذب وهو المخبر عن الشيء لا على ما هو عليه قلت شبه الله حالهم حيث علم ان ما ضمنوه لا
طريق لهم الى ان يفوا به فكان ضمانهم عنده لا على ما عليه المضمون بالكاذبين الذين خبرهم لا على ما

165

عليه المخبر عنه ويجوز ان يريد انهم كاذبون لانهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين
يعدون الشيء وفي قلوبهم نية الخلف وليحملن اثقالهم اى اثقال انفسهم واثقالا يعني اثقالا اخر
غير الخطايا التي ضمنوا للمؤمنين حملها وهي اثقال الذين كانوا سببا في ضلالهم وليسألن سؤال
تقريع عما كانوا يفترون اى يختلقون من الاكاذيب والاباطيل وقرئ من خطيئاتهم • ولقد ارسلنا
نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فاخذهم الطوفان وهم ظالمون • كان عمر نوح
عليه السلام الفا وخمسين سنة بعث على راس اربعين ولبث في قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد
الطوفان ستين وعن وهب انه عاش الفا واربعمائة سنة فان قلت هلا قيل تسعمائة وخمسين سنة
قلت ما اورده الله عز وجل احكم لانه لو قيل كما قلت لجاز ان يتوهم اطلاق هذا العدد على اكثره وهذا
التوهم زائل مع مجيئه كذلك وكانه قيل تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد الا ان ذلك
اخصر واعذب لفظا واملأ بالفائدة وفيه نكتة اخرى وهي ان القصة مسوقة لذكر ما ابتلي
به نوح عليه السلام من امته وما كابده من طول المصابرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيتا له
فكان ذكر راس العدد الذي لا راس اكثر منه اوقع واوصل الى الغرض من استطالة السامع مدة
صبره فان قلت فلم جاء المميز اولا بالسنة وثانيا بالعام قلت لان تكرير اللفظ الواحد في الكلام
الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة الا اذا وقع ذلك لاجل غرض ينتحيه المتكلم من تفخيم او
تهويل او تنويه او نحو ذلك والطوفان ما اطاف واحاط بكثرة وغلبة من سيل او ظلام ليل او
نحوهما قال العجاج • وغم طوفان الظلام الاثأبا • فانجيناه واصحاب السفينة وجعلناها
آية للعالمين • اصحاب السفينة كانوا ثمانية وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم اناث منهم
اولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس
نسوة وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلاثة والضمير في وجعلناها
للسفينة او للحادثة والقصة • وابرهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم
تعلمون • نصب ابرهيم باضمار اذكر وابدل عنه اذ بدل الاشتمال لان الاحيان تشتمل على ما فيها او

معطوف على نوحا واذ ظرف لارسلنا يعني ارسلناه حين بلغ من السن والعلم مبلغا صلح فيه لان
يعظ قومه وينصحهم ويعرض عليهم الحق ويأمرهم بالعبادة والتقوى وقرأ ابرهيم النخعي وابو حنيفة
وابرهيم بالرفع على معنى ومن المرسلين ابرهيم ان كنتم تعلمون يعني ان كان فيكم علم بما هو خير لكم مما هو
شر لكم او ان نظرتم بعين الدراية المبصرة دون عين الجهل العميا علمتم انه خير لكم • انما تعبدون
من دون الله اوثانا وتخلقون افكا ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا
عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون • وقرئ تخلّقون من خلّق بمعنى التكثير في
خلق وتخلقون من تخلّق بمعنى تكذب وتخرص وقرئ افكا وفيه وجهان ان يكون مصدرا نحو كذب
ولعب والافك مخفف منه كالكذب واللعب من اصلهما وان يكون صفة على فعل اي خلقا افكا اي ذا
افك وباطل واختلاقهم الافك تسميتهم الاوثان الهة وشركاء لله وشفعاء اليه او سمي الاصنام افكا
وعملهم لها ونحتهم خلقا للافك فان قلت لم نكّر الرزق ثم عرّفه قلت لانه اراد لا يستطيعون ان يرزقوكم
شيا من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله فانه هو الرزاق وحده لا يرزق غيره اليه ترجعون
وقرئ بفتح التاء فاستعدوا له للقائه بعبادته والشكر له على انعمه • وان تكذبوا فقد كذب امم من
قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين • وان تكذبوني فلا تضرونني بتكذيبكم فان الرسل قبلي قد
كذبتهم اممهم وما ضروهم وانما ضروا انفسهم حيث حل بهم ما حل بسبب تكذيب الرسل واما الرسول
فقد تم امره حين بلغ البلاغ المبين الذي زال معه الشك وهو اقترانه بآيات الله ومعجزاته او وان
كنت مكذبا فيما بينكم فلي في سائر الانبياء اسوة وسلوة حيث كذبوا وعلى الرسول ان يبلغ وما عليه ان
يصدق ولا يكذب وهذه الآية والآيات التي بعدها الى قوله فما كان جواب قومه محتملة ان تكون
من جملة قول ابرهيم صلوات الله عليه لقومه وان تكون آيات وقعت معترضة في شان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وشان قريش بين اول قصة ابرهيم وآخرها فان قلت اذا كانت من قول ابرهيم فما المراد بالامم
قبله قلت قوم شيث وادريس ونوح وغيرهم وكفى بقوم نوح امة في معنى امم مكذبة ولقد عاش
ادريس الف سنة في قومه الى ان رفع الى السماء وآمن به الف انسان منهم على عدد سنيه واعقابهم على

التكذيب فان قلت فما تصنع بقوله قل سيروا في الارض قلت هي حكاية كلام الله حكاه ابرهيم عليه السلم
لقومه كما يحكي رسولنا صلى الله عليه وسلم كلام الله على هذا المنهاج في اكثر القرآن فان قلت فاذا كانت
خطابا لقريش فما وجه توسطها بين طرفي قصة ابرهيم والجملة او الجمل الاعتراضية لا بد لها من اتصال بما
وقعت معترضة فيه الا تراك لا تقول مكة وزيد ابوه قائم خير بلاد الله عز وجل قلت ايراد قصة ابرهيم
ليس الا ارادة للتنفيس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان تكون مسلاة له ومتفرجا بان اباه ابرهيم
خليل الله كان ممنوا بنحو ما مني به من شرك قومه وعبادتهم الاوثان فاعترض بقوله وان تكذبوا
على معنى انكم يا معشر قريش ان تكذبوا محمدا فقد كذب ابرهيم قومه وكل امة نبيها لان قوله فقد كذب
امم من قبلكم لا بد من تناوله لامة ابرهيم وهو كما ترى اعتراض واقع متصل ثم سائر الآيات الواطئة
عقبها من اذيالها وتوابعها لكونها ناطقة بالتوحيد ودلائله وهدم الشرك وتوهين قواعده وصفة
قدرة الله وسلطانه ووضوح حجته وبرهانه • اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على
الله يسير قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ان الله على كل
شيء قدير • قرئ يروا بالياء والتاء ويبدئ وبدأ وقوله ثم يعيده ليس بمعطوف على يبدئ وليست
الرؤية واقعة عليه وانما هو اخبار على حياله بالاعادة بعد الموت كما وقع النظر في قوله كيف بدأ
الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة على البدء دون الانشاء ونحوه قولك ما زلت اوثر فلانا و
استخلفه على من اخلفه فان قلت هو معطوف بحرف العطف فلا بد له من معطوف عليه فما هو قلت هو
جملة قوله اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق وكذلك واستخلفه معطوف على جملة قوله ما زلت اوثر
فلانا ذلك يرجع الى ما يرجع اليه هو نحو قوله وهو اهون عليه من معنى يعيد دل بقوله النشأة الآخرة
على انهما نشأتان وان كل واحدة منهما انشاء اي ابتداء واختراع واخراج من العدم الى الوجود لا تفاوت
بينهما الا ان الآخرة انشاء بعد انشاء مثله والاولى ليست كذلك وقرئ النشأة والنشاءة كالرأفة
والرآفة فان قلت ما معنى الافصاح باسمه مع ايقاعه مبتدأ في قوله ثم الله ينشئ النشأة الآخرة بعد
اضماره في قوله كيف بدأ الخلق وكان القياس ان يقال كيف بدأ الله الخلق ثم ينشئ النشأة الآخرة

قلنا الكلام معهم كان واقعا في الاعادة وفيها كانت تصطك الركب فلما قررهم في الابداء بأن
الله احتج عليهم بان الاعادة انشاء مثل الابداء فاذا كان الله الذي لا يعجزه شيء هو الذي لم يعجزه الابداء
فهو الذي وجب ان لا يعجزه الاعادة فكانه قال ثم ذاك الذي انشأ النشأة الاولى هو الذي ينشئ
النشأة الآخرة فللدلالة والتنبيه على هذا المعنى ابرز اسمه واوقعه مبتدأ • يعذب من يشاء ويرحم
من يشاء واليه تقلبون • يعذب من يشاء تعذيبه ويرحم من يشاء رحمته ومتعلق المشيئتين مفسر
مبين في مواضع من القرآن وهو من يستوجبهما من الكافر والفاسق اذا لم يتوبا ومن المعصوم والتائب
تقلبون تردون وترجعون • وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي
ولا نصير • وما انتم بمعجزين ربكم اي لا تفوتونه ان هربتم من حكمه وقضائه في الارض الفسيحة ولا في السماء
التي هي افسح منها وابسط لو كنتم فيها كقوله تعالى ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا
وقيل ولا من في السماء كما قال حسان أمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء ويحتمل ان يراد لا
تعجزونه كيفما هبطتم في مهاوي الارض واعماقها او علوتم في البروج والقلاع الذاهبة في السماء كقوله
ولو كنتم في بروج مشيدة او لا تعجزون امره الجاري في السماء والارض ان يجري عليكم فيصيبكم ببلاء اما
يظهر من الارض او ينزل من السماء • والذين كفروا بآيات الله ولقائه اولئك يئسوا من رحمتي واولئك لهم
عذاب اليم • بآيات الله بدلائله على وحدانيته وكتبه ومعجزاته ولقائه والبعث يئسوا
اي ييأسون يوم القيمة كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون او هو وصف لحالهم لان المؤمن
انما يكون راجيا خائفا فاما الكافر فلا يخطر بباله رجاء ولا خوف او شبه حالهم في انتفاء الرحمة عنهم
بحال من يئس من الرحمة وعن قتادة ان الله ذم قوما هانوا عليه فقال اولئك يئسوا من رحمتي وقال انه لا
ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فينبغي للمؤمن ان لا ييأس من روح الله ولا من رحمته وان
لا يأمن من عذابه وعقابه صفة المؤمن ان يكون راجيا لله خائفا • فما كان جواب قومه الا ان قالوا
اقتلوه او حرقوه فانجاه الله من النار ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون • قرئ جواب قومه بالنصب
والرفع قالوا قال بعضهم لبعض او قاله واحد منهم وكان الباقون راضين فكانوا جميعا في حكم القائلين

وروي انه لم ينتفع في ذلك اليوم بالنار يعني يوم القي ابرهيم في النار وذلك لذهاب حرها • وقال انما
اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا
ومأويكم النار وما لكم من ناصرين • قرئ على النصب بغير اضافة وبالاضافة وعلى الرفع كذلك فالنصب على وجهين
على التعليل اي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها وائتلافكم كما يتفق الناس
على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم وتصادقهم وان يكون مفعولا ثانيا كقوله اتخذ الهه هواه اي اتخذتم
الاوثان سبب المودة بينكم على تقدير حذف المضاف او اتخذتموها مودة بينكم بمعنى مودودة بينكم كقوله تعالى
ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله وفي الرفع وجهان ان يكون خبرا لان على ان ما
موصولة وان يكون خبر مبتدأ محذوف والمعنى ان الاوثان مودة بينكم اي مودودة او سبب مودة وعن
عاصم مودة بينكم بفتح بينكم مع الاضافة كما قرئ لقد تقطع بينكم ففتح وهو فاعل وقرأ ابن مسعود رضي الله عنهما
اوثانا انما مودة بينكم في الحيوة الدنيا اي انما تتوادون عليها او تودونها في الحيوة الدنيا ثم يوم القيمة
تقوم بينكم التلاعن والتباغض والتعادي يتلاعن العبدة ويتلاعن العبدة والاصنام كقوله عز
وعلا ويكونون عليهم ضدا • فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم • كان لوط
ابن اخت ابرهيم وهو اول من آمن له حين رأى النار لم تحرقه وقال يعني ابرهيم اني مهاجر من كوثى
وهي من سواد الكوفة الى حران ثم منها الى فلسطين ومن ثم قالوا لكل نبي هجرة ولابرهيم هجرتان وكان
معه في هجرته لوط وامرأته سارة وهاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة الى ربي الى حيث امرني بالهجرة اليه انه
هو العزيز الذي يمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يأمرني الا بما هو مصلحتي • ووهبنا له اسحق ويعقوب
وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين • اجره الثناء
الحسن والصلوة عليه آخر الدهر والذرية الطيبة والنبوة وان اهل الملل كلهم يتولونه فان قلت ما
بال اسمعيل عليه السلام لم يذكر وذكر اسحق عليه السلام وعقبه قلت قد دل عليه في قوله وجعلنا في ذريته
النبوة والكتاب وكفى الدليل لشهرة امره وعلو قدره فان قلت ما المراد بالكتاب قلت قصد به جنس الكتاب
حتى دخل تحته ما نزل على ذريته من الكتب الاربعة التي هي التورية والانجيل والزبور والقرآن •

ولوطا اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين ائنكم لتأتون
الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب
الله ان كنت من الصادقين • ولوطا معطوف على ابرهيم او على ما عطف عليه • والفاحشة الفعلة البالغة
في القبح وما سبقكم بها من احد من العالمين جملة مستأنفة مقررة لفحاشة تلك الفعلة كأن قائلا قال
لم كانت فاحشة فقيل له لان احدا قبلهم لم يقدم عليها اشمئزازا منها في طباعهم لافراط قبحها حتى
اقدم عليها قوم لوط عليه السلم لخبث طينتهم وقذر طباعهم قالوا لم ينز ذكر على ذكر قبل قوم لوط عليه السلم
قط وقرئ انكم بغير استفهام في الاول دون الثاني قال ابو عبيد وجدته في الامام بحرف واحد بغير ياء و
رايت الثاني بحرفين الياء والنون وقطع السبيل عمل قطاع الطريق من قتل الانفس واخذ الاموال وقيل
اعتراضهم السابلة بالفاحشة وعن الحسن قطع النسل باتيان ما ليس بحرث والمنكر عن ابن عباس رضي الله عنهما
هو الحذف بالحصى والرمي بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل الازرار
والسباب والفحش في المزاح وعن عائشة رضي الله عنها كانوا يتحابقون وقيل السخرية بمن مر بهم وقيل
المجاهرة في ناديهم بذلك العمل وكل معصية فاظهارها اقبح من سترها ولذلك جاء من خرق جلباب
الحياء فلا غيبة له ولا يقال للمجلس نادي الا ما دام فيه اهله فاذا قاموا عنه لم يبق ناديا ان كنت من
الصادقين فيما تعدنا من نزول العذاب • قال رب انصرني على القوم المفسدين • كانوا يفسدون الناس
بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصي والفواحش طوعا وكرها ولانهم ابتدعوا الفاحشة وسنوها فيمن بعدهم
وقال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فاراد
لوط عليه السلم ان يشتد غضب الله عليهم فذكر لذلك صفة المفسدين في دعائه • ولما جاءت رسلنا
ابرهيم بالبشرى قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين • بالبشرى هي البشارة
بالولد والنافلة وهما اسحق ويعقوب عليهما السلم واضافة مهلكوا اضافة تخفيف لا تعريف والمعنى
الاستقبال والقرية سدوم التي قيل فيها اجور من قاضي سدوم كانوا ظالمين معناه ان الظلم قد استمر منهم
ايجاده في الايام السالفة وهم عليه مصرون وظلمهم كفرهم وانواع معاصيهم • قال ان فيها لوطا قالوا

نحن

نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امرأته كانت من الغابرين • ان فيها لوطا ليس اخبارا لهم بكونه
فيها وانما هو جدال في شانه لانهم لما عللوا اهلاك اهلها بظلمهم اعترض عليهم بان فيها من هو بريء من
الظلم واراد بالجدال اظهار الشفقة عليه وما يجب للمؤمن من التحزن لاخيه والتشمر في نصرته
وحياطته والخوف من ان يمسه اذى او يلحقه ضرر قال قتادة لا يرى المؤمن ان لا يحوط المؤمن الا
ترى الى جوابهم بانهم اعلم منه بمن فيها يعنون نحن اعلم منك واخبر بحال لوط عليه السلم وحال قومه
وامتيازه منهم الامتياز البين وانه لا يستاهل ما يستاهلون فخفض على نفسك وهون عليك الخطب
وقرئ لننجينه بالتشديد والتخفيف وكذلك منجوك • ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق
بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك واهلك الا امرأتك كانت من الغابرين • ان صلة
اكدت وجود الفعلين مترتبا احدهما على الآخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما كانهما وجدا
في جزء واحد من الزمان كانه قيل كما احس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير ريث خيفة عليهم من
قومه وضاق بهم ذرعا وضاق بشانهم وبتدبير امرهم ذرعه اي طاقته وقد جعلت العرب ضيق
الذراع والذرع عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا رحب الذراع بكذا اذا كان مطيقا له والاصل فيه
ان الرجل اذا طالت ذراعه نال ما لا يناله القصير الذراع فضرب ذلك مثلا في العجز والقدرة • انا
منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون • الرجز والرجس العذاب من
قولهم ارتجز وارتجس اذا اضطرب لما يلحق المعذب من القلق والاضطراب وقرئ منزلون مخففا
ومشددا • ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون • منها من القرية آية بينة هي آثار منازلهم الخربة
وقيل بقية الحجارة وقيل الماء الاسود على وجه الارض وقيل الخبر عما صنع بهم لقوم متعلق بتركنا
او ببينة • والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في
الارض مفسدين • وارجوا وافعلوا ما ترجون به العاقبة فاقيم المسبب مقام السبب او امروا بالرجاء
والمراد اشتراط ما يسوغه من الايمان كما يؤمر الكافر بالشرعيات على ارادة الشرط وقيل هو من الرجاء
الخوف • فكذبوه فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين • والرجفة الزلزلة الشديدة

وعن الضحاك صيحة جبرئيل لان القلوب رجفت لها في دارهم في بلدهم وارضهم فاكتفى بالواحد
لانه لا يلبس جاثمين باركين على الركب ميتين • وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين
لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين • وعادا منصوب باضمار اهلكنا لان
قوله فاخذتهم الرجفة يدل عليه لانه في معنى الاهلاك وقد تبين لكم ذلك يعني ما وصفه من اهلاكهم
من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وكان اهل مكة يمرون عليها في اسفارهم فيبصرونها
وكانوا مستبصرين عقلاء متمكنين من النظر والافتكار ولكنهم لم يفعلوا او كانوا متبينين ان العذاب
نازل بهم لان الله تعالى قد بين لهم على السنة الرسل عليهم السلم ولكنهم لجوا حتى هلكوا • وقارون وفرعون
وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين فكلا اخذنا بذنبه
فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا
وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون • سابقين فائتين ادركهم امر الله عز وجل فلم يفوتوه
الحاصب لقوم لوط وهي ريح عاصف فيها حصباء وقيل ملك كان يرميهم والصيحة لمدين وثمود
والخسف لقارون والغرق لقوم نوح وفرعون • مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل
العنكبوت اتخذت بيتا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون • الغرض تشبيه
ما اتخذوه متكلا ومعتمدا في دينهم وتولوه من دون الله عز وجل بما هو مثل عند الناس في الوهن
وضعف القوة وهو نسج العنكبوت الا ترى الى مقطع التشبيه وهو قوله وان اوهن البيوت لبيت
العنكبوت فان قلت ما معنى قوله لو كانوا يعلمون وكل احد يعلم وهن بيت العنكبوت قلت معناه
لو كانوا يعلمون ان هذا مثلهم وان امر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن ووجه آخر وهو انه اذا
صح تشبيه ما اعتمدوه في دينهم ببيت العنكبوت وقد صح ان اوهن البيوت بيت العنكبوت فقد
تبين ان دينهم اوهن الاديان لو كانوا يعلمون او اخرج الكلام بعد تصحيح التشبيه مخرج المجاز
فكانه قال وان اوهن ما يعتمد عليه في الدين عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون ولقائل ان يقول
مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس الى المؤمن الذي يعبد الله مثل عنكبوت يتخذ بيتا بالا

الى رجل يبني بيتا بآجر وجص او ينحته من صخر وكما ان اوهن البيوت اذا استقريتها بيتا بيتا
بيت العنكبوت كذلك اضعف الاديان اذا استقريتها دينا دينا عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون • ان
الله يعلم ما تدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم • قرئ يدعون بالتاء والياء وهذا توكيد للمثل
وزيادة عليه حيث لم يجعل ما يدعونه شيئا وهو العزيز الحكيم فيه تجهيل لهم حيث عبدوا ما ليس بشيء
لانه جماد ليس معه مصحح العلم والقدرة اصلا وتركوا عبادة القاهر القادر على كل شيء الحكيم الذي
لا يفعل شيئا الا بحكمة وتدبير • وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون • كان الجهلة
والسفهاء من قريش يقولون ان رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون من
ذلك فلذلك قال وما يعقلها الا العالمون اي لا يعقل صحتها وحسنها وفائدتها الا هم لان
الامثال والتشبيهات انما هي الطرق الى المعاني المحتجبة في الاستار حتى تبرزها وتكشف عنها
وتصورها للافهام كما صور هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال الموحد وعن النبي صلى
الله عليه وسلم انه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه • خلق
الله السموات والارض بالحق ان في ذلك لآية للمؤمنين • بالحق اي بالغرض الصحيح الذي هو حق
لا باطل وهو ان تكون مساكن عباده وعبرة للمعتبرين منهم ودلائل على عظم قدرته الا ترى الى قوله ان
في ذلك لآية للمؤمنين ونحوه قوله تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ثم قال ذلك
ظن الذين كفروا • اتل ما اوحي اليك من الكتاب واقم الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر
ولذكر الله اكبر والله يعلم ما تصنعون • الصلوة تكون لطفا في ترك المعاصي فكانها ناهية عنها
فان قلت كم من مصل يرتكب ولا تنهاه صلوته قلت الصلوة التي هي الصلوة عند الله المستحق بها
الثواب ان يدخل فيها مقدما للتوبة النصوح متقيا لقوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين ويصليها
خاشعا بالقلب والجوارح فقد روي عن حاتم كان رجلي على الصراط والجنة عن يميني والنار عن يساري
وملك الموت من فوقي واصلي بين الرجاء والخوف ثم يحوطها بعد ان يصليها فلا يحبطها فهي الصلوة
التي تنهى عن الفحشاء والمنكر وعن ابن عباس من لم تأمره صلوته بالمعروف وتنهه عن المنكر

لم يزدد بصلوته من الله عز وجل الا بعدا وعن الحسن رح من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر فليست
صلوته بصلوة وهي وبال عليه وقيل من كان مراعيا للصلوة جره ذلك الى ان ينتهي عن السيئات يوما ما
فقد روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلوته
لتردعه وروي ان فتى من الانصار كان يصلي معه الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش الا
ركبه فوصف له فقال ان صلوته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وعلى كل حال فان المراعي للصلوة
لا بد ان يكون ابعد من الفحشاء والمنكر ممن لا يراعيها وايضا فكم من مصلين تنهاهم الصلوة عن الفحشاء
والمنكر واللفظ لا يقتضي ان لا يخرج واحد من المصلين عن قضيتها كما تقول ان زيدا ينهى
عن المنكر فليس غرضك انه ينهى عن جميع المناكير وانما تريد ان هذه الخصلة موجودة فيه وحاصلة
منه من غير اقتضاء للعموم ولذكر الله اكبر يريد وللصلوة اكبر من غيرها من الطاعات وسماها
بذكر الله عز وجل كما قال فاسعوا الى ذكر الله وانما قال ولذكر الله اكبر ليستقل بالتعليل كانه قال
وللصلوة اكبر لانها ذكر الله او ولذكر الله عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما
اكبر فكان اولى بان ينهى من اللطف الذي في الصلوة وعن ابن عباس ولذكر الله اياكم برحمته اكبر
من ذكركم اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون من الخير والطاعة فيثيبكم احسن الثواب • ولا تجادلوا
اهل الكتاب الخ بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم
والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون • بالتي هي احسن بالخصلة التي هي احسن وهي مقابلة الخشونة
باللين والغضب بالكظم والسورة بالاناة كما قال ادفع بالتي هي احسن الا الذين ظلموا فافرطوا
في الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق فاستعملوا معهم الغلظة وقيل الا الذين
آذوا رسول الله وقيل الا الذين اثبتوا الولد والشريك وقالوا يد الله مغلولة وقيل معناه ولا
تجادلوا الداخلين في الذمة المؤدين للجزية الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا
الجزية فان اولئك مجادلتهم بالسيف وعن قتادة الآية منسوخة بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله ولا باليوم الآخر ولا مجادلة اشد من السيف وقوله وقولوا آمنا بالذي انزل الينا من جنس المجادلة

بالتي هي احسن وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما حدثكم اهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا
آمنا بالله وكتبه ورسله فان كان باطلا لم تصدقوهم وان كان حقا لم تكذبوهم • وكذلك انزلنا
اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا
الا الكافرون • ومثل ذلك الانزال انزلنا اليك الكتاب اي انزلناه مصدقا لسائر الكتب
السماوية تحقيقا لقوله آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم وقيل وكما انزلنا الكتب الى من
كان قبلك انزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب هم عبد الله بن سلام ومن آمن معه ومن
هؤلاء من اهل مكة وقيل اراد بالذين اوتوا الكتاب الذين تقدموا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اهل الكتاب ومن هؤلاء ممن في عهده منهم وما يجحد بآياتنا مع ظهورها وزوال الشبهة عنها
الا المتوغلون في الكفر المصممون عليه وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه • وما كنت تتلو من
قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون • وانت امي ما عرفك احد قط بتلاوة
كتاب ولا خط اذا لو كان شيء من ذلك اي من التلاوة والخط لارتاب المبطلون من اهل الكتاب
وقالوا الذي نجده في كتبنا امي لا يكتب ولا يقرأ وليس به او لارتاب مشركو مكة وقالوا
لعله تعلمه او كتبه بيده فان قلت لم سماهم مبطلين ولو لم يكن اميا وقالوا ليس بالذي نجده
لكانوا صادقين محقين ولكان اهل مكة ايضا على حق في قولهم لعله تعلمه او
كتبه فانه رجل قارئ كاتب قلت سماهم مبطلين لانهم كفروا به وهو امي بعيد من الريب
فكانه قال هؤلاء المبطلون في كفرهم به لو لم يكن اميا لارتابوا اشد الريب فحين ليس بقارئ
كاتب فلا وجه لارتيابهم وشيء آخر وهو ان سائر الانبياء لم يكونوا اميين ووجب الايمان
بهم وبما جاؤوا به لكونهم مصدقين من جهة الحكيم بالمعجزات فهب انه قارئ كاتب فما لهم
لم يؤمنوا به من الوجه الذي آمنوا منه بموسى وعيسى عليهما السلام على ان المنزلين ليسا بمعجزين
وهذا المنزل معجز فاذن هم مبطلون حيث لم يؤمنوا به وهو امي ومبطلون لو لم يؤمنوا به وهو
قارئ كاتب فان قلت ما فائدة قوله بيمينك قلت ذكر اليمين وهي الجارحة التي يزاول بها الخط

زيادة تصوير لما نفي عنه من كونه كاتبا الا ترى انك اذا قلت في الاثبات رايت الامير يخط
هذا الكتاب بيمينه كان اشد لاثباتك انه تولى كتبته فكذلك النفي • بل هو آيات بينات في
صدور الذين اوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون • بل القرآن آيات بينات في صدور العلماء
به وحفاظه وهما من خصائص القرآن كون آياته بينات الاعجاز وكونه محفوظا في الصدور
يتلوه اكثر الامة ظاهرا بخلاف سائر الكتب فانها لم تكن معجزات وما كانت تقرأ الا من المصاحف ومنه
ما جاء في صفة هذه الامة صدورهم اناجيلهم وما يجحد بآيات الله الواضحة الا المتوغلون في
الظلم المكابرون • وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه قل انما الآيات عند الله وانما انا نذير مبين
اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون • قرئ
آية وآيات ارادوا هلا انزل عليه آية مثل ناقة صالح ومائدة عيسى ونحو ذلك انما الآيات عند
الله ينزل ايتها شاء ولو شاء ان ينزل ما يقترحونه لفعل وانما انا نذير كلفت الانذار و
ابانته بما اعطيت من الآيات وليس لي ان اتخير على الله آياته فاقول انزل علي آية كذا
دون آية كذا مع علمي ان الغرض من الآية ثبوت الدلالة والآيات كلها في حكم آية واحدة
في ذلك ثم قال اولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات ان كانوا طالبين للحق غير متعنتين هذا
القرآن الذي تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا
تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها وتكون في مكان دون مكان ان في مثل هذه الآية الموجودة
في كل مكان وزمان الى آخر الدهر لرحمة لنعمة عظيمة لا تشكر وتذكرة لقوم يؤمنون وقيل
اولم يكفهم يعني اليهود انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم بتحقيق ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك
وقيل ان ناسا من المسلمين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود فلما ان
نظر اليها القاها وقال كفى بها حماقة قوم او ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما
جاء به غير نبيهم فنزلت والوجه ما ذكرنا • قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات والارض
والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون • كفى بالله بيني وبينكم شهيدا [illegible]

بلغتكم ما ارسلت به اليكم وانذرتكم وانكم قابلتموني بالجحد والتكذيب • يعلم ما في السموات
والارض فهو مطلع على امري وامركم وعالم بحقي وباطلكم والذين آمنوا بالباطل منكم وهو ما تعبدون
من دون الله وكفروا بالله وآياته اولئك هم الخاسرون المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر
بالايمان الا ان الكلام ورد مورد الانصاف كقوله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وكقول
حسان فشركما لخيركما الفداء • وروي ان كعب بن الاشرف واصحابه قالوا يا محمد من يشهد لك بانك
رسول الله فنزلت • ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم
لا يشعرون • كان استعجال العذاب استهزاء منهم وتكذيبا والنضر بن الحرث هو الذي قال اللهم
امطر علينا حجارة من السماء كما قال اصحاب الايكة فاسقط علينا كسفا من السماء ولولا اجل قد
سماه الله وبينه في اللوح لعذابهم واوجبت الحكمة تاخيره الى ذلك الاجل المسمى لجاءهم العذاب
عاجلا والمراد بالاجل الآخرة لما روي ان الله عز وعلا وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يعذب
قومه ولا يستاصلهم وان يؤخر عذابهم الى يوم القيمة وقيل يوم بدر وقيل وقت فنائهم باجالهم •
يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين يوم يغشيهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم
ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون • لمحيطة اي ستحيط بهم يوم يغشيهم العذاب او هي محيطة بهم في الدنيا
لان المعاصي التي توجبها محيطة بهم او لانها مآلهم ومرجعهم لا محالة فكانها الساعة محيطة بهم
يوم يغشيهم على هذا منصوب بمضمر اي يوم يغشيهم العذاب كان كيت وكيت ومن فوقهم ومن
تحت ارجلهم كقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ونقول قرئ بالنون والياء ما كنتم
تعملون اي جزاءه • يا عبادي الذين آمنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون معنى الآية ان المؤمن
اذا لم يتسهل له العبادة في بلد هو فيه ولم يتمش له امر دينه كما يحب فليهاجر عنه الى بلد يقدر
انه فيه اسلم قلبا واصح دينا واكثر عبادة واحسن خشوعا ولعمري ان البقاع تتفاوت في ذلك
التفاوت الكثير ولقد جربنا وجرب اولونا فلم نجد فيما درنا وداروا اعون على قهر النفس وعصيان
الشهوة واجمع للقلب المتلفت واضم للهم المنتشر واحث على القناعة واطرد للشيطان

وابعد من كثير من الفتن واضبط للامر الديني في الجملة من سكنى حرم الله وجوار بيت الله فلله
الحمد على ما سهل من ذلك وقرب ورزق من الصبر واوزع من الشكر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجب الجنة وكان رفيق ابرهيم ومحمد
وقيل هي في المستضعفين بمكة الذين نزل فيهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها وانما كان ذلك
لان امر دينهم ما كان يستتب لهم بين ظهراني الكفرة فاياي فاعبدون في المتكلم نحو اياه ضربته في
الغائب واياك عضتك في المخاطب والتقدير فاياي فاعبدوا فاعبدون فان قلت ما معنى الفاء في
فاعبدون وتقديم المفعول قلت الفاء جواب شرط محذوف لان المعنى ان ارضي واسعة فان لم
تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها لي في غيرها ثم حذف الشرط وعوض من حذفه تقديم المفعول مع افادة
تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص • كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون • لما امر عباده بالحرص
على العبادة وصدق الاهتمام بها حتى يتطلبوا لها اوفق البلاد وان شسعت اتبعه قوله كل نفس
ذائقة الموت اي واجدة مرارته وكربه كما يجد الذائق طعم المذوق ومعناه انكم ميتون فواصلون
الى الجزاء ومن كانت هذه عاقبته لم يكن له بد من التزود لها والاستعداد بجهده • والذين آمنوا وعملوا
الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين الذين صبروا
وعلى ربهم يتوكلون • لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة علالي وقرئ لنثوينهم من الثوى وهو النزول
للاقامة يقال ثوى في المنزل واثوى هو واثوى غيره وثوى غير متعد فاذا تعدى بزيادة همزة النقل
لم يجاوز مفعولا واحدا نحو ذهب واذهبته والوجه في تعديته الى ضمير المؤمنين والى الغرف اما
اجراؤه مجرى لننزلنهم ونبوئنهم او حذف الجار وايصال الفعل او تشبيه الظرف الموقت بالمبهم وقرأ
يحيى بن وثاب فنعم بزيادة الفاء الذين صبروا على مفارقة الاوطان والهجرة لاجل الدين وعلى اذى المشركين
وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصي ولم يتوكلوا في جميع ذلك الا على الله عز وجل •
وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم • لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلم
بمكة بالهجرة خافوا الفقر والضيعة فكان يقول الرجل منهم كيف اقدم بلدة ليست لي فيها معيشة فنزلت

والدابة

والدابة كل نفس تدب على وجه الارض عقلت او لم تعقل لا تحمل رزقها لا تطيق ان تحمله لضعفها
عن حمله الله يرزقها واياكم اي لا يرزق تلك الدواب الضعاف الا الله ولا يرزقكم ايضا ايها الاقوياء
الا هو وان كنتم مطيقين لحمل ارزاقكم وكسبها لانه لو لم يقدركم ولم يقدر لكم اسباب الكسب لكنتم اعجز
من الدواب التي لا تحمله وعن الحسن لا تحمل رزقها لا تدخره انما تصبح فيرزقها الله وعن ابن عيينة ليس شيء
يخبأ الا الانسان والنملة والفارة وعن بعضهم رأيت البلبل يحتكر في حضنيه ويقال للعقعق مخابي الا
انه ينساها وهو السميع لقولكم نخشى الفقر والضيعة العليم بما في ضمائركم • ولئن سألتهم من خلق
السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون • الضمير في سألتهم لاهل مكة
فانى يؤفكون فكيف يصرفون عن توحيد الله عز وجل وان لا يشركوا به مع اقرارهم انه خالق السموات
والارض • الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ان الله بكل شيء عليم • قدر الرزق
وقتره بمعنى اذا ضيقه فان قلت الذي رجع اليه الضمير في قوله ويقدر له هو من يشاء فكان بسط
الرزق وقدره جعلا لواحد قلت يحتمل الوجهين جميعا ان يريد ويقدر لمن يشاء فوضع الضمير موضع من
يشاء لان من يشاء مبهم غير معين فكان الضمير مبهما مثله وان يريد تعاقب الامرين على واحد على حسب
المصلحة ان الله بكل شيء عليم يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم • ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء
فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون • استحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
على انه ممن اقر بنحو ما اقروا به ثم نفعه ذلك في توحيد الله ونفي الانداد والشركاء عنه ولم يكن اقرارا
عاطلا كاقرار المشركين وعلى انهم اقروا بما هو حجة عليهم حيث نسبوا النعمة الى الله وقد جعلوا العبادة
للصنم ثم قال بل اكثرهم لا يعقلون ما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان الشرك وصحة التوحيد
او لا يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله ولا يفطنون لم حمدت الله عند مقالتهم • وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو
ولعب وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون • هذه فيها ازدراء للدنيا وتصغير لامرها وكيف
لا يصغرها وهي لا تزن عنده جناح بعوضة يريد ما هي لسرعة زوالها عن اهلها وموتهم عنها الا كما يلعب
الصبيان ساعة ثم يتفرقون وان الآخرة لهي الحيوان اي ليس فيها الا حيوة مستمرة دائمة خالدة لا موت

فيها فكانها في ذاتها حيوة والحيوان مصدر حيي وقياسه حييان فقلبت الياء الثانية واوا كما قالوا
حيوة في اسم رجل وبه سمي ما فيه حيوة حيوانا قالوا اشتر من الموتان ولا تشتر من الحيوان وفي بناء الحيوان
زيادة معنى ليس في بناء الحيوة وهي ما في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب كالنزوان والنقضان واللهبان
وما اشبه ذلك والحيوة حركة كما ان الموت سكون فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة في
معنى الحيوة ولذلك اختيرت على الحيوة في هذا الموضع المقتضي للمبالغة لو كانوا يعلمون فلم يؤثروا الحيوة الدنيا
عليها • فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجيهم الى البر اذا هم يشركون ليكفروا بما
آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون • فان قلت بم اتصل قوله فاذا ركبوا قلت بمحذوف دل عليه ما وصفهم
به وشرح من امرهم معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين
له الدين كائنين في صورة من يخلص الدين لله عز وجل من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون معه
الها آخر وفي تسميتهم مخلصين ضرب من التهكم فلما نجيهم الى البر وامنوا عادوا الى حال الشرك واللام في
ليكفروا محتملة ان تكون لام كي وكذلك في وليتمتعوا فيمن قرأها بالكسر والمعنى انهم يعودون الى شركهم
ليكونوا بالعود الى شركهم كافرين بنعمة النجاة قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير على خلاف ما هو عادة المؤمنين
المخلصين على الحقيقة اذا انجاهم الله ان يشكروا نعمة الله في انجائهم ويجعلوا نعمة النجاة ذريعة الى ازدياد
الطاعة لا الى التمتع والتلذذ وان تكون لام الامر وقراءة من قرأ وليتمتعوا بالسكون تشهد له
ونحوه قوله تعالى اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير فان قلت كيف جاز ان يأمر الله تعالى بالكفر وبان يعمل العصاة
ما شاؤوا وهو ناه عن ذلك ومتوعد عليه قلت هو مجاز عن الخذلان والتخلية وان ذلك الامر متسخط
الى غاية ومثاله ان ترى الرجل قد عزم على امر وعندك ان ذلك الامر خطأ وانه يؤدي الى ضرر
عظيم فتبالغ في نصحه واستنزاله عن رايه فاذا لم تر منه الا الاباء والتصميم حردت عليه وقلت
انت وشأنك وافعل ما شئت فلا تريد بهذا حقيقة الامر وكيف والآمر بالشيء مريد له وانت شديد الكراهة
متحسر ولكنك كانك تقول له فاذ قد ابيت قبول النصيحة فانت اهل ليقال لك افعل ما شئت وتبعث
عليه لتتبين لك اذا فعلت صحة راي الناصح وفساد رايك • اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف

وقف

الناس من حولهم افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون • كانت العرب حول مكة يغزو بعضهم بعضا و
يتغاورون ويتناهبون واهل مكة قارون آمنون فيها لا يغزون ولا يغار عليهم مع قلتهم وكثرة العرب
فذكرهم الله تعالى هذه النعمة الخاصة عليهم ووبخهم بانهم يؤمنون بالباطل الذي هم عليه ومثل هذه
النعمة المكشوفة الظاهرة وغيرها من النعم التي لا يقدر عليها الا الله وحده مكفورة عندهم • ومن اظلم ممن
افترى على الله كذبا او كذب بالحق لما جاءه اليس في جهنم مثوى للكافرين • افتراؤهم على الله عز وجل كذبا
زعمهم ان لله شريكا وتكذيبهم بما جاءهم من الحق كفرهم بالرسول والكتاب وفي قوله لما جاءه تسفيه لهم يعني
لم يتلعثموا في تكذيبهم وقت سمعوه ولم يفعلوا كما يفعل المراجيح العقول المتثبتون في الامور يسمعون
الخبر فيستعملون فيه الروية والفكر ويستأنون الى ان يصح لهم صدقه او كذبه اليس تقرير لثوائهم في
جهنم كقوله • الستم خير من ركب المطايا • قال بعضهم ولو كان استفهاما ما اعطاه الخليفة مائة من الابل
وحقيقته ان الهمزة همزة الانكار دخلت على النفي فرجع الى معنى التقرير فهما وجهان احدهما الا يثوون
في جهنم والا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق هذا التكذيب
والثاني الم يصح عندهم ان في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا مثل هذه الجراءة • والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين • اطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول ليتناول كل ما يجب مجاهدته
من النفس الامارة بالسوء والشيطان واعداء الدين فينا في حقنا ومن اجلنا ولوجهنا خالصا لنهدينهم
سبلنا لنزيدنهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وعن ابي سليمن الداراني
والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم الى ما لم يعلموا وعن بعضهم من عمل بما يعلم وفق لما لا يعلم وقيل ان الذي
نرى من جهلنا بما لا نعلم انما هو من تقصيرنا فيما نعلم لمع المحسنين لناصرهم ومعينهم • قال صلى الله عليه وسلم من
قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

سورة الروم ستون آية مكية الا قوله فسبحان الله

بسم الله الرحمن الرحيم • الم
غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين • القراءة المشهورة الكثيرة غلبت
بضم الغين وسيغلبون بفتح الياء والارض ارض العرب لان الارض المعهودة عند العرب ارضهم والمعنى

وقف

غلبوا في أدنى الأرض أرض العرب منهم وهي أطراف الشام أو أراد أرضهم على إنابة اللام مناب المضاف إليه
أي في أدنى أرضهم إلى عدوهم قال مجاهد هي أرض الجزيرة وهي أدنى أرض الروم إلى فارس وعن ابن
عباس الأردن وفلسطين وقرئ في أداني الأرض والبضع ما بين الثلث إلى العشر عن الأصمعي وقيل
احتربت الروم وفارس بين أذرعات وبصرى فغلبت فارس الروم فبلغ الخبر مكة فشق على رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين لأن فارس مجوس لا كتاب لهم والروم أهل الكتاب وفرح المشركون وشمتوا
وقالوا أنتم والنصارى أهل كتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر إخواننا على إخوانكم ولنظهرن نحن عليكم
فنزلت فقال لهم أبو بكر رضي الله عنه لا يقرر الله أعينكم فوالله لتظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال
له أبي بن خلف كذبت يا أبا فضيل اجعل بيننا أجلا أناحبك عليه والمناحبة المراهنة فناحبه على عشر
قلائص من كل واحد منهما وجعل الأجل ثلث سنين فأخبر أبو بكر رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
البضع ما بين الثلث إلى التسع فزايده في الخطر وماده في الأجل فجعلاها مائة قلوص إلى تسع سنين ومات
أبي من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند رأس سبع
سنين وقيل كان النصر يوم بدر للفريقين فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبي وجاء به إلى رسول الله صلعم
فقال تصدق به وهذه الآية من الآيات البينة الشاهدة على صحة النبوة وأن القرآن من عند الله عز وجل
لأنها إنباء عن علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله عز وجل وقرئ غلبهم بسكون اللام والغلب والغلب
مصدران كالجلب والجلب والحلب والحلب وقرئ غلبت الروم بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه أن
الروم غلبوا على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون في بضع سنين وعند انقضاء هذه المدة أخذ المسلمون
في جهاد الروم وإضافة غلبهم تختلف باختلاف القراءتين فهي في إحداهما إضافة المصدر إلى المفعول وفي
الثانية إضافته إلى الفاعل ومثالها محرم عليكم إخراجهم ولن يخلف الله وعده فإن قلت كيف صحت
المناحبة وإنما هي قمار قلت عن قتادة رضي الله عنه أنه كان ذلك قبل تحريم القمار ومن مذهب أبي حنيفة ومحمد
رحمهما الله أن العقود الفاسدة من عقود الربا وغيرها جائزة في دار الحرب بين المسلمين والكفار وقد
احتجا على صحة ذلك بما عقده أبو بكر رضي الله عنه بينه وبين أبي بن خلف لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح

المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم من قبل ومن بعد أي في أول الوقتين وفي آخرهما
حين غلبوا وحين يغلبون كأنه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم
مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين يعني أن كونهم مغلوبين أولا وغالبين آخرا ليس إلا بأمر الله عز وجل
وقضائه وتلك الأيام نداولها بين الناس وقرئ من قبل ومن بعد على الجر من غير تقدير مضاف إليه و
اقتطاعه كأنه قيل قبلا وبعدا بمعنى أولا وآخرا ويومئذ ويوم تغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله
من غلبتهم يفرح المؤمنون بنصر الله وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم من كفار مكة
وقيل نصر الله هو إظهار صدق المؤمنين فيما أخبروا به المشركين من غلبة الروم وقيل نصر الله أنه ولى بعض
الظالمين بعضا وفرق بين كلمهم حتى تفانوا وتناقصوا وقل هؤلاء وهؤلاء شوكة وفي ذلك قوة للإسلام
وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وافق ذلك يوم بدر وفي هذا اليوم نصر المؤمنون وهو العزيز الرحيم
ينصر عليكم تارة وينصركم أخرى وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا
من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وعد الله مصدر مؤكد كقولك لك علي ألف درهم
عرفا لأن معناه أعترف لك بها اعترافا ووعد الله ذلك وعدا لأن ما سبقه في معنى وعد ذمهم
الله عز وجل بأنهم عقلاء في أمور الدنيا بله في أمر الدين وذلك أنهم كانوا أصحاب تجارات ومكاسب
وعن الحسن بلغ من حذق أحدهم أنه يأخذ الدرهم فينقره بإصبعه فيعلم أردي هو أم جيد وقوله
يعلمون بدل من قوله لا يعلمون وفي هذا الإبدال من النكتة أنه أبدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه
ويسد مسده ليعلمك أنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز
الدنيا وقوله ظاهرا من الحيوة الدنيا يفيد أن للدنيا ظاهرا وباطنا فظاهرها ما يعرفه الجهال من
التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها وباطنها وحقيقتها أنها مجاز إلى الآخرة يتزود منها إليها بالطاعة
والأعمال الصالحة وفي تنكير الظاهر أنهم لا يعلمون إلا ظاهرا واحدا من جملة الظواهر وهم الثانية يجوز
أن يكون مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر هم الأولى وأن يكون تكريرا للأولى وغافلون خبر الأولى
وأية كانت فذكرها مناد على أنهم معدن الغفلة عن الآخرة ومقرها ومحلها وأنها منهم تتبع

واليه ترجع . اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل
مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون . في انفسهم يحتمل ان يكون ظرفا كانه قال اولم
يحدثوا التفكر في انفسهم اي في قلوبهم الفارغة من الفكر والتفكر لا يكون الا في القلوب ولكنه
زيادة تصوير لحال المتفكرين كقولك اعتقده في قلبك واضمره في نفسك وان يكون صلة
للتفكر كقولك تفكر في الامر واجال فيه فكره وما خلق متعلق بالقول المحذوف معناه اولم يتفكروا
فيقولوا هذا القول وقيل معناه فيعلموا لان في الكلام دليلا عليه الا بالحق واجل مسمى اي ما خلقها باطلا
وعبثا بغير غرض صحيح وحكمة بالغة ولا لتبقى خالدة وانما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة
وبتقدير اجل مسمى لا بد لها من ان تنتهي اليه وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب
الا ترى الى قوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون كيف سمى تركهم غير راجعين
اليه عبثا والباء في قوله الا بالحق مثلها في قولك دخلت عليه بثياب السفر واشترى الفرس بسرجه
ولجامه تريد اشتراه وهو ملتبس بالسرج واللجام غير منفك عنهما وكذلك المعنى ما خلقها الا وهي ملتبسة
بالحق مقترنة به فان قلت اذا جعلت في انفسهم صلة للتفكر فما معناه قلت معناه اولم يتفكروا
في انفسهم التي هي اقرب اليهم من غيرها من المخلوقات وهم اعلم واخبر باحوالها منهم باحوال ما عداها
فيتدبروا ما اودعها الله ظاهرا وباطنا من غرائب الحكم الدالة على التدبير دون الاهمال وانه لا بد
لها من انتهاء الى وقت يجازيها فيه الحكيم الذي دبر امرها على الاحسان احسانا وعلى الاساءة مثلها
حتى يعلموا عند ذلك ان سائر الخلائق كذلك امرها جار على الحكمة والتدبير وانه لا بد لها من الانتهاء
الى ذلك الوقت والمراد بلقاء ربهم الاجل المسمى . اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وعمروها اكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان
الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون . اولم يسيروا تقرير لسيرهم في البلاد ونظرهم الى اثار المدمرين من
عاد وثمود وغيرهم من الامم العاتية ثم اخذ يصف لهم احوالهم وانهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض
وحرثوها قال الله تعالى لا ذلول تثير الارض وقيل لبقر الحرث المثيرة وقالوا سمي ثورا لاثارته الارض

وبقرة لانها تثيرها اي تشقها وعمروها يعني اولئك المدمرون اكثر مما عمروها من عمارة اهل مكة
واهل مكة اهل واد غير ذي زرع ما لهم اثارة الارض اصلا ولا عمارة لها راسا فما هو الا تهكم
وبضعف حالهم في دنياهم لان معظم ما يستظهر به اهل الدنيا ويتباهون به امر الدهقنة وهم
ايضا ضعاف القوى فقوله كانوا اشد منهم قوة اي عاد وثمود واضرابهم من هذا القبيل كقوله
اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وان كان هذا ابلغ لانه خالق القوى والقدر فما كان
تدميره اياهم ظلما لهم لان حاله منافية للظلم ولكنهم ظلموا انفسهم حيث عملوا ما اوجب تدميرهم . ثم
كان عاقبة الذين اساؤا السوأى ان كذبوا بايات الله وكانوا بها يستهزؤن . قرئ عاقبة بالنصب
والرفع والسوأى تأنيث الاسوأ وهو الاقبح كما ان الحسنى تأنيث الاحسن والمعنى انهم عوقبوا في الدنيا
بالدمار ثم كانت عاقبتهم السوأى الا انه وضع المظهر موضع المضمر اي العقوبة التي هي اسوأ العقوبات
في الاخرة وهي جهنم التي اعدت للكافرين وان كذبوا بمعنى لان كذبوا ويجوز ان يكون ان بمعنى اي
لانه اذا كان تفسير الاساءة التكذيب والاستهزاء كانت في معنى القول نحو نادى وكتب وما اشبه
ذلك ووجه اخر ان يكون اساؤا السوأى بمعنى اقترفوا الخطيئة التي هي اسوأ الخطايا وان كذبوا عطف
بيان لها وخبر كان محذوف كما يحذف جواب لما ولو ارادة الابهام . الله يبدؤ الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون .
ثم اليه ترجعون اي الى ثوابه وعقابه وقرئ بالتاء والياء . ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون .
الابلاس ان يبقى بائسا ساكتا متحيرا يقال ناظرته فابلس اذا لم ينبس وييس من ان يحتج ومنه
الناقة المبلاس التي لا ترغو وقرئ يبلس بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته . ولم يكن لهم من شركائهم
شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين . من شركائهم من الذين عبدوهم من دون الله وكانوا بشركائهم كافرين
اي يكفرون بالهتهم ويجحدونها او وكانوا في الدنيا كافرين بسببهم وكتب شفعؤا في المصحف بواو
قبل الالف كما كتب علمؤا بني اسرائيل وكذلك كتبت السوأى بالف قبل الياء اثباتا للهمزة على صورة
الحرف الذي منه حركتها . ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون . الضمير في يتفرقون للمسلمين والكافرين
لدلالة ما بعده عليه وعن الحسن هو تفرق المسلمين والكافرين هؤلاء في عليين وهؤلاء في اسفل سافلين

وعن قتادة فرقة لا اجتماع بعدها • فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون • في
روضة في بستان وهي الجنة والتنكير لابهام امرها وتفخيمه والروضة عند العرب كل ارض ذات
نبات وماء وفي امثالهم احسن من بيضة في روضة يريدون بيضة النعامة يحبرون يسرون يقال
حبره اذا سره سرورا تهلل له وجهه وظهر فيه اثره ثم اختلفت فيه الاقاويل لاحتماله وجوه
جميع المسار فعن مجاهد يكرمون وعن قتادة ينعمون وعن ابن كيسان يحلون وعن ابي بكر بن عياش
التيجان على رؤسهم وعن وكيع السماع في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر الجنة وما فيها من
النعيم وفي آخر القوم اعرابي فقال يا رسول الله هل في الجنة من سماع قال نعم يا اعرابي ان في الجنة لنهرا
حافتاه الابكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين باصوات لم يسمع الخلائق بمثلها قط فذلك افضل
نعيم الجنة قال الراوي فسألت ابا الدرداء بم يتغنين قال بالتسبيح وروي ان في الجنة لاشجارا عليها
اجراس من فضة فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله تعالى ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الاشجار
فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا • واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا
ولقاء الآخرة فاولئك في العذاب محضرون • محضرون لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم كقوله
وما هم بخارجين منها لا يفتر عنهم • فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات
والارض وعشيا وحين تظهرون • لما ذكر الوعد والوعيد اتبعه ذكر ما يوصل الى الوعد وينجي من
الوعيد والمراد بالتسبيح ظاهره الذي هو تنزيه الله من السوء والثناء عليه بالخير في هذه الاوقات لما
يتجدد فيها من نعمة الله تعالى الظاهرة وقيل الصلوة وقيل لابن عباس هل تجد الصلوات الخمس في القرآن
قال نعم وتلا هذه الآية تمسون صلوتا المغرب والعشاء وتصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر
وتظهرون صلوة الظهر وقوله وعشيا متصل بقوله حين تمسون وقوله وله الحمد في السموات و
الارض اعتراض بينهما ومعناه ان على المميزين كلهم من اهل السموات والارض ان يحمدوه فان قلت لم
ذهب الحسن الى ان هذه الآية مدنية قلت لانه كان يقول فرضت الصلوات الخمس بالمدينة وكان
الواجب بمكة ركعتين في غير وقت غير معلوم والقول الاكثر ان الخمس انما فرضت بمكة وعن عائشة رضي

فرضت الصلوة ركعتين فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اقرت صلوة السفر وزيد في
صلوة الحضر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله
حين تمسون وحين تصبحون الآية وعنه صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون
وحين تصبحون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته في يومه ومن قالها حين يمسي ادرك ما
فاته في ليلته وفي قراءة عكرمة حينا تمسون وحينا تصبحون والمعنى تمسون فيه وتصبحون فيه كقوله
تعالى يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا بمعنى فيه • يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي
الارض بعد موتها وكذلك تخرجون • الحي من الميت الطائر من البيضة والميت من الحي البيضة
من الطائر واحياء الارض اخراج النبات منها وكذلك تخرجون ومثل ذلك الاخراج تخرجون من القبور
وتبعثون والمعنى ان الابداء والاعادة متساويان في قدرة من هو قادر على الطرد والعكس من اخراج
الميت من الحي واخراج الحي من الميت واحياء الميت واماتة الحي وقرئ الميت بالتشديد وتخرجون
بفتح التاء • ومن اياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون • خلقكم من تراب لانه خلق
اصلهم منه واذا للمفاجاة وتقديره ثم فاجاتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الارض كقوله وبث
منهما رجالا كثيرا ونساء • ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم
مودة ورحمة ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون • من انفسكم ازواجا لان حواء خلقت من ضلع
آدم والنساء بعدها خلقن من اصلاب الرجال او من شكل انفسكم وجنسها لا من جنس آخر وذلك
لما بين الاثنين من جنس واحد من الالف والسكون وما بين الجنسين المختلفين من التنافر وجعل بينكم
التواد والتراحم بعصمة الزواج بعد ان لم يكن بينكم سابقة معرفة ولا لقاء ولا سبب يوجب التعاطف
من قرابة او رحم وعن الحسن المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال ورحمة منا وقال ذكر رحمة
ربك عبده وقيل سكن اليه اذا مال اليه كقولهم انقطع اليه ومنه السكن وهو الالف المسكون اليه فعل
بمعنى مفعول وقيل ان المودة والرحمة من قبل الله وان الفرك من قبل الشيطان • ومن آياته خلق السموات
والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لايات للعالمين • الالسنة اللغات او اجناس

النطق واشكاله خالف عز وعلا بين هذه الاشياء حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين في همس
واحد ولا جهارة ولا حدة ولا رخاوة ولا فصاحة ولا لكنة ولا نظم ولا اسلوب ولا غير ذلك من
صفات النطق واحواله وكذلك الصور وتخطيطها والالوان وتنويعها ولاختلاف ذلك وقع
التعارف والا فلو اتفقت وتشاكلت وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت
مصالح كثيرة وربما رايت توأمين يشتبهان في الحلية فيعروك الخطأ في التمييز بينهما وتعرف حكمة الله
في المخالفة بين الحلى وفي ذلك اية بينة حيث ولدوا من اب واحد وفرعوا من اصل فذ وهم على
الكثرة التي لا يعلمها الا الله مختلفون متفاوتون وقرئ للعالمين بفتح اللام وكسرها ويشهد للكسر
قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون ● ومن اياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان في ذلك
لايات لقوم يسمعون ● هذا من باب اللف وترتيبه ومن اياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار
الا انه فصل بين القرينين الاولين بالقرينين الاخيرين لانهما زمانان والزمان والواقع فيه كشيء واحد
مع اعانة اللف على الاتحاد ويجوز ان يراد منامكم في الزمانين وابتغاؤكم فيهما والظاهر هو الاول لتكرره
في القران واسد المعاني ما دل عليه القران يسمعونه بالاذان الواعية ● ومن اياته يريكم البرق خوفا وطمعا
وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك لايات لقوم يعقلون ● في يريكم وجهان اضمار
ان وانزال الفعل منزلة المصدر وبهما فسر المثل تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وقول القائل ● وقالوا
ما تشاء فقلت الهو الى الاصباح اثر ذي اثير ● خوفا من الصاعقة او من الاخلاف وطمعا في الغيث
وقيل خوفا للمسافر وطمعا للحاضر وهما منصوبان على المفعول له فان قلت من حق المفعول له ان يكون
فعلا لفاعل الفعل المعلل والخوف والطمع ليسا كذلك قلت فيه وجهان احدهما ان المفعولين فاعلون
في المعنى لانهم راءون فكانه قيل يجعلكم رائين البرق خوفا وطمعا والثاني ان يكون على تقدير المضاف اي ارادة
خوف وارادة طمع فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويجوز ان يكونا حالين اي خائفين وطامعين و
وقرئ ينزل بالتشديد ● ومن اياته ان تقوم السماء والارض بامره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا
انتم تخرجون وله من في السموات والارض كل له قانتون ● ومن اياته قيام السموات والارض

واستمساكها

واستمساكها بغير عمد بامره اي بقوله كونا قائمتين والمراد باقامتهما وارادته لكونهما على صفة القيام
دون الزوال وقوله اذا دعاكم بمنزلة قوله يريكم في ايقاع الجملة موقع المفرد على المعنى كانه قال ومن اياته
قيام السموات والارض ثم خروج الموتى من القبور اذا دعاهم دعوة واحدة يا اهل القبور اخرجوا
والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف ولا تلبث كما يجيب الداعي المطاع مدعوه كما قال القائل ●
دعوت كليبا دعوة فكانما دعوت به ابن الطود او هو اسرع ● يريد بابن الطود الصدى او الحجر
اذا تدهدى وانما عطف هذا على قيام السموات والارض بثم بيانا لعظم ما يكون من ذلك الامر و
اقتداره على مثله وهو ان يقول يا اهل القبور قوموا فلا تبقى نسمة من الاولين والاخرين الا قامت
تنظر كما قال عز وعلا ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون قولك دعوته من مكان كذا كما يجوز
ان يكون مكانك يجوز ان يكون مكان صاحبك تقول دعوت زيدا من اعلى الجبل فنزل علي ودعوته
من اسفل الوادي فطلع الي فان قلت بم تعلق من الارض ابالفعل ام بالمصدر قلت هيهات اذا
جاء نهر الله بطل نهر معقل فان قلت ما الفرق بين اذا واذا قلت الاولى للشرط والثانية للمفاجاة
وهي تنوب مناب الفاء في جواب الشرط وقرئ تخرجون بضم التاء وفتحها قانتون منقادون لوجود
افعاله فيهم ولا يمتنعون عليه ● وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه وله المثل الاعلى
في السموات والارض وهو العزيز الحكيم ● وهو اهون عليه فيما يجب عندكم وينقاس على اصولكم و
يقتضيه معقولكم لان من اعاد منكم صنعة شيء كان اسهل عليه واهون من انشائها وتعتذرون
للصانع اذا خطي في بعض ما ينشئه بقولكم اول الغزو اخرق وتسمون الماهر في صناعته معاودا
تعنون انه عاودها كرة بعد اخرى حتى مرن عليها وهانت عليه فان قلت لم ذكر الضمير في قوله وهو
اهون والمراد به الاعادة قلت معناه وان يعيده اهون عليه فان قلت لم اخرت الصلة في قوله
وهو اهون عليه وقدمت في قوله هو علي هين قلت هناك قصد الاختصاص وهو محزه فقيل هو
علي هين وان كان مستصعبا عندكم ان يولد بين هم وعاقر واما هاهنا فلا معنى للاختصاص كيف والامر
مبني على ما يعقلون من ان الاعادة اسهل من الابتداء فلو قدمت الصلة لتغير المعنى فان قلت ما بال

الاعادة استعظمت فى قوله ثم اذا دعاكم حتى كانها فضلت على قيام السموات والارض بامره ثم
هونت بعد ذلك قلت الاعادة فى نفسها عظيمة ولكنها هونت بالقياس الى الانشاء وقيل الضمير
فى عليه للخلق ومعناه ان البعث اهون على الخلق من الانشاء لان تكوينه فى حد الاستحكام
التمام اهون عليه واقل تعبا وكيدا من ان ينتقل فى احوال ويتدرج فيها الى ان يبلغ ذلك الحد
وقيل الاهون بمعنى الهين ووجه آخر وهو ان الانشاء من قبيل التفضل الذى يتخير فيه الفاعل
بين ان يفعله وان لا يفعله والاعادة من قبيل الواجب الذى لا بد له من فعله لانها لجزاء الاعمال و
جزاؤها واجب والافعال اما محال والمحال ممتنع اصلا خارج عن المقدور واما ما يصرف الحكيم عن فعله
صارف وهو القبيح فهو رديف المحال لان الصارف يمنع وجود الفعل كما يمنعه الاحالة واما تفضل و
التفضل حالة بين بين للفاعل ان يفعله وان لا يفعله واما واجب لا بد من فعله ولا سبيل الى الاخلال
به فكان الواجب ابعد الافعال من الامتناع واقربها من الحصول فلما كانت الاعادة من قبيل الواجب كانت
ابعد الافعال من الامتناع واذا كانت ابعدها من الامتناع كانت ادخلها فى التأتى والتسهل فكانت
اهون منها واذا كانت اهون منها كانت اهون من الانشاء وله المثل الاعلى اى الوصف الاعلى الذى
ليس لغيره مثله وقد عرف به ووصف فى السموات والارض على السنة الخلائق والسنة الدلائل وهو
انه القادر الذى لا يعجز عن شئ من انشاء واعادة وغيرهما من المقدورات ويدل عليه قوله وهو العزيز
الحكيم اى القاهر لكل مقدور الحكيم الذى يجرى كل فعل على قضايا حكمته وعلمه وعن مجاهد المثل الاعلى
قول لا اله الا الله ومعناه وله الوصف الاعلى الذى هو الوصف بالوحدانية ويعضده قوله ضرب لكم
مثلا من انفسكم وقال الزجاج وله المثل الاعلى فى السموات والارض اى قوله وهو اهون عليه ضرب لكم
مثلا من انفسكم هل لكم من ما ملكت ايمانكم من شركاء فى ما رزقناكم فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم انفسكم
كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون وقد ضرب لكم مثلا فيما يصعب ويسهل يريد التفسير الاول قلت
اى فرق بين من الاولى والثانية والثالثة فى قوله من انفسكم مما ملكت ايمانكم من شركاء قلت الاولى
للابتداء كانه قال اخذ مثلا وانتزعه من اقرب شئ منكم وهى انفسكم ولم يبعد والثانية للتبعيض والثالثة

مزيدة لتاكيد الاستفهام الجارى مجرى النفى ومعناه هل ترضون لانفسكم وعبيدكم امثالكم بشر كبشر
وعبيد كعبيد ان يشارككم بعضهم فيما رزقناكم من الاموال وغيرها تكونون انتم وهم فيه على السواء من
غير تفضلة بين حر وعبد تهابون ان تستبدوا بتصرف دونهم وان تفتاتوا بتدبير عليهم كما يهاب بعضكم
بعضا من الاحرار فاذا لم ترضوا بذلك لانفسكم فكيف ترضون لرب الارباب ومالك الاحرار والعبيد ان
تجعلوا بعض عبيده له شركاء كذلك اى مثل هذا التفصيل نفصل الآيات اى نبينها لان التمثيل مما يكشف
المعانى ويوضحها لانه بمنزلة التصوير والتشكيل لها الا ترى كيف صور الشرك بالصورة المشوهة بل اتبع
الذين ظلموا اهواءهم بغير علم فمن يهدى من اضل الله وما لهم من ناصرين الذين ظلموا اى اشركوا كقوله
تعالى ان الشرك لظلم عظيم بغير علم اى اتبعوا اهواءهم جاهلين لان العالم اذا ركب هواه ربما ردعه
علمه وكفه واما الجاهل فيهيم على وجهه كالبهيمة لا يكفه شئ من اضل الله من خذله ولم يلطف به لعلمه
انه ممن لا لطف له فمن يقدر على هداية مثله وقوله وما لهم من ناصرين دليل على ان المراد بالاضلال الخذلان
فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس
لا يعلمون منيبين اليه واتقوه واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين فاقم وجهك للدين فقوم وجهك له
وعدله غير ملتفت عنه يمينا ولا شمالا وهو تمثيل لاقباله على الدين واستقامته عليه وثباته واهتمامه باسبابه
فان من اهتم بالشئ عقد عليه طرفه وسدد اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا به عليه وحنيفا حال من المأمور
او من الدين فطرة الله الزموا فطرة الله او عليكم فطرة الله وانما اضمرته على خطاب الجماعة لقوله منيبين الله
ومنيبين حال من الضمير فى الزموا وقوله واتقوه واقيموا ولا تكونوا معطوف على هذا المضمر والفطرة
الخلقة الا ترى الى قوله لا تبديل لخلق الله والمعنى انه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الاسلام غير نائين عنه
ولا منكرين له لكونه مجاوبا للعقل مساوقا للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينا آخر ومن غوى
منهم فباغواء شياطين الانس والجن ومنه قوله صلى الله عليه وسلم كل عبادى خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين
عن دينهم فامروهم ان يشركوا بى غيرى وقوله عم كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه
وينصرانه لا تبديل لخلق الله اى ما ينبغى ان تبدل تلك الفطرة او تغير فان قلت لم وحد الخطاب اولا

ثم جمع قلت خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اولاً وخطاب الرسول خطاب لامته مع ما فيه من التعظيم
للامام ثم جمع بعد ذلك للبيان والتلخيص من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون من
الذين بدل من المشركين فارقوا دينهم تركوا دين الاسلام وقرئ فرقوا دينهم اي جعلوه اديانا مختلفة
لاختلاف اهوآئهم وكانوا شيعاً فرقاً كل واحدة تشايع امامها الذي اضلها كل حزب منهم فرح بمذهبه مسرور
يحسب باطله حقاً ويجوز ان يكون من الذين منقطعاً مما قبله ومعناه من المفارقين دينهم كل حزب فرحين
بما لديهم ولكنه رفع فرحون على الوصف لكل كقوله وكل خليل غير هاضم نفسه واذا مس الناس ضر دعوا
ربهم منيبين اليه ثم اذا اذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون
الضر الشدة من هزال او مرض او قحط او غير ذلك والرحمة الخلاص من الشدة واللام في ليكفروا مجاز مثلها
في ليكون لهم عدواً فتمتعوا نظير اعملوا ما شئتم فسوف تعلمون وبال تمتعكم وقرأ ابن مسعود وليتمتعوا ام انزلنا
عليهم سلطاناً فهو يتكلم بما كانوا به يشركون السلطان الحجة وتكلمه مجاز كما تقول كتابه ناطق بكذا
وهذا مما نطق به القرآن ومعناه الدلالة والشهادة كانه قال فهو يشهد بشركهم وبصحته وما في بما كانوا
مصدرية اي بكونهم بالله يشركون ويجوز ان تكون موصولة ويرجع الضمير اليها ومعناه فهو يتكلم بالامر
الذي بسببه يشركون ويحتمل ان يكون المعنى ام انزلنا عليهم ذا سلطان اي ملكاً معه برهان فذلك الملك
يتكلم بالبرهان الذي بسببه يشركون واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت
ايديهم اذا هم يقنطون اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون
واذا اذقناهم رحمة اي نعمة من مطر او سعة او صحة فرحوا بها وان تصبهم سيئة اي بلاء من جدب او
ضيق او مرض والسبب فيها شؤم معاصيهم قنطوا من الرحمة ثم انكر عليهم بانهم قد علموا انه هو الباسط القابض
فما لهم يقنطون من رحمته وما لهم لا يرجعون اليه تائبين من المعاصي التي عوقبوا بالشدة من اجلها حتى يعيد
اليهم رحمته فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله واولئك
هم المفلحون حق ذي القربى صلة الرحم وحق المسكين وابن السبيل نصيبهما من الصدقة المسماة لهما وقد احتج
ابو حنيفة بهذه الآية في وجوب النفقة للمحارم اذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب وعند الشافعي

لا نفقة بالقرابة الا على الولد والوالدين قاس سائر القرابات على ابن العم لانه لا ولاد بينهم فان قلت كيف
تعلق قوله فآت ذا القربى بما قبله حتى جيء بالفاء قلت لما ذكر ان السيئة اصابتهم بما قدمت ايديهم اتبعه
ذكر ما يجب ان يفعل وما يجب ان يترك يريدون وجه الله يحتمل ان يراد بوجهه ذاته او جهته وجانبه
اي يقصدون بمعروفهم اياه خالصاً وحقه كقوله تعالى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى او يقصدون جهة
التقرب الى الله لا جهة اخرى والمعنيان متقاربان ولكن الطريقة مختلفة وما آتيتم من رباً ليربوا
في اموال الناس فلا يربوا عند الله وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون هذه
الآية في معنى قوله عز وجل يمحق الله الربوا ويربي الصدقات سواء بسواء يريد وما آتيتم اكلة الربوا من
رباً ليربوا في اموالهم ليزيد ويزكو في اموالهم فلا يزكو عند الله ولا يبارك فيه وما آتيتم من زكوة اي
صدقة تبتغون به وجهه خالصاً لا تطلبون به مكافاة ولا رياء وسمعة فاولئك هم المضعفون ذوو
الاضعاف من الحسنات ونظير المضعف المقوي والموسر لذي القوة واليسار وقرئ بفتح العين
وقيل نزلت في ثقيف وكانوا يربون وقيل المراد ان يهب الرجل للرجل ويهدي له ليعوضه اكثر مما وهب او
اهدى فليست تلك الزيادة بحرام ولكن المعوض لا يثاب على تلك الزيادة وقالوا الربوا ربوان
فالحرام كل قرض يؤخذ فيه اكثر منه او يجر منفعة والذي ليس بحرام ان يستدعي بهبته او بهديته
اكثر منها وفي الحديث المستغزر يثاب من هبته وقرئ وما اتيتم من رباً بمعنى وما غشيتموه او رهقتموه
من اعطاء رباً وقرئ لتربوا اي لتزيدوا في اموالهم كقوله ويربي الصدقات اي يزيدها وقوله فاولئك
هم المضعفون التفات حسن كانه قال للملائكة وخواص خلقه فاولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم
هم المضعفون فهو امدح لهم من ان يقول فانتم المضعفون والمعنى المضعفون به لانه لا بد من ضمير يرجع
الى ما ووجه آخر وهو ان يكون تقديره فمؤتوه اولئك هم المضعفون والحذف لما في الكلام من الدليل عليه
وهذا اسهل مأخذاً والاول املأ بالفائدة الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم
من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون الله مبتدأ وخبره الذي خلقكم اي الله فاعل هذه
الافعال الخاصة التي لا يقدر على شيء منها احد غيره ثم قال هل من شركائكم الذين اتخذتموهم انداداً له

من الاصنام وغيرها من يفعل شيئا قط من تلك الافعال حتى يصح ما ذهبتم اليه ثم استبعد ذلك من حال
شركائهم ويجوز ان يكون الذي خلقكم صفة المبتدأ والخبر هل من شركائكم وقوله من ذلكم هو الذي ربط
الجملة بالمبتدأ لان معناه من افعاله ومن الاولى والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة بتأكيد
لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم بعض الذي
عملوا لعلهم يرجعون الفساد في البر والبحر كالجدب والقحط وقلة الريع في الزراعات والربح في التجارات
ووقوع الموتان في الناس والدواب وكثرة الحرق والغرق واخفاق الصيادين والغاصة ومحق البركات
من كل شيء وقلة المنافع في الجملة وكثرة المضار وعن ابن عباس رضي الله عنهما اجدبت الارض وانقطعت
مادة البحر وقالوا اذا انقطع القطر عميت دواب البحر وعن الحسن ان المراد بالبحر مدن البحر وقراه التي
على شاطئه وعن عكرمة العرب تسمي الامصار البحار وقرئ في البر والبحور بما كسبت ايدي الناس بسبب معاصيهم
وذنوبهم كقوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم وعن ابن عباس ظهر الفساد في البر بقتل ابن
آدم اخاه وفي البحر بان جلندى كان يأخذ كل سفينة غصبا وعن قتادة كان ذلك قبل البعث فلما بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع راجعون عن الضلال والظلم ويجوز ان يريد ظهور الشر والمعاصي بكسب الناس
ذلك فان قلت ما معنى قوله ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون قلت اما على التفسير الاول فظاهر وهو ان
الله تعالى قد افسد اسباب دنياهم ومحقها ليذيقهم وبال بعض اعمالهم في الدنيا قبل ان يعاقبهم بجميعها في الآخرة
لعلهم يرجعون عما هم عليه واما على الثاني فاللام مجاز على معنى ان ظهور الشر والمعاصي بسببهم مما استوجبوا به ان
يذيقهم الله وبال اعمالهم ارادة الرجوع فكانهم انما افسدوا وتسببوا لفشو المعاصي في الارض لاجل
ذلك وقرئ لنذيقهم بالنون قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان اكثرهم
مشركين ثم اكد تسبب المعاصي لغضب الله ونكاله حيث امرهم بان يسيروا فينظروا كيف اهلك الله الامم
واذاقهم سوء العاقبة لمعاصيهم ودل بقوله كان اكثرهم مشركين على ان الشرك وحده لم يكن سبب تدميرهم و
ان ما دونه من المعاصي يكون سببا لذلك فاقم وجهك للدين القيم من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله
يومئذ يصدعون القيم البليغ الاستقامة الذي لا يتأتى فيه عوج من الله اما ان يتعلق بيأتي فيكون

من قبل ان يأتي من الله يوم لا يرده احد كقوله فلا يستطيعون ردها او يرد على معنى لا يرده هو بعد
ان يجيء به ولا راد له من جهته والمرد مصدر بمعنى الرد يصدعون يتصدعون اي يتفرقون كقوله تعالى
ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون فعليه كفره
كلمة جامعة لما لا غاية وراءه من المضار لان من كان ضاره كفره فقد احاطت به كل مضرة فلانفسهم
يمهدون اي يسوون لانفسهم ما يسويه لنفسه الذي يمهد فراشه ويوطئه لئلا يصيبه في مضجعه ما
ينبيه عليه وينغص عليه مرقده من نتوء او قضض او بعض ما يؤذي الراقد ويجوز ان يريد فعلى انفسهم
يشفقون من قولهم في المشفق ام فرشت فانامت وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على ان ضرر
الكفر لا يعود الا على الكافر لا يتعداه ومنفعة الايمان والعمل الصالح ترجع الى المؤمن لا يتجاوزه ليجزي
الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله انه لا يحب الكافرين ليجزي متعلق بيمهدون تعليل له من فضله
مما يتفضل عليهم بعد توفية الواجب من الثواب وهذا يشبه الكناية لان الفضل تبع للثواب فلا يكون
الا بعد حصول ما هو تبع له او اراد من عطائه وهو ثوابه لان الفضول والفواضل هي الاعطية عند
العرب وتكرير الذين آمنوا وعملوا الصالحات وترك الضمير الى الصريح لتقرير انه لا يفلح عنده الا المؤمن
الصالح وقوله انه لا يحب الكافرين تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس ومن آياته ان يرسل الرياح
مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون الرياح
هي الجنوب والشمال والصبا وهي رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقد عدد الاغراض في ارسالها وانه ارسلها للبشارة بالغيث ولاذاقة
الرحمة وهي نزول المطر وحصول الخصب الذي يتبعه والروح الذي مع هبوب الريح وزكاء الارض
قال رسول الله صلعم اذا كثرت المؤتفكات زكت الارض وازالة العفونة من الهواء وتذرية الحبوب و
غير ذلك ولتجري الفلك في البحر عند هبوبها وانما زاد بامره لان الريح قد تهب ولا تكون مواتية فلا
بد من ارساء السفن والاحتيال لحبسها وربما عصفت فاغرقتها ولتبتغوا من فضله يريد تجارة البحر ولتشكروا
نعمة الله فيها فان قلت بم تعلق وليذيقكم قلت فيه وجهان ان يكون معطوفا على مبشرات على المعنى كانه

قيل لتبشيركم وليذيقكم وأن يتعلق بمحذوف تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا أرسلناها ولقد
أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر
المؤمنين اختصر الطريق إلى الغرض بأن أدرج تحت ذكر الانتقام والنصر ذكر الفريقين وقد أخلى
الكلام أولا عن ذكرهما وقوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين تعظيم للمؤمنين ورفع من شأنهم وتأهيل
لكرامة سنية وإظهار لفضل سابقة ومزية حيث جعلهم مستحقين على الله أن ينصرهم مستوجبين عليه
أن يظهرهم ويظفرهم وقد يوقف على حقا ومعناه وكان الانتقام منهم حقا ثم يبتدئ علينا نصر المؤمنين
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقا على الله أن يرد عنه نار
جهنم يوم القيامة ثم تلا قوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه
في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده
إذا هم يستبشرون وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين فيبسطه متصلا تارة ويجعله كسفا
أي قطعا تارة فترى الودق يخرج من خلاله في التارتين جميعا والمراد بالسماء سمت السماء وشقها كقوله تعالى
وفرعها في السماء وبإصابة العباد إصابة بلادهم وأراضيهم من قبله من باب التكرير كقوله تعالى فكان عاقبتهما
أنهما في النار خالدين فيها ومعنى التوكيد فيه الدلالة على أن عهدهم بالمطر قد تطاول وبعد فاستحكم
يأسهم وتمادى إبلاسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي
الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير قرئ أثر وآثار على التوحيد والجمع
أبو حيوة وغيرهم كيف يحيي أي الرحمة إن ذلك يعني إن ذلك القادر الذي يحيي الأرض بعد موتها هو الذي
يحيي الناس بعد موتهم وهو على كل شيء من المقدورات قادر وهذا من جملة المقدورات بدليل الإنشاء
ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء
إذا ولوا مدبرين وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون فرأوه
فرأوا أثر رحمة الله لأن رحمة الله هي الغيث وأثرها النبات ومن قرأ بالجمع رجع الضمير إلى معناه
لأن معنى آثار الرحمة النبات واسم النبات يقع على القليل والكثير لأنه مصدر سمي به ما ينبت ولئن

هي اللام الموطئة للقسم دخلت على حرف الشرط ولظلوا جواب القسم سد مسد الجوابين أعني جواب
القسم وجواب الشرط ومعناه ليظلن ذمهم الله عز وجل بأنه إذا حبس عنهم القطر قنطوا من رحمته وضربوا
أذقانهم على صدورهم مبلسين فإذا أصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا وابتهجوا فإذا أرسل ريحا
فضرب زروعهم بالصفار ضجوا وكفروا بنعمة الله فهم في جميع هذه الأحوال على الصفة المذمومة كان
عليهم أن يتوكلوا على الله وفضله فقنطوا وأن يشكروا نعمته ويحمدوه عليها فلم يزيدوا على الفرح والاستبشار
وأن يصبروا على بلائه فكفروا والريح التي اصفر لها النبات يجوز أن تكون حرورا وحرجفا فكلاهما مما
يصوح له النبات ويصبح هشيما وقال مصفرا لأن تلك صفرة حادثة وقيل فرأوا السحاب مصفرا لأنه
إذا كان كذلك لم يمطر الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة
ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير قرئ بفتح الضاد وضمها وهما لغتان والضم أقوى
في القراءة لما روى ابن عمر رضي الله عنهما قال قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فأقرأني من ضعف
وقوله خلقكم من ضعف كقوله خلق الإنسان من عجل يعني أن أساس أمركم وما عليه جبلتكم وبنيتكم
الضعف وخلق الإنسان ضعيفا أي ابتدأناكم في أول الأمر ضعافا وذلك حال الطفولة والنشوء حتى
بلغتم وقت الاحتلام والشبيبة وتلك حال القوة إلى الاكتهال وبلوغ الأشد ثم رددتم إلى أصل حالكم
وهو الضعف بالشيخوخة والهرم وقيل من ضعف من النطف كقوله تعالى من ماء مهين وهذا الترديد في
الأحوال المختلفة والتغيير من هيئة إلى هيئة وصفة إلى صفة أظهر دليل وأعدل شاهد على الصانع
العليم القادر ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون الساعة
القيامة سميت بذلك لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا ولأنها تقع بغتة وبديهة كما تقول
في ساعة لمن تستعجله وجرت علما لها كالنجم للثريا والكوكب للزهرة وأرادوا لبثهم في الدنيا أو في القبور
أو فيما بين فناء الدنيا إلى البعث وفي الحديث ما بين فناء الدنيا إلى وقت البعث أربعون قالوا لا نعلم
أهي أربعون سنة أم أربعون ألف سنة وذلك وقت يفنون فيه وينقطع عذابهم وإنما يقدرون وقت
لبثهم بذلك على وجه استقصارهم له أو ينسون أو يكذبون أو يخمنون كذلك كانوا يؤفكون أي مثل

ذلك الصرف كانوا يصرفون عن الصدق والتحقيق في الدنيا وهكذا كانوا يبنون امرهم على خلاف
الحق او مثل ذلك الافك كانوا يؤفكون في الاغترار بما تبين لهم الآن انه ما كان الا ساعة • وقال
الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون
القائلون هم الملائكة والانبياء والمؤمنون في كتاب الله في اللوح او في علم الله وقضائه او فيما كتبه
اى اوجبه بحكمته ردوا ما قالوه وحلفوا عليه واطلعوهم على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على انكار
البعث بقولهم فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق لتفريطكم في طلب الحق واتباعه فان
قلت ما هذه الفاء وما حقيقتها قلت هي التي في قوله فقد جئنا خراسانا وحقيقتها انها جواب شرط
يدل عليه الكلام كانه قال ان صح ما قلتم من ان خراسان اقصى ما يراد بنا فقد جئنا خراسان وآن لنا
ان نخلص وكذلك ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث اى فقد تبين بطلان قولكم وقرأ الحسن يوم البعث
بالتحريك • يومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون • لا ينفع قرئ بالياء والتاء يستعتبون
من قولك استعتبني فلان فاعتبته اى استرضاني فارضيته وذلك اذا كنت جانيا عليه وحقيقة اعتبته
ازلت عتبه الا ترى الى قوله • غضبت تميم ان يقتل عامر يوم النسار فاعتبوا بالصيلم • كيف جعلهم
غضابا ثم قال فاعتبوا اى ازيل غضبهم والغضب في معنى العتب والمعنى لا يقال لهم ارضوا ربكم بتوبة و
طاعة ومثله قوله تعالى لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون فان قلت كيف جعلوا غير مستعتبين فهذا معناه
واما كونهم غير معتبين فمعناه انهم غير راضين بما هم فيه فشبهت حالهم بحال قوم جني عليهم فهم عاتبون على
الجاني غير راضين منه فان يستعتبوا الله اى يسألوه ازالة ما هم فيه فما هم من المجابين الى ازالته • ولقد
ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون كذلك
يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون • ولقد وصفنا لهم كل صفة كانها مثل في غرابتها وقصصنا عليهم كل
قصة عجيبة الشان كصفة المبعوثين يوم القيمة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم وما لا ينفع من
اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم ولكنهم لقسوة قلوبهم ومج اسماعهم حديث الآخرة اذا جئتهم بآية من
آيات القرآن قالوا جئتنا بزور وباطل ثم قال مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الجهلة ومعنى

طبع الله منع الالطاف التي ينشرح لها الصدور حتى تقبل الحق وانما يمنعها من علم انها لا تجدي عليه
ولا تغني عنه كما يمنع الواعظ الموعظة من يتبين له ان الموعظة تلغو ولا تنجع فيه فوقع ذلك
كناية عن قسوة قلوبهم وركوب الصداء والرين اياها فكانه قال كذلك تقسو وتصدأ قلوب
الجهلة حتى يسموا المحقين مبطلين وهم اعرق خلق الله في تلك الصفة • فاصبر ان وعد الله حق ولا
يستخفنك الذين لا يوقنون • فاصبر على عداوتهم ان وعد الله بنصرتك واظهار دينك على الدين كله
حق لا بد من انجازه والوفاء به ولا يحملنك على الخفة والقلق جزعا مما يقولون ويفعلون فانهم
قوم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك وقرئ بتخفيف النون وقرأ ابن ابي اسحق ويعقوب
ولا يستحقنك اى لا يفتننك فيملكوك ويكونوا احق بك من المؤمنين • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والارض
وادرك ما ضيع في يومه وليلته سورة لقمن مكية وهي اربع وثلثون آية وقيل ثلث وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم • الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة
للمحسنين الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون اولئك على هدى من
ربهم واولئك هم المفلحون • الكتاب الحكيم ذي الحكمة او وصف بصفة الله عز وجل على الاسناد المجازي
ويجوز ان يكون الاصل الحكيم قائله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر
استكن في الصفة المشبهة هدى ورحمة بالنصب على الحال عن الآيات والعامل فيهما ما في تلك من معنى
الاشارة وبالرفع على انه خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف للمحسنين للذين يعملون الحسنات وهي التي
ذكرها من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة والايقان بالآخرة ونظيره قول اوس • الالمعي الذي يظن بك
الظن كان قد رأى وقد سمعا • حكي عن الاصمعي انه سئل عن الالمعي فانشده ولم يزد او للذين يعملون
جميع ما يحسن من الاعمال ثم خص منهم القائمين بهذه الثلث لفضل اعتدادها • ومن الناس من
يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا اولئك لهم عذاب مهين • اللهو كل باطل
الهى عن الخير وعما يعني ولهو الحديث نحو السمر بالاساطير والاحاديث التي لا اصل لها والتحدث بالخرافات

والمضاحك وفضول الكلام وما لا ينبغي من كان وكان ونحو الغناء وتعلم الموسيقار وما اشبه ذلك
وقيل نزلت في النضر بن الحارث وكان يتجر الى فارس فيشتري كتب الاعاجم فيحدث بها قريشا و
يقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم باحاديث رستم وبهرام والاكاسرة و
ملوك الحيرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن وقيل كان يشتري المغنيات فلا يظفر
باحد يريد الاسلام الا انطلق به الى قينته فيقول اطعميه واسقيه وغنيه ويقول هذا خير مما
يدعوك اليه محمد من الصلوة والصيام وان تقاتل بين يديه وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم لا يحل
بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن ولا اثمانهن وعنه صلعم ما من رجل يرفع صوته
بالغناء الا بعث الله عليه شيطانين احدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربان
بارجلهما حتى يكون هو الذي يسكت وقيل الغناء منفدة للمال مسخطة للرب مفسدة للقلب فان
قلت ما معنى اضافة اللهو الى الحديث قلت معناها التبيين وهي الاضافة بمعنى من وان يضاف
الشيء الى ما هو منه كقولك صفة خز وباب ساج والمعنى من يشتري اللهو من الحديث لان اللهو
يكون من الحديث ومن غيره فبين بالحديث والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جاء في الحديث الحديث
في المسجد ياكل الحسنات كما تاكل البهيمة الحشيش ويجوز ان يكون الاضافة بمعنى من التبعيضية كانه
قيل ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو منه وقوله يشتري اما من الشري على ما روي
عن النضر من شري كتب الاعاجم او من شري القيان واما من قوله اشتروا الكفر بالايمان اي استبدلوه
منه واختاروه عليه وعن قتادة اشتراؤه استحبابه يختار حديث الباطل على حديث الحق وقرئ
ليضل بضم الياء وفتحها وسبيل الله دين الاسلام او القرآن فان قلت القراءة بالضم بينة لان النضر
كان غرضه باشتراء اللهو ان يصد الناس عن الدخول في الاسلام واستماع القرآن ويضلهم عنه فما
معنى القراءة بالفتح قلت فيه معنيان احدهما ليثبت على ضلاله الذي كان عليه ولا يصدف عنه و
يزيد فيه ويمده فان المخذول كان شديد الشكيمة في عداوة الدين وصد الناس عنه والثاني ان يوضع
ليضل موضع ليضل من قبل ان من اضل كان ضالا لا محالة فدل بالرديف على المردوف فان قلت ما معنى

قوله بغير علم قلت لما جعله مشتريا لهو الحديث بالقرآن قال يشتري بغير علم بالتجارة وبغير بصيرة
بها حيث يستبدل الضلال بالهدى والباطل بالحق ونحوه قوله تعالى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين
اي وما كانوا مهتدين للتجارة بصراء بها وقرئ ويتخذها بالنصب والرفع عطفا على يشتري وليضل و
الضمير للسبيل لانها مؤنثة كقوله تعالى ويصدون عن سبيل الله من آمن به ويبغونها عوجا • واذا تتلى عليه
آياتنا ولى مستكبرا كان لم يسمعها كان في اذنيه وقرا فبشره بعذاب اليم • ولى مستكبرا زاما لا يعبأ بها
ولا يرفع بها راسا يشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع كان في اذنيه وقرا اي ثقلا ولا
وقر فيهما وقرئ بسكون الذال فان قلت ما محل الجملتين المصدرتين بكان قلت الاولى حال من مستكبر
والثانية من لم يسمعها ويجوز ان يكونا استينافين والاصل كانه والضمير ضمير الشان •
ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم • وعد الله
حقا مصدران مؤكدان الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره لان قوله لهم جنات النعيم في معنى وعدهم
الله جنات النعيم فاكد معنى الوعد بالوعد واما حقا فدال على معنى الثبات اكد به معنى الوعد ومؤكدهما
جميعا قوله لهم جنات النعيم وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء ولا يعجزه يقدر على الشيء وضده فيعطي النعيم
من شاء والبؤس من شاء وهو الحكيم لا يشاء الا ما توجبه الحكمة والعدل • خلق السموات بغير عمد ترونها
والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل
زوج كريم • ترونها الضمير فيه للسموات وهو استشهاد برؤيتهم لها غير معمودة على قوله بغير عمد كما تقول
لصاحبك انا بلا سيف ولا رمح تراني فان قلت ما محلها من الاعراب قلت لا محل لها لانها مستأنفة او هي
في محل الجر صفة للعمد اي بغير عمد مرئية يعني انه عمدها بعمد لا ترى وهي امساكها بقدرته • هذا خلق الله
فاروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين • هذا اشارة الى ما ذكر من مخلوقاته و
الخلق بمعنى المخلوق والذين من دونه آلهتهم بكتهم بان هذه الاشياء العظيمة مما خلقه الله عز وجل و
انشأه فاروني ماذا خلقته آلهتكم حتى استوجبوا عندكم العبادة ثم اضرب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم
بالتورط في ضلال ليس بعده ضلال • ولقد آتينا لقمان الحكمة ان اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه و

كفر فان الله غني حميد • هو لقمن بن باعورا ابن اخت ايوب او ابن خالته وقيل كان من اولاد آزر
وعاش الف سنة وادرك داود عليه السلم واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعث داود فلما بعث
قطع الفتوى فقيل له فقال الا اكتفي اذا كفيت وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل واكثر الاقاويل انه كان
حكيما ولم يكن نبيا وعن ابن عباس رضه لقمن لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان راعيا اسود فرزقه الله العتق
ورضي قوله ووصيته فقص امره في القرآن ليتمسكوا بوصيته وقال عكرمة والشعبي كان نبيا وقيل خير
بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وعن ابن المسيب كان اسود من سودان مصر خياطا وعن مجاهد كان
عبدا اسود غليظ الشفتين متشقق القدمين وقيل كان نجارا وقيل راعيا وقيل كان يحتطب لمولاه
كل يوم حزمة وعنه انه قال لرجل ينظر اليه ان كنت تراني غليظ الشفتين فانه يخرج من بينهما كلام
رقيق وان كنت تراني اسود فقلبي ابيض وروي ان رجلا وقف عليه في مجلسه فقال الست الذي ترعى
معي مكان كذا قال بلى قال فما بلغ بك ما ارى قال صدق الحديث والصمت عما لا يعنيني وروي انه دخل
على داود عليه السلم وهو يسرد الدرع وقد لين له الحديد كالطين فاراد ان يسأله فادركته الحكمة فسكت
فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكم وقليل فاعله فقال له داود بحق ما سميت
حكيما وروي ان مولاه امره بذبح شاة وبان يخرج منها اطيب مضغتين فاخرج اللسان والقلب
ثم امره بمثل ذلك بعد ايام وان يخرج اخبث مضغتين فاخرج اللسان والقلب فسأله عن ذلك
فقال هما اطيب ما فيها اذا طابا واخبث ما فيها اذا خبثا وعن سعيد بن المسيب انه قال لاسود لا تحزن
فانه كان من خير الناس ثلثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر ولقمن ان هي المفسرة لان ايتاء الحكمة
في معنى القول وقد نبه الله سبحانه على ان الحكمة الاصلية والعلم الحقيقي هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له
حيث فسر ايتاء الحكمة بالبعث على الشكر غني غير محتاج الى الشكر حميد حقيق بان يحمد وان لم يحمده
احد • واذ قال لقمن لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم • قيل كان اسم ابنه
انعم وقال الكلبي اشكم وقيل كان ابنه وامراته كافرين فما زال بهما حتى اسلما الظلم عظيم لان التسوية بين
من لا نعمة الا هي منه ومن لا نعمة منه البتة ولا يتصور ان تكون منه ظلم لا يكتنه عظمه • ووصينا الانسان

بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك الي المصير وان
جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من
اناب الي ثم الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون • اي حملته تهن وهنا على وهن كقولك رجع عودا على
بدء بمعنى يعود عودا على بدء وهو في موضع الحال والمعنى انها تضعف ضعفا فوق ضعف اي تتزايد
ضعفها ويتضاعف لان الحمل كلما ازداد وعظم ازدادت ثقلا وضعفا وقرئ وهنا على وهن بالتحريك
عن ابي عمرو يقال وهن يوهن ووهن يهن وقرئ وفصله ان اشكر تفسير لوصينا ما ليس لك به
علم اراد بنفي العلم به نفيه اي لا تشرك بي ما ليس بشيء يريد الاصنام كقوله تعالى ما يدعون من دونه
من شيء معروفا صحابا او مصاحبا معروفا حسنا بخلق جميل وحلم واحتمال وبر وصلة وما يقتضيه
الكرم والمروة واتبع سبيل من اناب الي يريد واتبع سبيل المؤمنين في دينك ولا تتبع سبيلهما
فيه وان كنت مأمورا بحسن مصاحبتهما في الدنيا ثم الي مرجعك ومرجعهما فاجازيك على ايمانك
واجازيهما على كفرهما علم بذلك حكم الدنيا وما يجب على الانسان في صحبتهما ومعاشرتهما من مراعاة
حق الابوة وتعظيمه وما لهما من المواجب التي لا يسوغ الاخلال بها ثم بين حكمهما وحالهما في الآخرة
وروي انها نزلت في سعد بن ابي وقاص وامه وفي القصة انها مكثت ثلثا لا تطعم ولا تشرب
حتى شجروا فاها بعود وروي انه قال لو كانت لها سبعون نفسا فخرجت لما ارتددت الى الكفر
فان قلت هذا الكلام كيف وقع في اثناء وصية لقمن قلت هو كلام اعترض به على سبيل الاستطراد
تاكيدا لما في وصية لقمن من النهي عن الشرك فان قلت فقوله حملته امه وهنا على وهن وفصاله
في عامين كيف اعترض به بين المفسر والمفسر قلت لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده الام وتعانيه من
المشاق والمتاعب في حمله وفصاله هذه المدة المتطاولة ايجابا للتوصية بالوالدة خصوصا وتذكيرا
بحقها العظيم مفردا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن قال له من ابر قال امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم امك
ثم اباك وعن بعض انه حمل امه الى الحج على ظهره وهو يقول في حدائه بنفسه احمل امي وهي الحمالة
ترضعني الدرة والعلالة • ولا يجازى والد ضماله • فان قلت ما معنى توقيت الفصال بالعامين قلت

المعنى في توقيته بهذه المدة انها الغاية التي لا تتجاوز والامر فيما دون العامين موكول الى اجتهاد
الام ان علمت انه يقوى على الفطام فلها ان تفطمه ويدل عليه قوله عز وجل والوالدات يرضعن
اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وبه استشهد الشافعي على ان مدة الرضاع
سنتان لا يثبت حرمة الرضاع بعد انقضائهما وهو مذهب ابي يوسف ومحمد رحمهما الله واما عند
ابي حنيفة رحمه الله فمدة الرضاع ثلثون شهرا وعن ابي حنيفة ان فطمته قبل العامين فاستغنى
بالطعام ثم ارضعته لم يكن رضاعا وان اكل اكلا ضعيفا لم يستغن به عن الرضاع ثم ارضعته فهو
رضاع محرم ● يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السموات او في الارض
يأت بها الله ان الله لطيف خبير ● قرئ مثقال حبة بالنصب والرفع فمن نصب كان الضمير للهنة من
الاساءة او الاحسان اي ان كانت مثلا في الصغر والقماءة كحبة الخردل فكانت مع صغرها في
اخفى موضع واحرزه كجوف الصخرة او حيث كانت في العالم العلوي او السفلي يأت بها الله يوم القيمة
فيحاسب بها عاملها ان الله لطيف يتوصل علمه الى كل خفي خبير عالم بكنهه وعن قتادة لطيف باستخراجها
خبير بمستقرها ومن قرأ بالرفع كان ضميرا للقصة وانما انث المثقال لاضافته الى الحبة كما قال
كما شرقت صدر القناة من الدم ● وروي ان ابن لقمن قال له ارأيت الحبة تكون في مقل البحر اي في
مغاصه يعلمها الله فقال ان الله يعلم اصغر الاشياء في اخفى الامكنة لان الحبة في الصخرة اخفى منها في
الماء وقيل الصخرة هي التي تحت الارض وهي السجين يكتب فيها اعمال الكفار وقرئ فتكن بكسر الكاف
من وكن الطائر يكن اذا استقر في وكنته وهي مقره ليلا ● يا بني اقم الصلوة وأمر بالمعروف وانه
عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور ● واصبر على ما اصابك يجوز ان يكون عاما
في كل ما يصيبه من المحن وان يكون خاصا بما يصيبه فيما امر به من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من
اذى من يبعثهم على الخير وينكر عليهم الشر ان ذلك مما عزمه الله من الامور اي قطعه قطع ايجاب والزام
ومنه الحديث لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل اي لم يقطعه بالنية الا ترى الى قوله لمن لم يبيت
الصيام ومنه ان الله يحب ان يؤخذ برخصه كما يحب ان يؤخذ بعزائمه وقولهم عزمة من عزمات

ربنا ومنه عزمات الملوك وذلك ان يقول الملك لبعض من تحت يده عزمت عليك الا فعلت كذا
اذا قال ذلك لم يكن للمعزوم عليه بد من فعله ولا مندوحة في تركه وحقيقته انه من تسمية المفعول
بالمصدر واصله من معزومات الامور اي من مقطوعاتها ومفروضاتها ويجوز ان يكون مصدرا في معنى
الفاعل اصله من عازمات الامور من قوله تعالى فاذا عزم الامر وصدق القتال وناهيك بهذه الاية
مؤذنة بقدم هذه الطاعات وانها كانت مأمورا بها في سائر الامم وان الصلوة لم تزل عظيمة الشان
سابقة القدم على ما سواها موصى بها في الاديان كلها ● ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الارض
مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور ● تصاعر وتصعر بالتشديد والتخفيف يقال اصعر خده و
صعره وصاعره كقولك اعلاه وعلاه وعالاه بمعنى والصعر والصيد داء يصيب البعير يلوي منه عنقه
والمعنى اقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا تولهم شق وجهك وصفحته كما يفعل المتكبرون ولا
تمش تمرح مرحا او اوقع المصدر موقع الحال بمعنى مرحا ويجوز ان يريد لا تمش لاجل المرح والاشر اي لا
يكن غرضك في المشي البطالة والاشر كما يمشي كثير من الناس لذلك لا لكفاية مهم ديني او دنيوي ونحوه
قوله تعالى ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس والمختال مقابل للماشي وكذلك الفخور
للمصعر خده كبرا ● واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير ● و
اقصد في مشيك واعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب وثب
الشطار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن واما قول عائشة في عمر رضي الله عنهما
كان اذا مشى اسرع فانما ارادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت وقرئ واقصد بقطع الهمزة اي
سدد في مشيك من اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك وانقص منه واقصر
من قولك فلان يغض من فلان اذا قصر به ووضع منه انكر الاصوات اوحشها من قولك شيء نكر
اذا انكرته النفوس واستوحشت منه ونفرت والحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة وكذلك نهاقه
ومن استفحاشهم لذكره مجردا وتفاديهم من اسمه انهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح به فيقولون الطويل
الاذنين كما يكنى عن الاشياء المستقذرة وقد عد في مساوي الآداب ان يجري ذكر الحمار في مجلس قوم

من اولى المروة ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافا وان بلغت منه الرجلة فتشبيه الرافعين اصواتهم
بالحمير وتمثيل اصواتهم بالنهاق ثم اخلاء الكلام من لفظ التشبيه واخراجه مخرج الاستعارة وان
جعلوا حميرا وان جعلوا حميرا وصوتهم نهاقا مبالغة شديدة في الذم والتهجين وافراط في التثبيط عن
رفع الصوت والترغيب عنه وتنبيه على انه من كراهة الله بمكان فان قلت لم وحد صوت الحمير ولم يجمع قلت
ليس المراد ان يذكر صوت كل واحد من احاد هذا الجنس حتى يجمع وانما المراد ان كل جنس من الحيوان الناطق
له صوت وانكر اصوات هذه الاجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيده • الم تروا ان الله سخر لكم ما في
السموات وما في الارض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب
منير • ما في السموات الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك وما في الارض البحار والانهار والمعادن
والدواب وما لا يحصى واسبغ قرئ بالسين والصاد وهكذا كل سين اجتمع معه الغين والخاء والقاف تقول
في سلخ صلخ وفي سقر صقر وفي سالغ صالغ وقرئ نعمه ونعمة ونعمته فان قلت ما النعمة قلت كل نفع
تقصد به الاحسان والله عز وعلا خلق العالم كله نعمة لانه اما حيوان واما غير حيوان فما ليس بحيوان نعمة
على الحيوان والحيوان نعمة من حيث ان ايجاده حيا نعمة عليه لانه لولا ايجاده حيا لما صح منه الانتفاع
وكل ما ادى الى الانتفاع وصححه فهو نعمة فان قلت لم كان خلق العالم مقصودا به الاحسان قلت لانه لا يخلقه
الا لغرض والا كان عبثا والعبث لا يجوز عليه ولا يجوز ان يكون لغرض راجع اليه من نفع لانه غني غير محتاج
الى المنافع فلم يبق الا ان يكون لغرض يرجع الى الحيوان وهو نفعه فان قلت فما معنى الظاهرة والباطنة قلت
الظاهرة كل ما يعلم بالمشاهدة والباطنة ما لا يعلم الا بدليل او لا يعلم اصلا فكم في بدن الانسان من نعمة لا
يعلمها ولا يهتدي الى العلم بها وقد اكثروا في ذلك فعن مجاهد الظاهرة ظهور الاسلام والنصرة على الاعداء والباطنة
الامداد من الملائكة وعن الحسن الظاهرة الاسلام والباطنة الستر وعن الضحاك الظاهرة حسن الصورة
وامتداد القامة وتسوية الاعضاء والباطنة المعرفة وقيل الظاهرة البصر والسمع واللسان وسائر
الجوارح والباطنة القلب والعقل والفهم وما اشبه ذلك ويروى في دعاء موسى صلوات الله عليه
الهي دلني على اخفى نعمتك على عبادك فقال اخفى نعمتي عليهم النفس ويروى ان ايسر ما يعذب به اهل النار

الاخذ بالانفاس • واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا او لو كان الشيطان
يدعوهم الى عذاب السعير • معناه ايتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم اي في حال دعاء الشيطان اياهم
الى العذاب • ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الامور
قرا علي بن ابي طالب رضي الله عنه ومن يسلم بالتشديد يقال اسلم امرك وسلم امرك الى الله فان قلت ما له عدي
باللام في قوله بلى من اسلم وجهه لله قلت معناه مع اللام انه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالما لله اي
خالصا له ومعناه مع الى انه سلم نفسه اليه كما يسلم المتاع الى الرجل اذا دفع اليه والمراد التوكل عليه والتفويض
اليه فقد استمسك بالعروة الوثقى من باب التمثيل مثلت حال المتوكل بحال من اراد ان يتدلى من شاهق فاحتاط
لنفسه بان استمسك باوثق عروة من حبل متين مامون انقطاعه والى الله عاقبة الامور اي هي صائرة اليه •
ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور نمتعهم قليلا ثم نضطرهم
الى عذاب غليظ • قرئ يحزنك ويحزنك من حزن واحزن والذي عليه الاستعمال المستفيض احزنه
ويحزنه والمعنى لا يهمنك كفر من كفر وكيده للاسلام فان الله عز وجل دافع كيده في نحره ومنتقم منه
ومعاقبه على عمله ان الله يعلم ما في صدور عباده فيفعل بهم على حسبه نمتعهم زمانا قليلا بدنياهم ثم نضطرهم
الى عذاب غليظ شبه الزامهم التعذيب وارهاقهم اياه باضطرار المضطر الى الشيء الذي لا يقدر على الانفكاك
منه والغلظ مستعار من الاجرام الغليظة والمراد الشدة والثقل على المعذب • ولئن سالتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون لله ما في السموات والارض ان الله هو الغني الحميد •
قل الحمد لله الزام لهم على اقرارهم بان الذي خلق السموات والارض هو الله وحده وانه يجب ان يكون له الحمد
والشكر وان لا يعبد معه غيره ثم قال بل اكثرهم لا يعلمون ان ذلك يلزمهم واذا نبهوا عليه لم ينتبهوا
ان الله هو الغني عن حمد الحامدين المستحق للحمد وان لم يحمدوه • ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر
يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم • قرئ والبحر بالنصب عطفا على اسم ان و
بالرفع عطفا على محل ان ومعمولها على ولو ثبت كون الاشجار اقلاما وثبت البحر ممدودا بسبعة ابحر او
الابتداء والواو واو الحال على معنى ولو ان الاشجار اقلام في حال كون البحر ممدودا وفي قراءة ابن مسعود وبحر

يمده على التنكير ويجب ان يحمل هذا على الوجه الاول وقرئ يمده ويُمِدّه وبالتاء والياء فان قلت كان
مقتضى الكلام ان يقال ولو ان الشجر اقلام والبحر مداد قلت اغنى عن ذكر المداد قوله يمده لانه من قولك
مدّ الدواة وامدها جعل البحر الاعظم بمنزلة الدواة وجعل الابحر السبعة مملوءة مدادا فهي تصب فيه مدادها
ابدا صبا لا ينقطع والمعنى ولو ان اشجار الارض اقلام والبحر ممدود بسبعة ابحر وكتبت بتلك الاقلام
وبذلك المداد كلمات الله لما نفدت كلماته ونفدت الاقلام والمداد كقوله عز وجل لو كان البحر مدادا لكلمات
ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي فان قلت زعمت ان قوله والبحر يمده حال في احد وجهي الرفع وليس
فيه ضمير راجع الى ذي الحال قلت هو كقوله وقد اغتدي والطير في وكناتها. وجئت والجيش مصطف
وما اشبه ذلك من الاحوال التي حكمها حكم الظروف ويجوز ان يكون المعنى وبحرها والضمير للارض فان قلت لم
قيل من شجرة على التوحيد دون اسم الجنس الذي هو شجر قلت اريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى
من جنس الشجر ولا واحدة الا قد بريت اقلاما فان قلت الكلمات جمع قلة والموضع موضع التكثير لا التقليل
فهلا قيل كلم الله قلت معناه ان كلماته لا تفي بكتبتها البحار فكيف بكلمه وعن ابن عباس انها نزلت جوابا لليهود
لما قالوا قد اوتينا التوراة وفيها كل الحكمة وقيل ان المشركين قالوا ان هذا يعنون الوحي كلام سينفد
فاعلم الله ان كلامه لا ينفد وهذه الآية عند بعضهم مدنية وانها نزلت بعد الهجرة وقيل هي مكية وانما امر
اليهود وفد قريش ان يقولوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألست تتلو فيما انزل عليك انا قد اوتينا التوراة فيها
علم كل شيء ان الله عزيز لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج من علمه وحكمته شيء ومثله لا تنفد كلماته وحكمه. ما خلقكم
ولا بعثكم الا كنفس واحدة ان الله سميع بصير. الا كنفس واحدة الا كخلقها وبعثها اي سواء في قدرته القليل
والكثير والواحد والجمع لا يتفاوت وذلك انه انما كانت تتفاوت النفس الواحدة والنفوس الكثيرة العدد
ان لو شغله شان عن شان وفعل عن فعل وقد تعالى عن ذلك ان الله سميع بصير يسمع كل صوت ويبصر كل
مبصر في حالة واحدة لا يشغله ادراك بعضها عن ادراك بعض فكذلك الخلق والبعث. الم تر ان الله يولج
الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري الى اجل مسمى وان الله بما تعملون خبير.
كل واحد من الشمس والقمر يجري في فلكه ويقطعه الى وقت معلوم الشمس الى آخر السنة والقمر الى آخر الشهر

وعن الحسن الاجل المسمى يوم القيامة لانه لا ينقطع جريهما الا حينئذ دل ايضا بالليل والنهار وتعاقبهما و
زيادتهما ونقصانهما وجري النيرين في فلكيهما كل ذلك على تقدير وحساب وباحاطته بجميع اعمال الخلق
على عظم قدرته وحكمته فان قلت يجري لاجل مسمى ويجري الى اجل مسمى اهو من تعاقب الحرفين قلت
كلا ولا يسلك هذه الطريقة الا بليد الطبع ضيق العطن ولكن المعنيين اعني الانتهاء والاختصاص كل
واحد منهما ملائم لصحة الغرض لان قولك يجري الى اجل مسمى معناه يبلغه وينتهي اليه وقولك يجري لاجل مسمى
تريد يجري لادراك اجل مسمى تجعل الجري مختصا بادراك اجل مسمى الا ترى ان جري الشمس مختص بآخر السنة
وجري القمر بآخر الشهر فكلا المعنيين غير ناب به موضعه. ذلك بان الله هو الحق وان ما تدعون من دونه
الباطل وان الله هو العلي الكبير. ذلك الذي وصف من عجائب قدرته وحكمته التي يعجز عنها الاحياء القادرون
العالمون فكيف بالجماد الذي تدعونه من دون الله انما هو بسبب انه الحق الثابت الهيته وان من دونه
باطل الالهية وان الله هو العلي الشان الكبير السلطان او ذلك الذي اوحي اليك من هذه الآيات بسبب
بيان ان الله هو الحق وان الها غيره باطل وان الله هو العلي الكبير عن ان يشرك به. الم تر ان الفلك تجري في
البحر بنعمة الله ليريكم من آياته ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور. قرئ الفلك بضم اللام وكل فعل يجوز
فيه فعل كما يجوز في كل فعل فعل على مذهب التعويض وبنعمات الله بسكون العين وعين فعلات يجوز فيها
الكسر والفتح والسكون بنعمة الله باحسانه ورحمته صبار على بلائه شكور لنعمائه وهما صفتا المؤمن فكأنه
قال ان في ذلك لآيات لكل مؤمن. واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى
البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور. يرتفع الموج ويتراكب فيعود مثل الظلل والظلة كل
ما اظلك من جبل او سحاب او غيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال فمنهم مقتصد متوسط في الكفر
والظلم خفض من غلوائه وانزجر بعض الانزجار او مقتصد في الاخلاص الذي كان عليه في البحر يعني ان ذلك
الاخلاص الحادث عند الخوف لا يبقى لاحد قط والمقتصد قليل نادر وقيل مؤمن قد ثبت على ما عاهد عليه
الله في البحر والختر اشد الغدر ومنه قولهم انك لا تمد لنا شبرا من غدر الا مددنا لك باعا من ختر
قال وانك لو رأيتا ابا عمير ملأت يديك من غدر وختر. يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي

والد عن ولده ولا مولود هو جازٍ عن والده شيئا ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا
يغرنكم بالله الغرور • لا يجزي لا يقضي عنه شيئا ومنه قيل للمتقاضي المتجازي وفي الحديث في جذعة بن
نيار تجزي عنك ولا تجزي عن احد بعدك وقرئ لا يجزئ لا يغني يقال اجزأت عنك مجزأ فلان و
المعنى لا يجزي فيه تخفيف والغرور الشيطان وقيل الدنيا وقيل تمنيكم في المعصية المغفرة وعن سعيد بن جبير
الغرة بالله بان يتمادى الرجل في المعصية ويتمنى على الله المغفرة وقيل ذكرك لحسناتك ونسيانك لسيئاتك
غرة وقرئ بضم الغين وهو مصدر غره غرورا وجعل الغرور غارا كما قيل جد جده او اريد زينة الدنيا
لانها غرور فان قلت قوله ولا مولود هو جاز عن والده شيئا وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه
هو معطوف عليه قلت الامر كذلك لان الجملة الاسمية اكد من الفعلية وقد انضم الى ذلك قوله هو و
قوله مولود والسبب في مجيئه على هذا السنن ان الخطاب للمؤمنين وعليتهم قبض اباؤهم على الكفر وعلى
الدين الجاهلي فاريد حسم اطماعهم واطماع الناس فيهم ان ينفعوا اباءهم في الاخرة وان يشفعوا لهم وان
يغنوا عنهم من الله شيئا فلذلك جيء به على الطريق الاكد ومعنى التوكيد في لفظ المولود ان الواحد منهم
لو شفع للاب الادنى الذي ولد منه لم تقبل شفاعته فضلا ان يشفع لمن فوقه من اجداده لان الولد
يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فانه لمن ولد منك • ان الله عنده علم الساعة وينزل
الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت ان الله
عليم خبير • روي ان رجلا من محارب وهو الحارث بن عمرو بن حارثة اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله اخبرني عن الساعة متى قيامها واني قد القيت حباتي في الارض وقد ابطأت عنا السماء فمتى
تمطر واخبرني عن امرأتي فقد اشتملت ما في بطنها اذكر ام انثى واني علمت ما عملت امس فما اعمل غدا
وهذا مولدي قد عرفته فاين اموت فنزلت وعن النبي صلى الله عليه وسلم مفاتح الغيب خمس وتلا هذه
الاية وعن ابن عباس رضي من ادعى علم هذه الخمسة فقد كذب اياكم والكهانة فان الكهانة تدعو الى
الشرك واهله في النار وعن المنصور انه اهمه معرفة مدة عمره فرأى في منامه كان خيالا اخرج يده
من البحر واشار اليه بالاصابع الخمس فاستفتى العلماء في ذلك فتأولوها بخمس سنين وبخمسة اشهر وبغير

ذلك حتى قال ابو حنيفة رحمه الله تاويلها ان مفاتح الغيب خمس لا يعلمها الا الله وان ما طلبت معرفته
لا سبيل لك اليه عنده علم الساعة ايان مرسيها وينزل الغيث في ابانه من غير تقديم ولا تاخير وفي
بلد لا يتجاوزه به ويعلم ما في الارحام اذكر ام انثى اتام ام ناقص وكذلك ما سوى ذلك من الاحوال و
ما تدري نفس برة او فاجرة ماذا تكسب غدا من خير وشر وربما كانت عازمة على خير فعملت شرا
وعازمة على شر فعملت خيرا وما تدري نفس اين تموت وربما اقامت بارض وضربت اوتادها
وقالت لا ابرحها واقبر فيها فترمي بها مرامي القدر حتى تموت في مكان لم يخطر ببالها ولا حدثتها به
ظنونها وروي ان ملك الموت مر على سليمن فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل
من هذا فقال ملك الموت فقال كانه يريدني وسال سليمن صلوات الله عليه ان يحمله على الريح ويلقيه ببلاد
الهند ففعل ثم قال ملك الموت لسليمن كان دوام نظري اليه تعجبا منه لاني امرت ان اقبض روحه بالهند
وهو عندك وجعل العلم لله والدراية للعبد لما في الدراية من معنى الختل والحيلة والمعنى انها لا تعرف و
ان اعملت حيلها ما يلصق بها ويختص ولا تتخطاها ولا شيء اخص بالانسان من كسبه وعاقبته فاذا
لم يكن له طريق الى معرفتهما كان من معرفة ما عداهما ابعد وقرئ باية ارض وشبه سيبويه تانيث اي
بتانيث كل في قولهم كلتهن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة لقمن كان له لقمان رفيقا يوم
القيمة واعطي من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة السجدة مكية وهي ثلثون آية وقيل تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ام يقولون افتريه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما اتيهم
من نذير من قبلك لعلهم يهتدون • الم على انها اسم السورة مبتدا خبره تنزيل الكتاب وان جعلتها
تعديدا للحروف ارتفع تنزيل الكتاب بانه خبر مبتدا محذوف او هو مبتدا خبره لا ريب فيه والوجه ان
يرتفع بالابتداء وخبره من رب العالمين ولا ريب فيه اعتراض لا محل له والضمير في فيه راجع الى مضمون
الجملة كانه قيل لا ريب في ذلك اي في كونه منزلا من رب العالمين ويشهد لوجاهته قوله ام يقولون افتريه
لان قولهم هذا مفترى انكار لان يكون من رب العالمين وكذلك قوله بل هو الحق من ربك وما فيه من

تقرير أنه من الله وهذا أسلوب صحيح محكم أثبت أولاً أن تنزيله من رب العالمين وأن ذلك ما لا ريب
فيه ثم أضرب عن ذلك إلى قوله أم يقولون افتراه لأن أم هي المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة إنكاراً لقولهم
وتعجيباً منه لظهور أمره في عجز بلغائهم عن مثل ثلاث آيات منه ثم أضرب عن الإنكار إلى إثبات أنه الحق
من ربك ونظيره أن يعلل العالم في المسألة بعلة صحيحة جامعة قد احترز فيها أنواع الاحتراز كقول
المتكلمين النظر أول الأفعال الواجبة على الإطلاق التي لا يعرى عن وجوبها مكلف ثم يعترض عليه فيها
ببعض ما وقع احترازه منه فيرده بتلخيص أنه احترز من ذلك ثم يعود إلى تقرير كلامه وتمشيته فإن قلت
كيف نفى أن يرتاب في أنه من الله وقد أثبت ما هو أطم من الريب وهو قولهم افتراه قلت معنى لا ريب فيه أن لا
مدخل للريب في أنه تنزيل الله لأن نافي الريب ومميطه معه لا ينفك عنه وهو كونه معجزاً للبشر ومثله أبعد
شيء من الريب وأما قولهم افتراه فإما قول متعنت مع علمه أنه من الله لظهور الإعجاز له أو جاهل يقوله قبل
التأمل والنظر لأنه سمع الناس يقولونه ما أتاهم من نذير من قبلك كقوله ما أنذر آباؤهم وذلك أن
قريشاً لم يبعث الله إليهم رسولاً قبل محمد صلى الله عليه وسلم فإن قلت فإذ لم يأتهم نذير لم تقم عليهم حجة قلت
أما قيام الحجة بالشرائع التي لا يدرك علمها إلا بالرسل فلا وأما قيامها بمعرفة الله وتوحيده وحكمته فنعم
لأن أدلة العقل الموصلة إلى ذلك معهم في كل زمان لعلهم يهتدون فيه وجهان أن يكون على الترجي من
رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان لعله يتذكر على الترجي من موسى وهرون وأن يستعار لفظ الترجي للإرادة
الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا
شفيع أفلا تتذكرون فإن قلت ما معنى قوله ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع قلت هو على معنيين أحدهما
أنكم إذا جاوزتم رضاه لم تجدوا لأنفسكم ولياً أي ناصراً ينصركم ولا شفيعاً يشفع لكم والثاني أن الله تعالى
وليكم الذي يتولى مصالحكم وشفيعكم أي ناصركم على سبيل المجاز لأن الشفيع ينصر المشفوع له فهو كقوله وما لكم
من دون الله من ولي ولا نصير فإذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه
في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون الأمر المأمور به من الطاعات والأعمال الصالحة ينزله مدبراً
من السماء إلى الأرض ثم لا يعمل به ولا يصعد إليه ذلك المأمور به خالصاً كما يريده ويرتضيه إلا في مدة

متطاولة لقلة عمال الله والخلص من عباده وقلة الأعمال الصاعدة لأنه لا يوصف بالصعود إلا الخالص
ودل عليه قوله على أثره قليلاً ما تشكرون أو يدبر أمر الدنيا كلها من السماء إلى الأرض لكل يوم من أيام الله
وهو ألف سنة كما قال وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون ثم يعرج إليه أي يصير إليه ويثبت عنده
ويكتب في صحف ملائكته كل وقت من أوقات هذه المدة ما يرتفع من ذلك الأمر ويدخل تحت الوجود إلى
أن تبلغ المدة آخرها ثم يدبر أيضاً ليوم آخر وهلم جرا إلى أن تقوم الساعة وقيل ينزل الوحي مع جبريل من
السماء إلى الأرض ثم يرجع إليه ما كان من قبول الوحي أو رده مع جبريل وذلك في وقت هو في الحقيقة ألف
سنة لأن المسافة مسيرة ألف سنة في الهبوط والصعود لأن ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة وهو
يوم من أيامكم لسرعة جبريل لأنه يقطع مسيرة ألف سنة في يوم واحد وقيل يدبر أمر الدنيا من السماء إلى
الأرض إلى أن تقوم الساعة ثم يعرج إليه ذلك الأمر كله أي يصير إليه ليحكم فيه في يوم كان مقداره ألف
سنة وهو يوم القيمة وقرأ ابن أبي عبلة يعرج على البناء للمفعول وقرئ تعدون بالتاء والياء ذلك عالم
الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين أحسن كل شيء
حسنه لأنه ما من شيء خلقه إلا وهو مرتب على ما اقتضته الحكمة وأوجبته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة
وإن تفاوتت إلى حسن وأحسن كما قال لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قوله
قيمة المرء ما يحسن وحقيقته يحسن معرفته أي يعرفه معرفة حسنة بتحقيق وإتقان وقرئ خلقه
على البدل أي أحسن خلق كل شيء وخلقه على الوصف أي كل شيء خلقه فقد أحسنه ثم جعل نسله
من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما
تشكرون سميت الذرية نسلاً لأنها تنسل منه أي تنفصل منه وتخرج من صلبه ونحوه قولهم للولد سليل
ونجل وسواه قومه كقوله في أحسن تقويم ودل بإضافة الروح إلى ذاته على أنه خلق عجيب لا يعلم كنهه إلا
هو كقوله ويسئلونك عن الروح الآية كأنه قال ونفخ فيه من الشيء الذي اختص هو به وبمعرفته وقالوا
قيل القائل أبي بن خلف ولرضاهم بقوله أسند إليهم جميعاً وقالوا أئذا ضللنا في الأرض أئنا لفي خلق
جديد وقرئ أئنا وإنا على الاستفهام وتركه وضللنا صرنا تراباً وذهبنا مختلطين بتراب الأرض

لا يتميز منه كما يضل الماء في اللبن او غبنا في الارض بالدفن فيها من قوله • واب مضلوه بعين جلية وقرأ
علي وابن عباس رضي الله عنهم ضللنا بكسر اللام يقال ضل يضل وضل يضل وقرأ الحسن صللنا من صل
اللحم واصل اذا انتن وقيل صرنا من جنس الصلة وهي الارض فان قلت بم انتصب الظرف في اذا
ضللنا قلت بما يدل عليه انا لفي خلق جديد وهو نبعث او يجدد خلقنا • بل هم بلقاء ربهم كافرون
قل يتوفيكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون • لقاء ربهم هو الوصول الى العاقبة من تلقي
ملك الموت وما وراءه فلما ذكر كفرهم بالانشاء اضرب عنه الى ما هو ابلغ في الكفر وهو انهم كافرون بجميع ما
يكون في العاقبة لا بالانشاء وحده الا ترى كيف خوطبوا بتوفي ملك الموت وبالرجوع الى ربهم بعد ذلك
مبعوثين للحساب والجزاء وهذا معنى لقاء الله عز وجل على ما ذكرنا والتوفي استيفاء النفس وهي الروح قال
الله تعالى الله يتوفى الانفس وقال اخرجوا انفسكم وهو ان يقبض كلها لا يترك منها شيء من قولك توفيت
حقي من فلان واستوفيته اذا اخذته وافيا كملا من غير نقصان والتفعل والاستفعال يلتقيان في مواضع
منها تقصيته واستقصيته وتعجلته واستعجلته وعن مجاهد حويت لملك الموت الارض وجعلت له
مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وعن قتادة يتوفاهم ومعه اعوان من الملائكة وقيل ملك الموت يدعو
الارواح فتجيبه ثم يأمر اعوانه بقبضها • ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا
ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون • ولو ترى يجوز ان يكون خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وفيه وجهان ان يراد به التمني كانه قيل وليتك ترى كقوله صلى الله عليه وسلم للمغيرة لو نظرت اليها والتمني
لرسول الله صلعم كما كان الترجي له في لعلهم يهتدون لانه تجرع منهم الغصص ومن عداوتهم وضرارهم فجعل
الله له تمني ان يراهم على تلك الصفة الفظيعة من الحياء والخزي والغم ليشمت بهم وان تكون لو
الامتناعية قد حذف جوابها وهو لرايت امرا فظيعا او لرايت اسوأ حال ترى ويجوز ان يخاطب به كل
احد كما تقول فلان لئيم ان اكرمته اهانك وان احسنت اليه اساء اليك فلا تريد به مخاطبا بعينه
فكانك قلت ان اكرم وان احسن اليه ولو واذ كلاهما للمضي وانما جاز ذلك لان المترقب من الله
بمنزلة الموجود المقطوع به في تحققه ولا يقدر لترى ما يتناوله كانه قيل ولو تكون منك الرؤية واذ

ظرف له يستغيثون بقولهم ربنا ابصرنا وسمعنا فلا يغاثون يعني ابصرنا صدق وعدك ووعيدك
وسمعنا منك تصديق رسلك او كنا عميا وصما فابصرنا وسمعنا فارجعنا هي الرجعة الى الدنيا •
ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين فذوقوا
بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون • لآتينا كل نفس هداها على
طريق الالجاء والقسر ولكننا بنينا الامر على الاختيار دون الاضطرار فاستحبوا العمى على الهدى فحقت
كلمة العذاب على اهل العمى دون البصراء الا ترى الى ما عقبه به من قوله فذوقوا بما نسيتم فجعل ذوق
العذاب نتيجة فعلهم من نسيان العاقبة وقلة الفكر فيها وترك الاستعداد لها والمراد بالنسيان
خلاف التذكر يعني ان الانهماك في الشهوات اذهلكم والهاكم عن تذكر العاقبة وسلط عليكم نسيانها
ثم قال انا نسيناكم على المقابلة اي جازيناكم جزاء نسيانكم وقيل هو بمعنى الترك اي تركتم الفكر في العاقبة
فتركناكم من الرحمة وفي استيناف قوله انا نسيناكم وبناء الفعل على ان واسمها تشديد في الانتقام منهم والمعنى
فذوقوا هذا اي ما انتم فيه من نكس الرؤس والخزي والغم بسبب نسيان اللقاء وذوقوا العذاب المخلد
في جهنم بسبب ما عملتم من المعاصي والكبائر الموبقة • انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا
سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون • اذا ذكروا بها اي وعظوا سجدوا تواضعا وخشوعا وشكرا
على ما رزقهم من الاسلام وسبحوا بحمد ربهم ونزهوا الله من نسبة القبائح اليه واثنوا عليه حامدين له
وهم لا يستكبرون كما يفعل من يصر مستكبرا كان لم يسمعها ومثله قوله ان الذين اوتوا العلم من قبله
اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا • تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم
خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون • تتجافى ترتفع وتتنحى عن المضاجع عن الفرش ومواضع النوم داعين
ربهم عابدين له لاجل خوفهم من سخطه وطمعهم في رحمته وهم المتهجدون وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في تفسيرها قيام العبد من الليل وعن الحسن انه التهجد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين و
الآخرين يوم القيمة جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم
ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي

ليتم للذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم
يحاسب سائر الناس وعن انس بن مالك كان اناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون من صلوة
المغرب الى صلوة العشاء الاخرة فنزلت فيهم وقيل هم الذين يصلون صلوة العتمة لا ينامون عنها • فلا
تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون • ما اخفي لهم على البناء للمفعول ما اخفي لهم على البناء
للفاعل وهو الله تعالى ما اخفي لهم وما نخفي لهم وما اخفيت لهم الثلثة للمتكلم وهو الله سبحانه وما بمعنى الذي
او بمعنى اي وقرئ من قرة اعين وقرات اعين والمعنى لا تعلم النفوس كلهن ولا نفس واحدة منهن
لا ملك مقرب ولا نبي مرسل اي نوع عظيم من الثواب ادخر الله لاولئك واخفاه من جميع خلائقه
لا يعلمه الا هو مما تقر به عيونهم ولا مزيد على هذه العدة ولا مطمح وراءها ثم قال جزاء بما كانوا يعملون
فحسم اطماع المتمنين وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه اقرءوا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم
من قرة اعين وعن الحسن اخفى القوم اعمالا في الدنيا فاخفى الله لهم ما لا عين رات ولا اذن سمعت
افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى
نزلا بما كانوا يعملون واما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم
ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون • كان مؤمنا وكان فاسقا محمولان على لفظ من ولا يستوون
محمول على المعنى بدليل قوله اما الذين آمنوا واما الذين فسقوا ونحوه قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى اذا
خرجوا من عندك وجنات المأوى نوع من الجنان قال الله عز وجل ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة
المنتهى عندها جنة المأوى سميت بذلك لما روي عن ابن عباس قال تأوي اليها ارواح الشهداء وقيل
هي عن يمين العرش وقرئ جنة المأوى على التوحيد نزلا عطاء باعمالهم والنزل عطاء النازل ثم
صار عاما فمأواهم النار اي النار لهم مكان جنة المأوى للمؤمنين كقوله فبشرهم بعذاب اليم • ولنذيقنهم
من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون • العذاب الادنى عذاب الدنيا من القتل و
الاسر وما محنوا به من السنة سبع سنين وعن مجاهد عذاب القبر والعذاب الاكبر عذاب الآخرة

اي نذيقهم عذاب الدنيا قبل ان يصلوا الى الآخرة لعلهم يرجعون اي يتوبون عن الكفر او لعلهم يريدون
الرجوع ويطلبونه كقوله فارجعنا نعمل صالحا وسميت ارادة الرجوع رجوعا كما سميت ارادة القيام
قياما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة ويدل عليه قراءة من قرأ يرجعون على البناء للمفعول فان قلت
من اين صح تفسير الرجوع بالتوبة ولعل من الله ارادة واذا اراد الله شيئا كان ولم يمتنع وتوبتهم مما
لا يكون الا ترى انها لو كانت مما يكون لم يكونوا ذائقين العذاب الاكبر قلت ارادة الله تتعلق
بافعاله وافعال عباده فاذا اراد شيئا من افعاله كان ولم يمتنع للاقتدار وخلوص الداعي واما
افعال عباده فاما ان يريدها وهم مختارون لها او مضطرون اليها بقسره والجائه فان ارادها
وقد قسرهم فحكمها حكم افعاله وان ارادها على ان يختاروها وهو عالم انهم لا يختارونها لم يقدح ذلك
في اقتداره كما لا يقدح في اقتدارك ارادتك ان يختار عبدك طاعتك وهو لا يختارها لان اختياره
لا يتعلق بقدرتك واذا لم يتعلق بقدرتك لم يكن فقده دالا على عجزك وروي في نزولها انه شجر بين
علي بن ابي طالب رضي الله عنه والوليد بن عقبة بن ابي معيط يوم بدر كلام فقال له الوليد اسكت فانك
صبي انا اشب منك شبابا واجلد منك جلدا واذرب منك لسانا واحد منك سنانا واشجع منك
جنانا واملأ منك حشوا في الكتيبة فقال له علي اسكت فانك فاسق فنزلت عامة للمؤمنين والفاسقين
فتناولتهما وكل من كان في مثل حالهما وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه قال للوليد كيف تشتم عليا
وقد سماه الله مؤمنا في عشر آيات وسماك فاسقا • ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض
عنها انا من المجرمين منتقمون • ثم في قوله ثم اعرض عنها للاستبعاد والمعنى ان الاعراض عن مثل
آيات الله في وضوحها وانارتها وارشادها الى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها
مستبعد في العقل والعدل كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها استبعادا لتركه
الانتهاز ومنه ثم في بيت الحماسة • لا يكشف الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها
استبعد ان يزور غمرات الموت بعد ان رآها واستيقنها واطلع على شدتها فان قلت هلا
قيل انا منه منتقمون قلت لما جعله اظلم كل ظالم ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم فقد دل

على اصابة الاظلم النصيب الاوفر من الانتقام ولو قاله بالضمير لم يفد هذه الفائدة ● ولقد
آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني اسرائيل ● الكتاب للجنس و
الضمير في لقائه له ومعناه انا آتينا موسى مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحي
فلا تك في شك من انك لقيت مثله ولقيت نظيره كقوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك
فسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك ونحو قوله من لقائه قوله وانك لتلقى القرآن من
لدن حكيم عليم وقوله ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقيه منشورا وجعلنا الكتاب المنزل على موسى
هدى لقومه ● وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا باياتنا يوقنون ان ربك
هو يفصل بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ● وجعلنا منهم ائمة يهدون الناس و
يدعونهم الى ما في التورية من دين الله وشرائعه لصبرهم وايقانهم بالآيات وكذلك لنجعلن الكتاب
المنزل اليك هدى ونورا ولنجعلن من امتك ائمة يهدون مثل تلك الهداية لما صبروا
عليه من نصرة الدين وثبتوا عليه من اليقين وقيل من لقائك موسى ليلة الاسراء او يوم القيمة
وقيل من لقاء موسى الكتاب اي من تلقيه له بالرضا والقبول وقرئ لما صبروا اي لصبرهم و
عن الحسن صبروا عن الدنيا وقيل انما جعل الله التورية هدى لبني اسرائيل خاصة ولم يتعبد بما
فيها ولد اسمعيل يفصل بينهم يقضي فيميز المحق في دينه من المبطل ● اولم يهد لهم كم اهلكنا من
قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات افلا يسمعون ● الواو في اولم يهد
للعطف على معطوف عليه منوي من جنس المعطوف والضمير في لهم لاهل مكة وقرئ بالنون و
الياء والفاعل ما دل عليه كم اهلكنا لان كم لا تقع فاعلة لا يقال جاءني كم رجل تقديره اولم
يهد لهم كثرة اهلاكنا القرون او هذا الكلام كما هو بمضمونه ومعناه كقولك يعصم لا اله الا الله
الدماء والاموال ويجوز ان يكون فيه ضمير الله بدلالة القراءة بالنون والقرون عاد وثمود
وقوم لوط يمشون في مساكنهم يعني اهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم وقرئ
يمشون بالتشديد ● اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تاكل منه

انعامهم وانفسهم افلا يبصرون ● الجرز الارض التي جرز نباتها اي قطع اما لعدم الماء واما لانه
رعي وازيل ولا يقال للتي لا تنبت كالسباخ جرز ويدل عليه قوله تعالى فنخرج به زرعا وعن ابن عباس
انها ارض باليمن وعن مجاهد هي ابين به بالماء تاكل من الزرع انعامهم من عصفه وانفسهم من حبه
وقرئ ياكل بالياء ● ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين ● الفتح النصر او الفصل بالحكومة
من قوله ربنا افتح بيننا وكان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين ويفتح بيننا وبينهم
فاذا سمع المشركون قالوا متى هذا الفتح اي في اي وقت يكون ان كنتم صادقين في انه كائن ويوم الفتح
يوم القيمة وهو يوم الفصل بين المؤمنين واعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن
مجاهد والحسن يوم فتح مكة ● قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون ● فان قلت قد
سالوا عن وقت الفتح فكيف ينطبق هذا الكلام جوابا على سؤالهم قلت كان غرضهم في السؤال عن
وقت الفتح استعجالا منهم على وجه التكذيب والاستهزاء فاجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم في سؤالهم
فقيل لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزؤا فكاني بكم وقد حصلتم في ذلك اليوم وآمنتم فلم ينفعكم الايمان
واستنظرتم في ادراك العذاب فلم تنظروا فان قلت فمن فسره بيوم الفتح او بيوم بدر كيف يستقيم
على تفسيره ان لا ينفعهم الايمان وقد نفع الطلقاء يوم فتح مكة وناسا يوم بدر قلت المراد ان المقتولين
منهم لا ينفعهم ايمانهم في حال القتل كما لم ينفع فرعون ايمانه عند ادراك الغرق ● فاعرض عنهم وانتظر
انهم منتظرون ● وانتظر النصرة عليهم وهلاكهم انهم منتظرون الغلبة عليكم وهلاككم كقوله فتربصوا
انا معكم متربصون وقرأ ابن السميفع منتظرون بفتح الظاء ومعناه وانتظر هلاكهم فانهم احقاء بان
ينتظر هلاكهم يعني انهم هالكون لا محالة او وانتظر ذلك فان الملائكة في السماء ينتظرونه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اعطي من الاجر كانما احيى
ليلة القدر وقال من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلثة ايام سورة الاحزاب مدنية
وهي ثلث وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي
اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما واتبع ما يوحى اليك من ربك ان

الله كان بما تعملون خبيرا عن زر قال لي ابي بن كعب كم تعدون سورة الاحزاب قلت ثلثا و
سبعين آية قال فوالذي يحلف به ابي بن كعب ان كانت لتعدل سورة البقرة او اطول ولقد
قرأنا منها آية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم اراد ابي
رضي الله عنه ان ذلك من جملة ما نسخ من القرآن واما ما يحكى ان تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت
عائشة رضي الله عنها فاكلتها الداجن فمن تأليفات الملاحدة والروافض جعل نداءه بالنبي والرسول
في قوله يا ايها النبي اتق الله يا ايها النبي لم تحرم يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك وترك نداءه باسمه
كما قال يا آدم يا موسى يا عيسى يا داود كرامة له وتشريفا وربئا بمحله وتنويها بفضله فان قلت ان لم يوقع
اسمه في النداء فقد اوقعه في الاخبار في قوله محمد رسول الله وما محمد الا رسول قلت ذاك لتعليم الناس
بانه رسول الله وتلقين لهم ان يسموه بذلك ويدعوه به فلا تفاوت بين النداء والاخبار الا ترى الى ما
لم يقصد به التعليم والتلقين من الاخبار كيف ذكره بنحو ما ذكره في النداء لقد جاءكم رسول من انفسكم و
قال الرسول يا رب لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة والله ورسوله احق ان يرضوه النبي اولى
بالمؤمنين من انفسهم ان الله وملائكته يصلون على النبي ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي اتق الله
واظب على ما انت عليه من التقوى واثبت عليه وازدد منه وذلك لان التقوى باب لا يبلغ
آخره ولا تطع الكافرين والمنافقين لا تساعدهم على شيء ولا تقبل لهم رأيا ولا مشورة وجانبهم
واحترس منهم فانهم اعداء الله واعداء المؤمنين لا يريدون الا المضارة والمضادة وروي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة وكان يحب اسلام اليهود قريظة والنضير وبني قينقاع وقد
بايعه ناس منهم على النفاق فكان يلين لهم جانبه ويكرم صغيرهم وكبيرهم واذا اتى منهم قبيح تجاوز عنه
وكان يسمع منهم فنزلت وروي ان ابا سفين بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا
عليه في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم عبد الله بن ابي ومعتب بن قشير والجد بن قيس
فقالوا للرسول صلى الله عليه وسلم ارفض ذكر آلهتنا وقل انها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك
على رسول الله وعلى المؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت اي اتق الله في نقض العهد ونبذ الموادعة ولا تطع

الكافرين من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة فيما طلبوا اليك وروي ان اهل مكة دعوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان يرجع عن دينه ويعطوه شطر اموالهم وان يزوجه شيبة بن ربيعة
بنته وخوفه منافقوا المدينة انهم يقتلونه ان لم يرجع فنزلت ان الله كان عليما بالصواب من الخطاء
والمصلحة من المفسدة حكيما لا يفعل شيئا ولا يأمر به الا بداعي الحكمة وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا
واتبع ما يوحى اليك في ترك طاعة الكافرين والمنافقين وغير ذلك ان الله الذي يوحي اليك خبير بما تعملون
فموح اليك ما يصلح به اعمالكم فلا حاجة بكم الى الاستماع من الكفرة وقرئ يعملون بالياء اي بما يعمل المنافقون
من كيدهم لكم ومكرهم بكم وتوكل على الله واسند امرك اليه وكله الى تدبيره وكيلا حافظا موكولا اليه
كل امر ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما
جعل ادعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم بافواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ما جمع الله قلبين
في جوف ولا زوجية وامومة في امرأة ولا بنوة ودعوة في رجل والمعنى ان الله سبحانه كما لم ير في حكمته
ان يجعل للانسان قلبين لانه لا يخ اما ان يفعل باحدهما مثل ما يفعل بالآخر من افعال القلوب فاحدهما فضلة
غير محتاج اليها واما ان يفعل بهذا غير ما يفعل بذاك فذلك يؤدي الى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها
عالما ظانا موقنا شاكا في حالة واحدة لم ير ايضا ان تكون المرأة الواحدة اما لرجل زوجا له لان الام
مخدومة مخفوض لها جناح الذل والزوجة مستخدمة متصرف فيها بالاستفراش وغيره كالمملوكة وهما حالتان
متنافيتان وان يكون الرجل الواحد دعيا لرجل وابنا له لان البنوة اصالة في النسب وعراقة فيه و
الدعوة الصاق عارض بالتسمية لا غير ولا يجتمع في الشيء الواحد ان يكون اصيلا غير اصيل وهذا
مثل ضربه الله تعالى في زيد بن حارثة وهو رجل من كلب سبي صغيرا وكانت العرب في جاهليتها يتغاورون
ويتسابون فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له وطلبه
ابوه وعمه فخير فاختار رسول الله صلعم فاعتقه وكانوا يقولون زيد بن محمد فانزل الله عز وجل هذه الآية
وقوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقيل كان ابو معمر رجلا من احفظ العرب وارواهم فقيل له ذو
القلبين وقيل هو جميل بن اسد الفهري وكان يقول ان لي قلبين افهم باحدهما اكثر مما يفهم محمد فروي

انه انهزم يوم بدر فمر بابي سفيان وهو معلق احدى نعليه بيده والاخرى في رجله فقال له ما فعل الناس فقال هم ما بين مقتول وهارب فقال له ما بال احدى نعليك في رجلك والاخرى في يدك فقال ما ظننت الا انهما في رجلي فاكذب الله قوله وقولهم وضربه مثلا في الظهار والتبني وعن ابن عباس كان المنافقون يقولون لمحمد قلبان فاكذبهم الله وقيل سهى في صلوته فقالت اليهود له قلبان قلب مع اصحابه وقلب معكم وعن الحسن نزلت في ان الواحد يقول نفس تامرني ونفس تنهاني و التنكير في رجل وادخال من الاستغراقية على قلبين تاكيدان لما قصد من المعنى كانه قال ما جعل الله لامة الرجال ولا لواحد منهم قلبين البتة في جوفه فان قلت اي فائدة في ذكر الجوف قلت الفائدة فيه كالفائدة في قوله القلوب التي في الصدور وذلك ما يحصل للسامع من زيادة التصور والتجلي للمدلول عليه لانه اذا سمع به صور لنفسه جوفا يشتمل على قلبين فكان اسرع الى الانكار وقرئ اللائي بياء وهمزة مكسورتين واللاي بياء ساكنة بعد الهمزة وتظاهرون من ظاهر وتظاهرون من اظاهر بمعنى تظاهر وتظهرون من اظهر بمعنى تظهر وتظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من ظهر بلفظ فعل من الظهور ومعنى ظاهر من امراته قال لها انت علي كظهر امي ونحوه في العبارة عن اللفظ لبى المحرم اذا قال لبيك واقف الرجل اذا قال اف واخوات لهن فان قلت فما وجه تعديه واخواته بمن قلت كان الظهار طلاقا عند اهل الجاهلية فكانوا يتجنبون المراة المظاهر منها كما يتجنبون المطلقة فكان قولهم تظاهر منها تباعد منها بجهة الظهار وتظهر منها تحرز منها وظاهر منها حاذر منها وظهر منها وحش منها وظهر منها خلص منها ونظيره آلى من امراته لما ضمن معنى التباعد منها عدي بمن والا فآلى في اصله الذي هو بمعنى حلف واقسم ليس هذا بحكمه فان قلت ما معنى قولهم انت علي كظهر امي قلت ارادوا ان يقولوا انت علي حرام كبطن امي فكنوا عن البطن بالظهر لئلا يذكروا البطن الذي ذكره يقارب ذكر الفرج وانما جعلوا الكناية عن البطن بالظهر لانه عمود البطن ومنه حديث عمر يجيء به احدهم على عمود بطنه اراد على ظهره ووجه آخر وهو ان اتيان المراة وظهرها الى السماء كان محرما منهم محظورا وكان اهل المدينة يقولون اذا اتيت المراة ووجهها الى الارض

194

جاء الولد احول فلقصد المطلق منهم الى التغليظ في تحريم امراته عليه شبهها بالظهر ثم لم يقنع بذلك حتى جعله ظهر امه فلم يترك فان قلت الدعي فعيل بمعنى مفعول وهو الذي يدعى ولدا فما له جمع على افعلاء وبابه ما كان منه بمعنى فاعل كتقي واتقياء وشقي واشقياء ولا يكون ذلك في نحو رمي وسمي قلت ان شذوذه عن القياس كشذوذ قتلاء واسراء والطريق في مثل ذلك التشبيه اللفظي ذلكم النسب هو قولكم بافواهكم هذا ابني لا غير من غير ان يواطئه اعتقاد لصحته وكونه حقا والله عز وجل لا يقول الا ما هو حق ظاهره وباطنه ولا يهدي الا سبيل الحق ثم قال ما هو الحق وهدى الى ما هو سبيل الحق وهو قوله ادعوهم لآبائهم وبين ان دعاءهم لآبائهم هو ادخل الامرين في القسط والعدل وفي فصل هذه الجمل ووصلها من الحسن والفصاحة ما لا يغبى على عالم بطرق النظم وقرأ قتادة وهو الذي يهدي السبيل ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما وقيل كان الرجل في الجاهلية اذا اعجبه جلد الرجل وظرفه ضمه الى نفسه وجعل له مثل نصيب الذكر من اولاده من ميراثه وكان ينسب اليه فيقال فلان ابن فلان فان لم تعلموا لهم آباء تنسبونهم اليهم فهم اخوانكم في الدين واولياؤكم في الدين فقولوا هذا اخي وهذا مولاي ويا اخي ويا مولاي يريد الاخوة في الدين والولاية فيه ما تعمدت في محل الجر عطفا على ما اخطأتم ويجوز ان يكون مرتفعا على الابتداء والخبر محذوف تقديره ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح والمعنى لا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين جاهلين قبل ورود النهي ولكن الاثم فيما تعمدتموه بعد النهي او لا اثم عليكم اذا قلتم لولد غيركم يا بني على سبيل الخطاء وسبق اللسان ولكن اذا قلتموه متعمدين ويجوز ان يراد العفو عن الخطاء دون العمد على طريق العموم كقوله صلى الله عليه وسلم ما اخشى عليكم الخطاء ولكن اخشى عليكم العمد وقوله عليه الصلوة والسلام وضع عن امتي الخطاء والنسيان وما اكرهوا عليه ثم تناول لعمومه خطاء التبني وعمده فان قلت فاذا وجد التبني فما حكمه قلت اذا كان المتبنى مجهول النسب واصغر سنا من المتبني ثبت نسبه منه وان كان عبدا له عتق مع ثبوت النسب وان كان لا يولد مثله لمثله لم يثبت النسب ولكنه يعتق عند ابي حنيفة وعند صاحبيه لا يعتق واما المعروف النسب فلا يثبت نسبه بالتبني وان

كان عبداً اعتق وكان الله غفوراً رحيماً لعفوه عن الخطاء وعن العمد اذا تاب العامد • النبي اولى بالمؤمنين
من انفسهم وازواجه امهاتهم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين
الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفاً كان ذلك في الكتاب مسطوراً • النبي اولى بالمؤمنين في كل شيء من
امور الدين والدنيا من انفسهم ولهذا اطلق ولم يقيد فيجب عليهم ان يكون احب اليهم من انفسهم وحكمه
انفذ عليهم من حكمها وحقه آثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه اقدم من شفقتهم عليها وان يبذلوها
دونه ويجعلوها فداءه اذا اعضل خطب ووقاءه اذا لقحت حرب وان لا يتبعوا ما تدعوهم اليه
نفوسهم ولا ما تصرفهم عنه ويتبعوا كل ما دعاهم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصرفهم عنه لان كل ما دعا
اليه فهو ارشاد لهم الى نيل النجاة والظفر بسعادة الدارين وما صرفهم عنه فاخذ بحجزهم لئلا يتهافتوا
فيما يرمي بهم الى الشقاوة وعذاب النار او هو اولى بهم على معنى انه ارأف بهم واعطف عليهم وانفع
لهم كقوله تعالى بالمؤمنين رؤوف رحيم وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن الا انا اولى به في الدنيا
والآخرة اقرأوا ان شئتم النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم فايما مؤمن هلك وترك مالاً فليرثه عصبته
من كانوا وان ترك ديناً او ضياعاً فالي وفي قراءة ابن مسعود النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وهو اب لهم
وقال مجاهد كل نبي فهو ابو امته ولذلك صار المؤمنون اخوة لان النبي صلى الله عليه وسلم ابوهم في الدين
وازواجه امهاتهم تشبيه لهن بالامهات في بعض الاحكام وهو وجوب تعظيمهن واحترامهن و
تحريم نكاحهن قال الله تعالى ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابداً وهن فيما وراء ذلك بمنزلة الاجنبيات
ولذلك قالت عايشة رضي الله عنها لسنا امهات النساء تعني انهن انما كن امهات الرجال لكونهن محرمات
عليهم كتحريم امهاتهم والدليل على ذلك ان هذا التحريم لم يتعد الى بناتهن ولذلك لم يثبت لهن سائر
احكام الامهات كان المسلمون في صدر الاسلام يتوارثون بالولاية في الدين وبالهجرة لا بالقرابة كما كانت
تتألف قلوب قوم باسهام لهم في الصدقات ثم نسخ ذلك لما دجا الاسلام وعز اهله وجعل التوارث
بحق القرابة في كتاب الله في اللوح او فيما اوحى الله الى نبيه وهو هذه الآية او في آية المواريث او فيما فرض الله
كقوله كتاب الله عليكم من المؤمنين والمهاجرين يجوز ان يكون بياناً لاولي الارحام اي الاقرباء من هؤلاء

بعضهم اولى بان يرث بعضاً من الاجانب ويجوز ان يكون لابتداء الغاية اي اولوا الارحام بحق القرابة
اولى بالميراث من المؤمنين بحق الولاية في الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة فان قلت مم استثني ان
تفعلوا قلت من اعم العام في معنى النفع والاحسان كما تقول العرب القريب اولى من الاجنبي الا في كذا
تريد انه احق منه في كل نفع من ميراث وهدية وهبة وصدقة وغير ذلك الا في الوصية والمراد بفعل
المعروف التوصية لانه لا وصية لوارث وعدي تفعلوا بالى لانه في معنى تسدوا وتزلوا والمراد
بالاولياء المؤمنون والمهاجرون للولاية في الدين ذلك اشارة الى ما ذكر في الآيتين جميعاً وتفسير الكتاب ما
مر آنفاً والجملة مستانفة كالخاتمة لما ذكر من الاحكام • واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح
وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم واخذنا منهم ميثاقاً غليظاً ليسأل الصادقين عن صدقهم واعد للكافرين
عذاباً اليماً • واذكر حين اخذنا من النبيين جميعاً ميثاقهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم
ومنك خصوصاً ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى وانما فعلنا ذلك ليسأل الله يوم القيامة عند تواقف
الاشهاد المؤمنين الذين صدقوا عهدهم ووفوا به من جملة من اشهدهم على انفسهم الست بربكم
قالوا بلى عن صدقهم عهدهم وشهادتهم فيشهد لهم الانبياء بانهم صدقوا عهدهم وشهادتهم وكانوا
مؤمنين او ليسأل المصدقين للانبياء عن تصديقهم لان من قال للصادق صدقت كان صادقاً في
قوله او ليسأل الانبياء ما الذي اجابتهم به اممهم وتأويل مسألة الرسل تبكيت الكافرين بهم كقوله
أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فان قلت لم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
على نوح فمن بعده قلت هذا العطف لبيان فضيلة الانبياء الذين هم مشاهيرهم وذراريهم فلما كان
محمد صلى الله عليه وسلم افضل هؤلاء المفضلين قدم عليهم لبيان انه افضلهم ولولا ذلك لقدم من قدم
زمانه فان قلت فقد قدم عليه نوح في الآية التي هي اخت هذه الآية وهي قوله شرع لكم من الدين ما وصى
به نوحاً والذي اوحينا اليك ثم قدم على غيره قلت مورد هذه الآية على طريقة خلاف طريقة تلك
وذلك ان الله عز وجل انما اوردها لوصف دين الاسلام بالاصالة والاستقامة فكانه قال شرع لكم
الدين الاصيل الذي بعث عليه نوح في العهد القديم وبعث عليه محمد خاتم النبيين في العهد الحديث

وبعث عليه من توسط بينهما من الانبياء المشاهير فان قلت فما ذا اراد بالميثاق الغليظ قلت اراد
ذلك الميثاق بعينه معناه واخذنا منهم بذلك الميثاق ميثاقا غليظا والغلظ استعارة من وصف الاجرام
والمراد عظم الميثاق وجلالة شانه في بابه وقيل الميثاق الغليظ اليمين بالله على الوفاء بما حملوا فان قلت
علام عطف قوله واعد للكافرين قلت على اخذنا من النبيين لان المعنى ان الله اكد على الانبياء الدعوة
الى دينه لاجل اثابة المؤمنين واعد للكافرين عذابا اليما او على ما دل عليه ليسال الصادقين كانه
قال فاثاب المؤمنين واعد للكافرين • يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا
عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا • اذكروا ما انعم الله به عليكم يوم الاحزاب وهو يوم
الخندق اذ جاءتكم جنود وهم الاحزاب فارسل الله عليهم ريح الصبا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت
بالصبا واهلكت عاد بالدبور وجنودا لم تروها وهم الملائكة وكانوا الفا بعث الله عليهم صبا باردة
في ليلة شاتية فاخصرتهم وسفت التراب في وجوههم وامر الملائكة فقلعت الاوتاد وقطعت
الاطناب واطفات النيران واكفات القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب
وكبرت الملائكة في جوانب عسكرهم فقال طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد بداكم بالسحر
فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال وحين سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبالهم ضرب الخندق على المدينة
اشار عليه بذلك سلمان الفارسي رضه ثم خرج في ثلثة آلاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين
القوم وامر بالنساء والذراري فرفعوا في الآطام واشتد الخوف وظن المؤمنون كل ظن ونجم
النفاق من المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر لا نقدر ان
نذهب الى الغائط وكانت قريش قد اقبلت في عشرة آلاف من الاحابيش وبني كنانة واهل تهامة
وقائدهم ابو سفيان وخرج غطفان في الف ومن تابعهم من اهل نجد وقائدهم عيينة بن حصن وعامر بن
الطفيل في هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب
بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى انزل الله النصر تعملون قرئ بالتاء والياء • اذ جاؤكم من فوقكم
ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي

المؤمنون

196

المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا • من فوقكم من اعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان ومن
اسفل منكم من اسفل الوادي من قبل المغرب قريش تحزبوا وقالوا سنكون جملة واحدة حتى نستاصل محمدا
زاغت الابصار مالت عن سننها ومستوى نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شيء فلم تلتفت
الا الى عدوها لشدة الروع الحنجرة راس الغلصمة وهي راس الغلصمة وهي منتهى الحلقوم والحلقوم
مدخل الطعام والشراب قالوا اذا انتفخت الرئة من شدة الفزع او الغضب او الغم الشديد ربت
وارتفع القلب بارتفاعها الى راس الحنجرة ومن ثم قيل للجبان انتفخ سحره ويجوز ان يكون ذلك مثلا في اضطراب
القلوب ووجيبها وان لم تبلغ الحناجر حقيقة وتظنون بالله الظنونا خطاب للذين آمنوا ومنهم الثبت
القلوب والاقدام والضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون الذين لم يوجد منهم الايمان
الا بالسنتهم فظن الاولون بالله انه يبتليهم ويفتنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال واما الآخرون فظنوا
بالله ما حكى عنهم وعن الحسن ظنوا ظنونا مختلفة ظن المنافقون ان المسلمين يستاصلون وظن المؤمنون
انهم يبتلون وقرئ الظنون بغير الف في الوصل والوقف وهو القياس وبزيادة الف في الوقف زادوها
في الفاصلة كما زادوها في القافية من قال اقلي اللوم عاذل والعتابا • وكذلك الرسولا والسبيلا وقرئ
بزيادتها في الوصل ايضا اجراء له مجرى الوقف قال ابو عبيد وهن كلهن في الامام بالالف وعن ابي عمرو
اشمام زاي زلزلوا وقرئ زلزالا بالفتح والمعنى ان الخوف ازعجهم اشد الازعاج • واذ يقول المنافقون
والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا • الاغرور اقبل قائله معتب حين راى
الاحزاب قال يعدنا محمد فتح فارس والروم واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور
واذ قالت طائفة منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستاذن فريق منهم النبي يقولون ان
بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا • طائفة منهم هم اوس بن قيظي ومن وافقه على
رايه وعن السدي عبد الله بن ابي واصحابه ويثرب اسم المدينة وقيل ارض وقعت المدينة في
ناحية منها لا مقام لكم قرئ بضم الميم وفتحها اي لا قرار لكم ههنا ولا مكان تقيمون فيه او تقومون فارجعوا
الى المدينة امروهم بالهرب من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قالوا لهم ارجعوا كفارا واسلموا محمدا

والاقليت يثرب لكم بمكان وقرئ عورة بسكون الواو وكسرها فالعورة الخلل والعورة ذات العورة
يقال عور المكان عورا اذا بدا فيه خلل يخاف منه العدو والسارق ويجوز ان يكون عورة تخفيف
عورة اعتذروا ان بيوتهم معرضة للعدو ممكنة للسراق لانها غير محرزة ولا محصنة فاستأذنوه
ليحصنوها ثم يرجعوا اليه فاكذبهم الله بانهم لا يخافون ذلك انما يريدون الفرار • ولو دخلت عليهم
من اقطارها ثم سئلوا الفتنة لاتوها وما تلبثوا بها الا يسيرا • ولو دخلت عليهم المدينة وقيل
بيوتهم من قولك دخلت على فلان داره من اقطارها من جوانبها يريد ولو دخلت هذه العساكر المتحزبة
التي يفرون خوفا منها مدينتهم وبيوتهم من نواحيها كلها وانثالت على اهاليهم واولادهم ناهبين
سابين ثم سئلوا عند ذلك الفزع وتلك الرجفة الفتنة اى الردة والرجعة الى الكفر ومقاتلة
المسلمين لاتوها لجاؤها وفعلوها وقرئ لآتوها لاعطوها وما تلبثوا بها وما ألبثوا اعطاءها الا يسيرا
ريثما يكون السؤال والجواب من غير توقف او وما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم الا يسيرا فان الله
يهلكهم والمعنى انهم يتعللون باعوار بيوتهم ويتمحلون ليفروا عن نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
وعن مصافة الاحزاب الذين ملاوهم هولا ورعبا وهؤلاء الاحزاب كما هم لو كبسوا عليهم ارضهم وديارهم
وعرض عليهم الكفر وقيل لهم كونوا على المسلمين لسارعوا اليه وما تعللوا بشيء وما ذلك الا لمقتهم الاسلام
وشدة بغضهم لاهله وحبهم الكفر وتهالكهم على حزبه • ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون
الادبار وكان عهد الله مسؤلا • عن ابن عباس عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة ان
يمنعوه مما يمنعون منه انفسهم وقيل هم قوم غابوا عن بدر فقالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن
وعن محمد بن اسحق عاهدوا يوم احد ان لا يفروا بعد ما نزل فيهم ما نزل مسؤلا مطلوبا مقتضى حتى
يوفى به • قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل واذا لا تمتعون الا قليلا • لن ينفعكم
الفرار مما لابد لكم من نزوله بكم من حتف انف او قتل وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتأخير لم يكن
ذلك التمتيع الا زمانا قليلا وعن بعض المروانية انه مر بحائط مائل فاسرع فتليت له هذه الآية
فقال ذلك القليل نطلب • قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة ولا يجدون

لهم

لهم من دون الله وليا ولا نصيرا • فان قلت كيف جعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة ولا
عصمة الا من السوء قلت معناه او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام واجرى مجرى قوله
متقلدا سيفا ورمحا • او حمل الثانى على الاول لما في العصمة من معنى المنع • قد يعلم الله المعوقين منكم و
القائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس الا قليلا • المعوقين المثبطين عن رسول الله وهم المنافقون
كانوا يقولون لاخوانهم من ساكني المدينة من انصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ما محمد واصحابه الا اكلة راس
ولو كانوا لحما لالتهمهم ابو سفين واصحابه فخلوهم وهلموا الينا اى قربوا انفسكم الينا وهى لغة اهل
الحجاز يسوون فيه بين الواحد والجماعة واما تميم فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال وهو صوت
سمى به فعل متعد مثل احضر وقرب قل هلم شهداءكم الا قليلا الا اتيانا قليلا يخرجون مع المؤمنين
يوهمونهم انهم معهم ولا تراهم يبارزون ويقاتلون الا شيئا قليلا اذا اضطروا اليه كقوله ما قاتلوا
الا قليلا • اشحة عليكم فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذى يغشى عليه من
الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد اشحة على الخير اولئك لم يؤمنوا فاحبط الله اعمالهم
وكان ذلك على الله يسيرا • اشحة عليكم فى وقت الحرب اضناء بكم يترفرفون عليكم كما يفعل الرجل بالذاب
عنه المناضل دونه عند الخوف ينظرون اليك فى تلك الحالة كما ينظر المغشى عليه من معالجة سكرات
الموت حذرا وخورا ولواذا بك فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم ووقعت القسمة نقلوا ذلك
الشح وتلك الضنة والرفرفة عليكم الى الخير وهو المال والغنيمة ونسوا تلك الحالة الاولى واجتروا
عليكم وضربوكم بالسنتهم وقالوا وفروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم
وبنا نصرتم عليه ونصب اشحة على الحال او على الذم وقرئ اشحة بالرفع وصلقوكم بالصاد فان قلت
هل يثبت للمنافق عمل حتى يرد عليه الاحباط قلت لا ولكنه تعليم لمن عسى يظن ان الايمان باللسان ايمان
وان لم يواطئه القلب وان ما يعمل المنافق من الاعمال يجدى عليه فبين ان ايمانه ليس بايمان وان
كل عمل يوجد منه باطل وفيه بعث على اتقان المكلف اساس امره وهو الايمان الصحيح وتنبيه على ان الاعمال
الكثيرة من غير تصحيح المعرفة كالبناء على غير اساس وانها مما يذهب عند الله هباء منثورا فان قلت

معنى قوله وكان ذلك على الله يسيرا وكل شيء عليه يسير قلت معناه ان اعمالهم حقيقة بالاحباط تدعو
اليه الدواعي ولا يصرف عنه صارف • يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يأت الاحزاب يودوا
لو انهم بادون في الاعراب يسئلون عن انبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا • يحسبون ان الاحزاب
لم ينهزموا وقد انهزموا فانصرفوا عن الخندق الى المدينة راجعين لما نزل بهم من الخوف الشديد ودخلهم
من الجبن المفرط وان يأت الاحزاب كرة ثانية تمنوا لخوفهم مما منوا به هذه الكرة انهم خارجون
الى البدو حاصلون بين الاعراب يسئلون كل قادم منهم من جانب المدينة عن اخباركم وعما جرى عليكم
ولو كانوا فيكم ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال لم يقاتلوا الا تعلة رياء وسمعة وقرئ بدى على
فعل جمع باد كغاز وغزى وفي رواية صاحب الاقليد بدا بوزن عدى ويساءلون اى يتساءلون
ومعناه يقول بعضهم لبعض ما سمعت ما بلغك او يتساءلون الاعراب كما تقول رايت الهلال وتراءيناه
كان عليكم ان تواسوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بانفسكم فتؤازروه وتثبتوا معه كما آساكم بنفسه في الصبر
على الجهاد والثبات في مرحى الحرب حتى كسرت رباعيته يوم احد وشج وجهه • لقد كان لكم في
رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا • فان قلت فما حقيقة
قوله لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وقرئ اسوة بالضم قلت فيه وجهان احدهما انه في
نفسه اسوة حسنة اى قدوة وهو الموتسى به اى المقتدى به كما تقول في البيضة عشرون منا حديد
اى هي في نفسها هذا المبلغ من الحديد والثاني ان فيه خصلة من حقها ان يؤتسى بها وتتبع وهي
المواساة بنفسه لمن كان يرجوا الله بدل من لكم كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم يرجوا الله و
اليوم الآخر من قولك رجوت زيدا وفضله اى فضل زيد او يرجوا ايام الله واليوم الآخر خصوصا
والرجاء بمعنى الامل او الخوف وذكر الله كثيرا وقرن الرجاء بالطاعات الكثيرة والتوفر على
الاعمال الصالحة والموتسى برسول الله صلى الله عليه وسلم من كان كذلك وعدهم الله ان يزلزلوا حتى يستغيثوه
ويستنصروه في قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم • ولما رأى
المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا

وتسليما • فلما جاء الاحزاب وشخص بهم واضطربوا ورعبوا الرعب الشديد قالوا هذا ما •
وعدنا الله ورسوله وايقنوا بالجنة والنصر وعن ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان
الاحزاب سائرون اليكم تسعا او عشرا اى في آخر تسع ليال او عشر فلما رأوهم قد اقبلوا للميعاد
قالوا ذلك وهذا اشارة الى الخطب والبلاء ايمانا بالله وبمواعيده وتسليما لقضاياه واقداره
من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا
ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما
نذر رجال من الصحابة انهم اذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا
وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب بن عمير
وغيرهم فمنهم من قضى نحبه يعني حمزة ومصعبا ومنهم من ينتظر يعني عثمان وطلحة وفي الحديث من احب
ان ينظر الى شهيد يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحة فان قلت ما قضاء النحب قلت وقع عبارة
عن الموت لان كل حي لا بد له من ان يموت فكانه نذر لازم في رقبته فاذا مات فقد قضى نحبه
اى نذره وقوله فمنهم من قضى نحبه يحتمل موته شهيدا ويحتمل وفاءه بنذره من الثبات مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فان قلت فما حقيقة قوله صدقوا ما عاهدوا الله عليه قلت يقال صدقني اخوك
وكذبني اذا قال لك الصدق والكذب واما المثل صدقني سن بكره فمعناه صدقني في سن بكره
بطرح الجار وايصال الفعل فلا يخلو ما عاهدوا الله عليه اما ان يكون بمنزلة السن في طرح الجار
واما ان يجعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كانهم قالوا للمعاهد عليه سنفي بك وهم وافون
فقد صدقوه ولو كانوا ناكثين لكذبوه ولكان مكذوبا وما بدلوا العهد ولا غيروه لا المستشهد ولا
من ينتظر الشهادة ولقد ثبت طلحة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حتى اصيبت يده فقال
رسول الله صلعم اوجب طلحة وفيه تعريض بمن بدلوا من اهل النفاق ومرض القلوب جعل المنافقون
كانهم قصدوا عاقبة السوء وارادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم لان كلا
الفريقين مسوق الى عاقبته من الثواب والعقاب فكانهما استويا في طلبها والسعي لتحصيلها ويعذب

ان شاء اذا لم يتوبوا او يتوب عليهم اذا تابوا • ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله
المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا • ورد الله الذين كفروا الاحزاب بغيظهم مغيظين كقوله
تنبت بالدهن لم ينالوا خيرا غير ظافرين وهما حالان بتداخل او تعاقب ويجوز ان يكون الثانية
بيانا للاولى او استينافا وكفى الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة • وانزل الذين ظاهروهم
من اهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتاسرون فريقا واورثكم
ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديرا • وانزل الذين ظاهروا
الاحزاب من اهل الكتاب من صياصيهم من حصونهم والصيصية ما تحصن به يقال لقرن
الثور والظبي صيصية ولشوكة الديك وهي مخلبه التي في ساقه لانه يتحصن بها روي
ان جبرئيل اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب ورجع المسلمون
الى المدينة ووضعوا سلاحهم على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرس وعلى السرج
فقال ما هذا يا جبرئيل قال من متابعة قريش فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجه
الفرس وعن سرجه فقال يا رسول الله ان الملائكة لم تضع السلاح ان الله يامرك بالسير
الى بني قريظة وانا عامد اليهم فان الله تعالى داقهم دق البيض على الصفا وانهم لكم طعمة فاذن
في الناس ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلي العصر الا في بني قريظة فما صلى كثير من الناس العصر الا بعد
العشاء الاخرة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار
فقال لهم رسول الله صلعم تنزلون على حكمي فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت
فيهم ان تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت
بحكم الله من فوق سبعة ارقعة ثم استنزلهم وخندق في سوق المدينة خندقا وقدمهم فضرب
اعناقهم وهم من ثمانمائة الى تسعمائة وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة اسير وقرئ الرعب
بسكون العين وضمها وتاسرون بضم السين وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم
للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار في ذلك فقال انكم في منازلكم وقال عمر اما تخمس كما خمست

يوم بدر فقال لا انما جعلت هذه طعمة لي دون الناس قالوا رضينا بما صنع الله ورسوله
وارضا لم تطؤها عن الحسن فارس والروم وعن قتادة كنا نحدث انها مكة وعن مقاتل هي
خيبر وعن عكرمة كل ارض تفتح الى يوم القيمة ومن بدع التفاسير انه اراد نساءهم •
يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن و
اسرحكن سراحا جميلا وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة فان الله اعد للمحسنات
منكن اجرا عظيما • اردن شيئا من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة وتغايرن فغم ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فبدا بعائشة وكانت احبهن اليه فخيرها وقرا عليها القرآن
فاختارت الله ورسوله والدار الاخرة فرئي الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اختار
جميعهن اختيارها فشكر لهن الله ذلك فانزل لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من
ازواج وروي انه قال لعائشة اني ذاكر لك امرا ولا عليك ان لا تعجلي فيه حتى تستامري ابويك
ثم قرا عليها القرآن فقالت افي هذا استامر ابوي فاني اريد الله ورسوله والدار الاخرة وروي
انها قالت لا تخبر ازواجك اني اخترتك فقال انما بعثني الله مبلغا ولم يبعثني متعنتا فان قلت
ما حكم التخيير في الطلاق قلت اذا قال لها اختاري فقالت اخترت نفسي او قال اختاري نفسك
فقالت اخترت لا بد من ذكر النفس في قول المخير او المخيرة وقعت طلقة بائنة عند ابي حنيفة
واصحابه واعتبروا ان يكون ذلك في المجلس قبل القيام او الاشتغال بما يدل على الاعراض واعتبر
الشافعي اختيارها على الفور وهي عنده طلقة رجعية وهو مذهب عمر وابن مسعود وعن
الحسن وقتادة والزهري امرها بيدها في ذلك المجلس وفي غيره واذا اختارت زوجها لم يقع
شيء باجماع فقهاء الامصار وعن عائشة رض خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعد
طلاقا وروي افكان طلاقا وعن علي رضي الله عنه اذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وان
اختارت نفسها فواحدة بائنة وروي عنه ايضا انها ان اختارت زوجها فليس بشيء اصلا
تعالى ان يقوله من في المكان المرتفع لمن كان في المكان المستوطى ثم كثر حتى استوت في

استعماله لهذه الكلمة ومعنى تعالين اقبلن بارادتكن واختياركن لاحد امرين ولم يرد نهوضهن
اليه بانفسهن كما تقول اقبل يخاصمني وذهب يكلمني وقام يهددني امتعكن اعطكن متعة
الطلاق فان قلت المتعة في الطلاق واجبة ام لا قلت المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض
لها في العقد متعتها واجبة عند ابي حنيفة واصحابه واما سائر المطلقات فمتعتهن مستحبة
وعن الزهري متعتان احديهما يقضي بها السلطان من طلق قبل ان يفرض ويدخل بها والثانية
حق على المتقين من طلق بعد ما يفرض ويدخل وخاصمت امراة الى شريح في المتعة فقال
متعها ان كنت من المتقين ولم يجبره وعن سعيد بن جبير المتعة حق مفروض وعن الحسن
لكل مطلقة متعة الا المختلعة والملاعنة والمتعة درع وخمار وملحفة على حسب السعة والاقتار
الا ان يكون نصف مهرها اقل من ذلك فيجب لها الاقل منهما ولا تنقص من خمسة دراهم لان اقل
المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها فان قلت ما وجه من قرأ امتعكن واسرحكن بالرفع
قلت وجهه الاستئناف سراحا جميلا من غير ضرار طلاقا بالسنة ● يا نساء النبي من يات
منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ● منكن
للبيان لا للتبعيض الفاحشة السيئة البليغة في القبح وهي الكبيرة والمبينة الظاهر فحشها
والمراد كل ما اقترفن من الكبائر وقيل هي عصيانهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوزهن
وطلبهن منه ما يشق عليه او ما يضيق به ذرعه ويغتم لاجله وقيل الزنا والله عاصم رسوله
من ذلك كما مر في حديث الافك وانما ضوعف عذابهن لان ما قبح من سائر النساء كان اقبح منهن
واقبح لان زيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل والمرتبة وزيادة النعمة على العاصي من المعصي
وليس لاحد من النساء مثل فضل نساء النبي ولا على احد منهن مثل ما لله عليهن من النعمة والجزاء
يتبع الفعل وكون الجزاء عقابا يتبع كون الفعل قبيحا فمتى ازداد قبحا ازداد عقابه شدة و
لذلك كان ذم العقلاء للعاصي العالم اشد منه للعاصي الجاهل لان المعصية من العالم اقبح و
لذلك فضل حد الاحرار على حد العبيد حتى ان ابا حنيفة واصحابه لا يرون الرجم على الكافر وكان

ذلك على الله يسيرا ايذان بان كونهن نساء النبي ليس بمغن عنهن شيئا وكيف يغني عنهن وهو
سبب مضاعفة العذاب فكان داعيا الى تشديد الامر عليهن غير صارف عنه قرئ تات بالتاء والياء
مبينة بفتح الياء وكسرها من بين بمعنى تبين يضاعف ويضعف على البناء للمفعول ونضاعف
ونضعف بالياء والنون ● ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين
واعتدنا لها رزقا كريما ● وقرئ تقنت وتعمل بالتاء والياء ونؤتها بالياء والنون والقنوت
الطاعة وانما ضوعف اجرهن لطلبهن رضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسن الخلق وطيب
المعاشرة والقناعة وتوفرهن على عبادة الله والتقوى ● يا نساء النبي لستن كاحد من النساء
ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا ● احد في الاصل
بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه
ومعنى قوله لستن كاحد من النساء لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء اي اذا تقصيت
امة النساء جماعة جماعة لم توجد منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل والسابقة ومنه
قوله عز وجل والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم يريد بين جماعة واحدة منهم تسوية
بين جميعهم في انهم على الحق المبين ان اتقيتن ان اردتن التقوى وان كنتن متقيات فلا تخضعن
بالقول فلا تجبن بقولكن خاضعا اي لينا خنثا مثل كلام المريبات والمومسات فيطمع الذي
في قلبه مرض اي ريبة وفجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي على انهن نهين عن الخضوع
بالقول ونهي مريض القلب عن الطمع كانه قيل لا تخضعن فلا يطمع وعن ابن محيصن انه
قرأ بكسر الميم وسبيله ضم الياء مع كسرها واسناد الفعل الى ضمير القول اي فيطمع القول المريب
قولا معروفا بعيدا من طمع المريب بجد وخشونة من غير تخنيث وقولا حسنا مع كونه خشنا ● و
قرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى واقمن الصلوة وآتين الزكوة واطعن الله و
رسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا ● وقرن بكسر القاف
من وقر يقر وقارا او من قر يقر حذفت الاولى من رائي اقررن ونقلت كسرتها الى القاف

كما تقول ظلن وقرن بفتحهما وأصله اقررن فحذفت الراء وألقيت فتحتها على ما قبلها كقولك
ظلن وذكر ابو الفتح الهمداني في كتاب التبيان وجها آخر قال قار يقار اذا اجتمع ومنه القارة
لاجتماعها الا ترى الى قول عضل والديش اجتمعوا فكونوا قارة والجاهلية الاولى هي القديمة
التي يقال لها الجاهلية الجهلاء وهي الزمن الذي ولد فيه ابرهيم كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ
فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وقيل ما بين آدم ونوح وقيل بين ادريس ونوح وقيل
زمن داود وسليمن والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما ويجوز ان يكون الجاهلية
الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق والفجور في الاسلام فكأن
المعنى ولا تحدثن بالتبرج جاهلية في الاسلام تتشبهن بها باهل جاهلية الكفر ويعضده ما روي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر ام اسلام قال بل
جاهلية كفر أمرهن امرا خاصا بالصلوة والزكوة ثم جاء به عاما في جميع الطاعات لان هاتين الطاعتين
البدنية والمالية هما اصل سائر الطاعات من اعتنى بهما حق اعتنائه جرتاه الى ما وراءهما ثم بين انه
انما نهاهن وامرهن ووعظهن لئلا يقارف اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم المآثم وليتصونوا
عنها بالتقوى واستعار للذنوب الرجس وللتقوى الطهر لان عرض المقترف للمقبحات يتلوث
بها ويتدنس كما يتلوث بدنه بالارجاس واما المحسنات فالعرض معها نقي مصون كالثوب الطاهر
وفي هذه الاستعارة ما ينفر اولي الالباب عما كرهه الله تعالى لعباده ونهاهم عنه ويرغبهم فيما رضيه لهم
وامرهم به واهل البيت نصب على النداء او على المدح وفي هذا دليل بين على ان نساء النبي صلى الله عليه
وسلم من اهل بيته • واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا • ثم
ذكرهن ان بيوتهن مهابط الوحي وامرهن ان لا ينسين ما يتلى فيها من الكتاب الجامع بين امرين هو
آيات بينات تدل على صدق النبوة لانه معجزة بنظمه وهو حكمة وعلوم وشرائع ان الله كان لطيفا
خبيرا حين علم ما ينفعكم ويصلحكم في دينكم فانزله عليكم او علم من يصلح لنبوته ومن يصلح لان يكونوا اهل
بيته او حيث جعل الكلام الواحد جامعا بين الغرضين • ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات

والقانتين

والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات
والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين
الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما • ٣٥ روي ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يا
رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير أفما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا يقبل منا طاعة وقيل
السائلة ام سلمة ٣٥ وروي انه لما نزل في نساء النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شيء
فنزلت والمسلم الداخل في السلم بعد الحرب المنقاد الذي لا يعاند او المفوض امره الى الله المتوكل عليه من
اسلم وجهه الى الله والمؤمن المصدق بالله وبرسوله وبما يجب ان يصدق به والقانت القائم بالطاعة
الدائم عليها والصادق الذي يصدق في نيته وقوله وعمله والصابر الذي يصبر على الطاعات وعن
المعاصي والخاشع المتواضع لله بقلبه وجوارحه وقيل الذي اذا صلى لم يعرف من عن يمينه وشماله
والمتصدق الذي يزكي ماله ولا يخل بالنوافل وقيل من تصدق في اسبوع بدرهم فهو من المتصدقين و
من صام البيض من كل شهر فهو من الصائمين والذاكر الله كثيرا من لا يكاد يخلو من ذكر الله بقلبه او
بلسانه او بهما وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من الذكر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استيقظ من
نومه وايقظ امرأته فصليا جميعا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات والمعنى والحافظاتها
والذاكراته فحذف لان الظاهر يدل عليه فان قلت اي فرق بين العطفين اعني عطف الاناث على
الذكور وعطف الزوجين على الزوجين قلت العطف الاول نحو قوله تعالى ثيبات وابكارا في انهما
جنسان مختلفان اذا اشتركا في حكم لم يكن بد من توسيط العاطف بينهما واما العطف الثاني فمن عطف الصفة
على الصفة بحرف الجمع فكان معناه ان الجامعين والجامعات لهذه الطاعات اعد الله لهم • وما كان
لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد
ضل ضلالا مبينا • خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب
على مولاه زيد بن حارثة فابت وابى اخوها عبد الله فنزلت فقالا رضينا يا رسول الله فانكحها اياه
وساق عنه اليها مهرها ستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وازارا وخمسين مدا من طعام وثلثين صاعا

من بني تميم وقيل هي ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهي اول من هاجر من النساء وهبت نفسها للنبي
فقال قد قبلت وزوجها زيدا فسخطت هي واخوها وقالا انما اردنا رسول الله فزوجنا عبده
المعنى وما صح لرجل ولا امراة من المؤمنين اذا قضى الله ورسوله اي رسول الله او لان قضاء رسول
الله هو قضاء الله امرا من الامور ان يختاروا من امرهم ما شاؤوا بل من حقهم ان يجعلوا رايهم تبعا لرايه و
اختيارهم تلوا لاختياره فان قلت كان من حق الضمير ان يوحد كما تقول ما جاءني من رجل ولا امراة
الا كان من شانه كذا قلت نعم ولكنهما وقعا تحت النفي فعما كل مؤمن ومؤمنة فرجع الضمير على المعنى لا
على اللفظ وقرئ يكون بالتاء والياء والخيرة ما يتخير • واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك
عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه فلما قضى
زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان
امر الله مفعولا ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان امر الله
قدرا مقدورا • للذي انعم الله عليه بالاسلام الذي هو اجل النعم وبتوفيقك لعتقه ومحبته واختصاصه
وانعمت عليه بما وفقك الله فيه فهو متقلب في نعمة الله ونعمة رسوله وهو زيد بن حارثة امسك عليك
زوجك يعني زينب بنت جحش وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابصرها بعدما انكحها اياه فوقعت
في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وذلك ان نفسه كانت تجفو عنها قبل ذلك لا تريدها ولو
ارادتها لاختطبها وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن والقى الله في نفسه كراهة
صحبتها والرغبة عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرسول الله صلعم اني اريد ان افارق صاحبتي فقال
ما لك ارابك منها شيء قال لا والله ما رايت منها الا خيرا ولكنها تتعظم علي لشرفها وتؤذيني فقال
امسك عليك زوجك واتق الله ثم طلقها بعد فلما اعتدت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجد احدا
اوثق في نفسي منك اخطب علي زينب قال زيد فانطلقت فاذا هي تخمر عجينتها فلما رايتها عظمت في
صدري حتى ما استطيع ان انظر اليها حين علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري
وقلت يا زينب ابشري ان رسول الله صلعم يخطبك ففرحت وقالت ما انا بصانعة شيئا حتى اوامر

ربي فقامت الى مسجدها ونزل القرآن زوجناكها فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها
وما اولم على امراة من نسائه ما اولم عليها ذبح شاة واطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار فان
قلت ما ذا اراد بقوله واتق الله قلت اراد واتق الله فلا تطلقها وقصد نهي تنزيه لا تحريم لان الاولى
ان لا يطلق وقيل اراد واتق الله فلا تذمها بالنسبة الى الكبر واذى الزوج فان قلت ما الذي اخفى
في نفسه قلت تعلق قلبه بها وقيل مودة مفارقة زيد اياها وقيل علمه بان زيدا سيطلقها وسينكحها
لان الله تعالى قد اعلمه بذلك وعن عائشة رضي الله عنها لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا مما اوحي اليه
لكتم هذه الآية فان قلت فما ذا اراد الله منه ان يقوله حين قال له زيد اريد مفارقتها وكان من الهجنة
ان يقول له افعل فاني اريد نكاحها قلت كان الذي اراد منه عز وجل ان يصمت عند ذلك او يقول له
انت اعلم بشانك حتى لا يخالف سره في ذلك علانيته لان الله يريد من الانبياء تساوي الظاهر والباطن
والتصلب في الامور والتجاوب في الاحوال والاستمرار على طريقة مستتبة كما جاء في حديث ارادة رسول
الله صلى الله عليه وسلم قتل عبد الله بن ابي سرح واعتراض عثمان رضي الله عنه بشفاعته له ان عمر قال له لقد
كان عيني اليك هل تشير الي فاقتله فقال ان الانبياء لا تومض ظاهرهم وباطنهم واحد فان قلت كيف
عاتبه الله في ستر ما استهجن التصريح به ولا يستهجن النبي صلى الله عليه وسلم التصريح بشيء الا والشيء في
نفسه مستهجن وقالة الناس لا تتعلق الا بما يستقبح في العقول والعادات وما له لم يعاتبه في
نفس الامر ولم يامره بقمع الشهوة وكف النفس عن ان تنازع الى زينب وتتبعها ولم يعصم نبيه عن تعلق
الهجنة به وما يعرضه للقالة قلت كم من شيء يتحفظ منه الانسان ويستحيي من اطلاع الناس عليه
وهو في نفسه مباح متسع وحلال مطلق لا مقال فيه ولا عيب عند الله وربما كان الدخول في ذلك
المباح سلما الى حصول واجبات يعظم اثرها في الدين ويجل ثوابها ولو لم يتحفظ منه لاطلق كثير
من الناس فيه السنتهم الا من اوتي فضلا وعلما ودينا ونظرا في حقائق الامور ولبوبها دون قشورها
الا ترى انهم كانوا اذا طعموا في بيوت رسول الله صلعم بقوا مرتكزين في مجالسهم لا يريمون مستانسين بالحديث
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤذيه قعودهم ويضيق صدره حديثهم والحياء يصده ان يامرهم

بالانتشار حتى نزلت ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم والله لا يستحيى من الحق ولو ابرز رسول
الله صلى الله عليه وسلم مكنون ضميره وامرهم ان ينتشروا لشق عليهم ولكان بعض المقالة فهذا من ذلك
القبيل لان طموح قلب الانسان الى بعض مشتهياته من امرأة او غيرها غير موصوف بالقبح فى العقل ولا
فى الشرع لانه ليس بفعل الانسان ولا وجوده باختياره وتناول المباح بالطريق الشرعى ليس بقبيح
ايضا وهو خطبة زينب ونكاحها من غير استنزال زيد عنها ولا طلب اليه وهو اقرب منه من زر قميصه
ان يواسيه بمفارقتها مع قوة العلم بان نفس زيد لم تكن من التعلق بها فى شيء بل كانت تتجافى عنها ونفس
رسول الله صلى الله عليه وسلم متعلقة بها ولم يكن مستنكرا عندهم ان ينزل الرجل عن امرأته لصديقه ولا مستهجنا
اذا نزل عنها ان ينكحها الآخر فان المهاجرين حين دخلوا المدينة استهم الانصار بكل شيء حتى ان
الرجل منهم اذا كانت له امرأتان نزل عن احديهما وانكحها المهاجر واذا كان الامر مباحا من جميع جهاته
ولم يكن فيه وجه من وجوه القبح ولا مفسدة ولا مضرة بزيد ولا باحد بل كان مستجرا مصالح ناهيك بواحدة
منها ان بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم امنها من الايمة والضيعة ونالت الشرف وعادت اما من امهات
المسلمين الى ما ذكر الله عز وجل من المصلحة العامة فى قوله لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى ازواج ادعيائهم
اذا قضوا منهن وطرا فبالحرى ان يعاتب الله رسوله حين كتمه وبالغ فى كتمه بقوله امسك عليك زوجك
واتق الله وان لا يرضى له الا اتحاد الضمير والظاهر والثبات فى مواطن الحق حتى يقتدى به المؤمنون
فلا يستحيوا من المكافحة بالحق وان كان مرا فان قلت الواو فى وتخفى فى نفسك وتخشى الناس والله
احق ما هى قلت واو الحال اى تقول لزيد امسك عليك زوجك مخفيا فى نفسك ارادة ان لا يمسكها
وتخفى خاشيا قالة الناس وتخشى الناس حقيقا فى ذلك بان تخشى الله او واو العطف كانه قيل واذ
تجمع بين قولك امسك واخفاء خلافه وخشية الناس والله احق ان تخشيه حتى لا تفعل مثل ذلك
اذا بلغ البالغ حاجته من شيء له فيه همة قيل قضى منه وطره والمعنى فلما لم يبق لزيد فيها حاجة و
تقاصرت عنها همته وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها وقراءة اهل البيت زوجتكها
وقيل لجعفر بن محمد أليس تقرأ على غير ذلك فقال لا والذى لا اله الا هو ما قرأتها على ابى الا كذلك ولا قرأها

الحسن بن على على ابيه ولا قرأها على بن ابى طالب على النبى صلى الله عليه وسلم الا كذلك

امر الله

امر الله مفعولا جملة اعتراضية يعنى وكان امر الله الذى يريد ان يكونه مفعولا مكونا لا محالة وهو مثل
لما اراد كونه من تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب ومن نفى الحرج عن المؤمنين فى اجراء ازواج
المتبنين مجرى ازواج البنين فى تحريمهن عليهم بعد انقطاع علائق الزواج بينهم وبينهن ويجوز ان يراد
بامر الله المكون لانه مفعول بكن وهو امر الله فرض الله له قسم له واوجب من قولهم فرض لفلان فى
الديوان كذا ومنه فروض العسكر لرزقاتهم سنة اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا
مؤكد لقوله ما كان على النبى من حرج كانه قيل سن الله ذلك سنة فى الانبياء الماضين وهو ان لا
يحرج عليهم فى الاقدام على ما اباح لهم ووسع عليهم فى باب النكاح وغيره وقد كانت تحتهم المهائر والسرارى
وكانت لداود مائة امرأة وثلثمائة سرية ولسليمان ثلثمائة وسبعمائة فى الذين خلوا فى الانبياء الذين مضوا
والذين يبلغون يحتمل وجوه الاعراب الجر على الوصف للانبياء والرفع والنصب على المدح على هم الذين
يبلغون او على اعنى الذين يبلغون وقرئ رسالة الله قدرا مقدورا قضاء مقضيا وحكما مبتوتا •
الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله وكفى بالله حسيبا • ووصف الانبياء
بانهم لا يخشون الا الله تعريض بعد التصريح فى قوله وتخشى الناس والله احق ان تخشيه حسيبا كافيا
للمخاوف او محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب ان يكون حق الخشية من مثله • ما كان محمد ابا احد من
رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما • ما كان محمد ابا احد من رجالكم اى
لم يكن ابا رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الاب وولده من حرمة الصهر والنكاح
ولكن رسول الله وكل رسول ابو امته فيما يرجع الى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم ووجوب الشفقة
والنصيحة لهم عليه لا فى سائر الاحكام الثابتة بين الآباء والابناء وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا
باولاده حقيقة فكان حكمه حكمكم والادعاء والتبنى من باب الاختصاص والتقريب لا غير وكان خاتم النبيين يعنى
انه لو كان له ولد بالغ مبلغ الرجال لكان نبيا ولم يكن هو خاتم الانبياء كما يروى انه قال فى ابرهيم حين توفى
لو عاش لكان نبيا فان قلت اما كان ابا للطاهر والطيب والقسم وابرهيم قلت قد اخرجوا من حكم النفى
بقوله من رجالكم من وجهين احدهما ان هؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال والثانى انه قد اضاف الرجال اليهم

وهؤلاء رجاله لا رجالهم فان قلت اما كان ابا للحسن والحسين قلت بلى ولكنهما لم يكونا رجلين حينئذ وهما
ايضا من رجاله لا من رجالكم وشيء آخر وهو انه انما قصد ولده خاصة لا ولد ولده لقوله وخاتم
النبيين الا ترى ان الحسن والحسين قد عاشا الى ان نيف احدهما على الاربعين والآخر على الخمسين
قرئ ولكن رسول الله بالنصب عطفا على ابا احد وبالرفع على ولكن هو رسول الله ولكن بالتشديد على
حذف الخبر تقديره ولكن رسول الله من عرفتموه اي لم يعش له ولد ذكر وخاتم بفتح التاء بمعنى الطابع
وبكسرها بمعنى الطابع وفاعل الختم وتقويه قراءة ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين فان قلت كيف كان
آخر الانبياء وعيسى ينزل في آخر الزمان قلت معنى كونه آخر الانبياء انه لا ينبأ احد بعده وعيسى ممن
نبئ قبله وحين ينزل ينزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا الى قبلته كانه بعض امته • يا ايها
الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا • اذكروا الله اثنوا عليه بضروب الثناء
من التقديس والتحميد والتهليل والتكبير وما هو اهله واكثروا ذلك بكرة واصيلا اي في كافة الاوقات
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الله على فم كل مسلم وروي في قلب كل مسلم وعن قتادة قولوا سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله وعن مجاهد هذه كلمات يقولهن الطاهر
والجنب والفعلان اعني اذكروا وسبحوا موجهان الى البكرة والاصيل كقولك صم وصل يوم الجمعة و
التسبيح من جملة الذكر وانما اختصه من بين انواعه اختصاص جبريل وميكائيل من بين الملائكة
ليبين فضله على سائر الاذكار لان معناه تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات والافعال وتبرئته
من القبائح ومثال فضله على غيره من الاذكار فضل وصف العبد بالنزاهة من ادناس المعاصي والطهر
من ارجاس المآثم على سائر اوصافه من كثرة الصلوة والصيام والتوفر على الطاعات كلها والاشتمال
على العلوم والاشتهار بالفضائل ويجوز ان يريد بالذكر واكثاره تكثير الطاعات والاقبال على العبادات
فان كل طاعة وكل خير من جملة الذكر ثم خص من ذلك التسبيح بكرة واصيلا وهي الصلوة في جميع اوقاتها
لفضل الصلوة على غيرها او صلوة الفجر والعشاءين لان اداءها اشق ومراعاتها اشد • هو الذي
يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما • لما كان من شأن المصلي ان ينعطف

في ركوعه وسجوده استعير لمن ينعطف على غيره حنوا عليه وترؤفا كعائد المريض في انعطافه عليه
والمرأة في حنوها على ولدها ثم كثر حتى استعمل في الرحمة والترؤف ومنه قولهم صلى الله عليك اي ترحم
عليك وترأف فان قلت قوله هو الذي يصلي عليكم ان فسرته بيترحم عليكم ويترأف فما تصنع بقوله
وملائكته وما معنى صلوتهم قلت هي قولهم اللهم صل على المؤمنين جعلوا لكونهم مستجابي الدعوة كانهم فاعلون
الرحمة والرأفة ونظيره قولك حياك الله اي احياك وابقاك وحييتك اي دعوت لك بان يحييك الله
لانك لاتكالك على اجابة دعوتك كانك تبقيه على الحقيقة وكذلك عمرك الله وعمرتك وسقاك
الله وسقيتك وعليه قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه اي
ادعوا الله بان يصلي عليه والمعنى هو الذي يترحم عليكم ويترأف حيث يدعوكم الى الخير ويأمركم باكثار
الذكر والتوفر على الصلوة والطاعة ليخرجكم من ظلمات المعصية الى نور الطاعة وكان بالمؤمنين رحيما
دليل على ان المراد بالصلوة الرحمة ويروى انه لما نزل قوله ان الله وملائكته يصلون على النبي قال
ابو بكر ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد اشركنا فيه فانزلت • تحيتهم يوم يلقونه سلام واعد لهم
اجرا كريما • تحيتهم من اضافة المصدر الى المفعول اي يحيون يوم لقائه بسلام فيجوز ان يعظمهم
الله تعالى بسلامه عليهم كما يفعل بهم سائر انواع التعظيم وان يكون مثلا كاللقاء على ما فسرنا وقيل
هو سلام ملك الموت والملائكة معه عليهم وبشارتهم بالجنة وقيل سلام الملائكة عند الخروج من
القبور وقيل عند دخول الجنة كما قال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم والاجر الكريم
الجنة • يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا
شاهدا على من بعثت اليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم اي مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول
الشاهد العدل في الحكم فان قلت وكيف كان شاهدا وقت الارسال وانما يكون شاهدا عند تحمل
الشهادة او عند ادائها قلت هي حال مقدرة كمسألة الكتاب مررت برجل معه صقر صائدا به غدا
اي مقدرا به الصيد غدا فان قلت قد فهم من قوله انا ارسلناك داعيا انه مأذون له في الدعاء
فما فائدة قوله باذنه قلت لم يرد به حقيقة الاذن وانما جعل الاذن مستعارا للتسهيل والتيسير

لان الدخول في حق الملك متعذر فاذا صودف الاذن تسهل وتيسر فلما كان الاذن تسهيلا
لما تعذر من ذلك وضع موضعه وذلك ان دعاء اهل الشرك والجاهلية الى التوحيد والشرائع
امر في غاية الصعوبة والتعذر فقيل باذنه للايذان بان الامر صعب لا يتاتى ولا يستطاع
الا اذا سهله الله ويسره ومنه قولهم في الشحيح انه غير ماذون له في الانفاق اى غير مسهل له
الانفاق لكونه شاقا عليه داخلا في حد التعذر جلى به الله ظلمات الشرك واهتدى به الضالون
كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به او امد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور
السراج نور الابصار ووصفه بالانارة لان من السرج ما لا يضيء اذا قل سليطه ودقت فتيلته
وفي كلام بعضهم ثلثة تضنى رسول بطىء وسراج لا يضيء ومائدة ينتظر لها من يجيء وسئل
بعضهم عن الموحشين فقال ظلام ساتر وسراج فاتر وقيل وذا سراج منير او وتاليا سراجا منيرا
ويجوز على هذا التفسير ان يعطف على كاف ارسلناك • وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا
كبيرا • الفضل ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب اذا ذكر المتفضل به وكبره فما ظنك بالثواب
ويجوز ان يريد بالفضل الثواب من قولهم للعطايا فضول وفواضل وان يريد ان لهم فضلا كبيرا
على سائر الامم وذلك الفضل من جهة الله وانه اتاهم ما فضلوهم به • ولا تطع الكافرين والمنافقين
ودع اذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا • ولا تطع الكافرين معناه الدوام والثبات على
ما كان عليه او التهييج اذاهم يحتمل اضافته الى الفاعل والمفعول يعنى ودع ان تؤذيهم بضرر
او قتل وخذ بظاهرهم وحسابهم على الله في باطنهم او ودع ما يؤذونك به ولا تجازهم عليه حتى
تؤمر وعن ابن عباس هى منسوخة باية السيف وتوكل على الله فانه يكفيكهم وكفى به مفوضا اليه
ولقائل ان يقول وصفه الله بخمسة اوصاف وقابل كلا منها بخطاب مناسب له قابل الشاهد بقوله
وبشر المؤمنين لانه يكون شاهدا على امته وهم يكونون شهداء على سائر الامم وهو الفضل الكبير والمبشر
بالاعراض عن الكافرين والمنافقين لانه اذا اعرض عنهم اقبل جميع اقباله على المؤمنين وهو مناسب
للبشارة والنذير بدع اذاهم لانه اذا ترك اذاهم في الحاضر والاذى لا بد له من عقاب عاجل

او اجل كانوا منذرين به في المستقبل والداعي الى الله بتيسيره بقوله وتوكل على الله لان من توكل
على الله يسر عليه كل عسير والسراج المنير بالاكتفاء به وكيلا لان من اناره الله برهانا على جميع خلقه
كان جديرا بان يكتفى به عن جميع خلقه • يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن
من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا • النكاح
الوطء وتسمية العقد نكاحا لملابسته له من حيث انه طريق اليه ونظيره تسميتهم الخمر اثما لانها
سبب في اقتراف الاثم ونحوه في علم البيان قول الراجز • اسنمة الآبال في سحابه سمى الماء باسم
الآبال لانه سبب سمن المال وارتفاع اسنمته ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله الا في معنى العقد
لانه في معنى الوطء من باب التصريح به ومن اداب القرآن الكناية عنه بلفظ الملامسة والمماسة و
القربان والتغشي والاتيان فان قلت لم خص المؤمنات والحكم الذي نطقت به الاية تستوي
فيه المؤمنات والكتابيات قلت في اختصاصهن تنبيه على ان اصل امر المؤمن والاولى
به ان يتخير لنطفته وان لا ينكح الا مؤمنة عفيفة ويتنزه عن مزاوجة الفواسق فما بال
الكوافر ويستنكف ان يدخل تحت لحاف واحد عدوة الله ووليه فالتي في سورة المائدة
تعليم ما هو جائز غير محرم من نكاح المحصنات من الذين اوتوا الكتاب وهذه فيها تعليم ما هو
الاولى بالمؤمن من نكاح المؤمنات فان قلت ما فائدة ثم في قوله ثم طلقتموهن قلت فائدته
نفي التوهم عمن عسى يتوهم تفاوت الحكم بين ان يطلقها وهي قريبة العهد من النكاح وبين ان
يبعد عهدها بالنكاح ويتراخى بها المدة في حبالة الزوج ثم يطلقها فان قلت اذا خلا بها خلوة
يمكنه معها المساس هل يقوم ذلك مقام المساس قلت نعم عند ابي حنيفة واصحابه حكم الخلوة
الصحيحة حكم المساس وقوله فما لكم عليهن من عدة تعتدونها دليل على ان العدة حق واجب
على النساء للرجال تعتدونها تستوفون عددها من قولك عددت الدراهم فاعتدها كقولك
كلته فاكتاله ووزنته فاتزنه وقرئ تعتدونها مخففا اى تعتدون فيها كقوله ويوم
شهدناه والمراد بالاعتداء ما في قوله ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا فان قلت ما هذا التمتيع اواجب

ام لسدوب اليه قلت ان كانت غير مفروض لها كانت المتعة واجبة ولا تجب المتعة عند ابي حنيفة
الا لها وحدها دون سائر المطلقات وان كانت مفروضا لها فالمتعة مختلف فيها فبعض على
الندب والاستحباب ومنهم ابو حنيفة وبعض على الوجوب سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع
واجب ● يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن وما ملكت يمينك
مما افاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي
هاجرن معك وامراة مومنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها خالصة
لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت ايمانهم لكيلا يكون عليك
حرج وكان الله غفورا رحيما ● اجورهن مهورهن لان المهر اجر على البضع وايتاؤها اما اعطاؤها
عاجلا واما فرضها وتسميتها في العقد فان قلت لم قال اللاتي آتيت اجورهن ومما افاء الله عليك
واللاتي هاجرن معك وما فائدة هذه التخصيصات قلت قد اختار الله لرسوله الافضل
الاولى واستحبه بالاطيب الازكى كما اختصه بغيرها من الخصائص وآثره بما سواها من الاثرة وذلك
ان تسمية المهر في العقد اولى وافضل من ترك التسمية وان وقع العقد جائزا وله ان
يماسها وعليه مهر المثل ان دخل بها والمتعة ان لم يدخل بها وسوق المهر اليها عاجلا افضل من
ان يسميه ويؤجله وكان التعجيل ديدن السلف وسنتهم وما لا يعرف بينهم غيره وكذلك الجارية
اذا كانت سبية مالكها وخطبة سيفه ورمحه ومما غنمه الله من دار الحرب احل واطيب مما
يشترى من شق الجلب والسبي على ضربين سبي طيبة وسبي خبثة فسبي الطيبة ما سبي من
اهل الحرب واما من كان له عهد فالمسبي منهم سبي خبثة ويدل عليه قوله تعالى مما افاء الله عليك
لان فيء الله لا يطلق الا على الطيب دون الخبيث كما ان رزق الله يجب اطلاقه على الحلال
دون الحرام وكذلك اللاتي هاجرن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرائبه غير المحارم افضل
من غير المهاجرات معه وعن ام هانئ بنت ابي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني
ثم انزل الله هذه الآية فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء واحللنا لك من وقع لها

ان تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا من النساء المؤمنات ان اتفق ذلك ولذلك نكرها واختلف
في اتفاق ذلك فعن ابن عباس رضي الله عنه لم تكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم احد منهن بالهبة وقيل الموهوبات
اربع ميمونة بنت الحرث وزينب بنت خزيمة ام المساكين الانصارية وام شريك بنت جابر
وخولة بنت حكيم قرئ ان وهبت على الشرط وقرا الحسن أن بالفتح على التعليل بتقدير
حذف اللام ويجوز ان يكون مصدرا محذوفا معه الزمان كقولك اجلس ما دام زيد جالسا
بمعنى وقت دوامه جالسا ووقت هبتها نفسها وقرا ابن مسعود بغير ان فان قلت ما معنى الشرط
الثاني مع الاول قلت هو تقييد له شرط في الاحلال هبتها نفسها وفي الهبة ارادة استنكاح رسول
الله صلى الله عليه وسلم كانه قال احللناها لك ان وهبت لك نفسها وانت تريد ان تستنكحها لان ارادته
هي قبول الهبة وما به تتم فان قلت لم عدل عن الخطاب الى الغيبة في قوله نفسها للنبي ان اراد
النبي ثم رجع الى الخطاب قلت للايذان بانه مما خص به واوثر ومجيئه على لفظ النبي للدلالة
على ان الاختصاص تكرمة له لاجل النبوة وتكريره تفخيم له وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوته
واستنكاحها طلب نكاحها والرغبة فيه وقد استشهد به ابو حنيفة رحمه الله على جواز عقد النكاح
بلفظ الهبة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته سواء في الاحكام الا ما خصه الدليل وقال الشافعي
لا يصح وقد خص رسول الله صلعم بمعنى الهبة ولفظها جميعا لان اللفظ تابع للمعنى والمدعي للاشتراك
في اللفظ يحتاج الى دليل وقال ابو الحسن الكرخي ان عقد النكاح بلفظ الاجارة جائز لقوله اللاتي
آتيت اجورهن وقال ابو بكر الرازي لا يصح لان الاجارة عقد موقت وعقد النكاح مؤبد فهما
متنافيان خالصة مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله اي خلص لك احلال ما احللنا لك خالصة
بمعنى خلوصا والفاعل والفاعلة في المصادر غير عزيزين كالخارج والقاعد والعافية والكاذبة
[illegible] انها وردت في اثر الاحلالات الاربع مخصوصة برسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل التوكيد
لها قوله قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت ايمانهم بعد قوله من دون المؤمنين ومعنى هذه
الجملة الاعتراضية ان الله قد علم ما يجب فرضه على المؤمنين في الازواج والاماء وعلى اي حد وصفة

[illegible] وقوله لكيلا يكون عليك حرج
متصل بخالصة لك من دون المؤمنين

يجب ان يفرض عليهم ففرضه وعلم المصلحة في اختصاص رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اختصه به ففعل
ومعنى لكيلا يكون عليك حرج لكيلا يكون عليك ضيق في دينك حيث اختصصناك بالتنزيه و
اختيار ما هو اولى وافضل وفي دنياك حيث احللنا لك اجناس المنكوحات وزدنا لك الواهبة
نفسها وقرئ خالصة بالرفع اي ذاك خلوص لك وخصوص من دون المؤمنين ومن جعل خالصة مصدرا
نعتا للمراة فعلى مذهبه هذه المراة خالصة لك من دونهم وكان الله غفورا للواقع في الحرج اذا
تاب رحيما بالتوسعة على عباده • ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن
عزلت فلا جناح عليك ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما اتيتهن كلهن والله
يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما • روي ان امهات حتى تغايرن وابتغين زيادة النفقة و
غظن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهجرهن شهرا ونزل التخيير فاشفقن ان يطلقهن فقلن يا رسول الله
افرض لنا من نفسك ومالك ما شئت وروي ان عايشة قالت اني ارى ربك يسارع في هواك
ترجي بهمز وغير همز تؤخر وتؤوي تضم يعني تترك مضاجعة من تشاء منهن وتضاجع من تشاء او
تطلق من تشاء وتمسك من تشاء او لا تقسم لايتهن شئت وتقسم لمن شئت او تترك تزوج من شئت
من نساء امتك وتتزوج من شئت وعن الحسن كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب امراة لم يكن لاحد ان
يخطبها حتى يدعها وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لانه اما ان يطلق واما ان يمسك فاذا امسك
ضاجع او ترك وقسم او لم يقسم واذا طلق وعزل فاما ان يخلي المعزولة لا يبتغيها او يبتغيها و
روي انه ارجا منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وام حبيبة فكان يقسم لهن ما شاء كما شاء
وكانت ممن اوى اليه عايشة وحفصة وام سلمة وزينب ارجى خمسا واوى اربعا وروي انه كان
يسوي مع ما اطلق له وخير فيه الا سودة فانها وهبت ليلتها لعايشة وقالت لا تطلقني حتى
احشر في زمرة نسائك ذلك التفويض الى مشيتك ادنى الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن
جميعا لانه اذا سوى بينهن في الايواء والارجاء والعزل والابتغاء وارتفع التفاضل ولم يكن لاحداهن
مما تريد مما لا تريد الا مثل ما للاخرى وعلمن ان هذا التفويض من عند الله وبوحيه اطمانت نفوسهن

وذهب التنافس والتغاير وحصل الرضا وقرت العيون وسلت القلوب والله يعلم ما في قلوبكم
فيه وعيد لمن لم ترض منهن بما دبر الله من ذلك وفوض الى مشيئة رسوله وبعث على تواطؤ قلوبهن
والتصافي بينهن والتوافق على طلب رضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فيه طيب نفسه وقرئ تقر اعينهن
بضم التاء ونصب الاعين وتقر اعينهن على البناء للمفعول وكان الله عليما بذات الصدور حليما لا
يعاجل بالعقاب فهو حقيق بان يتقى ويحذر كلهن تاكيد لنون يرضين وقرا ابن مسعود ويرضين
كلهن بما اتيتهن على التقديم وقرئ كلهن تاكيدا لهن في اتيتهن • لا يحل لك النساء من بعد ولا
ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا • لا
تحل وقرئ بالتذكير لان تانيث الجمع غير حقيقي واذا جاز بغير فصل في قوله وقال نسوة كان مع الفصل
اجوز من بعد من بعد التسع لان التسع نصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الازواج كما ان الاربع نصاب
امته منهن فلا يحل له ان يتجاوز النصاب ولا ان تبدل بهن ولا ان تستبدل بهؤلاء التسع ازواجا
اخر بكلهن او بعضهن اراد الله لهن كرامة وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهن
وهن التسع اللاتي مات عنهن عايشة بنت ابي بكر حفصة بنت عمر ام حبيبة بنت ابي سفيان سودة
بنت زمعة ام سلمة بنت ابي امية صفية بنت حيي الخيبرية ميمونة بنت الحارث الهلالية
زينب بنت جحش الاسدية جويرية بنت الحارث المصطلقية ومن في من ازواج لتاكيد النفي
وفائدته استغراق جنس الازواج بالتحريم وقيل معناه لا يحل لك النساء من بعد النساء اللاتي نص و
احللن لك من الاجناس الاربعة من الاعرابيات والغرائب او من الكتابيات او من الاماء بالنكاح و
قيل في تحريم التبدل هو من البدل الذي كان في الجاهلية كان يقول الرجل للرجل بادلني بامراتك وابادلك
بامراتي فينزل كل واحد منهما عن امراته لصاحبه ويحكى ان عيينة بن حصن دخل على النبي صلى الله عليه وسلم
وعنده عايشة من غير استيذان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عيينة اين الاستيذان قال يا رسول الله ما استاذنت
على رجل من مضر منذ ادركت ثم قال من هذه الجميلة الى جنبك فقال صلى الله عليه وسلم هذه عايشة
ام المؤمنين قال عيينة افلا انزل لك عن احسن الخلق فقال صلى الله عليه وسلم ان الله قد حرم ذلك

فلما خرج قالت عايشة رض من هذا يا رسول الله قال الاحمق مطاع وانه على ما ترين لسيد قومه وعن
عايشة رضي الله عنها ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل له النساء تعني ان الآية قد نسخت ولا يخلو
نسخها اما ان يكون بالسنة واما بقوله انا احللنا لك ازواجك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف
ولو اعجبك في موضع الحال من الفاعل وهو الضمير في تبدل لا من المفعول الذي هو من ازواج لانه
موغل في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن وقيل هي اسماء بنت عميس الخثعمية امراة جعفر بن
ابي طالب والمراد انها ممن اعجبه حسنهن واستثنى ممن حرم عليه الاماء رقيبا حافظا مهيمنا ••
يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا
دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستانسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي
منكم والله لا يستحيي من الحق واذا سالتموهن متاعا فسلوهن من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم
وقلوبهن وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان
عند الله عظيما • وهو تحذير عن مجاوزة حدوده وتخطي حلاله الى حرامه ان يؤذن لكم في معنى
الظرف تقديره وقت ان يؤذن لكم وغير ناظرين حال من لا تدخلوا وقع الاستثناء على الوقت و
الحال معا كانه قيل لا تدخلوا بيوت النبي الا وقت الاذن ولا تدخلوها الا غير ناظرين وهؤلاء
قوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلعم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه ومعناه لا تدخلوا
يا هؤلاء المتحينون للطعام الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه والا فلو لم يكن لهؤلاء
خصوصا لما جاز لاحد ان يدخل بيوت النبي الا ان يؤذن له اذنا خاصا وهو الاذن الى الطعام فحسب
وعن ابن ابي عبلة انه قرا غير ناظرين مجرورا صفة لطعام وليس بالوجه لانه جرى على غير ما هو له فمن حق
ضمير ما هو له ان يبرز الى اللفظ فيقال غير ناظرين اناه انتم كقولك هند زيد ضاربته هي اني الطعام
ادراكه يقال انى الطعام انى كقولك قلاه قلى ومنه قوله حميم آن بالغ اناه وقيل اناه وقته
غير ناظرين وقت الطعام وساعة اكله وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اولم على زينب بتمر وسويق
وشاة وامر انسا ان يدعو بالناس فترادفوا افواجا ياكل فوج فيخرج ثم يدخل فوج الى ان قال يا

رسول الله دعوت حتى ما اجد احدا ادعوه فقال ارفعوا طعامكم وتفرق الناس وبقي ثلثة نفر يتحدثون
فاطالوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا فانطلق الى حجرة عايشة فقال السلام عليكم اهل
البيت فقالوا وعليك السلام يا رسول الله كيف وجدت اهلك وطاف بالحجرات فسلم عليهن ودعون
له ورجع فاذا الثلثة جلوس يتحدثون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فتولى فلما راوه
متوليا خرجوا فرجع ونزلت ولا مستانسين لحديث نهوا عن ان يطيلوا الجلوس يستانس بعضهم ببعض
لاجل حديث يحدثه به او عن ان يستانسوا حديث اهل البيت واستيناسه تسمعه وتوجسه وهو
مجرور معطوف على ناظرين وقيل هو منصوب على ولا تدخلوها مستانسين لا بد في قوله فيستحيي منكم من
تقدير المضاف اي من اخراجكم بدليل قوله والله لا يستحيي من الحق يعني ان اخراجكم حق ما ينبغي ان
يستحيى منه ولما كان الحياء مما يمنع الحيي من بعض الافعال قيل لا يستحيي من الحق بمعنى لا يمتنع منه ولا
يتركه ترك الحيي منكم وهذا ادب ادب الله به الثقلاء وعن عايشة رض حسبك في الثقلاء ان الله
تعالى لم يحتملهم وقال فاذا طعمتم فانتشروا وقرئ لا يستحي بياء واحدة الضمير في سالتموهن لنساء النبي
صلى الله عليه وسلم ولم يذكرن لان الحال ناطقة بذكرهن متاعا حاجة فسلوهن المتاع قيل ان عمر رض
كان يحب ضرب الحجاب عليهن محبة شديدة وكان يذكره كثيرا ويود ان ينزل فيه وكان يقول
لو اطاع فيكن ما راتكن عين وقال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين
بالحجاب فنزلت وروي انه مر عليهن وهن مع النساء في المسجد فقال لئن احتجبتن فان لكن على
النساء فضلا كما ان لزوجكن على الرجال الفضل فقالت زينب يا ابن الخطاب انك لتغار علينا
والوحي ينزل في بيوتنا فلم يلبثوا الا يسيرا حتى نزلت وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم
ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل منهم يد عايشة فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فنزلت آية الحجاب
وذكر ان بعضهم قال انهى ان نكلم بنات عمنا الا من وراء حجاب لئن مات محمد لاتزوجن عايشة
فاعلم الله [illegible] ما كان لكم وما صح لكم ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نكاح ازواجه من بعده
وسمى نكاحهن بعده عظيما عنده وهو من اعلام تعظيم الله تعالى لرسوله صلعم وايجاب حرمته حيا وميتا



واعلامه بذلك مما طيّب به نفسه وسرّ قلبه واستغزر شكره فان نحو هذا مما يحدّث به الرجل
نفسه ولا يخلي منه فكره ومن الناس من تفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى لها الموت لئلا تنكح
من بعده وعن بعض الفتيان انه كانت له جارية لا يرى الدنيا بها شغفا واستهتارا فنظر اليها
ذات يوم فتنفس الصعداء وانتحب فعلا نحيبه مما ذهب به فكره هذا المذهب فلم يزل به ذلك
حتى قتلها تصورا لما عسى يتفق من بقائها بعده وحصولها تحت يد غيره وعن بعض الفقهاء ان الزوج
الثاني في هدم الثلاث مما يجري مجرى العقوبة فصين رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يلاحظ ذلك
ان تبدوا شيئا او تخفوه فان الله كان بكل شيء عليما ● ان تبدوا شيئا من نكاحهن على ألسنتكم او
تخفوه في صدوركم فان الله يعلم ذلك فيعاقبكم به وانما جاء به على اثر ذلك عاما لكل باد وخاف
ليدخل تحته نكاحهن وغيره ولانه على هذه الطريقة أهول وأجزل ● لا جناح عليهن في آبائهن ولا
ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت ايمانهن
واتقين الله ان الله كان على كل شيء شهيدا ● روي انه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب
يا رسول الله او نحن ايضا نكلمهن من وراء الحجاب فنزلت لا جناح عليهن اي لا اثم عليهن في ان لا
يحتجبن من هؤلاء ولم يذكر العم والخال لانهما يجريان مجرى الوالدين وقد جاءت تسمية العم ابا
قال الله تعالى واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق واسمعيل عم يعقوب وقيل كره ترك الاحتجاب عنهما
لانهما يصفانها لابنائهما وابناؤهما غير محارم ثم نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب وفي هذا النقل
ما يدل على فضل تشديد فقيل واتقين الله فيما امرتن به من الاحتجاب وانزل فيه الوحي من الاستتار
واحتطن فيه وفيما استثني منه ما قدرتن واحفظن حدوده واسلكن طريق التقوى في حفظها
وليكن عملكن في الحجب احسن مما كان وانتن غير محتجبات ليفضل سركن علنكن ان الله كان على كل شيء
من السر والعلن وظاهر الحجاب وباطنه شهيدا لا يتفاوت في علمه الاحوال ● ان الله وملائكته يصلون
على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ● قرئ وملائكته بالرفع عطفا على محل انّ و
هو ظاهر على مذهب الكوفيين ووجهه عند البصريين ان يحذف الخبر لدلالة يصلون عليه صلوا

عليه وسلموا اي قولوا الصلوة على الرسول والسلام ومعناه الدعاء بان يترحم عليه الله ويسلم فان قلت
الصلوة على رسول الله صلعم واجبة ام مندوب اليها قلت بل واجبة وقد اختلفوا في حال وجوبها فمنهم
من اوجبها كلما جرى ذكره وفي الحديث من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فابعده الله ويروى
انه قيل يا رسول الله ارايت قول الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي فقال صلى الله عليه وسلم هذا
من العلم المكنون ولولا انكم سألتموني عنه ما اخبرتكم به ان الله وكّل بي ملكين فلا اذكر عند عبد مسلم
فيصلي علي الا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ولا اذكر
عند عبد مسلم فلا يصلي علي الا قال ذانك الملكان لا غفر الله لك وقال الله وملائكته لذينك الملكين
آمين ومنهم من قال يجب في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره كما قيل في آية السجدة وتشميت العاطس وكذلك
في كل دعاء في اوله وآخره ومنهم من اوجبها في العمر مرة وكذا قال في اظهار الشهادتين والذي يقتضيه
الاحتياط الصلوة عليه عند كل ذكر لما ورد من الاخبار فان قلت فالصلوة عليه في الصلوة اهي شرط في
جوازها ام لا قلت ابو حنيفة واصحابه لا يرونها شرطا وعن ابرهيم النخعي كانوا يكتفون عن ذلك يعني الصحابة
بالتشهد وهو السلام عليك ايها النبي واما الشافعي فقد جعلها شرطا فان قلت فما تقول في الصلوة
على غيره قلت القياس جواز الصلوة على كل مؤمن لقوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وقوله وصل عليهم ان صلوتك
سكن لهم وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل ابي اوفى ولكن للعلماء تفصيلا في ذلك وهو انها ان كانت
على سبيل التبع كقولك صلى الله على النبي وآله فلا كلام فيها واما اذا افرد غيره من اهل البيت بالصلوة
كما يفرد هو فمكروه لان ذلك صار شعارا لذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولانه يؤدي الى الاتهام بالرفض
وقال رسول الله صلعم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم ● ان الذين يؤذون الله و
رسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا ● يؤذون الله ورسوله فيه وجهان احدهما
ان يعبر بايذائهما عن فعل ما يكرهانه ولا يرضيانه من الكفر والمعاصي وانكار النبوة ومخالفة الشريعة
وما كانوا يصيبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم من انواع المكروه على سبيل المجاز وانما جعلته مجازا
فيهما جميعا وحقيقة الايذاء صحيحة في رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا اجعل العبارة الواحدة معطية معنى

المجاز والحقيقة والثاني ان يراد يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل في اذى الله هو قول اليهود
والنصارى والمشركين يد الله مغلولة وثالث ثلثة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله والاصنام
شركاؤه وقيل قول الذين يلحدون في اسمائه وصفاته وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حكى عن ربه
شتمني ابن آدم ولم ينبغ له ان يشتمني وآذاني ولم ينبغ له ان يؤذيني فاما شتمه اياي فقوله اني اتخذت
ولدا واما اذاه فقوله ان الله لا يعيدني بعد ان بدأني وعن عكرمة فعل اصحاب التصاوير الذين يرومون
تكوين خلق مثل خلق الله وقيل في اذى رسول الله قولهم ساحر شاعر كاهن مجنون وقيل كسر
رباعيته وشج وجهه يوم احد وقيل طعنهم عليه في نكاح صفية بنت حيي والطلق ايذاء الله ورسوله
وقيد ايذاء المؤمنين والمؤمنات لان اذى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم لا يكون الا غير حق ابدا
واما اذى المؤمنين والمؤمنات فمنه ومنه ● والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا
فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا ● ومعنى بغير ما اكتسبوا بغير جناية واستحقاق للاذى وقيل نزلت
في ناس من المنافقين يؤذون عليا رضي الله عنه ويسمعونه وقيل في الذين افكوا على عايشة رضي الله
عنها وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات وعن الفضيل لا يحل لك ان تؤذي كلبا او
خنزيرا بغير حق فكيف وكان ابن عون لا يكري الحوانيت الا من اهل الذمة لما فيه من الروعة عند
كر الحول ● يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك
ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما ● الجلباب ثوب واسع اوسع من الخمار
دون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتبقي منه ما ترسله على صدرها وعن ابن عباس الرداء الذي يستر
من فوق الى اسفل وقيل الملحفة وكل ما يتستر به من كساء او غيره قال ابو زبيد ● مجلبب من سواد
الليل جلبابا ● ومعنى يدنين عليهن من جلابيبهن يرخينها عليهن ويغطين بها وجوههن واعطافهن
يقال اذا زل الثوب عن وجه المرأة ادني ثوبك على وجهك وذلك ان النساء كن في اول الاسلام
على هجيراهن في الجاهلية متبذلات تبرز المرأة في درع وخمار لا فصل بين الحرة والامة وكان الفتيان
واهل الشطارة يتعرضون اذا خرجن بالليل الى مقاضي حوائجهن في النخيل والغيطان للاماء وربما

تعرضوا للحرة بعلة الامة يقولون حسبتها امة فامرن ان يخالفن بزيهن عن زي الاماء بلبس الاردية
والملاحف وستر الرؤس والوجوه ليحتشمن ويهبن فلا يطمع فيهن طامع وذلك قوله تعالى ذلك
ادنى ان يعرفن اي اولى واجدر بان يعرفن فلا يتعرض لهن ولا يلقين ما يكرهن فان قلت ما معنى
من في من جلابيبهن قلت هو للتبعيض الا ان معنى التبعيض محتمل وجهين احدهما ان يتجلببن
ببعض ما لهن من الجلابيب والمراد ان لا تكون الحرة متبذلة في درع وخمار كالامة والماهنة ولها
جلبابان فصاعدا في بيتها والثاني ان ترخي المرأة بعض جلبابها وفضله على وجهها تتقنع حتى تتميز
من الامة وعن ابن سيرين سألت عبيدة السلماني فقال ان تضع رداءها فوق الحاجب ثم تديره
حتى تضعه على انفها وعن السدي ان تغطي احدى عينيها وجبهتها والشق الآخر الا العين وعن
الكسائي يتقنعن بملاحفهن منضمة عليهن اراد بالانضمام معنى الادناء وكان الله غفورا لما
سلف منهن من التفريط مع التوبة لان هذا مما يمكن معرفته بالعقل ● لئن لم ينته المنافقون والذين في
قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ● الذين في
قلوبهم مرض قوم كان فيهم ضعف ايمان وقلة ثبات عليه وقيل هم الزناة واهل الفجور من قوله تعالى
فيطمع الذي في قلبه مرض والمرجفون ناس كانوا يرجفون باخبار السوء عن سرايا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين يقال ارجف
بكذا اذا اخبر به على غير حقيقة لكونه خبرا متزلزلا غير ثابت من الرجفة وهي الزلزلة والمعنى لئن
لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم والفسقة عن فجورهم والمرجفون عما يؤلفون من اخبار
السوء لنامرنك بان تفعل بهم الافاعيل التي تسوؤهم وتنوؤهم ثم بان تضطرهم الى طلب الجلاء عن المدينة
والى ان لا يساكنوك فيها الا زمنا قليلا ريثما يرتحلون ويلتقطون انفسهم وعيالاتهم فسمى ذلك اغراء
وهو التحريش على سبيل المجاز ● ملعونين ايما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا ● ملعونين نصب على الشتم او
الحال اي لا يجاورونك الا ملعونين دخل حرف الاستثناء على الظرف والحال معا كما مر في قوله الا ان
يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين ولا يصح ان ينتصب عن اخذوا لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها وقيل في قليلا

هو منصوب على الحال ايضا ومعناه لا يجاورونك الا اقلاء اذلاء ملعونين فان قلت ما موقع لا يجاورونك
قلت لا يجاورونك عطف على لنغرينك لانه يجوز ان يجاب به القسم الا ترى الى صحة قولك لئن لم
ينتهوا لا يجاورونك فان قلت اما كان من حق لا يجاورونك ان يعطف بالفاء وان يقال لنغرينك
بهم فلا يجاورونك قلت لو جعل الثاني مسببا عن الاول لكان الامر كما قلت ولكنه جعل جوابا آخر
للقسم معطوفا على الاول وانما عطف بثم لان الجلاء عن الاوطان كان اعظم عليهم واعظم من جميع ما اصيبوا
به فتراخت حاله عن حال المعطوف عليه • سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا
سنة الله في موضع مصدر مؤكد اي سن الله في الذين ينافقون الانبياء ان يقتلوا حيثما ثقفوا
وعن مقاتل يعني كما قتل اهل بدر واسروا • يسألك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك
لعل الساعة تكون قريبا • كان المشركون يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة
استعجالا على سبيل الهزء واليهود يسألونه امتحانا لان الله تعالى عمى وقتها في التوراة وفي كل كتاب فامر
رسول الله ان يجيبهم بانه علم قد استأثر الله به لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا ثم بين لرسوله انها قريبة
الوقوع تهديدا للمستعجلين واسكاتا للممتحنين قريبا شيئا قريبا او لان الساعة في معنى اليوم او في
زمان قريب • ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا ولا نصيرا يوم
تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا • السعير النار المسعورة الشديدة
الايقاد وقرئ تقلب على البناء للمفعول وتقلب بمعنى تتقلب ونقلب اي نقلب نحن وتقلب
على ان الفعل للسعير ومعنى تقليبها تصريفها في الجهات كما ترى البضعة تدور في القدر اذا غلت
فترامى بها الغليان من جهة الى جهة او تغييرها عن احوالها وتحويلها عن هيئاتها او طرحها في النار
مقلوبين منكوسين وخصت الوجوه بالذكر لان الوجه اكرم موضع على الانسان من جسده ويجوز
ان يكون الوجه عبارة عن الجملة وناصب الظرف يقولون او محذوف وهو اذكر واذا نصب بالمحذوف
كان يقولون حالا • وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا • وقرئ
ساداتنا وهم رؤساء الكفر الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم يقال ضل السبيل واضله اياه وزيادة

الالف لاطلاق الصوت جعلت فواصل الاي كقوافي الشعر وفائدتها الوقف والدلالة على
ان الكلام قد انقطع وان ما بعده مستأنف • ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا
وقرئ كثيرا تكثيرا لاعداد اللاعنين وكبيرا ليدل على اشد اللعن واعظمه ضعفين ضعفا لضلاله
وضعفا لاضلاله يعترفون ويستغيثون ويتمنون ولا ينفعهم شيء من ذلك • يا ايها الذين آمنوا
لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها • لا تكونوا كالذين آذوا
موسى قيل نزلت في شان زيد وزينب وما سمع فيه من قالة بعض الناس وقيل في اذى موسى
هو حديث المومسة التي ارادها قارون على قذفه بنفسها وقيل اتهامهم اياه بقتل هرون وكان
قد خرج معه الى الجبل فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به عليهم ميتا فابصروه حتى عرفوا
انه غير مقتول وقيل احياه الله فاخبرهم ببراءة موسى وقيل قرفوه بعيب في جسده من برص او
ادرة فاطلعهم الله على انه بريء منه وجيها ذا جاه ومنزلة عنده فلذلك كان يميط عنه التهم
ويدفع الاذى ويحافظ عليه لئلا يلحقه وصم ولا يوصف بنقيصة كما يفعل الملك بمن له عنده
قربة ووجاهة وقرأ ابن مسعود والاعمش وابو حيوة وكان عبدا لله وجيها قال ابن خالويه صليت
خلف ابن شنبوذ في شهر رمضان فسمعته يقرأها وقراءة العامة اوجه لانها مفصحة عن
وجاهته عند الله كقوله عند ذي العرش مكين وهذه ليست كذلك فان قلت قوله مما قالوا معناه
من قولهم او من مقولهم لان ما اما مصدرية او موصولة وايهما كان فكيف تصح البراءة منه قلت
المراد بالقول او المقول مؤداه ومضمونه وهو الامر المعيب الا ترى انهم سموا السبة بالقالة
والقالة بمعنى القول • يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم ويغفر
لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما • قولا سديدا قاصدا الى الحق والسداد
القصد الى الحق والقول بالعدل يقال سدد السهم نحو الرمية اذا لم يعدل به عن سمتها كما قالوا
سهم قاصد والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل في القول والبعث
على ان يسد قولهم في كل باب لان حفظ اللسان وسداد القول رأس الخير كله والمعنى راجع

الله في حفظ السنتكم وتسديد قولكم فانكم ان فعلتم ذلك اعطاكم الله ما هو غاية الطلبة من تقبل
حسناتكم والاثابة عليها ومن مغفرة سيئاتكم وتكفيرها وقيل اصلاح الاعمال التوفيق في المجي
بها صالحة مرضية وهذه الآية مقررة للتي قبلها بنيت تلك على النهي عما يؤذي رسول الله صلعم
وهذه الامر باتقاء الله في حفظ اللسان ليترادف عليه النهي والامر مع اتباع النهي ما يتضمن
الوعيد من قصة موسى واتباع الامر الوعد البليغ فيقوى الصارف عن الاذى والداعي الى تركه
انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان
انه كان ظلوما جهولا • لما قال ومن يطع الله ورسوله وعلق بالطاعة الفوز العظيم اتبعه قوله
انا عرضنا الامانة وهو يريد بالامانة الطاعة فعظم امرها وفخم شانها وفيه وجهان احدهما
ان هذه الاجرام العظام من السموات والارض والجبال قد انقادت لامر الله عز وعلا
انقياد مثلها وهو ما يتاتى من الجمادات واطاعت له الطاعة التي تصح منها وتليق بها حيث لم
تمتنع على مشيته وارادته ايجادا وتكوينا وتسوية على هيئات مختلفة واشكال متنوعة كما قال
قالتا اتينا طائعين واما الانسان فلم تكن حاله فيما يصح منه من الطاعة ويليق به من الانقياد
لاوامر الله ونواهيه وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل حال تلك الجمادات فيما يصح منها و
يليق بها من الانقياد وعدم الامتناع والمراد بالامانة الطاعة لانها لازمة الوجود كما ان الامانة
لازمة الاداء وعرضها على الجمادات واباؤها واشفاقها مجاز واما حمل الامانة فمن قولك فلان
حامل للامانة ومحتمل لها تريد انه لا يؤديها الى صاحبها حتى تزول عن ذمته ويخرج عن عهدتها
لان الامانة كانها راكبة للمؤتمن عليها وهو حاملها الا تراهم يقولون ركبته الديون ولي عليه حق
فاذا اداها لم تبق راكبة له ولا هو حاملا لها ونحوه قولهم لا يملك مولى لمولى نصرا يريدون انه يبذل
النصرة له ويسامحه بها ولا يمسكها كما يمسكها الخاذل ومنه قول القائل • اخوك الذي لا تملك
الحس نفسه وترفض عند المحفظات الكتائف • اي لا يمسك الرقة والعطف امساك المالك الضنين
في يده بل يبذل ذلك ويسمح به ومنه قولهم ابغض حق اخيك لانه اذا احبه لم يخرجه الى اخيه ولم

يؤده واذا ابغضه اخرجه واداه فمعنى فابين ان يحملنها وحملها الانسان فابين الا ان يؤدينها
وابى الانسان الا ان يكون محتملا لها لا يؤديها ثم وصفه بالظلم لكونه تاركا لاداء الامانة و
بالجهل لاخطائه ما يسعده مع تمكنه منه وهو اداؤها والثاني ان ما كلفه الانسان بلغ من عظمه
وثقل محمله انه عرض على اعظم ما خلق الله من الاجرام واقواه واشده ان يتحمله ويستقل به فابى حمله
والاستقلال به واشفق منه وحمله الانسان على ضعفه ورخاوة قوته انه كان ظلوما جهولا حيث
حمل الامانة ثم لم يف بها وضمنها ثم خاس بضمانه فيها ونحو هذا من الكلام كثير في لسان العرب وما جاء
القرآن الا على طرقهم واساليبهم من ذلك قولهم لو قيل للشحم اين تذهب لقال اسوي العوج وكم وكم
لهم من امثال على السنة البهائم والجمادات وتصور مقاولة الشحم محال ولكن الغرض ان السمن
في الحيوان مما يحسن قبيحه كما ان العجف مما يقبح حسنه فصور اثر السمن فيه تصويرا هو اوقع
في نفس السامع وهي به آنس وله اقبل وعلى حقيقته اوقف وكذلك تصوير عظم الامانة وصعوبة
امرها وثقل محملها والوفاء بها فان قلت قد علم وجه التمثيل في قولهم للذي لا يثبت على راي واحد اراك
تقدم رجلا وتؤخر اخرى لانه مثلت حاله في تميله وترجحه بين الرايين وتركه المضي على
احدهما بحال من يتردد في ذهابه فلا يجمع رجليه للمضي في وجهه وكل واحد من الممثل والممثل به شيء
مستقيم داخل تحت الصحة والمعرفة وليس كذلك ما في الآية فان عرض الامانة على الجماد واباءه
واشفاقه محال في نفسه غير مستقيم فكيف صح بناء التمثيل على المحال وما مثال هذا الا ان تشبه شيئا
والمشبه به غير معقول قلت الممثل به في الآية وفي قولهم لو قيل للشحم اين تذهب وفي نظائره
مفروض والمفروضات تتخيل في الذهن كما المحققات مثلت حال التكليف في صعوبته وثقل محمله
بحاله المفروضة لو عرضت على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها •
ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات و
كان الله غفورا رحيما • واللام في ليعذب لام التعليل على طريق المجاز لان التعذيب نتيجة حمل
الامانة كما ان التاديب في ضربته للتاديب نتيجة الضرب وقرا الاعمش ويتوب ليجعل العلة قاصرة

على فعل الحامل ويبتدئ ويتوب الله ومعنى قراءة العامة ليعذب الله حامل الامانة ويتوب
على غيره ممن لم يحملها لانه اذا تيب على الوافي كان ذلك نوعا من عذاب الغادر والله اعلم • قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر

سورة سبأ مكية وهي اربع وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير • ما في السموات
والارض كله نعمة من الله وهو الحقيق بان يحمد ويثنى عليه من اجله ولما قال الحمد لله ثم وصف ذاته
بالانعام بجميع النعم الدنيوية كان معناه انه المحمود على نعم الدنيا كما تقول احمد اخاك الذي كساك
وحملك تريد احمده على كسوته وحملانه ولما قال وله الحمد في الآخرة علم انه المحمود على نعم الآخرة
وهو الثواب فان قلت ما الفرق بين الحمدين قلت اما الحمد في الدنيا فواجب لانه على نعمة متفضل
بها وهو الطريق الى تحصيل نعمة الآخرة وهي الثواب واما الحمد في الآخرة فليس بواجب لانه على
نعمة واجبة الايصال الى مستحقها انما هو تتمة سرور المؤمنين وتكملة اغتباطهم يلتذون به كما يلتذ
من به العطاش بالماء البارد وهو الحكيم الذي احكم امور الدارين ودبرها بحكمته الخبير بكل كائن
يكون • يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور •
ثم ذكر مما يحيط به علما ما يلج في الارض من الغيث كقوله فسلكه ينابيع في الارض ومن الكنوز
والدفائن والاموات وجميع ما هي له كفات وما يخرج منها من الشجر والنبات وماء العيون والفلز
والدواب وغير ذلك وما ينزل من السماء من الامطار والثلوج والبرد والصواعق والارزاق
والملائكة وانواع البركات والمقادير كما قال وفي السماء رزقكم وما توعدون وما يعرج فيها
من الملائكة واعمال العباد وهو مع كثرة نعمته وسبوغ فضله الرحيم الغفور للمفرطين في اداء
شكرها وقرأ علي بن ابي طالب ننزل بالنون والتشديد • وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى
وربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك
ولا اكبر الا في كتاب مبين ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة ورزق كريم •

قولهم لا تأتينا الساعة نفي للبعث وانكار لمجيء الساعة او استبطاء لما وعدوه من قيامها على سبيل الهزء
والسخرية كقولهم متى هذا الوعد اوجب ما بعد النفي ببلى على معنى ان ليس الامر الا اتيانها ثم اعيد ايجابه
مؤكدا بما هو الغاية في التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل ثم امد التوكيد القسمي
امدادا بما اتبع المقسم به من الوصف بما وصف به الى قوله ليجزي لان عظمة حال المقسم به تؤذن بقوة
حال المقسم عليه وشدة ثباته واستقامته لانه بمنزلة الاستشهاد على الامر وكلما كان المستشهد به
اعلى كعبا وابين فضلا وارفع منزلة كانت الشهادة اقوى واكد والمستشهد عليه اثبت وارسخ فان
قلت هل للوصف الذي وصف به المقسم به وجه اختصاص بهذا المعنى قلت نعم وذلك ان قيام
الساعة من مشاهير الغيوب وادخلها في الخفية واولها مسارعة الى القلب اذا قيل عالم الغيب فحين
اقسم باسمه على اثبات قيام الساعة وانه كائن لا محالة ثم وصف بما يرجع الى علم الغيب وانه لا يفوت
علمه شيء من الخفيات اندرج تحته احاطته بوقت قيام الساعة فجاء ما تطلبه من وجه الاختصاص
مجيئا واضحا فان قلت الناس قد انكروا اتيان الساعة وجحدوه فهب انه حلف لهم باغلظ الايمان
واقسم عليهم جهد القسم فيمين من هو في معتقدهم مفتر على الله كذبا كيف تكون مصححة لما انكروه قلت
هذا لو اقتصر على اليمين ولم يتبعها الحجة القاطعة والبينة الساطعة وهو قوله ليجزي فقد وضع الله
في العقول وركب في الغرائز وجوب الجزاء وان المحسن لا بد له من ثواب والمسيء لا بد له من عقاب
وقوله ليجزي متصل بقوله لتأتينكم تعليلا له قرئ لتأتينكم بالتاء والياء ووجه من قرأ بالياء ان يكون
ضميره للساعة بمعنى اليوم او يسند الى عالم الغيب اي ليأتينكم امره كما قال هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة
او يأتي ربك وقال او يأتي امر ربك وقرئ عالم الغيب وعلام الغيب بالجر صفة لربي وعالم الغيب وعالم
الغيوب بالرفع على المدح ولا يعزب بالضم والكسر من العزوب وهو البعد يقال روض عزيب بعيد من الناس
مثقال ذرة مقدار اصغر نملة وذلك اشارة الى مثقال ذرة وقرئ ولا اصغر من ذلك ولا اكبر بالرفع على
اصل الابتداء وبالفتح على نفي الجنس كقولك لا حول ولا قوة الا بالله بالرفع والنصب وهو كلام منقطع عما
قبله فان قلت هل يصح عطف المرفوع على مثقال ذرة كانه قيل لا يعزب عنه مثقال ذرة واصغر واكبر وزيادة

لا لتأكيد النفي وعطف المفتوح على ذرة بأنه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف كأنه قيل لا يعزب عنه مثقال
ذرة ولا مثقال أصغر من ذلك ولا أكبر قلت يأبى ذلك حرف الاستثناء إلا إذا جعلت الضمير في عنه للغيب
وجعلت الغيب اسما للخفيات قبل أن تكتب في اللوح لأن إثباتها في اللوح نوع من البروز عن الحجاب على
معنى أنه لا ينفصل عن الغيب شيء ولا يزل عنه إلا مسطورا في اللوح • والذين سعوا في آياتنا معاجزين
أولئك لهم عذاب من رجز أليم • وقرئ معجزين وأليم بالرفع والجر وعن قتادة الرجز سوء العذاب ويرى
في موضع الرفع • ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز
الحميد • أي ويعلم أولو العلم يعني أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يطأ أعقابهم من أمته أو علماء أهل الكتاب
الذين أسلموا مثل كعب الأحبار وعبد الله بن سلام الذي أنزل إليك الحق هما مفعولان ليرى وهو فصل
ومن قرأ بالرفع جعله مبتدأ والحق خبرا والجملة في موضع المفعول الثاني وقيل يرى في موضع النصب
معطوف على ليجزي أي وليعلم أولو العلم عند مجيء الساعة أنه الحق علما لا يزاد عليه في الإيقان ويحتجوا به
على الذين كذبوا وتولوا ويجوز أن يريد وليعلم من لم يؤمن من الأحبار أنه هو الحق فيزدادوا حسرة وغما
وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد أفترى على الله كذبا
أم به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد • الذين كفروا قريش قال
بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنون محمدا صلعم يحدثكم بأعجوبة من الأعاجيب أنكم تبعثون وتنشأون
خلقا جديدا بعد أن تكونوا رفاتا وترابا ويمزق أجسادكم البلى كل ممزق أي يفرقكم ويبدد أجزاءكم
كل تبديد أهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب إليه من ذلك أم به جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه
ثم قال سبحانه ليس محمد من الافتراء والجنون في شيء وهو مبرأ منهما بل هؤلاء القائلون الكافرون بالبعث
واقعون في عذاب النار وفيما يؤديهم إليه من الضلال عن الحق وهم غافلون عن ذلك وذلك أجن
الجنون أشده إطباقا على عقولهم جعل وقوعهم في العذاب سببا لوقوعهم في الضلال كأنهما كائنان في
وقت حيلا لأن الضلال لما كان العذاب من لوازمه وموجباته جعلا كأنهما في الحقيقة مقترنان
وقرأ زيد بن علي ينبئكم فإن قلت فقد جعلت الممزق مصدرا كبيت الكتاب ألم تعلم مسرحي القوافي

214

فلا عيا بهن ولا اجتلابا • فهل يجوز أن يكون مكانا قلت نعم ومعناه ما حصل من الأموات في بطون
الطير والسباع وما مرت به السيول فذهبت به كل مذهب وما سفته الرياح فطرحته كل مطرح فإن قلت
ما العامل في إذا قلت ما دل عليه إنكم لفي خلق جديد وقد سبق نظيره فإن قلت الجديد فعيل بمعنى فاعل
أم مفعول قلت هو عند البصريين بمعنى فاعل تقول جد فهو جديد كحد فهو حديد وقل فهو قليل وعند
الكوفيين بمعنى مفعول من جده إذا قطعه وقالوا هو الذي جده الناسج الساعة في الثوب ثم شاع
ويقولون ولهذا قالوا ملحفة جديد وهي عند البصريين كقوله تعالى إن رحمة الله قريب ونحو ذلك فإن قلت
لم أسقطت الهمزة في قوله أفترى دون قوله آلسحر وكلتاهما همزة وصل قلت القياس الطرح ولكن
أمر اضطرهم إلى ترك إسقاطها في نحو آلسحر وهو خوف التباس الاستفهام بالخبر لكون همزة الوصل
مفتوحة كهمزة الاستفهام فإن قلت ما معنى وصف الضلال بالبعد قلت هو من الإسناد المجازي لأن
البعيد صفة الضال إذا بعد عن الجادة وكلما ازداد عنها بعدا كان أضل فإن قلت كان رسول الله صلعم
مشهورا علما في قريش وكان إنباؤه بالبعث شائعا عندهم فما معنى قوله هل ندلكم على رجل ينبئكم فنكروه
لهم وعرضوا عليهم الدلالة عليه كما يدل على مجهول في أمر مجهول قلت كانوا يقصدون بذلك الطنز
والسخرية فأخرجوه مخرج التحكي ببعض الأحاجي التي يتحاجى بها للضحك والتلهي متجاهلين به وبأمره
أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا
من السماء إن في ذلك لآية لكل عبد منيب • أعموا فلم ينظروا إلى السماء والأرض وأنهما حيثما كانوا وأينما
ساروا أمامهم وخلفهم محيطتان بهم لا يقدرون أن ينفذوا من أقطارهما وأن يخرجوا عما هم فيه من ملكوت
الله ولم يخافوا أن يخسف الله بهم أو يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم الآيات وكفرهم بالرسول وبما
جاء به كما فعل بقارون وأصحاب الأيكة إن في ذلك النظر إلى السماء والأرض والفكر فيهما وما تدلان
عليه من قدرة الله لآية ودلالة لكل عبد منيب وهو الراجع إلى ربه المطيع له لأن المنيب لا يخلو من النظر
في آيات الله على أنه قادر على كل شيء من البعث ومن عقاب من يكفر به قرئ يشأ ويخسف ويسقط بالياء
لقوله أفترى على الله كذبا وبالنون لقوله ولقد آتينا وكسفا بفتح السين وسكونه وقرأ الكسائي يخسف

بهم بالادغام وليس بقوي ● ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال اوبي معه والطير والنا له الحديد يا
جبال اما ان يكون بدلا من فضلا واما من آتينا بتقدير قولنا يا جبال او قلنا يا جبال وقرئ اوبي واوبي
من التاويب والاوب اي رجعي معه التسبيح او ارجعي معه في التسبيح كلما رجع فيه لانه اذا رجعه فقد رجع
فيه ومعنى تسبيح الجبال ان الله يخلق فيها تسبيحا كما خلق الكلام في الشجرة فيسمع منها ما يسمع من المسبح
معجزة لداود عليه السلم وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تسعده على نوحه باصدائها
والطير باصواتها وقرئ والطير رفعا ونصبا عطفا على لفظ الجبال ومحلها وجوزوا ان ينتصب مفعولا
معه وان يعطف على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير فان قلت اي فرق بين هذا وبين ان يقال وآتينا داود
منا فضلا تاويب الجبال معه والطير قلت كم بينهما الا ترى الى ما فيه من الفخامة التي لا تخفى من
الدلالة على عزة الربوبية وكبرياء الالهية حيث جعلت الجبال منزلة منزلة العقلاء الذين اذا
امرهم اطاعوا واذعنوا واذا دعاهم سمعوا واجابوا اشعارا بانه ما من حيوان وجماد وناطق وصامت
الا وهو منقاد لمشيئته غير ممتنع على ارادته والنا له الحديد وجعلناه له لينا كالطين والعجين
والشمع يصرفه بيده كيف يشاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة وقيل لان الحديد في يده لما اوتي من شدة
القوة ● ان اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا اني بما تعملون بصير ● وقرئ صابغات وهي
الدروع الواسعة الضافية وهو اول من اتخذها وكانت قبل صفائح وقيل كان يبيع الدرع باربعة
آلاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء وقيل كان يخرج حين ملك بني اسرائيل
متنكرا فيسال الناس عن نفسه ويقول لهم ما تقولون في داود فيثنون عليه فقيض الله ملكا في
صورة آدمي فساله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فريع داود فساله فقال لولا انه
يطعم عياله من بيت المال فسال عند ذلك ربه ان يسبب له ما يستغني به عن بيت المال فعلمه صنعة
الدروع وقدر لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتفصم الحلق والسرد نسج الدروع
واعملوا الضمير لداود واهله ● ولسليمن الريح غدوها شهر ورواحها شهر واسلنا له عين القطر
ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير ● وسخرنا

لسليمن الريح فيمن نصب ولسليمن الريح مسخرة فيمن رفع وكذلك فيمن قرا الرياح بالرفع غدوها
شهر جريها بالغدوة مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك وقرئ غدوتها وروحتها وعن الحسن كان
يغدو فيقيل باصطخر ثم يروح فيكون رواحه بكابل ويحكى ان بعضهم راى مكتوبا في منزل بناحية دجلة
كتبه بعض اصحاب سليمن نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون
منه فبائتون بالشام ان شاء الله القطر النحاس المذاب من القطران فان قلت ماذا اراد بعين القطر
قلت اراد بها معدن النحاس ولكنه اساله كما الان الحديد لداود فنبع كما ينبع الماء من العين فلذلك
سماه عين القطر باسم ما آل اليه كما قال اني اراني اعصر خمرا وقيل كان يسيل في الشهر ثلثة ايام باذن
ربه بامره ومن يزغ منهم ومن يعدل عن امرنا الذي امرناه به من طاعة سليمن وقرئ يزغ من ازاغه
وعذاب السعير عذاب الاخرة عن ابن عباس وعن السدي كان معه ملك بيده سوط من نار كلما
استعصى عليه ضربه من حيث لا يراه الجني ● يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب
وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور ● المحاريب المساكن والمجالس الشريفة
المصونة عن الابتذال سميت محاريب لانه يحامى عليها ويذب عنها وقيل هي المساجد والتماثيل صور الملائكة
والنبيين والصالحين كانت تعمل في المساجد من نحاس وصفر وزجاج ورخام ليراها الناس فيعبدوا
نحو عبادتهم فان قلت كيف استجاز سليمن عليه السلم عمل الصور قلت هذا مما يجوز ان تختلف فيه
الشرائع لانه ليس من مقبحات العقل كالظلم والكذب وعن ابي العالية لم يكن اتخاذ الصور اذ ذاك
محرما ويجوز ان يكون غير صور الحيوان كصور الاشجار وغيرها لان التمثال كل ما صور على مثل صورة
غيره من حيوان وغير حيوان او تصور محذوفة الرؤس وروي انهم عملوا له اسدين في اسفل كرسيه و
نسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد اظله النسران باجنحتهما
والجوابي الحياض الكبار قال ● تروح على آل المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق ● لان الماء يجبى
فيها اي يجمع جعل الفعل لها مجازا وهي من الصفات الغالبة كالدابة قيل كان يقعد على الجفنة الف رجل
وقرئ بحذف الياء اكتفاء بالكسرة كقوله يوم يدع الداع راسيات ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها

لعظمها اعملوا آل داود حكاية لما قيل لآل داود وانتصب شكرا على انه مفعول له اى اعملوا لله واعبدوه
على وجه الشكر لنعمائه وفيه دليل على ان العبادة يجب ان تؤدى على طريق الشكر او على الحال اى شاكرين
او على تقدير اشكروا شكرا لان اعملوا فيه معنى اشكروا من حيث ان العمل للمنعم شكر له ويجوز ان ينتصب
باعملوا مفعولا به ومعناه انا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا انتم شكرا على طريق المشاكلة و
الشكور المتوفر على اداء الشكر الباذل وسعه فيه قد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه اعتقادا و
اعترافا وكدحا واكثر اوقاته وعن ابن عباس من يشكر على احواله وعن السدى من يشكر على الشكر
وقيل من يرى عجزه عن الشكر وعن داود انه جزأ ساعات الليل والنهار على اهله فلم تكن تاتى ساعة من
الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصلى وعن عمر رضه انه سمع رجلا يقول اللهم اجعلنى من القليل فقال
عمر ما هذا الدعاء فقال الرجل انى سمعت الله يقول وقليل من عبادى الشكور فانا ادعوه ان يجعلنى من
ذلك القليل فقال عمر كل الناس اعلم من عمر • فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل
منسأته فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين • وقرئ فلما قضى عليه
الموت ودابة الارض الارضة وهى الدويبة التى يقال لها السرفة والارض فعلها فاضيفت اليه
يقال ارضت الخشبة ارضا اذا اكلتها الارضة وقرئ بفتح الراء من ارضت الخشبة ارضا وهو
باب فعلته ففعل كقولك اكلت القوادح الاسنان اكلا فاكلت اكلا والمنساة العصا لانه ينسأ
بها اى يطرد ويؤخر وقرئ بفتح الميم وبتخفيف الهمزة قلبا وحذفا وكلاهما ليس بقياس ولكن اخراج الهمزة
بين بين هو التخفيف القياسى ومنساءته على مفعالة كما يقال فى الميضاة ميضاءة ومن سأته اى من طرف
عصاه سميت بساة القوس على الاستعارة وفيها لغتان كقولهم قحة وقحة وقرئ اكلت منساته تبينت
الجن من تبين الشئ اذا ظهر وتجلى وان مع صلتها بدل من الجن بدل الاشتمال كقولك تبين زيد
جهله والظهور له فى المعنى اى ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب او علم الجن
كلهم علما بينا بعد التباس الامر على عامتهم وضعفتهم وتوهمهم ان كبارهم يصدقون فى ادعائهم علم
الغيب او علم المدعون علم الغيب منهم عجزهم وانهم لا يعلمون الغيب وان كانوا عالمين قبل ذلك

بحالهم وانما اريد التهكم بهم كما يتهكم بمدعى الباطل اذا دحضت حجته وظهر ابطاله بقولك هل تبينت
انك مبطل فانت تعلم انه لم يزل كذلك متبينا وقرئ تبينت الجن على البناء للمفعول على ان المتبين
فى المعنى هو ان مع ما فى صلتها لانه بدل وفى قراءة ابى تبينت الانس وعن الضحاك تباينت الانس
بمعنى تعارفت وتعالمت والضمير فى كانوا للجن فى قوله ومن الجن من يعمل بين يديه اى علمت
الانس ان لو كان الجن يصدقون فيما يوهمونهم من علمهم الغيب ما لبثوا وفى قراءة ابن مسعود رضه
تبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب روى انه كان من عادة سليمن عليه السلام ان يعتكف
فى مسجد بيت المقدس المدد الطوال فلما دنا اجله لم يصبح الا راى فى محرابه شجرة نابتة قد
انطقها الله فيسألها لاى شئ انت فتقول لكذا حتى اصبح ذات يوم فراى الخروبة فسألها فقالت
نبتت لخراب هذا المسجد فقال ما كان الله ليخربه وانا حى انت التى على وجهك هلاكى وخراب
بيت المقدس فنزعها وغرسها فى حائط له وقال اللهم عم على الجن موتى حتى يعلم الناس انهم لا يعلمون
الغيب لانهم كانوا يسترقون السمع ويموهون على الانس انهم يعلمون الغيب وقال لملك الموت اذا
امرت بى فاعلمنى فقال امرت بك وقد بقيت من عمرك ساعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا
من قوارير ليس له باب فقام يصلى متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها وكانت الشياطين
تجتمع حول محرابه اينما صلى فلم يكن شيطان ينظر اليه فى صلوته الا احترق فمر به شيطان فلم
يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فنظر فاذا سليمن قد خر ميتا ففتحوا عنه فاذا العصا قد اكلتها الارضة
فارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت منها فى يوم وليلة مقدارا فحسبوا
على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وكانوا يعملون بين يديه ويحسبونه حيا فايقن الناس
انهم لو علموا الغيب لما لبثوا فى العذاب سنة وروى ان داود اسس بناء بيت المقدس فى موضع فسطاط
موسى عليه السلام فمات قبل ان يتمه فوصى به الى سليمن فامر الشياطين باتمامه فلما بقى من عمره سنة
سأل ان يعمى عليهم موته حتى يفرغوا منه ولتبطل دعواهم علم الغيب روى ان افريدون جاء ليصعد
كرسيه فلما دنا ضرب الاسدان ساقه فكسراها فلم يجسر احد بعد ان يدنو منه وكان عمر سليمن

ثمانيًا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلث عشرة سنة فبقي في ملكه اربعين سنة وابتدأ بناء بيت
المقدس لاربع مضين من ملكه • لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من
رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور • قرئ لسبأ بالصرف ومنعه وقلب الهمزة
الفًا ومسكنهم بفتح الكاف وكسرها وهو موضع سكناهم وهو بلدهم وارضهم التي كانوا مقيمين
فيها او مسكن كل واحد منهم وقرئ مساكنهم وجنتان بدل من آية او خبر مبتدأ محذوف
تقديره الآية جنتان وفي الرفع معنى المدح تدل عليه قراءة من قرأ جنتين بالنصب على المدح فان قلت
ما معنى كونه آية قلت لم يجعل الجنتين في انفسهما آية وانما جعل قصتهما وان اهلهما اعرضوا
عن شكر الله تعالى عليهما فخربهما وابدلهم عنهما الخمط والاثل آية وعبرة لهم ليعتبروا ويتعظوا
فلا يعودوا الى ما كانوا عليه من الكفر وغمط النعم ويجوز ان يجعلهما آية اي علامة دالة على
الله وعلى قدرته واحسانه ووجوب شكره فان قلت كيف عظم الله جنتي اهل سبأ وجعلهما
آية ورب قرية من قريات العراق يحتف بها من الجنان ما شئت قلت لم يرد بستانين
اثنين فحسب وانما اراد جماعتين من البساتين جماعة عن يمين بلدهم واخرى عن شمالها وكل
واحدة من الجماعتين في تقاربها وتضامها كانها جنة واحدة كما تكون بلاد الريف العامرة
وبساتينها او اراد بستاني كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله كما قال جعلنا لاحدهما جنتين
من اعناب كلوا من رزق ربكم اما حكاية لما قال لهم انبياء الله المبعوثون اليهم او لما قال لهم لسان
الحال او هم احقاء بان يقال لهم ذلك ولما قال لهم كلوا من رزق ربكم واشكروا له اتبعه قوله بلدة طيبة
ورب غفور يعني هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور
لمن شكره وعن ابن عباس كانت اخصب البلاد واطيبها تخرج المرأة وعلى رأسها المكتل فتعمل بيديها وتسير
بين تلك الشجر فيمتلئ المكتل بما يتساقط فيه من الثمر طيبة لم تكن سبخة وقيل لم يكن فيها بعوض ولا ذباب
ولا براغيث ولا عقرب ولا حية وقرئ بلدة طيبة وربا غفورا بالنصب على المدح وعن ثعلب معناه اسكن
واعبد • فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط واثل

وشيء من سدر قليل • العرم الجرذ الذي نقب عليهم السكر ضربت لهم بلقيس الملكة بسد ما بين
الجبلين بالصخر والقار فحقنت به ماء العيون والامطار وتركت فيه خروقًا على مقدار ما يحتاجون
اليه في سقيهم فلما طغوا وقيل بعث الله اليهم ثلثة عشر نبيا يدعونهم الى الله ويذكرونهم نعمته عليهم فكذبوهم
وقالوا ما نعرف لله نعمة سلط الله على سدهم الخلد فنقبه من اسفله فغرقهم وقيل العرم جمع عرمة وهي
الحجارة المركومة ويقال للكدس من الطعام عرمة والمراد المسناة التي عقدوها سكرا وقيل العرم
اسم الوادي وقيل العرم المطر الشديد وقرئ العرم بسكون الراء وعن الضحاك كانوا في الفترة
التي بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وقرئ اكل بالضم والسكون وبالتنوين والاضافة والاكل الثمر
والخمط شجر الاراك وعن ابي عبيدة كل شجر ذي شوك وقال الزجاج كل نبت اخذ طعما من مرارة حتى
لا يمكن اكله والاثل شجر يشبه الطرفاء اعظم منه واجود عودا ووجه من نون ان اصله ذواتي
اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او وصف الاكل بالخمط كانه قيل ذواتي
اكل بشع ومن اضاف وهو ابو عمرو وحده فلان اكل الخمط في معنى البرير كانه قيل ذواتي برير والاثل
والسدر معطوفان على اكل لا على خمط لان الاثل لا اكل له وقرئ واثلا وشيئا بالنصب عطفا على
جنتين وتسمية البدل جنتين لاجل المشاكلة وفيه ضرب من التهكم وعن الحسن قلل السدر لانه
اكرم ما بدلوا • ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور • وقرئ وهل يجازى وهل يجازي
بالنون وهل يجازي والفاعل الله وحده وهل يجزى والمعنى ان مثل هذا الجزاء لا يستحقه الا الكافر
وهو العقاب العاجل وقيل المؤمن تكفر سيئاته بحسناته والكافر يحبط عمله فيجازى بجميع ما عمله
من السوء ووجه آخر وهو ان الجزاء عام لكل مكافاة يستعمل تارة في معنى المعاقبة واخرى في معنى
الاثابة فلما استعمل في معنى المعاقبة في قوله جزيناهم بما كفروا بمعنى عاقبناهم بكفرهم قيل وهل يجازى
الا الكفور بمعنى وهل يعاقب وهو الوجه الصحيح وليس لقائل ان يقول وهل يجازى الا الكفور على
اختصاص الكفور بالجزاء والجزاء عام للكافر والمؤمن لانه لم يرد الجزاء العام وانما اراد الخاص
وهو العقاب بل لا يجوز ان يراد العموم وليس بموضعه الا ترى انك لو قلت جزيناهم بما كفروا وهل

مجازى الا الكافر والمؤمن لم يصح ولم يسد كلاما فتبين ان ما يتخيل من السؤال مضمحل وان
الصحيح الذى لا يجوز غيره ما جاء عليه كلام الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالى واياما
آمنين القرى التى باركنا فيها هى قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها
فهى ظاهرة لاعين الناظرين او راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة لم تبعد عن مسالكهم حتى
تخفى عليهم وقدرنا فيها السير قيل كان الغادى منهم يقيل فى قرية والرائح يبيت فى قرية الى ان
يبلغ الشام لا يخاف جوعا ولا عطشا ولا عدوا ولا يحتاج الى حمل زاد ولا ماء سيروا فيها قلنا
لهم سيروا ولا قول ثم ولكنهم لما مكنوا من السير وسويت لهم اسبابه فكانهم امروا بذلك واذن لهم فيه
فان قلت ما معنى قوله ليالى واياما ما معناه سيروا فيها ان شئتم بالليل وان شئتم بالنهار فان الامن فيها
لا يختلف باختلاف الاوقات او سيروا فيها آمنين لا تخافون وان تطاولت مدة سفركم فيها و
امتدت اياما وليالى او سيروا فيها لياليكم وايامكم مدة اعماركم فانكم فى كل حين وزمان لا تلقون
فيها الا الامن فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا وظلموا انفسهم فجعلناهم احاديث ومزقناهم
كل ممزق ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور وقرئ ربنا باعد بين اسفارنا وبعد ويا ربنا على
الدعاء بطروا النعمة وبشموا من طيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب كما طلب
بنو اسرائيل البصل والثوم مكان المن والسلوى وقالوا لو كان جنى جناننا ابعد كان اجدر
ان نشتهيه وتمنوا ان يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا الازواد
فعجل الله لهم الاجابة وقرئ ربنا بعد بين اسفارنا وبعد بين اسفارنا على النداء واسناد الفعل
الى بين ورفعه به كما تقول سير فرسخان وبوعد بين اسفارنا وقرئ ربنا باعد بين اسفارنا
وبين سفرنا وبعد برفع ربنا على الابتداء والمعنى خلاف الاول وهو استبعاد مسايرهم على قصرها
ودنوها لفرط تنعمهم وترفههم كانهم كانوا يتشاجرون على ربهم ويتحازنون عليه احاديث
يتحدث الناس بهم ويتعجبون من احوالهم وفرقناهم تفريقا اتخذه الناس مثلا مضروبا يقولون

ذهبوا ايدى سبا وتفرقوا ايادى سبا قال كثير ايادى سبا يا عز ما كنت بعدكم فلم يحل
بالعينين بعدك منظر لحق غسان بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان صابر
عن المعاصى شكور للنعم ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين قرئ
صدق بالتشديد والتخفيف ورفع ابليس ونصب الظن فمن شدد فعلى حقق عليهم ظنه او وجده
صادقا ومن خفف فعلى صدق فى ظنه او صدق يظن ظنا نحو فعلته جهدك وبنصب ابليس
ورفع الظن فمن شدد فعلى وجده ظنه صادقا ومن خفف فعلى قال له ظنه الصدق حين خيله
اغواءهم يقولون صدقك ظنك وبالتخفيف ورفعهما على صدق عليهم ظن ابليس ولو قرئ بالتشديد
مع رفعهما لكان على المبالغة فى صدق كقوله صدقت فيهم ظنونى ومعناه انه حين وجد آدم ضعيف
العزم قد اصغى الى وسوسته قال ان ذريته اضعف عزما منه فظن بهم اتباعه وقال لاضلنهم
لاغوينهم وقيل ظن ذلك عند اخبار الله الملائكة انه يجعل فيها من يفسد فيها والضمير فى عليهم
واتبعوه اما لاهل سبا او لبنى آدم وقلل المؤمنين بقوله الا فريقا لانهم قليل بالاضافة الى الكفار
كما قال لاحتنكن ذريته الا قليلا ولا تجد اكثرهم شاكرين وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم
من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك وربك على كل شئ حفيظ وما كان له عليهم من تسلط واستيلاء
بالوسوسة والاستغواء الا لغرض صحيح وحكمة بينة وذلك ان يتميز المؤمن بالآخرة من الشاك فيها
وعلل التسليط بالعلم والمراد ما تعلق به العلم وقرئ ليعلم على البناء للمفعول حفيظ محافظ عليه
فعيل ومفاعل متآخيان قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات
ولا فى الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير قل لمشركى قومك ادعوا الذين عبدتموهم
من دون الله من الاصنام والملائكة وسميتموهم باسمه كما تدعون الله والتجئوا اليهم فيما يعروكم كما
تلتجئون اليه وانتظروا استجابتهم لدعائكم ورحمتهم كما تنتظرون ان يستجيب لكم ويرحمكم ثم اجاب
عنهم بقوله لا يملكون مثقال ذرة من خير او شر او نفع او ضر فى السموات والارض وما لهم فى هذين
الجنسين من شركة فى الخلق ولا فى الملك كقوله ما اشهدتهم خلق السموات والارض وما له منهم من

عوين يعينه على تدبير خلقه يريد انهم على هذه الصفة من العجز والبعد عن احوال الربوبية فكيف
يصح ان يدعوا كما يدعى ويرجوا كما يرجى فان قلت اين مفعولا زعم قلت احدهما الضمير المحذوف
الراجع منه الى الموصول واما الثاني فلا يخلوا اما ان يكون من دون الله او لا يملكون او محذوفا فلا
يصح الاول لان قولك هم من دون الله لا يلتئم كلاما ولا الثاني لانهم ما كانوا يزعمون ذلك وكيف
يتكلمون بما هو حجة عليهم وبما لو قالوه قالوا ما هو حق وتوحيد فبقي ان يكون محذوفا تقديره
زعمتموهم آلهة من دون الله فحذف الراجع الى الموصول كما حذف في قوله اهذا الذي بعث الله رسولا
استخفافا لطول الموصول بصلته وحذف آلهة لانه موصوف صفته من دون الله والموصوف يجوز حذفه
واقامة الصفة مقامه اذا كان مفهوما فاذا مفعولا زعم محذوفان جميعا بسببين مختلفين ولا تنفع الشفاعة
عنده الا لمن اذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير تقول الشفاعة
لزيد على معنى انه الشافع كما تقول الكرم لزيد وعلى معنى انه المشفوع له كما تقول القيام لزيد فاحتمل قوله
ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له ان يكون على احد هذين الوجهين اي لا تنفع الشفاعة الا كائنة
لمن اذن له من الشافعين ومطلقة له او لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن اذن له اي لشفيعه او
هي اللام الثانية في قولك اذن لزيد لعمرو اي لاجله وكانه قيل الا لمن وقع الاذن للشفيع لاجله وهذا
وجه لطيف وهو الوجه وهذا تكذيب لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله فان قلت بم اتصل قوله
حتى اذا فزع عن قلوبهم ولاي شيء وقعت حتى غاية قلت بما فهم من هذا الكلام من ان ثم
انتظارا للاذن وتوقعا وتمهلا وفزعا من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم او
لا يؤذن وانه لا يطلق الاذن الا بعد ملي من الزمان وطول من التربص ومثل هذه الحال دل عليه
قوله عز وجل رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح والملائكة
صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا كانه قيل يتربصون ويتوقفون مليا فزعين وهلين
حتى اذا فزع عن قلوبهم اي كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة
في اطلاق الاذن تباشروا بذلك وسأل بعضهم بعضا ماذا قال ربكم قالوا قال الحق اي القول الحق

وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم فاذا اذن لمن اذن ان يشفع
فزعته الشفاعة وقرئ اذن له اي اذن الله له واذن له على البناء للمفعول وقرا الحسن فزع
مخففا بمعنى فزع وقرئ فزع على البناء للفاعل وهو الله وحده وفرغ اي نفي الوجل عنها وافني من
قولهم فرغ الزاد اذا لم يبق منه شيء ثم ترك ذكر الوجل واسند الى الجار والمجرور كما تقول دفع الي زيد
اذا علم ما المدفوع وقد يخفف واصله فرغ الوجل عنها اي انتفى عنها وفني ثم حذف الفاعل واسند
الى الجار والمجرور وقرئ افرنقع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها وعن ابي علقمة انه هاج به المرار فالتف
عليه الناس فلما افاق قال ما لكم تكأكأتم علي تكأكؤكم على ذي جنة افرنقعوا عني والكلمة مركبة من
حروف المفارقة مع زيادة العين كما ركب اقمطر من حروف القمط مع زيادة الراء وقرئ الحق بالرفع
اي مقوله الحق وهو العلي الكبير ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبي ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه
وان يشفع الا لمن ارتضى قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا او اياكم لعلى هدى او
في ضلال مبين امره بان يقررهم بقوله من يرزقكم ثم امره بان يتولى الاجابة والاقرار عنهم بقوله
يرزقكم الله وذلك للاشعار بانهم مقرون به بقلوبهم الا انهم ربما ابوا ان يتكلموا به لان الذي تمكن في
صدورهم من العناد وحب الشرك قد الجم افواههم عن النطق بالحق مع علمهم بصحته ولانهم ان تفوهوا
بان الله رازقهم لزمهم ان يقال لهم فما لكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون عليه من لا يقدر على الرزق
الا ترى الى قوله قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار حتى قال فسيقولون الله
ثم قال فماذا بعد الحق الا الضلال فكانهم كانوا يقرون بالسنتهم مرة ومرة كانوا يتلعثمون عنادا او
ضرارا وحذرا من الزام الحجة ونحوه قوله عز وجل قل من رب السموات والارض قل الله قل افاتخذتم
من دونه اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا وامره ان يقول لهم بعد الالزام والالجام الذي ان
لم يزد على اقرارهم بالسنتهم لم يتقاصر عنه وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ومعناه وان
احد الفريقين من الذين يتوحدون الرازق من السموات والارض بالعبادة ومن الذين يشركون به
الجماد الذي لا يوصف بالقدرة لعلى احد الامرين من الهدى والضلال وهذا من الكلام المنصف الذي كل

من سمعه من موال ومناف قال لمن خوطب به قد انصفك صاحبك وفي درجه بعد تقدمة ما
قدم من التقرير البليغ دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال المبين
ولكن التعريض والتورية اوصل بالمجادل الى الغرض واهجم به على الغلبة مع قلة شغب الخصم وفل
شوكته بالهوينا ونحوه قول الرجل لصاحبه قد علم الله الصادق مني ومنك وان احدنا لكاذب
ومنه بيت حسان • اتهجوه ولست له بكفو فشركما لخيركما الفداء • فان قلت كيف خولف بين حرفي
الجر الداخلين على الحق والضلال قلت لان صاحب الحق كانه مستعل على فرس جواد يركضه
حيث شاء والضال كانه منغمس في ظلام مرتبك لا يدري اين يتوجه وفي قراءة ابي وانا او اياكم
اما على هدى او في ضلال مبين • قل لا تسئلون عما اجرمنا ولا نسئل عما تعملون • هذا ادخل في الانصاف
وابلغ فيه من الاول حيث اسند الاجرام الى المخاطبين والعمل الى المخاطبين وان اراد بالاجرام
الصغائر والزلات التي لا يخلو منها مؤمن وبالعمل الكفر والمعاصي العظام • قل يجمع بيننا ربنا
ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم • وفتح الله بينهم وهو حكمه وفصله ان يدخل هؤلاء الجنة
واولئك النار • قل اروني الذين الحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم • فان قلت ما معنى
قوله اروني وكان يراهم ويعرفهم قلت اراد بذلك ان يريهم الخطاء العظيم في الحاق الشركاء بالله
وان يقايس على اعينهم بينه وبين اصنامهم ليطلعهم على احالة القياس اليه والاشراك به وكلا
ردع لهم عن مذهبهم بعدما كسرهم بابطال المقايسة كما قال ابرهيم اف لكم ولما تعبدون من دون
الله بعدما حجهم وقد نبه على تفاحش غلطهم وان لم يقدروا الله حق قدره بقوله هو الله العزيز
الحكيم كانه قال اين الذين الحقتم به شركاء من هذه الصفات وهو راجع الى الله وحده او هو ضمير
الشان كما في قوله قل هو الله احد • وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس
لا يعلمون • الا كافة للناس الا رسالة عامة لهم محيطة بهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها
احد منهم وقال الزجاج المعنى ارسلناك جامعا للناس في الانذار والابلاغ فجعله حالا من الكاف وحق
التاء على هذا ان يكون للمبالغة كتاء الراوية ومن جعله حالا من المجرور متقدما عليه فقد اخطا

لان تقدم حال المجرور عليه في الاحالة بمنزلة تقدم المجرور على الجار وكم ترى ممن يرتكب هذا
الخطاء ثم لا يقنع به حتى يضم اليه ان يجعل اللام بمعنى الى لانه لا يستوي له الخطاء الاول الا
بالخطاء الثاني فلا بد له من ارتكاب الخطائين • ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لكم
ميعاد يوم لا تستاخرون عنه ساعة ولا تستقدمون وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن
ولا بالذي بين يديه ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول
الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين • قرئ ميعاد يوم وميعاد يوم وميعاد
يوما والميعاد ظرف الوعد من مكان او زمان وهو ههنا الزمان والدليل عليه قراءة من قرأ ميعاد
يوم فابدل منه اليوم فان قلت فما تاويل من اضافه الى يوم او نصب يوما قلت اما الاضافة
فاضافة تبيين كما تقول سحق ثوب وبعير سانية واما نصب اليوم فعلى التعظيم باضمار فعل تقديره
لكم ميعاد اعني يوما او اريد يوما من صفته كيت وكيت ويجوز ان يكون الرفع على هذا اعني التعظيم
فان قلت كيف انطبق هذا جوابا على سؤالهم قلت ما سالوا عن ذلك وهم منكرون له الا تعنتا لا
استرشادا فجاء الجواب على طريق التهديد مطابقا لمجيء السؤال على سبيل الانكار والتعنت وانهم
مرصدون ليوم يفاجئهم فلا يستطيعون تاخرا ولا تقدما عليه • الذي بين يديه ما نزل قبل القرآن
من كتب الله يروى ان كفار مكة سالوا اهل الكتاب فاخبروهم انهم يجدون صفة رسول الله صلى الله عليه
وسلم في كتبهم فاغضبهم ذلك وقرنوا الى القرآن جميع ما تقدمه من كتب الله في الكفر فكفروا بها
جميعا وقيل الذي بين يديه يوم القيمة والمعنى انهم جحدوا ان يكون القرآن من الله تعالى او ان يكون
لما دل عليه من الاعادة للجزاء حقيقة ثم اخبر عن عاقبة امرهم وما لهم في الآخرة فقال لرسوله صلعم
او للمخاطب ولو ترى في الآخرة موقفهم وهم يتجاذبون اطراف المحاورة ويتراجعونها بينهم
لرايت العجب فحذف الجواب • المستضعفون هم الاتباع والمستكبرون الرؤس والمقدمون •
قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين
اولي الاسم اعني نحن حرف الانكار لان الغرض انكار ان يكونوا هم الصادين لهم عن الايمان وا

اثبات انهم هم الذين صدوا بانفسهم عنه وانهم اتوا من قبل اختيارهم كانهم قالوا نحن اجبرناكم
وحلنا بينكم وبين كونكم ممكنين مختارين بعد اذ جاءكم بعد ان صممتم على الدخول في الايمان
وصحت نياتكم في اختياره بل انتم منعتم انفسكم حظها وآثرتم الضلال على الهدى واطعتم
آمر الشهوة دون آمر النهى فكنتم مجرمين كافرين لاختياركم لا لقولنا وتسويلنا فان قلت
اذ واذا من الظروف اللازمة للظرفية فلم وقعت اذ مضافا اليها قلت قد اتسع في الزمان
ما لم يتسع في غيره فاضيف اليها الزمان كما اضيف الى الجمل في قولك جئتك بعد اذ جاء زيد وحينئذ
ويومئذ وكان ذلك اوان الحجاج امير وحين خرج زيد ● وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا
بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا واسروا الندامة لما رأوا العذاب
وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون ● لما انكر المستكبرون
بقولهم انحن صددناكم ان يكونوا هم السبب في كفر المستضعفين واثبتوا بقولهم بل كنتم مجرمين
ان ذلك بكسبهم واختيارهم كر عليهم المستضعفون بقولهم بل مكر الليل والنهار فابطلوا
اضرابهم باضرابهم كانهم قالوا ما كان الاجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا دائبا ليلا
ونهارا وحملكم ايانا على الشرك واتخاذ الانداد ومعنى مكر الليل والنهار مكركم في الليل و
النهار فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به واضافة المكر اليه او جعل ليلهم ونهارهم
ماكرين على الاسناد المجازي وقرئ بل مكر الليل والنهار بالتنوين ونصب الظرفين وبل مكر
الليل والنهار بالرفع والنصب اي تكرون الاغواء مكرا دائبا لا تفترون عنه فان قلت ما وجه
الرفع والنصب قلت هو مبتدأ او خبر على معنى بل سبب ذلك مكركم او مكركم او مكركم
سبب ذلك والنصب على بل تكرون الاغواء مكر الليل والنهار فان قلت لم قيل قال الذين استكبروا
بغير عاطف وقيل وقال الذين استضعفوا قلت لان الذين استضعفوا مر اولا كلامهم فجيء
كلامهم بالجواب محذوف العاطف على طريقة الاستئناف ثم جيء بكلام آخر للمستضعفين فعطف
على كلامهم الاول فان قلت من صاحب الضمير في واسروا قلت الجنس المشتمل على النوعين من

من المستكبرين والمستضعفين وهم الظالمون في قوله اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يندم المستكبرون
على ضلالهم واضلالهم والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم المضلين في اعناق الذين كفروا اي
اعناقهم فجاء بالصريح للتنويه بذمهم وللدلالة على ما استحقوا به الاغلال وعن قتادة اسروا
الكلام بذلك بينهم وقيل اسروا الندامة اظهروها وهو من الاضداد ● وما ارسلنا في قرية من نذير
الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين ● هذه
تسلية لرسول الله صلعم مما مني به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة الاموال و
الاولاد والمفاخرة بالدنيا وزخارفها والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من اجله وقولهم
اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا وانه لم يرسل قط الى اهل قرية من نذير الا قالوا له مثل ما
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اهل مكة وكادوه بنحو ما كادوه به وقاسوا امر الآخرة الموهومة او
المفروضة عندهم على امر الدنيا واعتقدوا انهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم ولولا ان المؤمنين هانوا
عليه لما حرمهم فعلى قياسهم ذلك قالوا وما نحن بمعذبين ارادوا انهم اكرم على الله من ان يعذبهم نظرا
الى احوالهم في الدنيا ● قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن اكثر الناس لا يعلمون ●
وقد ابطل الله حسبانهم بان الرزق فضل من الله يقسمه كما يشاء على حسب ما يراه من المصالح فربما
وسع على العاصي وضيق على المطيع وربما عكس وربما وسع عليهما وضيق عليهما فلا ينقاس عليه امر
الثواب الذي مبناه على الاستحقاق وقدر الرزق تضييقه قال تعالى ومن قدر عليه رزقه وقرئ
يقدر بالتشديد والتخفيف ● وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل
صالحا فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون والذين يسعون في آياتنا معاجزين
اولئك في العذاب محضرون ● اراد وما جماعة اموالكم ولا جماعة اولادكم بالتي تقربكم وذلك ان
الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء في حكم التأنيث ويجوز ان يكون التي هي التقوى وهي المقربة
عند الله زلفى وحدها اي ليست اموالكم بتلك الموضوعة للتقريب وقرأ الحسن باللاتي تقربكم لانها
جماعات وقرئ بالذي يقربكم اي بالشيء الذي يقربكم والزلفى والزلفة كالقربى والقربة ومحلها

النصب اى تقربكم قربة كقوله انبتكم من الارض نباتا الا من آمن استثناء من كم فى تقربكم والمعنى ان
الاموال لا تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذى ينفقها فى سبيل الله والاولاد لا تقرب احدا الا من
علمهم الخير وفقههم فى الدين ورشحهم للصلاح والطاعة جزاء الضعف من اضافة المصدر الى المفعول
اصله فاولئك لهم ان يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ثم جزاء الضعف ومعنى جزاء الضعف
ان تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا وقرئ جزاء الضعف على فاولئك لهم الضعف جزاء
وجزاء الضعف على ان يجازوا الضعف وجزاء الضعف مرفوعان الضعف بدل من جزاء
وقرئ فى الغرفات بضم الراء وفتحها وسكونها وفى الغرفة ● قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من
عباده ويقدر له وما انفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين ● فهو يخلفه فهو يعوضه
لا معوض سواه اما عاجلا بالمال وبالقناعة التى هى كنز لا ينفد واما آجلا بالثواب الذى
كل خلف دونه وعن مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد فان الرزق مقسوم
ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما فى يده ثم يبقى طول عمره فى فقر
ولا يتاولن وما انفقتم من شئ فهو يخلفه فان هذا فى الآخرة ومعنى الآية وما كان من خلف
فهو منه خير الرازقين واعلاهم رب العزة لان كل ما رزق غيره من سلطان يرزق جنده او
سيد يرزق عبده او رجل يرزق عياله فهو من رزق الله اجراه على ايدى هؤلاء وهو خالق
الرزق وخالق الاسباب التى بها ينتفع المرزوق بالرزق وعن بعضهم الحمد لله الذى اوجدنى
وجعلنى ممن يشتهى فكم من مشته لا يجد وواجد لا يشتهى ● ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة
اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم
بهم مؤمنون ● هذا الكلام خطاب للملائكة وتقريع للكفار وارد على المثل السائر اياك اعنى
واسمعى يا جارة ونحوه قوله تعالى ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله وقد علم
سبحانه كون الملائكة وعيسى منزهين براء مما وجه عليهم من السؤال الوارد على طريق التقرير والغرض
ان يقول ويقولوا ويسال ويجيبوا فيكون تقريعهم اشد وتعييرهم ابلغ وخجلهم اعظم وهوانهم الزم

ويكون اقتصاص ذلك لطفا لمن سمعه وزاجرا لمن اقتص عليه والموالاة خلاف المعاداة ومنها
اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وهى مفاعلة من الولى وهو القرب كما ان المعاداة من العدواء
وهى البعد والولى يقع على الموالى والموالى جميعا والمعنى انت الذى نواليه من دونهم اذ لا موالاة
بيننا وبينهم فبينوا باثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم لان من كان
على هذه الصفة كانت حاله منافية لذلك بل كانوا يعبدون الجن يريدون الشياطين حيث اطاعوهم
فى عبادة غير الله وقيل صورت لهم الشياطين صور قوم من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها
وقيل كانوا يدخلون فى اجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتها وقرئ نحشرهم ونقول بالنون
والياء ● فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى
كنتم بها تكذبون ● الامر فى ذلك اليوم لله وحده لا يملك فيه احد منفعة ولا مضرة لاحد لان الدار
دار ثواب وعقاب والمثيب والمعاقب هو الله فكانت حالها خلاف حال الدنيا التى هى دار تكليف والناس
فيها مخلى بينهم يتضارون وينتفعون والمراد انه لا ضار ولا نافع يومئذ الا هو ثم ذكر معاقبته
الظالمين بقوله ونقول للذين ظلموا معطوفا على لا يملك ● واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا
الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا
للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين ● الاشارة الاولى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والثانية الى القرآن
والثالثة الى الحق والحق امر النبوة كله ودين الاسلام كما هو وفى قوله وقال الذين كفروا وفى
ان لم يقل وقالوا وفى قوله للحق لما جاءهم وما فى اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه و
ما فى لما من المبادهة بالكفر دليل على صدور الكلام عن انكار عظيم وغضب شديد وتعجب من امرهم
بليغ كانه قال وقال اولئك الكفرة المتمردون بجراءتهم على الله ومكابرتهم لمثل ذلك الحق النير
قبل ان يروه ان هذا الا سحر مبين فبتوا القضاء على انه سحر ثم بتوه على انه بين ظاهر كل عاقل
تامله سماه سحرا ● وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير وكذب الذين
من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلى فكيف كان نكير ● وما آتيناهم كتبا يدرسونها

برهان على صحة الشرك ولا ارسلنا اليهم نذيرا ينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا كما قال عز وجل
ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون او وصفهم بانهم قوم اميون اهل جاهلية لا
ملة لهم وليس لهم عهد بانزال كتاب ولا بعثة رسول كما قال ام آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون
فليس لتكذيبهم وجه متشبث ولا شبهة متعلق كما يقول اهل الكتاب وان كانوا مبطلين نحن اهل كتب
وشرائع ومستندون الى رسل من رسل الله ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله وكذب الذين تقدموهم
من الامم والقرون الخالية كما كذبوا وما بلغ هؤلاء بعض ما آتينا اولئك من طول الاعمار وقوة
الاجرام وكثرة الاموال فحين كذبوا رسلهم جاءهم انكاري بالتدمير والاستيصال ولم يغن عنهم
استظهارهم بما هم به مستظهرون فما بال هؤلاء وقرئ يدرسونها من التدريس وهو تكرير الدرس او
من درس الكتاب ودرس الكتب ويدرسونها بتشديد الدال يفتعلون من الدرس والمعشار
كالمرباع وهما العشر والربع فان قلت ما معنى فكذبوا رسلي وهو مستغنى عنه بقوله وكذب الذين من
قبلهم قلت لما كان معنى قوله وكذب الذين من قبلهم وفعل الذين من قبلهم التكذيب واقدموا عليه جعل
تكذيب الرسل مسببا عنه ونظيره ان يقول القائل اقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ويجوز
ان ينعطف على قوله وما بلغوا كقولك ما بلغ زيد معشار فضل عمرو فتفضل عليه فكيف كان نكيري
للمكذبين الاولين فليحذروا من مثله ○ قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا
ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد ○ بواحدة بخصلة واحدة وقد فسرها
بقوله ان تقوموا على انه عطف بيان لها واراد بقيامهم اما القيام عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتفرقهم عن مجتمعهم عنده واما القيام الذي لا يراد به المثول على القدمين ولكن الانتصاب في الامر
والنهوض فيه بالهمة والمعنى انما اعظكم بواحدة ان فعلتموها اصبتم الحق وتخلصتم وهي ان تقوموا لوجه
الله خالصا متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا ثم تتفكروا في امر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به اما
الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه وينظران فيه نظر متصادقين
متناصفين لا يميل بهما اتباع هوى ولا ينبض لهما عرق عصبية حتى يهجم بهما الفكر الصالح والنظر

الصحيح على جادة الحق وسننه وكذلك الفرد يفكر في نفسه بعدل ونصفة من غير ان يكابرها ويعرض
فكره على عقله وذهنه وما استقر عنده من عادات العقلاء ومجاري احوالهم والذي اوجب تفرقهم
مثنى وفرادى ان الاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمي البصائر ويمنع من الروية ويخلط القول ومع ذلك
يقل الانصاف ويكثر الاعتساف ويثور عجاج التعصب ولا يسمع الا نصرة المذهب وادام بقوله ما
بصاحبكم من جنة ان هذا الامر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والآخرة جميعا لا يتصدى لادعاء
مثله الا رجلان اما مجنون لا يبالي بافتضاحه اذا طولب بالبرهان فعجز بل لا يدري ما الافتضاح
وما رقبة العواقب واما عاقل راجح العقل مرشح للنبوة مختار من اهل الدنيا لا يدعيه الا بعد صحته
عنده بحجته وبرهانه والا فما يجدي على العاقل دعوى شيء لا بينة له عليه وقد علمتم ان محمدا ما
به من جنة بل علمتموه ارجح قريش عقلا وارزنهم حلما واثقبهم ذهنا واصلهم رايا واصدقهم
قولا وازكاهم نفسا واجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمدحون به فكان مظنة لان تظنوا به الخير وترجحوا
فيه جانب الصدق على الكذب واذا فعلتم ذلك كفاكم ان تطالبوه بان ياتيكم باية فاذا اتى بها تبين انه
نذير مبين فان قلت ما بصاحبكم بم يتعلق قلت يجوز ان يكون كلاما مستانفا تنبيها من الله عز وجل
على طريقة النظر في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون المعنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم
من جنة وقد جوز بعضهم ان تكون ما استفهامية بين يدي عذاب شديد كقوله صلى الله عليه وسلم بعثت
في نسيم الساعة ○ قل ما سالتكم عليه من اجر فهو لكم ان اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد ○ فهو لكم
جزاء الشرط الذي هو قوله من اجر تقديره اي شيء سالتكم من اجر كقوله ما يفتح الله للناس من رحمة
وفيه معنيان احدهما نفي مسالة الاجر راسا كما يقول الرجل لصاحبه ان اعطيتني شيئا فخذه وهو
يعلم انه لم يعطه شيئا ولكنه يريد البت لتعليقه الاخذ بما لم يكن والثاني ان يريد بالاجر ما اراد
في قوله قل ما اسالكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وفي قوله قل لا اسالكم عليه اجرا
الا المودة في القربى لان اتخاذ السبيل الى الله نصيبهم وما فيه نفعهم وكذلك المودة في القرابة لان
القرابة قد انتظمته واياهم على كل شيء شهيد حفيظ مهيمن يعلم اني لا اطلب الاجر على نصيحتكم و

دعاكم اليه الا منه ولا الطمع منكم فى شىء • قل ان ربى يقذف بالحق علام الغيوب • القذف
والرمى تزجية السهم ونحوه بدفع واعتماد ويستعاران من حقيقتهما لمعنى الالقاء ومنه قوله تعالى
وقذف فى قلوبهم الرعب ان اقذفيه فى التابوت ومعنى يقذف بالحق يلقيه وينزله الى انبيائه
او يرمى به الباطل فيدمغه ويزهقه علام الغيوب رفع محمول على محل ان واسمها او على المستكن
فى يقذف او هو خبر مبتدأ محذوف وقرئ بالنصب صفة لربى او على المدح وقرئ الغيوب بالحركات
الثلث فالغيوب كالبيوت والغيوب كالصبور وهو الامر الذى غاب وخفى جدا • قل جاء الحق وما
يبدئ الباطل وما يعيد • والحى اما ان يبدئ فعلا او يعيده فاذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة
فجعلوا قولهم لا يبدئ ولا يعيد مثلا فى الهلاك ومنه قول عبيد • اقفر من اهله عبيد فاليوم لا
يبدى ولا يعيد • والمعنى جاء الحق وهلك الباطل كقوله جاء الحق وزهق الباطل • وعن ابن مسعود
دخل النبى صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود نبعة ويقول جاء
الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد والحق القرآن و
قيل الاسلام وقيل السيف وقيل الباطل ابليس لعنه الله اى ما ينشئ خلقا ولا يعيده المنشئ والباعث
هو الله وعن الحسن لا يبدئ لاهله خيرا ولا يعيده اى لا ينفعهم فى الدنيا والآخرة وقال الزجاج اى شىء
ينشئ ابليس ويعيده فجعله للاستفهام وقيل للشيطان الباطل لانه صاحب الباطل ولانه هالك كما قيل له
الشيطان من شاط اذا هلك • قل ان ضللت فانما اضل على نفسى وان اهتديت فبما يوحى الى ربى انه
سميع قريب • قرئ ضللت اضل بفتح العين مع كسرها وضللت اضل بكسرها مع فتحها وهما لغتان
نحو ظللت اظل وظللت اظل وقرئ اضل بكسر الهمزة مع فتح العين فان قلت اين التقابل بين قوله
فانما اضل على نفسى وقوله فبما يوحى الى ربى وانما كان يستقيم ان يقال فانما اضل على نفسى وان
اهتديت فانما اهتدى لها كقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها فمن اهتدى فلنفسه و
من ضل فانما يضل عليها او يقال فانما اضل بنفسى قلت هما متقابلان من جهة المعنى لان النفس كل
ما عليها فهو بها اعنى ان كل ما هو وبال عليها وضار لها فهو بها وبسببها لانها الامارة بالسوء وما لها

مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه وهذا حكم عام لكل مكلف وانما امر رسوله ان يسنده الى نفسه
لان الرسول اذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره اولى به انه سميع قريب
يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله لا يخفى عليه منهما شىء • ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا
من مكان قريب • ولو ترى جوابه محذوف يعنى لرايت امرا عظيما وحالا هائلة ولو واذ والافعال
التى هى فزعوا واخذوا وحيل بينهم كلها للمضى والمراد بها الاستقبال لان ما الله فاعله فى المستقبل
بمنزلة ما قد كان ووجد لتحققه • ووقت الفزع وقت البعث وقيام الساعة وقيل وقت الموت
وقيل يوم بدر وعن ابن عباس نزلت فى خسف البيداء وذلك ان ثمانين الفا يغزون الكعبة
ليخربوها فاذا دخلوا البيداء خسف بهم فلا فوت فلا يفوتون الله ولا يسبقونه وقرئ فلا
فوت والاخذ من مكان قريب من الموقف الى النار اذا بعثوا او من ظهر الارض الى بطنها اذا
ماتوا او من صحراء بدر الى القليب او من تحت اقدامهم اذا خسف بهم • فان قلت علام عطف
قوله واخذوا قلت فيه وجهان احدهما العطف على فزعوا اى فزعوا واخذوا فلا فوت لهم
او على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا واخذوا وقرئ واخذ وهو معطوف على محل لا فوت
ومعناه فلا فوت هناك وهناك اخذ • وقالوا آمنا به وانى لهم التناوش من مكان بعيد • آمنا به
بمحمد صلى الله عليه وسلم لمرور ذكره فى قوله ما بصاحبكم من جنة والتناول والتناوش اخوان الا
ان التناوش تناول سهل لشىء قريب يقال ناشه ينوشه وتناوشه القوم ويقال تناوشوا فى الحرب
ناش بعضهم بعضا وهذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو ان ينفعهم ايمانهم فى ذلك الوقت كما ينفع المؤمنين
ايمانهم فى الدنيا مثلت حالهم بحال من يريد ان يتناول الشىء من غلوة كما يتناوله الآخر من قيس
ذراع تناولا سهلا لا تعب فيه وقرئ التناؤش همزت الواو المضمومة كما همزت فى اجوه
وادؤر وعن ابى عمرو التناؤش بالهمز التناول من بعد من قولهم نأشت اذا ابطأت وتأخرت
ومنه البيت • تمنى نئيشا ان يكون اطاعنى • اى اخيرا • وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من
مكان بعيد • ويقذفون معطوف على قد كفروا على حكاية الحال الماضية يعنى وكانوا يتكلمون

بالغيب ويأتون به من مكان بعيد وهو قولهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر كذاب وهذا
تكلم بالغيب والامر الخفي لانهم لم يشاهدوا منه سحرا ولا شعرا ولا كذبا وقد اتوا بهذا الغيب من
جهة بعيدة من حاله لان ابعد شيء مما جاء به الشعر والسحر وابعد شيء من عادته التي عرفت بينهم
وجربت الكذب والزور وقرئ ويقذفون بالغيب على البناء للمفعول اي ياتيهم به شياطينهم
ويلقنونهم اياه وان شئت فعلقه بقوله وقالوا آمنا به على انه مثلهم في طلبهم تحصيل ما عطلوه
من الايمان في الدنيا بقولهم آمنا في الآخرة وذلك مطلب مستبعد بمن يقذف شيئا من مكان بعيد لا
مجال للظن في لحوقه حيث يريد ان يقع فيه لكونه غائبا عنه شاحطا والغيب الشيء الغائب ويجوز
ان يكون الضمير للعذاب الشديد في قوله بين يدي عذاب شديد وكانوا يقولون وما نحن بمعذبين
ان كان الامر كما تصفون من قيام الساعة والعقاب والثواب ونحن اكرم على الله من ان يعذبنا
قايسين امر الآخرة على امر الدنيا فهذا كان قذفهم بالغيب وهو غيب ومقذوف به من جهة بعيدة
لان دار الجزاء لا تنقاس على دار التكليف • وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل باشياعهم من قبل
انهم كانوا في شك مريب • ما يشتهون من نفع الايمان يومئذ والنجاة به من النار والفوز
بالجنة او من الرد الى الدنيا كما حكي عنهم ارجعنا نعمل صالحا باشياعهم من كفرة الامم ومن كان
مذهبه مذهبهم مريب اما من اراب به اذا اوقعه في الريبة والتهمة او من اراب الرجل اذا
صار ذا ريبة ودخل فيها وكلاهما مجاز الا ان بينهما فريقا وهو ان المريب من الاول منقول ممن
يصح ان يكون مريبا من الاعيان الى المعنى والمريب من الثاني منقول من صاحب الشك الى الشك
كما تقول شعر شاعر • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبا لم يبق رسول ولا نبي الا كان له
يوم القيمة رفيقا ومصافحا • **سورة الملائكة وهي خمس واربعون آية مكية**

بسم الله الرحمن الرحيم • الحمد لله فاطر السموات والارض
جاعل الملائكة رسلا اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل
شيء قدير • فاطر السموات مبتدئها ومبتدعها وعن مجاهد عن ابن عباس ما كنت ادري ما فاطر

السموات

السموات والارض حتى اختصم الي اعرابيان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها وقرئ
الذي فطر السموات والارض وجعل الملائكة وقرئ جاعل الملائكة بالرفع على المدح رسلا
بضم السين وسكونه اولي اجنحة اصحاب اجنحة واولوا اسم جمع لذو كما ان اولاء اسم جمع لذا
ونظيرهما في المتمكنة المخاض والخلفة مثنى وثلاث ورباع صفات لاجنحة وانما لم تنصرف
لتكرر العدل فيها وذلك انها عدلت عن الفاظ الاعداد عن صيغ الى صيغ اخر كما عدل عمر عن
عامر وحذام عن حاذمة وعن تكريرها الى غير تكرير واما الوصفية فلا يفترق الحال فيها بين المعدولة
والمعدول عنها الا تراك تقول مررت بنسوة اربع وبرجال ثلثة فلا يعرج عليها والمعنى ان
من الملائكة خلقا اجنحتهم اثنان اثنان اي لكل واحد منهم جناحان وخلقا اجنحتهم ثلثة
ثلثة وخلقا اجنحتهم اربعة اربعة يزيد في الخلق ما يشاء اي يزيد في خلق الاجنحة وفي غيره
ما يقتضيه مشيته وحكمته والاصل الجناحان لانهما بمنزلة اليدين ثم الثالث والرابع زيادة
على الاصل وذلك اقوى للطيران واعون عليه فان قلت قياس الشفع من الاجنحة ان يكون في
كل شق نصفه فما صورة الثلثة قلت لعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدهما
بقوة او لعله لغير الطيران فقد مر بي في بعض الكتب ان صنفا من الملائكة لهم ستة اجنحة فجناحان
يلفون بهما اجسادهم وجناحان يطيرون بهما في الامر من امور الله وجناحان مرخيان على وجوههم
حياء من الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى جبرئيل ليلة المعراج وله ستمائة جناح و
روي انه سأل جبرئيل عليه السلم ان يتراءى له في صورته فقال انك لن تطيق ذلك قال اني احب ان
تفعل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مقمرة فاتاه جبرئيل في صورته فغشي على النبي صلعم ثم افاق
وجبرئيل مسنده واحدى يديه على صدره والاخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت ارى
ان شيئا من الخلق هكذا فقال جبرئيل فكيف لو رأيت اسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح منها
بالمشرق وجناح بالمغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل الاحايين لعظمة الله حتى
يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير وروي عن رسول الله صلعم في قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء

هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن وقيل الخط الحسن وعن قتادة هو
الملاحة في العينين والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامة واعتدال صورة
وتمام في الاعضاء وقوة في البطش وحصافة في العقل وجزالة في الرأي وجراءة في القلب و
سماحة في النفس وذلاقة في اللسان ولباقة في التكلم وحسن تأتٍ في مزاولة الامور وما
اشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف • ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا
مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم • استعير الفتح للاطلاق والارسال الا ترى الى قوله فلا
مرسل له من بعده مكان لا فاتح له يعني اي شيء يطلق الله من رحمة اي من نعمة رزق ومطر
او صحة او امن او غير ذلك من صنوف نعمائه التي لا يحاط بعددها وتنكير الرحمة للاشاعة
والابهام كانه قال من اية رحمة كانت سماوية او ارضية فلا احد يقدر على امساكها وحبسها
واي شيء يمسك الله فلا احد يقدر على اطلاقه فان قلت لم انث الضمير اولا ثم ذكره وهو
راجع في الحالين الى الاسم المتضمن معنى الشرط قلت هما لغتان الحمل على المعنى وعلى اللفظ والمتكلم
على الخيرة فيهما فانث على معنى الرحمة وذكر على ان لفظ المرجوع اليه لا تأنيث فيه ولان الاول
فسر بالرحمة فحسن اتباع الضمير التفسير ولم يفسر الثاني فترك على اصل التذكير وقرئ فلا مرسل
لها فان قلت لا بد للثاني من تفسير فما تفسيره قلت يحتمل ان يكون تفسيره مثل تفسير الاول
ولكنه ترك لدلالة عليه وان يكون مطلقا في كل ما يمسكه من غضبه ورحمته وانما فسر
الاول دون الثاني للدلالة على ان رحمته سبقت غضبه فان قلت فما تقول فيمن فسر الرحمة بالتوبة
وعزاه الى ابن عباس قلت ان اراد بالتوبة الهداية لها والتوفيق فيها وهو الذي اراده ابن عباس
رضي الله عنهما ان قاله فمقبول وان اراد انه ان شاء ان يتوب العاصي تاب وان لم يشأ لم
يتب فمردود لان الله تعالى يشاء التوبة ابدا ولا يجوز عليه ان لا يشاءها من بعده من بعد امساكه
كقوله فمن يهديه من بعد الله فباي حديث بعد الله اي من بعد هدايته وبعد آياته وهو العزيز
الغالب القادر على الارسال والامساك الحكيم الذي يرسل ويمسك ما تقتضي الحكمة ارساله وامساكه

يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو
فانى تؤفكون • ليس المراد بذكر النعمة ذكرها باللسان فقط ولكن به وبالقلب وحفظها من الكفران
والغمط وشكرها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها ومنه قول الرجل لمن انعم عليه اذكر
ايادي عندك يريد حفظها وشكرها والعمل على موجبها والخطاب عام للجميع لان جميعهم مغمورون
في نعمة الله وعن ابن عباس يريد يا اهل مكة اذكروا نعمة الله عليكم حيث اسكنكم حرمه ومنعكم
من جميع العالم والناس يتخطفون من حولكم وعنه نعمة الله العافية وقرئ غير الله بالحركات
الثلث فالجر والرفع على الوصف لفظا ومحلا والنصب على الاستثناء فان قلت ما محل يرزقكم قلت
يحتمل ان يكون له محل اذا اوقعته صفة لخالق وان لا يكون له محل اذا رفعت محل من خالق
باضمار يرزقكم واوقعت يرزقكم تفسيرا له او جعلته كلاما مبتدأ بعد قوله هل من خالق غير الله
فان قلت هل فيه دليل على ان الخالق لا يطلق على غير الله تعالى قلت نعم ان جعلت يرزقكم كلاما
مبتدأ وهو الوجه الثالث من الاوجه الثلثة واما على الوجهين الاخرين وهما الوصف والتفسير
فقد تقيد فيهما بالرزق من السماء والارض وخرج من الاطلاق فكيف يستشهد به على اختصاصه
بالاطلاق والرزق من السماء المطر ومن الارض النبات لا اله الا هو جملة مفصولة لا محل لها مثل
يرزقكم في الوجه الثالث ولو وصلتها كما وصلت يرزقكم لم يساعد عليه المعنى لان قولك هل
من خالق آخر سوى الله لا اله الا ذلك الخالق غير مستقيم لان قولك هل من خالق سوى الله
اثبات لله فلو ذهبت تقول ذلك كنت مناقضا بالنفي بعد الاثبات فانى تؤفكون فمن اي
وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك • وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك والى الله ترجع
الامور • نعى به على قريش سوء تلقيهم لآيات الله وتكذيبهم بها وسلى رسوله بان له في الانبياء
قبله اسوة حسنة ثم جاء بما يشتمل على الوعد والوعيد من رجوع الامور الى حكمه ومجازاة المكذب
والمكذب بما يستحقانه وقرئ ترجع بضم التاء وفتحها فان قلت ما وجه صحة جزاء الشرط ومن حق
الجزاء ان يتعقب الشرط وهذا سابق له قلت معناه وان يكذبوك فتأس بتكذيب الرسل من قبلك

موضع فأتى استغناء بالسبب عن المسبب أعني بالتكذيب عن التأسي فإن قلت ما معنى التنكير في
رسل قلت معناه فقد كذبت رسل أي رسل ذو عدد كثير وأولو آيات ونذر وأهل أعمار
طوال وأصحاب صبر وعزم وما أشبه ذلك وهذا أسلى له وأحث على المصابرة يا أيها
الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وعد الله الجزاء بالثواب
والعقاب فلا يغرنكم فلا تخدعنكم الدنيا ولا يذهلنكم التمتع بها والتلذذ بمنافعها عن العمل للآخرة
وطلب ما عند الله ولا يغرنكم بالله الغرور لا يقولن لكم اعملوا ما شئتم فإن الله عفو يغفر كل كبيرة
ويعفو عن كل خطيئة والغرور الشيطان لأن ذلك ديدنه وقرئ بالضم وهو مصدر غرّه
كاللزوم والنهوك أو جمع غارّ كقاعد وقعود إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو
حزبه ليكونوا من أصحاب السعير أخبرنا الله عز وجل أن الشيطان لنا عدو مبين واقتص علينا
قصته وما فعل بأبينا آدم عليه السلم وكيف انتدب لعداوة جنسنا من قبل وجوده وبعده ونحن
على ذلك نتولاه ونطيعه فيما يريد بنا مما فيه هلاكنا فوعظنا عز وجل بأنه كما علمتم عدوكم الذي
لا عدو أعرق في العداوة منه وأنتم تعاملونه معاملة من لا علم له بحاله فاتخذوه عدوا في
عقائدكم وأفعالكم ولا يوجدن منكم إلا ما يدل على معاداته ومناصبته في سركم وجهركم ثم لخص
سر أمره وخطأ من اتبعه بأن غرضه الذي يؤمه في دعوة شيعته ومتبعي خطواته هو أن يوردهم
مورد الشقوة والهلاك وأن يكونوا من أصحاب السعير الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين
آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير ثم كشف الغطاء وقشر اللحاء ليقطع الأطماع الفارغة
والأماني الكاذبة فبنى الأمر كله على الإيمان والعمل وتركهما أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا
فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون
لما ذكر الفريقين الذين كفروا والذين آمنوا قال لنبيه أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا يعني
أفمن زين له سوء عمله من هذين الفريقين كمن لم يزين له فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا فقال فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ومعنى

تزيين العمل والإضلال واحد وهو أن يكون العاصي على صفة لا تجدي عليه المصالح حتى يستوجب
بذلك خذلان الله تعالى إياه وتخليته وشأنه فعند ذلك يهيم في الضلال ويطلق آمر
النهي ويعتنق طاعة الهوى حتى يرى القبيح حسنا والحسن قبيحا كأنما غلب على عقله وسلب
تمييزه ويقعد تحت قول أبي نواس اسقني حتى تراني حسنا عندي القبيح وإذا خذل الله
المصممين على الكفر وخلاهم وشأنهم فإن على الرسول أن لا يهتم بأمرهم ولا يلقي بالا إلى
ذكرهم ولا يحزن ولا يتحسر عليهم بسنة الله في خذلانهم وتخليتهم وذكر الزجاج أن المعنى
أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب
نفسك عليه أو أفمن زين له سوء عمله كمن هداه الله فحذف لدلالة فإن الله يضل من يشاء
ويهدي من يشاء عليه حسرات مفعول له يعني فلا تهلك نفسك للحسرات وعليهم صلة
تذهب كما تقول هلك عليه حبا ومات عليه حزنا أو هو بيان للمتحسر عليه ولا يجوز أن يتعلق
بحسرات لأن المصدر لا يتقدم عليه صلته ويجوز أن يكون حالا كأن كلها صارت حسرات
لفرط التحسر كما قال جرير مشق الهواجر لحمهن مع السرى حتى ذهبن كلاكلا وصدورا
يريد رجعن كلاكلا وصدورا أي لم يبق إلا كلاكلها وصدورها ومنه قوله فعلى إثرهم تساقط
نفسي حسرات وذكرهم لي سقام وقرئ فلا تذهب نفسك إن الله عليم بما يصنعون وعيد لهم
بالعقاب على سوء صنيعهم والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا
به الأرض بعد موتها كذلك النشور وقرئ أرسل الريح فإن قلت لم جاء فتثير على المضارعة
دون ما قبله وما بعده قلت ليحكي الحال التي تقع فيها إثارة الرياح السحاب وتستحضر تلك
الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية
بحال تستغرب أو تهم المخاطب أو غير ذلك كما قال تأبط شرا بأني قد لقيت الغول تهوي بسهب
كالصحيفة صحصحان فأضربها بلا دهش فخرت صريعا لليدين وللجران لأنه قصد أن يصور
لقومه الحالة التي تشجع فيها بزعمه على ضرب الغول كأنه يبصرهم إياها ويطلعهم على كنهها ومشاهدة

للتعجيب من جرأته على كل هول وثباته عند كل شدة وكذلك سوق السحاب الى البلد الميت
واحياء الارض بالمطر بعد موتها لما كانا من الدلائل على القدرة الباهرة قيل فسقنا واحيينا معدولا
بهما عن لفظ الغيبة الى ما هو ادخل في الاختصاص وادل عليه والكاف في كذلك في محل الرفع اى
مثل احياء الموات نشور الاموات وروى انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يحيي الله الموتى وما
آية ذلك في خلقه فقال هل مررت بوادي اهلك محلا ثم مررت به يهتز خضرا قال نعم قال
فكذلك يحيي الله الموتى وتلك آيته في خلقه وقيل يحيي الله الخلق بماء يرسله من تحت العرش
كمني الرجال تنبت منه اجساد الخلق • من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم
الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر اولئك
هو يبور • كان الكافرون يتعززون بالاصنام كما قال عز وجل واتخذوا من دون الله آلهة
ليكونوا لهم عزا والذين آمنوا بالسنتهم من غير مواطاة قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين كما
قال الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة
لله جميعا فبين ان لا عزة الا لله ولاوليائه وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين والمعنى
فليطلبها عند الله فوضع قوله فلله العزة جميعا موضعه استغناء عنه لدلالته عليه لان
الشيء لا يطلب الا عند صاحبه ومالكه ونظيره قولك من اراد النصيحة فهي عند الابرار تريد فليطلبها
عندهم الا انك اقمت ما يدل عليه مقامه ومعنى فلله العزة جميعا ان العزة كلها مختصة بالله عزة
الدنيا وعزة الآخرة ثم عرف ان ما تطلب به العزة هو الايمان والعمل الصالح بقوله اليه يصعد الكلم
الطيب والعمل الصالح يرفعه والكلم الطيب لا اله الا الله عن ابن عباس يعني ان هذه الكلم لا تقبل
ولا تصعد الى السماء فتكتب حيث تكتب الاعمال المقبولة كما قال عز وجل ان كتاب الابرار لفي عليين
الا اذا اقترن بها العمل الصالح الذي يحققها ويصدقها فرفعها واصعدها وقيل الرافع الكلم و
المرفوع العمل لانه لا يقبل عمل الا من موحد وقيل الرافع هو الله والمرفوع العمل وقيل الكلم الطيب
كل ذكر من تكبير وتسبيح وتهليل وقراءة قرآن ودعاء واستغفار وغير ذلك وعن النبي صلعم

هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء
فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل منه وفي الحديث لا يقبل الله قولا الا بعمل ولا
يقبل قولا وعملا الا بنية ولا يقبل قولا وعملا ونية الا باصابة السنة وعن ابن المقفع قول بلا عمل
كثريد بلا دسم وسحاب بلا مطر وقوس بلا وتر وقرئ اليه يصعد الكلم الطيب على البناء للمفعول
واليه يصعد الكلم الطيب على تسمية الفاعل من اصعد والمصعد هو الرجل اى يصعد الى الله عز وجل
الكلم الطيب واليه يصعد الكلام الطيب وقرئ والعمل الصالح يرفعه بنصب العمل والرافع
الكلم او الله عز وجل فان قلت مكر فعل غير متعد لا يقال مكر فلان عمله فبم نصب السيئات قلت هي
صفة للمصدر او لما في حكمه كقوله ولا يحيق المكر السيء الا باهله اصله والذين مكروا السيئات
او اصناف المكر السيئات وعنى بهن مكرات قريش حين اجتمعوا في دار الندوة وتداوروا
الرأي في احدى ثلث مكرات يمكرونها رسول الله صلى الله عليه وسلم اما اثباته او قتله او اخراجه كما حكى
الله سبحانه عنهم واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ومكر اولئك هو يبور يعني ومكر
اولئك الذين مكروا تلك المكرات الثلث هو خاصة يبور اى يكسد ويفسد دون مكر الله بهم حين
اخرجهم من مكة وقتلهم واثبتهم في قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم جميعا وحقق فيهم قوله ويمكرون
ويمكر الله والله خير الماكرين وقوله ولا يحيق المكر السيء الا باهله • والله خلقكم من تراب ثم من
نطفة ثم جعلكم ازواجا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من
عمره الا في كتاب ان ذلك على الله يسير • ازواجا اصنافا او ذكرانا واناثا كقوله او يزوجهم
ذكرانا واناثا وعن قتادة زوج بعضكم بعضا بعلمه في موضع الحال اى الا معلومة له فان قلت ما معنى
وما يعمر من معمر قلت معناه وما يعمر من احد وانما سماه معمرا بما هو صائر اليه فان قلت الانسان اما
معمر اى طويل العمر او منقوص العمر اى قصيره فاما ان يتعاقب عليه التعمير وخلافه فمحال فكيف صح قوله
وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره قلت هذا من الكلام المتسامح فيه ثقة في تاويله بافهام السامعين
واتكالا على تسديدهم معناه بعقولهم وانه لا يلتبس عليهم احالة الطول والقصر في عمر واحد وعليه كلام

الناس المستفيض يقولون لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق وما تنعمت بلدا ولا اجتويته الا قل فيه
ثوائي وفيه تأويل آخر وهو انه لا يطول عمر انسان ولا يقصر الا في كتاب وصورته ان يكتب في اللوح ان
حج فلان او غزا فعمره اربعون سنة وان حج وغزا فعمره ستون سنة فاذا جمع بينهما فبلغ الستين فقد
عمر واذا افرد احدهما فلم يتجاوز به الاربعون فقد نقص من عمره الذي هو الغاية وهو الستون واليه اشار
رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله ان الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الاعمار • وعن كعب رضي
انه قال حين طعن عمر رضي الله عنه لو ان عمر دعا الله لأخر في اجله فقيل لكعب اليس قد قال الله اذا
جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون قال فقد قال الله تعالى وما يعمر من معمر وقد استفاض
على الالسنة اطال الله بقاءك وفسح في مدتك وما اشبهه وعن سعيد بن جبير يكتب في الصحيفة عمره
كذا وكذا سنة ثم يكتب في اسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان حتى يأتي على آخره وعن قتادة المعمر من بلغ
ستين والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة والكتاب اللوح عن ابن عباس ويجوز ان يراد
بكتاب الله علم الله او صحيفة الانسان وقرئ ولا ينقص على تسمية الفاعل من عمره بالتخفيف • وما
يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون
حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون • ضرب البحرين العذب
والملح مثلين للمؤمن والكافر ثم قال على سبيل الاستطراد في صفة البحرين وما علق بهما من نعمته
وعطائه ومن كل اي ومن كل واحد منهما تأكلون لحما طريا وهو السمك وتستخرجون حلية وهي
اللؤلؤ والمرجان وترى الفلك فيه في كل مواخر شواق للماء بجريها يقال مخرت السفينة الماء
ويقال للسحاب بنات مخر لانها تمخر الهواء والسفن الذي اشتقت منه السفينة قريب من المخر لانها
تسفن الماء كأنها تقشره كما تمخره من فضله من فضل الله ولم يجر له ذكر في الآية ولكن فيما قبلها
ولو لم يجر لم يشكل لدلالة المعنى عليه وحرف الرجاء مستعار لمعنى الارادة الا ترى كيف سلك به مسلك
لام التعليل كأنما قيل لتبتغوا ولتشكروا والفرات الذي يكسر العطش والسائغ المرئ السهل الانحدار
لعذوبته وقرئ سيغ بوزن سيد وسيغ بالتخفيف وملح على فعل والاجاج الذي يحرق بملوحته ويحتمل

غير طريقة الاستطراد وهو ان يشبه الجنسين بالبحرين ثم يفضل البحر الاجاج على الكافر بانه قد
شارك العذب في منافع من السمك واللؤلؤ وجري الفلك فيه والكافر خلو من النفع فهو في طريقة
قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة ثم قال وان من الحجارة لما يتفجر
منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله • يولج الليل
في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك و
الذين يدعون من دونه ما يملكون من قطمير • ذلكم مبتدأ والله ربكم له الملك اخبار مترادفة او
الله ربكم خبران وله الملك جملة مبتدأة واقعة في قران قوله والذين تدعون من دونه ما
يملكون من قطمير ويجوز في حكم الاعراب ايقاع اسم الله صفة لاسم الاشارة او عطف بيان وربكم
خبرا لولا ان المعنى يأباه والقطمير لفافة النواة وهي القشرة الرقيقة الملتفة عليها • ان تدعوهم
لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير •
ان تدعوا الاوثان لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا على سبيل الفرض والتمثيل لما استجابوا
لكم لانهم لا يدعون ما تدعون لهم من الالهية ويتبرؤن منها وقيل ما نفعوكم يكفرون بشرككم باشراككم
لهم وعبادتكم اياهم يقولون ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك مثل خبير ولا يخبرك بالامر مخبر
هو مثل خبير عالم به يريد ان الخبير بالامر وحده هو الذي يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به و
المعنى ان هذا الذي اخبرتكم به من حال الاوثان هو الحق لاني خبير بما اخبرت به وقرئ يدعون بالياء
والتاء • يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد • فان قلت لم عرف الفقراء
قلت قصد بذلك ان يريهم انهم لشدة افتقارهم اليه هم جنس الفقراء وان كانت الخلائق كلهم مفتقرين
اليه من الناس وغيرهم لان الفقر مما يتبع الضعف وكلما كان الفقير اضعف كان افقر وقد شهد الله
سبحانه على الانسان بالضعف في قوله وخلق الانسان ضعيفا وقال الله تعالى الله الذي خلقكم من ضعف
ولو نكر لكان المعنى انتم بعض الفقراء فان قلت قد قوبل الفقراء بالغني فما فائدة الحميد قلت لما اثبت
فقرهم اليه وغناه عنهم وليس كل غني نافعا بغناه الا اذا كان الغني جوادا منعما فاذا جاد وانعم حمده المنعم عليهم

عليهم واستحق عليهم الحمد ذكر الحميد ليدل به على انه الغني النافع بغناه خلقه الجواد المنعم عليهم المستحق
بانعامه عليهم ان يحمدوه الحميد على السنة مؤمنيهم • ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك
على الله بعزيز • بعزيز بممتنع وهذا غضب عليهم لاتخاذهم له اندادا وكفرهم باياته ومعاصيهم كما قال
وان تتولوا يستبدل قوما غيركم وعن ابن عباس يخلق بعدكم من يعبده لا يشرك به شيئا • ولا تزر
وازرة وزر اخرى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى انما تنذر الذين
يخشون ربهم بالغيب واقاموا الصلوة ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه والى الله المصير • الوزر
الوقر اخوان ووزر الشيء اذا حمله والوازرة صفة للنفس والمعنى ان كل نفس يوم القيمة لا تحمل
الا وزرها الذي اقترفته لا تؤخذ نفس بذنب نفس كما تاخذ جبابرة الدنيا الولي بالولي والجار بالجار
فان قلت هلا قيل ولا تزر نفس وزر اخرى ولم قيل وازرة قلت لان المعنى ان النفوس الوازرات
لا ترى منهن واحدة الا حاملة وزرها لا وزر غيرها فان قلت كيف توفق بين هذا وبين قوله و
ليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم قلت تلك الاية في الضالين المضلين وانهم يحملون اثقال
اضلال الناس مع اثقال ضلالهم وذلك كله اوزارهم ما فيها شيء من وزر غيرهم الا ترى كيف كذبهم
الله في قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم بقوله وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء فان قلت ما الفرق
بين معنى قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى ومعنى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء قلت الاول
في الدلالة على عدل الله في حكمه وانه لا يؤاخذ نفسا بغير ذنبها والثاني في ان لا غياث يومئذ لمن استغاث
حتى ان نفسا قد اثقلتها الاوزار وبهظتها لو دعت الى ان يخفف بعض وقرها لم تجب ولم تغث
وان كان المدعو بعض قرابتها من اب او ولد او اخ فان قلت الام اسند كان في ولو كان ذا قربى
قلت الى المدعو المفهوم من قوله وان تدع مثقلة فان قلت فلم ترك ذكر المدعو قلت ليعم
ويشمل كل مدعو فان قلت كيف استقام اضمار العام ولا يصح ان يكون العام ذا قربى للمثقلة قلت
هو من العموم الكائن على طريق البدل فان قلت ما تقول فيمن قرا ولو كان ذو قربى على كان التامة كقوله
وان كان ذو عسرة قلت نظم الكلام احسن ملاءمة للناقصة لان المعنى على ان المثقلة ان دعت

احدا الى حملها لا يحمل منه شيء وان كان مدعوها ذا قربى وهو معنى صحيح ملتئم ولو قلت ولو وجد ذو
قربى لتفكك وخرج من اتساقه والتيامه على ان ههنا ما ساغ ان يستتر له ضمير في الفعل بخلاف ما
اوردته بالغيب حال من الفاعل والمفعول اي يخشون ربهم غائبين عن عذابه او يخشون عذابه
غائبا عنهم وقيل بالغيب في السر وهذه صفة الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصحابه فكانت
عادتهم المستمرة ان يخشوا الله وهم الذين اقاموا الصلوة وتركوها منارا منصوبا وعلما مرفوعا يعني انما
تقدر على انذار هؤلاء وتحذيرهم من قومك وعلى تحصيل منفعة الانذار فيهم دون متمردين من اهل عنادهم
ومن تزكى ومن تطهر بفعل الطاعات وترك المعاصي وقرئ ومن ازكى فانما يزكى وهو اعتراض مؤكد
لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانهما من جملة التزكي والى الله المصير وعد للمتزكين بالثواب فان قلت كيف
اتصل قوله انما تنذر بما قبله قلت لما غضب عليهم في قوله ان يشا يذهبكم اتبعه الانذار بيوم القيمة
وذكر اهوالها ثم قال انما تنذر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمعهم ذلك فلم ينفع فنزل انما تنذر
او اخبره الله تعالى بعلمه فيهم • وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور
وما يستوي الاحياء ولا الاموات ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من في القبور • الاعمى و
البصير مثل للكافر والمؤمن كما ضرب البحرين مثلا لهما وللصنم والله عز وجل والظلمات والنور
والظل والحرور مثلان للحق والباطل وما يؤديان اليه من الثواب والعقاب والاحياء والاموات
مثل للذين دخلوا في الاسلام والذين لم يدخلوا فيه واصروا على الكفر والحرور السموم الا ان السموم
يكون بالنهار والحرور بالليل والنهار وقيل بالليل فان قلت لا المقرونة بواو العطف ما هي قلت اذا
وقعت الواو في النفي قرنت بها لتاكيد معنى النفي فان قلت هل من فرق بين هذه الواوات قلت
بعضها ضمت شفعا الى شفع وبعضها وترا الى وتر ان الله يسمع من يشاء يعني انه قد علم من يدخل
الاسلام ممن لا يدخل فيه فيهدي الذي قد علم ان الهداية تنفع فيه ويخذل من علم انها لا تنفع فيه واما
انت فخفي عليك امرهم فلذلك تحرص وتتهالك على اسلام قوم من المخذولين ومثلك في ذلك مثل من
يريد ان يسمع المقبورين وينذر وذلك ما لا سبيل اليه ثم قال ان انت الا نذير اي ما عليك الا ان تبلغ

وتنذر فان كان المنذر ممن يسمع الانذار نفع وان كان من المصرين فلا عليك وتحمل ان الله يسمع
من يشاء انه قادر على ان يهدي المطبوع على قلوبهم على وجه القسر والالجاء وغيرهم على وجه الهداية
والتوفيق واما انت فلا حيلة لك في المطبوع على قلوبهم الذين هم بمنزلة الموتى • انا ارسلناك
بالحق بشيرا ونذيرا وان من امة الا خلا فيها نذير • بالحق حال من احد الضميرين يعني محقا او محقين
او صفة للمصدر اي ارسالا مصحوبا بالحق او صلة لبشير ونذير على بشيرا بالوعد الحق ونذيرا
بالوعيد الحق والامة الجماعة الكثيرة قال الله تعالى وجد عليه امة من الناس ويقال لاهل كل عصر امة
وفي حدود المتكلمين الامة هم المصدقون بالرسول دون المبعوث اليهم وهم الذين يعتبر اجماعهم
والمراد ههنا اهل العصر فان قلت كم من امة في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام ولم
يخل فيها نذير قلت اذا كانت آثار النذارة باقية لم تخل من نذير الى ان تندرس وحين اندرست
آثار نذارة عيسى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فان قلت كيف اكتفى بذكر النذير عن البشير في آخر الآية
بعد ذكرهما قلت لما كانت النذارة مشفوعة بالبشارة لا محالة دل ذكرها على ذكرها لا سيما وقد اشتملت
الآية على ذكرهما • وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب
المنير ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير • بالبينات بالشواهد على صحة النبوة وهي المعجزات و
بالزبر وبالصحف وبالكتاب المنير نحو التورية والانجيل والزبور لما كانت هذه الاشياء في جنسهم اسند
المجيء بها اليهم اسنادا مطلقا وان كان بعضها في جميعهم وهي البينات وبعضها في بعضهم وهي الزبر و
الكتاب وفيه مسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم • الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات
مختلفا الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب و
الانعام مختلف الوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور • الوانها اجناسها
من الرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر او هيآتها من الحمرة والصفرة والخضرة ونحوها
والجدد الخطط والطرائق قال لبيد • او مذهب جدد على الواحه • ويقال جدة الحمار للخطة السوداء
على ظهره وقد يكون للظبي جدتان مسكيتان تفصلان بين لوني ظهره وبطنه وغرابيب معطوف على

بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرابيب وعن عكرمة
هي الجبال الطوال السود فان قلت الغربيب تاكيد للاسود يقال اسود غربيب واسود حلكوك وهو
الذي ابعد في السواد واغرب فيه ومنه الغراب ومن حق التاكيد ان يتبع المؤكد كقولك اصفر
فاقع وابيض يقق وما اشبه ذلك قلت وجهه ان يضمر المؤكد قبله ويكون الذي بعده تفسيرا
لما اضمر كقول النابغة • والمؤمن العائذات الطير • وانما يفعل ذلك لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى
الواحد من طريقي الاظهار والاضمار جميعا ولا بد من تقدير حذف المضاف في قوله ومن الجبال جدد بمعنى
ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود حتى يؤول الى قولك ومن الجبال مختلف الوانه كما قال ثمرات
مختلفا الوانها ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه يعني ومنهم بعض مختلف الوانه
وقرئ الوانها وقرأ الزهري جدد بالضم جمع جديدة وهي الجدة يقال جديدة وجدد وجدائد
كسفينة وسفن وسفائن وقد فسر بها قول ابي ذؤيب يصف حمار وحش • جون السراة له جدائد
اربع • وروي عنه جدد بفتحتين وهو الطريق الواضح المسفر وضعه موضع الطرائق والخطوط
الواضحة المنفصل بعضها من بعض وقرئ والدواب مخففا ونظير هذا التخفيف قراءة من قرأ
ولا الضالين لان كل واحد منهما فرار من لقاء الساكنين فحرك ذاك اولهما وحذف هذا آخرهما
وقوله كذلك اي كاختلاف الثمرات والجبال المراد العلماء به الذين علموه بصفاته وعدله وتوحيده وما
يجوز عليه وما لا يجوز فعظموه وقدروه حق قدره وخشوه حق خشيته ومن ازداد به علما ازداد منه
خوفا ومن كان علمه به اقل كان آمن وفي الحديث اعلمكم بالله اشدكم له خشية وعن مسروق كفى بالمرء
علما ان يخشى الله وكفى بالمرء جهلا ان يعجب بعلمه وقال رجل للشعبي افتني ايها العالم فقال العالم من
خشي الله وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وقد ظهرت عليه الخشية حتى عرفت فيه فان قلت
هل يختلف المعنى اذا قدم المفعول في هذا الكلام او اخر قلت لا بد من ذلك فانك اذا قدمت اسم الله
واخرت العلماء كان المعنى ان الذين يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم واذا عملت على
العكس انقلب المعنى الى انهم لا يخشون الا الله كقوله ولا يخشون احدا الا الله وهما معنيان مختلفان

ما وجه اتصال هذا الكلام بما قبله قلت لما قال الم تر بمعنى الم تعلم ان الله انزل من السماء ماء وعدد
آيات الله واعلام قدرته وآثار صنعه وما خلق من الفطر المختلفة الاجناس وما يستدل به عليه وعلى
صفاته اتبع ذلك انما يخشى الله من عباده العلماء كانه قال انما يخشاه مثلك ومن على صفتك ممن عرفه
حق معرفته وعلمه كنه علمه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انا ارجو ان اكون اتقاكم لله واعلمكم به فان قلت
فما وجه قراءة من قرا انما يخشى اللهُ من عباده العلماءَ وهو عمر بن عبد العزيز ويحكى عن ابي حنيفة قلت
الخشية في هذه القراءة استعارة والمعنى انما يجلهم ويعظمهم كما يجل المهيب المخشي من الرجال بين الناس
من بين جميع عباده ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على عقوبة العصاة وقهرهم واثابة
اهل الطاعة والعفو عنهم والمعاقب المثيب حقه ان يخشى ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلوة
وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور
شكور يتلون كتاب الله يداومون على تلاوته وهي شانهم وديدنهم وعن مطرف هي آية القراء
وعن الكلبي ياخذون بما فيه وقيل يعلمون ما فيه ويعملون به وعن السدي هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورضي عنهم وعن عطاء هم المؤمنون يرجون خبر ان والتجارة طلب الثواب بالطاعة وليوفيهم متعلق بلن
تبور اي تجارة ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها عنده اجورهم وهي ما استحقوه من
الثواب ويزيدهم من التفضل على المستحق وان شئت جعلت يرجون في موضع الحال على وانفقوا راجين
ليوفيهم اي فعلوا جميع ذلك من التلاوة واقامة الصلوة والانفاق في سبيل الله لهذا الغرض وخبر
ان قوله انه غفور شكور على معنى غفور لهم شكور لاعمالهم والشكر مجاز عن الاثابة والذي اوحينا
اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير الكتاب القرآن ومن للتبيين
او الجنس ومن للتبعيض مصدقا حال مؤكدة لان الحق لا ينفك عن هذا التصديق لما بين يديه لما
تقدمه من الكتب لخبير بصير يعني انه خبرك وابصر احوالك فرآك اهلا لان يوحي اليك مثل هذا الكتاب
المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه
ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها يحلون

فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير فان قلت ما معنى قوله اورثنا الكتاب قلت
فيه وجهان احدهما انا اوحينا اليك القرآن ثم اورثناه من بعدك اي حكمنا بتوريثه او قال اورثناه
وهو يريد نورثه لما عليه اخبار الله الذين اصطفينا من عبادنا وهم امته من الصحابة والتابعين
وتابعيهم ومن بعدهم الى يوم القيمة لان الله اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم امة وسطا ليكونوا
شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء الى افضل رسل الله وحمل الكتاب الذي هو افضل الكتب ثم
قسمهم الى ظالم لنفسه مجرم وهو المرجا لامر الله ومقتصد وهو الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا
وسابق من السابقين والوجه الثاني انه قدم ارساله في كل امة رسولا وانهم كذبوا رسلهم وقد
جاؤهم بالبينات والزبر والكتاب المنير ثم قال ان الذين يتلون كتاب الله فاثنى على التالين لكتبه
العاملين بشرائعه من بين المكذبين بها من سائر الامم واعترض بقوله والذي اوحينا اليك من
الكتاب هو الحق ثم قال ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا اي من بعد اولئك المذكورين
يريد بالمصطفين من عباده اهل الملة الحنيفية فان قلت فكيف جعلت جنات عدن بدلا من الفضل
الكبير الذي هو السبق بالخيرات المشار اليه بذلك قلت لما كان السبب في نيل الثواب نزل منزلة
المسبب كانه هو الثواب فابدلت عنه جنات عدن وفي اختصاص السابقين بعد التقسيم بذكر
ثوابهم والسكوت عن الآخرين ما فيه من وجوب الحذر فليحذر المقتصد وليهلك الظالم لنفسه
حذرا وعليهما بالتوبة النصوح المخلصة من عذاب الله ولا يغترا بما رواه عمر رضي الله عنه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له فان شرط ذلك صحة التوبة
لقوله عسى الله ان يتوب عليهم وقوله اما يعذبهم واما يتوب عليهم ولقد نطق القرآن بذلك في مواضع
من استقراها اطلع على حقيقة الامر ولم يعلل نفسه بالخدع وقرئ سباق ومعنى باذن الله بتيسيره
وتوفيقه فان قلت لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق قلت للايذان بكثرة الفاسقين منهم
وغلبتهم وان المقتصدين قليل بالاضافة اليهم والسابقون اقل من القليل وقرئ جنة عدن
على الافراد كانها جنة مختصة بالسابقين وجنات عدن بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر اي

يدخلون جنات عدن يدخلونها ويُدخلونها على البناء للمفعول ويحلون من حليت المرأة فهي حالٍ
ولؤلؤاً معطوفاً على محل من أساور ومن داخلة للتبعيض أي يحلون بعض أساور من ذهب كأنه
بعض سابق لسائر الأبعاض كما سبق المسوّرون به غيرهم وقيل إن ذلك الذهب في صفاء اللؤلؤ
ولولؤاً بتخفيف الهمزة الأولى • وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور • وقرئ
الحُزن والمراد حزن المتقين وهو ما أهمّهم من خوف سوء العاقبة كقوله تعالى إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين
فمنّ الله علينا ووقانا عذاب السموم وعن ابن عباس حزن الأعراض والآفات وعنه حزن الموت
وعن الضحاك حزن إبليس ووسوسته وقيل همّ المعاش وقيل حزن زوال النعم وقد أكثروا حتى قال بعضهم
كراء الدار ومعناه أنه يعمّ كل حزن من أحزان الدين والدنيا حتى هذا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في منشرهم وكأني بأهل لا إله إلا الله يخرجون من
قبورهم وهم ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وذكر الشكور
دليل على أن القوم كثيرو الحسنات • الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا
يمسنا فيها لغوب • المقامة بمعنى الإقامة يقال أقمت إقامة ومقاماً ومقامة من فضله من عطائه
وإفضاله من قولهم لفلان فضول على قومه وفواضل وليس من الفضل الذي هو التفضل لأن
الثواب بمنزلة الأجر المستحق والتفضل كالتبرع وقرئ لَغوب بالفتح وهو اسم ما يُلغب منه أي لا
نتكلف عملاً يلغبنا أو مصدر كالقبول والولوع أو صفة للمصدر كأنه لغوب لغوب كقولك موت
مائت فإن قلت ما الفرق بين النصب واللغوب قلت النصب التعب والمشقة التي تصيب المنتصب للأمر
المزاول له وأما اللغوب فما يلحقه من الفتور بسبب النصب فالنصب نفس المشقة والكلفة و
اللغوب نتيجته وما يحدث فيه من الكلال والفترة • والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم
فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور • فيموتوا جواب النفي ونصبه بإضمار أن
وقرئ فيموتون عطفاً على يقضى وإدخالاً له في حكم النفي أي لا يقضى عليهم الموت فلا يموتون كقوله
ولا يؤذن لهم فيعتذرون كذلك مثل ذلك الجزاء نجزي وقرئ يجازى ويُجزى كل كفور بالنون

وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل أولم نعمّركم ما يتذكر فيه من تذكّر
وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير • يصطرخون يتصارخون يفتعلون من الصراخ و
هو الصياح بجهد وشدة قال • كصرخة حبلى أسلمتها قبيلها • واستعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث
صوته فإن قلت هلّا اكتفى بصالحاً كما اكتفى به في قوله فارجعنا نعمل صالحاً وما فائدة زيادة غير
الذي كنا نعمل على أنه يوهم أنهم يعملون صالحاً آخر غير الصالح الذي عملوه قلت فائدة زيادته التحسّر
على ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف به وأما الوهم فزائل لظهور حالهم في الكفر وركوب المعاصي
ولأنهم كانوا يحسبون أنهم على سيرة صالحة كما قال تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً فقالوا أخرجنا
نعمل صالحاً غير الذي كنا نحسبه صالحاً فنعمله أولم نعمركم توبيخ من الله يعني فنقول لهم وقرئ ما يذّكّر
فيه من اذّكر على الإدغام وهو متناول لكل عمر تمكن فيه المكلف من إصلاح شأنه وإن قصر إلا أن
التوبيخ في المتطاول أعظم وعن النبي صلى الله عليه وسلم العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة
وعن مجاهد ما بين العشرين إلى الستين وقيل ثماني عشرة وسبع عشرة والنذير الرسول وقيل الشيب
وقرئ وجاءتكم النذر فإن قلت علام عطف وجاءكم النذير قلت على معنى أولم نعمركم لأن لفظه
لفظ استخبار ومعناه معنى إخبار كأنه قيل قد عمرناكم وجاءكم النذير • إن الله عالم غيب السموات
والأرض إنه عليم بذات الصدور • إنه عليم بذات الصدور كالتعليل لأنه إذا علم ما في الصدور وهو
أخفى ما يكون فقد علم كل غيب في العالم وذات الصدور مضمراتها وهي تأنيث ذو في نحو قول أبي
بكر رضي الله عنه ذو بطن خارجة جارية وقوله • لتغني عني ذا إنائك أجمعا • المعنى ما في بطنها من الحبل
وما في إنائك من الشراب لأن الحبل والشراب يصحبان البطن والإناء ألا ترى إلى قولهم معها حبل
كذلك المضمرات تصحب الصدور وهي معها وذو موضوع لمعنى الصحبة • هو الذي جعلكم خلائف في
الأرض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتاً ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا
خساراً • يقال للمستخلف خليفة وخليف فالخليفة تجمع خلائف والخليف خلفاء والمعنى أن جعلكم
خلفاءه في أرضه قد ملككم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها وأباح لكم منافعها لتشكروه بالتوحيد

والطاعة فمن كفر منكم وغمط مثل هذه النعمة السنية فعليه كفره راجع عليه وهو مقت الله الذي
ليس وراءه خزي وصغار وخسار الآخرة الذي ما بعده خسار والمقت اشد البغض ومنه
قيل لمن نكح امرأة ابيه مقتي لكونه ممقوتا في كل قلب هو خطاب للناس قيل خطاب لمن بعث
اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اي جعلكم امة خلفت من قبلها ورأت وشاهدت فيمن سلف ما
ينبغي ان تعتبر به فمن كفر منكم فعليه جزاء كفره من مقت الله وخسار الآخرة كما ان ذلك حكم
من قبلكم • قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم
شرك في السموات ام آتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا
غرورا • اروني بدل من ارايتم لان معنى ارايتم اخبروني كانه قال اخبروني عن هؤلاء الشركاء
وعما استحقوا به الالهية والشركة اروني اي جزء من اجزاء الارض استبدوا بخلقه دون الله
ام لهم مع الله شركة في خلق السموات ام معهم كتاب من عند الله ينطق بانهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان
من ذلك الكتاب ويكون الضمير في آتيناهم للمشركين كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا ام آتيناهم كتابا
من قبله بل ان يعد بعضهم وهم الرؤساء بعضا وهم الاتباع الا غرورا وهو قولهم هؤلاء شفعاؤنا
عند الله وقرئ بينات • ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما
من احد من بعده انه كان حليما غفورا • ان تزولا كراهة ان تزولا او يمنعهما من ان تزولا
لان الامساك منع انه كان حليما غفورا غير معاجل بالعقوبة حيث تمسكهما وكانتا جديرتين بان
تهدا هدا لعظم كلمة الشرك كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وقرئ ولو زالتا
وان امسكهما جواب القسم في ولئن زالتا سد مسد الجوابين ومن الاولى مزيدة لتاكيد النفي والثانية
للابتداء من بعده من بعد امساكه وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال لرجل مقبل من الشام من لقيت به قال
كعبا قال وما سمعته يقول قال سمعته يقول ان السموات على منكب ملك قال كذب كعب اما ترك يهوديته
بعد ثم قرأ هذه الآية • واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم
فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا • بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الكتاب

كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن اتانا رسول لنكونن
اهدى من احدى الامم فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبوه وفي احدى الامم وجهان احدهما
من بعض الامم ومن واحدة من الامم من اليهود والنصارى وغيرهم والثاني من الامة التي يقال لها
احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة ما زادهم اسناد مجازي لانه هو السبب
في ان زادوا انفسهم نفورا عن الحق وابتعادا عنه كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم • استكبارا في الارض
ومكر السيء ولا يحيق المكر السيء الا باهله فهل ينظرون الا سنة الاولين فلن تجد لسنة الله
تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا • استكبارا بدل من نفورا او مفعول له على معنى فما زادهم الا
ان نفروا استكبارا وعلوا في الارض وحال بمعنى مستكبرين وماكرين برسول الله صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين ويجوز ان يكون ومكر السيء معطوفا على نفورا فان قلت فما وجه قوله ومكر السيء قلت اصله
وان مكروا السيء اي المكر السيء ثم ومكر السيء والدليل عليه قوله ولا يحيق المكر السيء الا باهله
ومعنى يحيق يحيط وينزل وقرئ ولا يحيق المكر السيء الا باهله اي لا يحيق الله ولقد حاق
بهم يوم بدر وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله تعالى يقول ولا يحيق المكر
السيء الا باهله ولا تبغوا ولا تعينوا باغيا يقول الله تعالى انما بغيكم على انفسكم وعن كعب انه قال
لابن عباس رضي الله عنه قرأت في التوراة من حفر مهواة وقع فيها قال انا وجدت ذلك في كتاب الله وقرأ الآية
وفي امثال العرب من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا وقرأ حمزة ومكر السيء باسكان الهمزة وذلك
لاستثقاله الحركات مع الياء والهمزة ولعله اختلس فظن سكونا او وقف وقفة خفيفة ثم
ابتدأ ولا يحيق وقرأ ابن مسعود ومكرا سيئا سنة الاولين انزال العذاب على الذين كذبوا برسلهم
من الامم قبلهم وجعل استقبالهم لذلك انتظارا له منهم وبين ان عادته التي هي الانتقام من مكذبي
الرسل عادة ولا يبدلها ولا يحولها اي لا يغيرها وان ذلك مفعول له لا محالة • اولم يسيروا في
الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء
في السموات ولا في الارض انه كان عليما قديرا • واستشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه في مسايرهم

ومتاجرهم في رحلتهم الى الشام والعراق واليمن من آثار الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم
ليعجزه ليسبقه ويفوته • ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن
يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا • بما كسبوا بما اقترفوا من
معاصيهم على ظهرها على ظهر الارض من دابة من نسمة تدب عليها يريد بني آدم وقيل ما
ترك بني آدم وغيرهم من سائر الدواب بشوم ذنوبهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه كاد
الجعل يعذب في جحره بذنب ابن آدم ثم تلا هذه الآية وعن انس رضه ان الضب ليموت هزلا
في جحره بذنب ابن آدم وقيل يحبس المطر فيهلك كل شيء الى اجل مسمى الى يوم القيمة كان بعباده بصيرا
وعيد بالجزاء • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة
ان ادخل من اي باب شئت

سورة يس مكية وهي ثلث وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم • يس والقرآن الحكيم انك لمن
المرسلين على صراط مستقيم • قرئ يا سين بالفتح كاين وكيف وبالنصب على اتل ياسين وبالكسر على الاصل
كجير وبالرفع على هذه ياسين او بالضم كحيث وفخمت الالف واميلت وعن ابن عباس رضه معناه يا انسان
في لغة طي والله اعلم بصحته وان صح فوجهه ان يكون اصله يا انيسين فكثر النداء به على السنتهم حتى
اقتصروا على شطره كما قالوا في القسم م الله في ايمن الله الحكيم ذي الحكمة او لانه دليل ناطق بالحكمة
كالحي او لانه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به على صراط مستقيم خبر بعد خبر او صلة للمرسلين فان
قلت اي حاجة اليه خبرا كان او صلة وقد علم ان المرسلين لا يكونون الا على صراط مستقيم قلت
ليس الغرض بذكره ما ذهبت اليه من تمييز من ارسل على صراط مستقيم عن غيره ممن ليس على صفته
انما الغرض وصفه ووصف ما جاء به من الشريعة فجمع بين الوصفين في نظام واحد كانه قال انك لمن
المرسلين الثابتين على طريق ثابت وايضا فان التنكير فيه دال على انه ارسل من بين الصراط المستقيمة
على صراط مستقيم لا يكتنه وصفه • تنزيل العزيز الرحيم لتنذر قوما ما انذر آباؤهم فهم غافلون وقرئ
تنزيل العزيز الرحيم بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وبالنصب على اعني وبالجر على البدل من القرآن قوما

ما انذر آباؤهم قوما غير منذر آباؤهم على الوصف ونحوه قوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير
من قبلك وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير وقد فسر ما انذر آباؤهم على اثبات الانذار ووجه
ذلك ان تجعل ما مصدرية لتنذر قوما انذار آبائهم او موصولة منصوبة على المفعول الثاني
لتنذر قوما ما انذره آباؤهم من العذاب كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا فان قلت اي فرق بين
تعلقي قوله فهم غافلون على التفسيرين قلت هو على الاول متعلق بالنفي اي لم ينذروا فهم غافلون
على ان عدم انذارهم هو سبب غفلتهم وعلى الثاني بقوله انك لمن المرسلين لتنذر كما تقول ارسلتك
الى فلان لتنذره فانه غافل او فهو غافل فان قلت كيف يكونون منذرين غير منذرين لمناقضة
هذا ما في الآي الاخر قلت لا مناقضة لان الآي في نفي انذارهم لا في نفي انذار آبائهم وآباؤهم
القدماء من ولد اسمعيل وكانت النذارة فيهم فان قلت ففي احد التفسيرين ان آباءهم لم ينذروا
وهو الظاهر فما تصنع به قلت اريد آباؤهم الادنون دون الاباعد لقد حق القول على اكثرهم
فهم لا يؤمنون انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون • القول قوله تعالى
لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين يعني تعلق بهم هذا القول وثبت عليهم ووجب لانهم
ممن علم انهم يموتون على الكفر ثم مثل تصميمهم على الكفر وانه لا سبيل الى ارعوائهم بان جعلهم
كالمغلولين المقمحين في انهم لا يلتفتون الى الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطاطئون
رؤسهم له وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم في ان لا تأمل
لهم ولا تبصر وانهم متعامون عن النظر في آيات الله فان قلت ما معنى قوله فهي الى الاذقان
قلت معناه فالاغلال واصلة الى الاذقان ملزوزة اليها وذلك ان طوق الغل الذي
في عنق المغلول يكون في ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العود نادرا من الحلقة الى
الذقن فلا تخليه يطاطئ رأسه ويوطئ قذاله فلا يزال مقمحا والمقمح الذي يرفع رأسه
ويغض بصره يقال قمح البعير فهو قامح اذا روي فرفع رأسه ومنه شهرا قماح لان الابل ترفع
رؤسها عن الماء لبرده فيهما وهما الكانونان ومنه اقتمحت السويق فان قلت فما قولك فيمن جعل

الضمير للايدي وزعم ان الغل لما كان جامعا لليد والعنق وبذلك يسمى جامعة كان ذكر الاعناق
دالا على ذكر الايدي قلت الوجه ما ذكرت لك والدليل عليه قوله فهم مقمحون الا ترى كيف
جعل الاقماح نتيجة قوله فهي الى الاذقان ولو كان الضمير للايدي لم يكن معنى التسبب في الاقماح
ظاهرا على ان هذا الاضمار فيه ضرب من التعسف وترك الظاهر الذي يدعو المعنى اليه نفسه الى
الباطن الذي يجفو عنه ترك للحق الابلج الى الباطل اللجلج • وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم
سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون فان قلت فقد قرأ ابن عباس في ايديهم وابن مسعود في ايمانهم
فهل تجوز على هاتين القراءتين ان تجعل الضمير للايدي او للايمان قلت يأبى ذلك وان ذهب
الاضمار المتعسف ظهور كون الضمير للاغلال وسداد المعنى عليه كما ذكرت وقرئ سدا بالفتح
والضم وقيل ما كان من عمل الناس فبالفتح وما كان من خلق الله فبالضم فاغشيناهم فاغشينا ابصارهم
اي غطيناها وجعلنا عليها غشاوة عن ان تطمح الى مرئي وعن مجاهد فاغشيناهم فالبسنا ابصارهم
غشاوة وقرئ بالعين من العشا وقيل نزلت في بني مخزوم وذلك ان ابا جهل حلف لئن رأى
محمدا يصلي ليرضخن رأسه فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه به فلما رفع يده انثنت الى عنقه
ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال مخزومي آخر انا اقتله بهذا
الحجر فذهب فاعمى الله عينيه • وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون انما تنذر من اتبع
الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة واجر كريم • فان قلت قد ذكر ما دل على انتفاء ايمانهم
مع ثبوت الانذار ثم قفاه بقوله انما تنذر وانما كانت تصح هذه التقفية لو كان الانذار منفيا
قلت هو كما قلت ولكن لما كان ذلك نفيا للايمان مع وجود الانذار وكان معناه ان البغية المرومة
بالانذار غير حاصلة وهي الايمان قفى بقوله انما تنذر على معنى انما تحصل البغية بانذارك من غير
هؤلاء المنذرين وهم المتبعون للذكر وهو القرآن او الوعظ الخاشون ربهم • انا نحن نحيي الموتى
ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء احصيناه في امام مبين • نحيي الموتى نبعثهم بعد مماتهم وعن الحسن
احياؤهم ان نخرجهم من الشرك الى الايمان ونكتب ما اسلفوا من الاعمال الصالحة وغيرها وما هلكوا

عنه من اثر حسن كعلم علموه او كتاب صنفوه او حبيس حبسوه او بناء بنوه من مسجد او رباط او
قنطرة او نحو ذلك او سيء كوظيفة وظفها بعض الظلام على المسلمين وسكة احدثها فيها تخسيرهم
وشيء احدث فيه صد عن ذكر الله من الحان وملاه وكذلك كل سنة حسنة او سيئة يستن بها
ونحوه قوله عز وجل ينبأ الانسان يومئذ بما قدم واخر اي قدم من اعماله واخر من آثاره وقيل
هي آثار المشائين الى المساجد وعن جابر اردنا النقلة الى المسجد والبقاع حوله خالية فبلغ ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتانا في ديارنا وقال يا بني سلمة بلغني انكم تريدون النقلة الى المسجد فقلنا
نعم بعد علينا المسجد والبقاع حوله خالية فقال عليكم دياركم فانما تكتب آثاركم قال فما وددنا
حضرة المسجد لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عمر بن عبد العزيز لو كان الله مغفلا شيئا لاغفل هذه
الآثار التي تعفيها الرياح والامام اللوح وقرئ ويكتب ما قدموا وآثارهم على البناء للمفعول وكل
شيء بالرفع • واضرب لهم مثلا اصحاب القرية اذ جاءها المرسلون اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما
فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون • واضرب لهم مثلا ومثل لهم مثلا من قولهم عندي من هذا
الضرب كذا اي من هذا المثال وهذه الاشياء على ضرب واحد اي على مثال واحد والمعنى واضرب لهم مثلا مثل
اصحاب القرية اي اذكر لهم قصة عجيبة قصة اصحاب القرية والمثل الثاني بيان للاول وانتصاب
اذ بانه بدل من اصحاب القرية والقرية انطاكية والمرسلون رسل عيسى صلوات الله عليه الى اهلها
بعثهم دعاة الى الحق وكانوا عبدة اوثان ارسل اليهم اثنين فلما قربا من المدينة رأيا شيخا
يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسألهما فاخبراه فقال امعكما آية فقالا نشفي
المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض سنتين فمسحاه فقام وآمن حبيب وفشا
الخبر فشفي على ايديهما خلق كثير ورقي حديثهما الى الملك وقال لهما ألنا اله سوى آلهتنا قالا
نعم من اوجدك وآلهتك فقال حتى انظر في امركما فتبعهما الناس وضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى
شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره الى الملك فأنس به فقال
له ذات يوم بلغني انك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه فقال لا حال الغضب بيني وبين

ذلك فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفا
واوجزا قالا انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس
العينين فدعوا الله حتى انشق له بصر واخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فكانتا مقلتين
ينظر بهما فقال له شمعون ارايت لو سالت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف
قال ليس لي عنك سر ان الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل معهم على الصنم
فيصلي ويتضرع ويحسبون انه منهم ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام
مات من سبعة ايام فقام وقال اني ادخلت في سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه
فآمنوا وقال فتحت ابواب السماء فرايت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلثة قال الملك ومن
هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما راى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فآمن وآمن
معه قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل عليه السلم صيحة فهلكوا فعززنا فقوينا يقال المطر
يعزز الارض اذا لبدها وشدها وتعزز لحم الناقة وقرئ بالتخفيف من عزه يعزه اذا غلبه
اي فغلبنا وقهرنا بثالث وهو شمعون فان قلت لم ترك ذكر المفعول به قلت لان الغرض ذكر
المعزز به وهو شمعون وما لطف فيه من التدبير حتى عز الحق وذل الباطل واذا كان الكلام
منصبا الى غرض من الاغراض جعل سياقه له وتوجهه اليه كان ما سواه مرفوضا مطرحا ونظيره
قولك حكم السلطان اليوم بالحق الغرض المسوق اليه قولك بالحق فلذلك رفضت ذكر
المحكوم له والمحكوم عليه • قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء ان انتم الا
تكذبون قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وما علينا الا البلاغ المبين • انما رفع بشر ونصب في
قوله ما هذا بشرا لان الا تنقض النفي فلا يبقى لما المشبهة بليس شبه فلا يبقى له عمل فان قلت لم
قيل انا اليكم مرسلون اولا وانا اليكم لمرسلون آخرا قلت لان الاول ابتداء اخبار والثاني جواب
عن انكار وقوله ربنا يعلم جار مجرى القسم في التوكيد وكذلك قولهم شهد الله وعلم الله وانما
حسن منهم هذا الجواب الوارد على طريق التوكيد والتحقيق مع قولهم وما علينا الا البلاغ المبين اي

الظا

الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة لصحته والا فلو قال المدعي والله اني لصادق فيما ادعي و
لم يحضر البينة كان قبيحا • قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم •
تطيرنا بكم تشاءمنا بكم وذلك انهم كرهوا دينهم ونفرت منه نفوسهم وعادة الجهال ان يتيمنوا بكل شيء
مالوا اليه واشتهوه وآثروه وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه فان اصابهم نعمة
او بلاء قالوا ببركة هذا وبشؤم هذا كما حكى الله عن القبط وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن
معه وعن مشركي مكة وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك وقيل حبس عنهم القطر فقالوا ذلك
وعن قتادة ان اصابنا شيء كان من اجلكم • قالوا طائركم معكم ائن ذكرتم بل انتم قوم مسرفون •
طائركم معكم وقرئ طيركم اي سبب شؤمكم معكم وهو كفرهم او اسباب شؤمكم معكم وهي كفرهم و
معاصيهم وقرا الحسن اطيركم اي تطيركم وقرئ ائن ذكرتم بهمزة الاستفهام وحرف الشرط
وآئن بالف بينهما بمعنى اتطيرون ان ذكرتم وقرئ أأن ذكرتم بهمزة الاستفهام وان الناصبة
بمعنى اتطيرتم لان ذكرتم وقرئ أن وإن بغير استفهام بمعنى الاخبار اي تطيرتم لان ذكرتم
او ان ذكرتم تطيرتم وقرئ اين ذكرتم على التخفيف اي شؤمكم معكم حيث جرى ذكركم واذا شؤم
المكان بذكرهم كانوا بحلوله فيه اشأم بل انتم قوم مسرفون في العصيان فمن ثم اتاكم الشؤم لا من قبل
رسل الله وتذكيرهم او بل انتم مسرفون في ضلالكم متمادون في غيكم حيث تتشاءمون بمن يجب التبرك
به من رسل الله • وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين • رجل يسعى وهو حبيب
بن اسرائيل النجار وكان ينحت الاصنام وهو ممن آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة كما
آمن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن بنبي احد الا بعد ظهوره وقيل كان في غار
يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل اتاهم واظهر دينه وقاول الكفرة فقالوا وانت تخالف ديننا
فوثبوا عليه فقتلوه وقيل توطؤوه بارجلهم حتى خرج قصبه من دبره وقيل رجموه وهو يقول
اللهم اهد قومي وقبره في سوق انطاكية فلما قتل غضب الله عليهم فاهلكوا بصيحة جبريل وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم سباق الامم ثلثة لم يكفروا بالله طرفة عين علي بن ابي طالب وصاحب يس ومؤمن

مطلب ممن آمن برسول الله

آل فرعون • اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون • من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون كلمة
جامعة في الترغيب فيهم اي لا تخسرون معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحة دينكم فينتظم لكم خير
الدنيا وخير الآخرة • وما لي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون ءاتخذ من دونه آلهة ان يردن
الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون اني اذا لفي ضلال مبين اني آمنت بربكم
فاسمعون • ثم ابرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم
ولانه ادخل في امحاض النصح حيث لا يريد لهم الا ما يريد لروحه ولقد وضع قوله وما لي لا اعبد الذي
فطرني مكان قوله ما لكم لا تعبدون الذي فطركم الا ترى الى قوله واليه ترجعون ولولا انه قصد ذلك
لقال الذي فطرني واليه ارجع وقد ساقه ذلك المساق الى ان قال آمنت بربكم فاسمعون يريد فاسمعوا
قولي واطيعوني فقد نبهتكم على الصحيح الذي لا معدل عنه ان العبادة لا تصح الا لمن منه مبداكم واليه
مرجعكم وما ادفع العقول وانكرها لان تستحبوا على عبادته عبادة اشياء ان ارادكم هو بضر وشفع لكم
هؤلاء لم تنفع شفاعتهم ولم يمكنوا من ان يكونوا شفعاء عنده ولم يقدروا على انقاذكم منه بوجه من
الوجوه انكم في هذا الاستحباب لواقعون في ضلال ظاهر بين لا يخفى على ذي عقل وتمييز وقيل لما
نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحو الرسل قبل ان يقتل فقال لهم اني آمنت بربكم فاسمعون اي اسمعوا
ايماني تشهدوا لي به وقرئ ان يردن الرحمن بضر بمعنى ان يوردني ضرا اي يجعلني موردا للضر •
قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين • اي لما قتل قيل له ادخل الجنة
وعن قتادة ادخله الله الجنة وهو فيها حي يرزق اراد به قوله تعالى بل احياء عند ربهم يرزقون
وقيل معناه البشرى بدخول الجنة وانه من اهلها فان قلت كيف مخرج هذا القول في علم البيان قلت
مخرجه مخرج الاستيناف لان هذا من مظان المسألة عن حاله عند لقاء ربه كان قائلا قال كيف
كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب في نصرة دينه والتسخي لوجهه بروحه فقيل قيل ادخل الجنة ولم يقل
قيل له لانصباب الغرض الى المقول وعظمه لا الى المقول له مع كونه معلوما وكذلك قال يا ليت قومي يعلمون
مرتب على تقدير سؤال سائل عما وجد من قوله عند ذلك الفوز العظيم وانما تمنى علم قومه بحاله ليكون

علمهم بها سببا لاكتساب مثلها لانفسهم بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان والعمل الصالح المفضيين
باهلهما الى الجنة وفي حديث مرفوع نصح قومه حيا وميتا وفيه تنبيه على وجوب كظم الغيظ والحلم عن
اهل الجهل والترؤف على من ادخل نفسه في غمار الاشرار واهل البغي والتشمر في تخليصه والتلطف
في افتدائه والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعاء عليه الا ترى كيف تمنى الخير لقتلته والباغين له
الغوائل وهم كفرة عبدة اصنام ويجوز ان يتمنى ذلك ليعلموا انهم كانوا على خطأ عظيم في امره وانه كان على
صواب ونصيحة وشفقة وان عداوتهم لم تكسبه الا فوزا ولم تعقبه الا سعادة لان في ذلك زيادة
غبطة له وتضاعف لذة وسرور والاول اوجه وقرئ المكرمين فان قلت ما في قوله تعالى بما غفر لي
ربي اي الماءات هي قلت المصدرية او الموصولة اي بالذي غفره لي من الذنوب ويحتمل ان تكون استفهامية
يعني باي شيء غفر لي ربي يريد به ما كان منه معهم من المصابرة لاعزاز الدين حتى قتل الا ان قولك بم
غفر لي بطرح الالف اجود وان كان اثباتها جائزا يقال قد علمت بما صنعت هذا وبم صنعت
وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين • المعنى ان الله كفى امرهم
بصيحة ملك ولم ينزل لاهلاكهم جندا من جنود السماء كما فعل يوم بدر والخندق فان قلت وما
معنى قوله وما كنا منزلين قلت معناه وما كان يصح في حكمتنا ان ننزل في اهلاك قوم حبيب جندا من السماء
وذلك لان الله عز وجل اجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون البعض وما ذلك الا بناء على ما
اقتضته الحكمة واوجبته المصلحة الا ترى الى قوله تعالى فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته
الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا فان قلت فلم انزل الجنود من السماء يوم بدر و
الخندق فقال تعالى فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها بالف من الملائكة مردفين بثلثة آلاف من الملائكة
منزلين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين قلت انما كان يكفي ملك واحد فقد اهلكت مدائن قوم
لوط بريشة من جناح جبريل وبلاد ثمود وقوم صالح بصيحة منه ولكن الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم
بكل شيء على كبار الانبياء واولي العزم من الرسل فضلا عن حبيب النجار واولاه من اسباب الكرامة والاعزاز
ما لم يوله احدا فمن ذلك انه انزل له جنودا من السماء وكانه اشار بقوله وما انزلنا وما كنا منزلين الى ان

انزال الجنود من عظائم الامور التي لا يؤهل لها الا مثلك وما كنا نفعله • ان كانت الا صيحة واحدة
فاذا هم خامدون • ان كانت الا صيحة واحدة ان كانت الاخذة او العقوبة الا صيحة وقرا ابو جعفر
المدني بالرفع على كانت تامة اي ما وقعت الا صيحة والقياس والاستعمال على تذكير الفعل لان المعنى
ما وقع شيء الا صيحة ولكنه نظر الى ظاهر اللفظ وان الصيحة في حكم فاعل الفعل ومثلها قراءة الحسن فاصبحوا
لا ترى الا مساكنهم وبيت ذي الرمة • وما بقيت الا الضلوع الجراشع • وقرا ابن مسعود الا زقية واحدة
من زقا الطائر يزقو ويزقي اذا صاح ومنه المثل اثقل من الزواقي خامدون خمدوا كما تخمد النار فتعود
رمادا كما قال لبيد • وما المرء الا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع • يا حسرة على العباد
ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون • يا حسرة على العباد نداء للحسرة عليهم كانما قيل لها تعالي
يا حسرة فهذه من احوالك التي حقك ان تحضري فيها وهي حال استهزائهم بالرسل والمعنى انهم احقاء
بان يتحسر عليهم المتحسرون ويتلهف على حالهم المتلهفون او هم متحسر عليهم من جهة الملائكة و
المؤمنين من الثقلين ويجوز ان يكون من الله عز وعلا على سبيل الاستعارة في معنى تعظيم ما جنوه على انفسهم
ومحنوها به وفرط انكاره له وتعجيبه منه وقراءة من قرا يا حسرتا تعضد هذا الوجه لان المعنى
يا حسرتي وقرئ يا حسرة العباد على الاضافة اليهم لاختصاصها بهم من حيث انها موجهة اليهم ويا
حسره على العباد على اجراء الوصل مجرى الوقف • الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون
الم يروا الم يعلموا وهو معلق عن العمل في كم لان كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام او للخبر لان
اصلها الاستفهام الا ان معناه نافذ في الجملة كما نفذ في قولك الم يروا ان زيدا لمنطلق وان لم يعمل في
لفظه وانهم لا يرجعون بدل من كم اهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره الم يروا كثرة اهلاكنا القرون
من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وعن الحسن كسر ان على الاستئناف وفي قراءة ابن مسعود الم يروا من اهلكنا
البدل على هذه القراءة بدل اشتمال وهذا مما يرد قول اهل الرجعة ويحكى عن ابن عباس انه قيل له ان قوما يزعمون
ان عليا مبعوث قبل يوم القيمة فقال بئس القوم نحن اذن نكحنا نساءه واقتسمنا ميراثه • وان كل لما جميع
لدينا محضرون • وقرئ لما بالتخفيف على ان ما صلة للتاكيد وان مخففة من الثقيلة وهي متلقاة

باللام لا محالة ولما بالتشديد بمعنى الا كالتي في مسالة الكتاب نشدتك بالله لما فعلت وان نافية
والتنوين في كل هو الذي يقع عوضا من المضاف اليه كقوله مررت بكل قائما والمعنى ان كلهم محشورون
مجموعون محضرون للحساب يوم القيمة وقيل محضرون معذبون فان قلت كيف اخبر عن كل بجميع ومعناهما
واحد قلت ليس بواحد لان كلا يفيد معنى الاحاطة وان لا ينفلت منهم احد والجميع معناه الاجتماع و
ان المحشر يجمعهم والجميع فعيل بمعنى مفعول يقال حي جميع وجاؤا جميعا • وآية لهم الارض الميتة احييناها
واخرجنا منها حبا فمنه ياكلون • القراءة بالميتة على الخفة اشيع لسلسها على اللسان واحييناها
استئناف بيان لكون الارض الميتة آية وكذلك نسلخ ويجوز ان يوصف الارض والليل بالفعل لانه اريد بهما
الجنسان مطلقين لا ارض وليل باعيانهما فعوملا معاملة النكرات في وصفهما بالافعال ونحوه • ولقد امر
على اللئيم يسبني • وقوله فمنه ياكلون تقديم الظرف للدلالة على ان الحب هو الشيء الذي يتعلق به معظم
العيش ويقوم بالارتزاق منه صلاح الانس واذا قل جاء القحط ووقع الضر واذا فقد جاء الهلاك ونزل
البلاء • وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون • قرئ وفجرنا بالتثقيل والتخفيف
والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى • لياكلوا من ثمره وما عملته ايديهم افلا يشكرون • وقرئ ثمره
بفتحتين وضمتين وضمة وسكون والضمير لله تعالى والمعنى لياكلوا مما خلقه الله من الثمر ومما عملته ايديهم
من الغرس والسقي والآبار وغير ذلك من الاعمال الى ان بلغ الثمر منتهاه وابان اكله يعني ان الثمر في نفسه
فعل الله وخلقه وفيه آثار من كد بني آدم واصله من ثمرنا كما قال وجعلنا وفجرنا فنقل الكلام من التكلم
الى الغيبة على طريقة الالتفات ويجوز ان يرجع الى النخيل ويترك الاعناب غير مرجوع اليها لانه علم انها في حكم
النخيل فيما علق به من اكل ثمره ويجوز ان يراد من ثمر المذكور وهو الجنات كما قال رؤبة • فيها خطوط
من سواد وبلق • كانه في الجلد توليع البهق • فقيل له فقال اردت كان ذاك ويلك ان تجعل ما نافية
على ان الثمر خلق الله ولم تعمله ايدي الناس ولا يقدرون عليه وقرئ على الوجه الاول وما عملت من غير
راجع وهي في مصاحف اهل الكوفة كذلك وفي مصاحف اهل الحرمين والبصرة والشام مع الضمير • سبحان
الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون • الازواج الاجناس والاصناف

وَمما لا يعلمون ومن أزواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا الى معرفتها بطريق من طرق العلم ولا يبعد
أن يخلق الله تعالى من الخلائق الحيوان والجماد ما لم يجعل للبشر طريقا الى العلم به لانه لا حاجة بهم
في دينهم ودنياهم الى ذلك العلم ولو كانت بهم اليه حاجة لأعلمهم بما لا يعلمون كما أعلمهم بوجود ما لا يعلمون
وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يسمهم وفي الحديث ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
بله ما أطلعتهم عليه فأعلمنا بوجوده واعداده ولم يعلمنا به ما هو ونحوه فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة
أعين وفي الاعلام بكثرة ما خلق مما علموه ومما جهلوه ما دل على عظم قدرته واتساع ملكه • وآية لهم
الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون • سلخ جلد الشاة اذا كشطه عنها وازاله ومنه سلخ الحية
لخرشائها فاستعير لازالة الضوء وكشفه عن مكان الليل وملقى ظله مظلمون داخلون في الظلام
يقال أظلمنا كما يقول أعتمنا وأدجينا • والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم • لمستقر لها
لحد لها موقت مقدر تنتهي اليه من فلكها في آخر السنة شبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او
لمنتهى لها من المشارق والمغارب لأنها تتقصاها مشرقا مشرقا ومغربا مغربا حتى تبلغ أقصاها ثم ترجع
فذلك حدها ومستقرها لأنها لا تعدوه او لحد لها من مسيرها كل يوم في مرأى عيوننا وهو المغرب
وقيل مستقرها أجلها الذي أقر الله عليه أمرها في جريها فاستقرت عليه وهو آخر السنة وقيل الوقت
الذي تستقر فيه وينقطع جريها وهو يوم القيامة وقرئ تجري الى مستقر لها وقرأ ابن مسعود لا مستقر لها
أي لا تزال تجري لا تستقر وقرئ لا مستقر لها على أن لا بمعنى ليس ذلك الجري على ذلك التقدير والحساب
الدقيق الذي تكل الفطن عن استخراجه وتتحير الافهام في استنباطه ما هو الا تقدير الغالب بقدرته على
كل مقدور المحيط علما بكل معلوم • والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم • قرئ والقمر
رفعا على الابتداء او عطفا على الليل يريد ومن آياته القمر ونصبا بفعل يفسره قدرناه ولا بد في قدرناه
منازل من تقدير مضاف لانه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل والمعنى قدرنا مسيره منازل وهي ثمان وعشرون
منزلا ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير فيها
من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا نقص الشهر وهذه المنازل

هي مواقع النجوم التي نسبت اليها العرب الانواء المستمطرة وهي الشرطين البطين الثريا الدبران
الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العوا السماك الغفر الزبانا
الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية
فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشا فاذا كان في آخر منازله دق واستقوس وعاد
كالعرجون القديم وهو عود العذق ما بين شماريخه الى منبته من النخلة وقال الزجاج هو فعلون
من الانعراج وهو الانعطاف وقرئ العرجون بوزن الفرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون
والقديم المحول واذا قدم دق وانحنى واصفر فشبه به من ثلاثة أوجه وقيل أقل مدة الموصوف
بالقديم الحول فلو أن رجلا قال كل مملوك لي قديم فهو حر او كتب ذلك في وصيته عتق منهم من مضى
له حول واكثر • لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون • وقرئ
سابق النهار على الاصل والمعنى ان الله تعالى قسم لكل واحد من الليل والنهار وآيتيهما قسما من الزمان
وضرب له حدا معلوما ودبر أمرهما على التعاقب فلا ينبغي للشمس اي لا يتسهل لها ولا يصح ولا يستقيم لوقوع
التدبير على المعاقبة وان جعل لكل واحد من النيرين سلطان على حياله ان تدرك القمر فتجتمع معه
في وقت واحد وتداخله في سلطانه فتطمس نوره ولا يسبق الليل النهار يعني آية الليل آية النهار
وهما النيران ولا يزال الامر على هذا الترتيب الى ان يبطل الله ما دبر من ذلك وينقض ما ألف فيجمع بين
الشمس والقمر ويطلع الشمس من مغربها فان قلت لم جعلت الشمس غير مدركة والقمر غير سابق قلت
لان الشمس لا تقطع فلكها الا في سنة والقمر يقطع فلكه في شهر فكانت الشمس جديرة بان توصف
بالادراك لتباطؤ سيرها عن سير القمر والقمر خليقا بان يوصف بالسبق لسرعة سيره وكل التنوين فيه
عوض من المضاف اليه والمعنى وكلهم والضمير للشموس والاقمار على ما سبق ذكره • وآية لهم أنا حملنا ذريتهم
في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون • ذريتهم اولادهم ومن يهمهم حمله وقيل اسم الذرية يقع
على النساء لانهن مزارعها وفي الحديث انه نهى عن قتل الذراري يعني النساء من مثله من مثل الفلك ما يركبون
من الابل وهي سفائن البر وقيل الفلك المشحون سفينة نوح ومعنى حمل الله ذرياتهم فيها انه حمل فيها آباءهم

الاقدمين وفي اصلابهم هم وذرياتهم وانما ذكر ذرياتهم دونهم لانه ابلغ في الامتنان عليهم وادخل في
التعجب من قدرته في حمل اعقابهم الى يوم القيمة في سفينة نوح ومن مثله من مثل ذلك الفلك ما يركبون
من السفن والزوارق • وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون الا رحمة منا ومتاعا الى حين
لا صريخ لا مغيث او لا اغاثة يقال اتاهم الصريخ ولا هم ينقذون لا ينجون من الموت بالغرق الا رحمة
الا لرحمة منا ولتمتيع بالحيوة الى حين الى اجل يموتون فيه لا بد لهم منه بعد النجاة من موت الغرق و
لقد احسن من قال • ولم اسلم لكي ابقى ولكن سلمت من الحمام الى الحمام • وقرأ الحسن نغرقهم • واذا قيل
لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين
اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم كقوله تعالى افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض وعن مجاهد
ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر وعن قتادة ما بين ايديكم من الوقائع التي خلت يعني من مثل الوقائع التي
ابتليت بها الامم المكذبة بانبيائها وما خلفكم من امر الساعة لعلكم ترحمون لتكونوا على رجاء رحمة الله
وجواب اذا محذوف مدلول عليه بقوله الا كانوا عنها معرضين فكانه قال واذا قيل لهم اتقوا اعرضوا ثم
قال ودأبهم الاعراض عند كل آية وموعظة • واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين
آمنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه ان انتم الا في ضلال مبين • كانت الزنادقة منهم يسمعون المؤمنين
يعلقون افعال الله بمشيته فيقولون لو شاء الله لاغنى فلانا ولو شاء لاعزه ولو شاء لكان كذا فاخرجوا
هذا الجواب مخرج الاستهزاء بالمؤمنين وبما كانوا يقولونه من تعليق الامور بمشية الله ومعناه انطعم
المقول فيه هذا القول بينكم وذلك انهم كانوا دافعين ان يكون الغنى والفقر من الله لانهم معطلة لا يؤمنون
بالصانع وعن ابن عباس كان بمكة زنادقة فاذا امروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله ايفقره الله
ونطعمه نحن وقيل كانوا يوهمون ان الله تعالى لما كان قادرا على اطعامهم ولا يشاء اطعامهم فنحن احق بذلك
نزلت في مشركي قريش حين قال فقراء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطونا مما زعمتم من اموالكم انها لله
يعنون قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فحرموهم وقالوا لو شاء الله لاطعمكم ان انتم الا
في ضلال مبين قول الله لهم او حكاية قول المؤمنين لهم او هو من جملة جوابهم للمؤمنين • ويقولون متى هذا

الوعد ان كنتم صادقين ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون • قرئ وهم يخصمون
بادغام التاء في الصاد مع فتح الخاء وكسرها واتباع الياء الخاء في الكسر ويختصمون على الاصل ويخصمون
من خصمه والمعنى انها تبغتهم وهم في امنهم وغفلتهم عنها لا يخطر ببالهم مشتغلين بخصوماتهم في متاجرهم
ومعاملاتهم وسائر ما يتخاصمون فيه ويتشاجرون ومعنى يخصمون يخصم بعضهم بعضا وقيل تأخذهم
وهم عند انفسهم يخصمون في الحجة في انهم لا يبعثون • فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون
لا يستطيعون ان يوصوا في شيء من امورهم توصية ولا يقدرون على الرجوع الى منازلهم واهاليهم بل
يموتون حيث تفجأهم الصيحة • ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون • قرئ الصور بسكون
الواو وهو القرن او جمع صورة وحركها بعضهم والاجداث القبور وقرئ بالفاء ينسلون يعدون
بكسر السين وضمها وهي النفخة الثانية • قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن و
صدق المرسلون • قرئ يا ويلتنا وعن ابن مسعود من اهبنا من هب من نومه اذا انتبه واهبه غيره
وقرئ من هبنا بمعنى اهبنا وعن بعضهم اراد هب بنا فحذف الجار واوصل الفعل وقرئ من بعثنا
ومن هبنا على من الجارة والمصدر وهذا مبتدأ وما وعد خبره وما مصدرية او موصولة ويجوز
ان يكون هذا صفة للمرقد وما وعد خبر مبتدأ محذوف اي هذا وعد الرحمن او مبتدأ محذوف الخبر اي ما
وعد الرحمن وصدق المرسلون حق عليكم وعن مجاهد للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح
باهل القبور قالوا من بعثنا واما هذا ما وعد الرحمن فكلام الملائكة عن ابن عباس وعن الحسن كلام المتقين
وقيل كلام الكافرين يتذكرون ما سمعوه من الرسل فيجيبون به انفسهم او بعضهم بعضا فان قلت اذا
جعلت ما مصدرية كان المعنى هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين على تسمية الموعود والمصدوق فيه
بالوعد والصدق فما وجه قوله وصدق المرسلون اذا جعلتها موصولة قلت تقديره هذا الذي وعده
الرحمن والذي صدقه المرسلون بمعنى والذي صدق فيه المرسلون من قولهم صدقوهم الحديث والقتال
ومنه صدقني سن بكره فان قلت من بعثنا من مرقدنا سؤال عن الباعث فكيف طابقه ذلك جوابا قلت
معناه بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وانبأكم به الرسل الا انه جيء على طريقة سيئت بها قلوبهم ونعيت

اليهم احوالهم وذكروا كفرهم وتكذيبهم واخبروا بوقوع ما انذروا به وكانه قيل لهم ليس بالبعث الذي
عرفتموه وهو بعث النائم من مرقده حتى يهمكم السؤال عن الباعث ان هذا هو البعث الاكبر
ذو الاهوال والافزاع وهو الذي وعده الله في كتبه المنزلة على السنة رسله الصادقين • ان كانت الا
صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون ان
اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون • الا صيحة واحدة قرئت منصوبة ومرفوعة فاليوم لا تظلم نفس
شيئا ان اصحاب الجنة اليوم في شغل حكاية ما يقال لهم في ذلك اليوم وفي مثل هذه الحكاية زيادة تصوير
للموعود وتمكين له في النفوس وترغيب في الحرص عليه وعلى ما يثمره في شغل في اي شغل وفي شغل لا يوصف وما
ظنك بشغل من سعد بدخول الجنة التي هي دار المتقين ووصل الى نيل تلك الغبطة وذلك الملك الكبير
والنعيم المقيم ووقع في تلك الملاذ التي اعدها الله للمرتضين من عباده ثوابا لهم على اعمالهم مع كرامة وتعظيم
وذلك بعد الوله والصبابة والتفصي من مشاق التكليف ومضايق التقوى والخشية وتخطي اهوال
وتجاوز الاخطار وجواز الصراط ومعاينة ما لقي العصاة من العذاب وعن ابن عباس في افتضاض
الابكار وعنه في ضرب الاوتار وعن ابن كيسان في التزاور وقيل في ضيافة الله وعن الحسن شغلهم
عما فيه اهل النار التنعم بما هم فيه وعن الكلبي هم في شغل عن اهاليهم من اهل النار لا يهمهم امرهم ولا يذكرونهم
لئلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم قرئ في شغل بضمتين وضمة وسكون وفتحتين وفتحة وسكون
الفاكه والفكه المتنعم المتلذذ ومنه الفاكهة لانها مما يتلذذ به وكذلك الفكاهة وهي المزاحة وقرئ
فاكهون وفكهون بكسر الكاف وضمها كقولهم رجل حدث وحدث ونطس ونطس وقرئ فاكهين و
فكهين على انه حال والظرف مستقر • هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون • هم يحتمل ان يكون
مبتدأ وان يكون تاكيدا للضمير في شغل وفي فاكهون على ان ازواجهم يشاركنهم في ذلك الشغل والتفكه
والاتكاء على الارائك تحت الظلال وقرئ في ظلل والاريكة السرير في الحجلة وقيل الفراش فيها وقرأ
ابن مسعود متكئين • لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولا من رب رحيم • يدعون يفتعلون من
الدعاء اي يدعون به لانفسهم كقولك اشتوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه قال لبيد • فاشتوى

ليلة ريح واجتمل • ويجوز ان يكون بمعنى يتداعونه كقولك ارتموه وتراموه وقيل يتمنون من
قولهم ادّع عليّ ما شئت بمعنى تمنّه عليّ وفلان في خير ما ادّعى اي في خير ما تمنى قال الزجاج
وهو من الدعاء اي ما يدعو به اهل الجنة ياتيهم وسلام بدل مما يدعون كانه قال لهم سلام يقال
لهم قولا من جهة رب رحيم والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة او بغير واسطة مبالغة
في تعظيمهم وذلك متمناهم ولهم ذلك لا يمنعونه قال ابن عباس والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من
رب العالمين وقيل ما يدعون مبتدأ وخبره سلام بمعنى ولهم ما يدعون سالم خالص لا شوب فيه
وقولا مصدر مؤكد لقوله ولهم ما يدعون سلام اي عدة من رب رحيم والاوجه ان ينتصب على
الاختصاص وهو من مجازه وقرئ سلم وهو بمعنى السلام في المعنيين وعن ابن مسعود سلاما
نصب على الحال اي لهم مرادهم خالصا • وامتازوا اليوم ايها المجرمون • وامتازوا وانفردوا عن المؤمنين
وكونوا على حدة وذلك حين يحشر المؤمنون ويسار بهم الى الجنة ونحوه قوله تعالى ويوم تقوم الساعة
يومئذ يتفرقون فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون واما الذين كفروا
الاية يقال مازه فانماز وامتاز وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك لكل كافر بيت من
النار يكون فيه لا يرى ولا يرى ومعناه ان بعضهم يمتاز من بعض • الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا
تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم • العهد الوصية وعهد
اليه اذا اوصاه وعهد الله اليهم ما ركزه فيهم من ادلة العقل وانزل عليهم من دلائل السمع وعبادة
الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه لهم وقرئ اعهد بكسر الهمزة وباب فعل كله يجوز
في حروف مضارعه الكسر الا في الياء واعهد بكسر الهاء وقد جوز الزجاج ان يكون من باب نعم
ينعم وضرب يضرب واحهد بالحاء واحد وهي لغة تميم ومنه قولهم دحا محا هذا اشارة الى
ما عهد اليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمن اذ لا صراط اقوم منه ونحو التنكير فيه ما في قول
كثير • لئن كان يهدى برد انيابها العلى لافقر مني انني لفقير • اراد انه لفقير بليغ الفقر
حقيق بان اوصف به لكمال شرائطه فيّ والا لم يستقم معنى البيت وكذلك قوله هذا صراط مستقيم

يريد صراط بليغ في بابه بليغ في استقامته جامع لكل شرط يجب أن يكون عليه ويجوز أن يراد بهذا
بعض الصراط المستقيم توبيخاً لهم على العدول عنه والتفادي عن سلوكه كما يتفادى الناس عن
الطريق المعوج الذي يؤدي إلى الضلالة والتهلكة كما إذا قيل أقل أحوال الطريق الذي هو أقوم
الطرق أن يعتقد فيه كما يعتقد في الطريق الذي لا يضل السالك كما يقول الرجل لولده وقد نصحه
النصح البالغ الذي ليس بعده هذا فيما أظن قول نافع غير ضار توبيخاً له على الإعراض عن
نصائحه • ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها
اليوم بما كنتم تكفرون • قرئ جبلاً بضمتين وضمة وسكون وضمتين وتشديد وكسرتين
وكسرة وسكون وكسرتين وتشديد وهذه لغات في معنى الخلق وقرئ جبلاً جمع جبلة كفطر
وخلق وفي قراءة علي رضي الله عنه جيلاً واحد الأجيال • اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم
وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون • يروى أنهم يجحدون ويخاصمون فيشهد عليهم جيرانهم و
أهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم
وفي الحديث يقول العبد يوم القيامة إني لا أجيز علي شاهداً إلا من نفسي فيختم على فيه ويقال
لأركانه انطقي فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعداً لكن وسحقاً فعنكن كنت
أناضل وقرئ يختم على أفواههم وتتكلم أيديهم وقرئ ولتكلمنا أيديهم وتشهد بلام كي والنصب
على معنى ولذلك نختم على أفواههم وقرئ ولتكلمنا أيديهم ولتشهد بلام الأمر والجزم على أن الله
يأمر الأعضاء بالكلام والشهادة • ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون
الطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة فاستبقوا الصراط لا يخلو من أن يكون على حذف الجار و
إيصال الفعل فالأصل فاستبقوا إلى الصراط أو يضمن معنى ابتدروا أو يجعل الصراط مسبوقاً لا مسبوقاً
إليه أو ينتصب على الظرف والمعنى على أنه لو نشاء لمسحنا أعينهم فلو راموا أن يستبقوا إلى الطريق المهيع
الذي اعتادوا سلوكه إلى مساكنهم وإلى مقاصدهم المألوفة التي ترددوا إليها كثيراً كما كانوا يستبقون
إليه ساعين في متصرفاتهم موضعين في أمور دنياهم لم يقدروا وتعايا عليهم أن يبصروا ويعلموا جهة

السلوك فضلاً عن غيره أو لو نشاء لأعماهم فلو أرادوا أن يمشوا مستبقين في الطريق المألوف كما كان
ذلك هجيراهم لم يستطيعوا أو لو نشاء لأعماهم فلو طلبوا أن يخلفوا الصراط الذي اعتادوا المشي فيه
لعجزوا ولم يعرفوا طريقاً يعني أنهم لا يقدرون إلا على سلوك الطريق المعتاد دون ما وراءه من سائر
الطرق والمسالك كما ترى العميان يهتدون فيما ألفوا وضربوا به من المقاصد دون غيرها • ولو
نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضياً ولا يرجعون • على مكانتهم وقرئ على مكاناتهم والمكانة
والمكان واحد كالمقامة والمقام أي لمسخناهم مسخاً يجمدهم مكانهم لا يقدرون أن يبرحوه بإقبال
ولا إدبار ولا مضي ولا رجوع واختلف في المسخ فعن ابن عباس لمسخناهم قردة وخنازير وقيل
حجارة وعن قتادة لأقعدناهم على أرجلهم وأزمناهم وقرئ مضياً بالحركات الثلث فالمضي
المضي كالعتي والعتي والمضي كالصبي • ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون • ننكسه في الخلق
نقلبه فيه فنخلقه على عكس ما خلقناه من قبل وذلك أنا خلقناه على ضعف في جسد وخلو من عقل وعلم
ثم جعلناه يتزايد وينتقل من حال إلى حال ويرتقي من درجة إلى درجة إلى أن يبلغ أشده ويستكمل
قوته ويعقل ويعلم ما له وما عليه فإذا انتهى نكسناه في الخلق فجعلناه يتناقص حتى يرجع في حال شبيهة
بحال الصبي في ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم كما ينكس السهم فيجعل أعلاه أسفله قال عز
وجل ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئاً ثم رددناه أسفل سافلين وهذه دلالة
على أن من ينقلهم من الشباب إلى الهرم ومن القوة إلى الضعف ومن رجاحة العقل إلى الخرف و
قلة التمييز ومن العلم إلى الجهل بعدما نقلهم خلاف هذا النقل وعكسه قادر على أن يطمس أعينهم و
يمسخهم على مكانتهم ويفعل بهم ما شاء وأراد وقرئ بكسر الكاف ونكسه وننكسه من التنكيس و
الإنكاس أفلا يعقلون بالياء والتاء • وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين
كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر وروي أن القائل عقبة بن أبي معيط فقيل وما علمناه
الشعر أي وما علمناه بتعليم القرآن الشعر على معنى أن القرآن ليس بشعر وما هو من الشعر في شيء وأين هو
عن الشعر والشعر إنما هو كلام موزون مقفى يدل على معنى فأين الوزن وأين التقفية وأين

المعاني التي ينتحيها الشعراء عن معانيه وأين نظم كلامهم عن نظمه وأساليبه فإذاً لا مناسبة بينه وبين الشعر إذا حققت اللهم إلا أن هذا لفظه عربي كما أن ذاك كذلك وما ينبغي له وما يصح له ولا يتطلب لو طلبه أي جعلناه بحيث لو أراد قرض الشعر لم يتأت له ولم يتسهل كما جعلناه أمياً لا يهتدي للخط ولا يحسنه ليكون الحجة أثبت والشبهة أدحض وعن الخليل كان الشعر أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثير من الكلام ولكن كان لا يتأتى له فإن قلت فقوله أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب وقوله هل أنت إلا أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت قلت ما هو إلا كلام من جنس كلامه الذي كان يرمي به على السليقة من غير صنعة فيه ولا تكلف إلا أنه اتفق ذلك من غير قصد إلى ذلك ولا التفات منه إليه إن جاء موزوناً كما يتفق في كثير من إنشاءات الناس في خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم أشياء موزونة لا يسميها أحد شعراً ولا يخطر ببال المتكلم ولا السامع أنه شعر وإذا فتشت في كل كلام عن نحو ذلك وجدت الواقع في أوزان البحور غير عزيز على أن الخليل ما كان يعد المشطور من الرجز شعراً ولما نفى أن يكون القرآن من جنس الشعر قال إن هو إلا ذكر وقرآن مبين يعني ما هو إلا ذكر من الله تعالى يوعظ به الإنس والجن كما قال إن هو إلا ذكر للعالمين وما هو إلا قرآن كتاب سماوي يقرأ في المحاريب ويتلى في المتعبدات وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين فكم بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين لينذر القرآن أو الرسول وقرئ لتنذر بالتاء ولينذر من نذر به إذا علمه من كان حياً أي عاقلاً متأملاً لأن الغافل كالميت أو معلوماً منه أنه يؤمن فيحيا بالإيمان ويحق القول وتجب كلمة العذاب على الكافرين الذين لا يتأملون ولا يتوقع منهم الإيمان أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون مما عملت أيدينا مما تولينا نحن إحداثه ولم يقدر على توليه غيرنا وإنما قال ذلك لبدائع الفطرة والحكمة فيها التي لا يصح أن يقدر عليها إلا هو وعمل الأيدي استعارة من عمل من يعملون بالأيدي فهم لها مالكون أي خلقناها لأجلهم فملكناها إياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع بها لا يزاحمون أو فهم لها ضابطون قاهرون من قوله أصبحت لا أحمل السلاح ولا أملك رأس البعير إن نفرا أي لا أضبطه

وهو من جملة النعم الظاهرة وإلا فمن كان يقدر عليها لولا تذليله وتسخيره لها كما قال القائل
يصرفه الصبي بكل وجه ويحبسه على الخسف الجرير
وتضربه الوليدة بالهراوى فلا غير لديه ولا نكير
ولهذا ألزم الله سبحانه الراكب أن يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وقرئ ركوبهم وركوبتهم وهما ما يركب كالحلوب والحلوبة وقيل الركوبة جمع وقرئ ركوبهم أي ذو ركوبهم أو فمن منافعها ركوبهم ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون منافع من الجلود والأوبار والأصواف وغير ذلك ومشارب من اللبن ذكرها مجملة وقد فصلها في قوله وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً الآية والمشارب جمع مشرب وهو موضع الشرب أو الشرب واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون اتخذوا الآلهة طمعاً في أن يتقووا بهم ويعتضدوا بمكانهم والأمر على عكس ما قدروا حيث هم جند لآلهتهم معدون محضرون يخدمونهم ويذبون عنهم ويغضبون لهم والآلهة لا استطاعة بهم ولا قدرة على النصر أو اتخذوهم لينصروهم عند الله ويشفعوا لهم والأمر على خلاف ما توهموا حيث هم يوم القيامة جند معدون لهم محضرون لعذابهم لأنهم يجعلون وقوداً للنار فلا يحزنك قولهم إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون وقرئ فلا يحزنك بفتح الياء وضمها من حزنه وأحزنه والمعنى فلا يهمنك تكذيبهم وأذاهم وجفاؤهم فإنا عالمون بما يسرون من عداوتهم وما يعلنون وإنا مجازوهم عليه فحق مثلك أن يتسلى بهذا الوعيد ويستحضر في نفسه صورة حاله وحالهم في الآخرة حتى ينقشع عنه الهم ولا يرهقه الحزن فإن قلت ما تقول فيمن يقول إن قرأ قارئ أنا نعلم بالفتح انتقضت صلوته وإن اعتقد ما يعطيه من معنى كفر قلت فيه وجهان أحدهما أن يكون على حذف لام التعليل وهو كثير في القرآن وفي الشعر وفي كل كلام وقياس مطرد وهذا معناه ومعنى الكسر سواء وعليه تلبية رسول الله صلعم إن الحمد والنعمة لك كسر أبو حنيفة وفتح الشافعي وكلاهما تعليل والثاني أن يكون بدلاً من قولهم كأنه قيل فلا يحزنك أنا نعلم ما يسرون وما يعلنون وهذا المعنى قائم مع المكسورة إذا جعلتها مفعولة للقول فقد تبين أن تعلق الحزن بكون الله عالماً وعدم تعلقه لا يدوران على كسر إن وفتحها وإنما يدوران على تقديرك فتفصل إن فتحت بأن تقدر معنى التعليل ولا تقدر البدل

كما انك تفصل بتقدير معنى التعليل اذا كسرت ولا تقدره معنى المفعولية ثم ان قرأته كاسرا او
فاتحا على ما عظم فيه الخطب في ذلك القائل فما فيه الا نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن على كون
الله عالما بسرهم وعلانيتهم وليس النهي عن ذلك عن ذلك مما يوجب شيئا الا ترى الى قوله تعالى فلا تكونن ظهيرا
للكافرين ولا تكونن ولا تدع مع الله الها آخر • اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين
وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم • قبح الله عز وجل انكارهم البعث تقبيحا
لا ترى اعجب منه وابلغ وادل على تمادي كفر الانسان وافراطه في جحود النعم وعقوق الايادي وتوغله
في الخسة وتغلغله في القحة حيث قرره بان عنصره الذي خلقه منه هو اخس شيء وامهنه وهو النطفة
المذرة الخارجة من الاحليل الذي هو قناة النجاسة ثم عجب من حاله بان يتصدى مثله على مهانة اصله
ودناءة اوله لمخاصمة الجبار ويبرز صفحته لمجادلته ويركب متن الباطل ويلج ويمحك ويقول من
يقدر على احياء الميت بعد ما رمت عظامه ثم يكون خصامه في الزم وصف له والصقه به وهو كونه
منشأ من موات وهو ينكر انشاءه من موات وهي المكابرة التي لا مطمح وراءها وروي ان جماعة من
كفار قريش منهم ابي بن خلف الجمحي وابو جهل والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال
لهم ابي الا ترون الى ما يقول محمد ان الله يبعث الاموات ثم قال واللات والعزى لاصيرن اليه ولاخصمنه
واخذ عظما باليا فجعل يفته بيده وهو يقول يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما رم قال صلى الله عليه وسلم
نعم ويبعثك ويدخلك جهنم وقيل معنى قوله فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا
رجل مميز منطيق قادر على الخصام مبين معرب عما في نفسه فصيح كما قال او من ينشأ في الحلية
وهو في الخصام غير مبين فان قلت لم سمي قوله من يحيي العظام وهي رميم مثلا قلت لما دل عليه من
قصة عجيبة شبيهة بالمثل وهي انكار قدرة الله على احياء الموتى او لما فيه من التشبيه لان ما انكر من
قبيل ما يوصف الله بالقدرة عليه بدليل النشأة الاولى فاذا قيل من يحيي العظام على طريق الانكار
لان يكون ذلك مما يوصف الله تعالى بكونه قادرا عليه كان تعجيزا لله وتشبيها له بخلقه في انهم غير موصوفين
بالقدرة عليه والرميم اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرمة والرفات فلا يقال لم لم يؤنث وقد وقع

خبرا لمؤنث ولا هو فعيل بمعنى فاعل او مفعول ولقد استشهد بهذه الآية من يثبت الحيوة في العظام
ويقول ان عظام الميتة نجسة لان الموت يؤثر فيها من قبل ان الحيوة تحلها واما اصحاب ابي حنيفة
فهي عندهم طاهرة وكذلك الشعر والعصب ويزعمون ان الحيوة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت ويقولون
المراد باحياء العظام في الآية ردها الى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حي حساس وهو بكل خلق عليم
يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شيء من خلق المنشآت والمعادات ومن اجناسها وانواعها وجلائلها و
دقائقها • قل يحييها الذي انشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا
فاذا انتم منه توقدون • ثم ذكر من بدائع خلقه انقداح النار من الشجر الاخضر مع مضادة النار الماء
وانطفائها به وهي الزناد التي توري بها الاعراب واكثرها من المرخ والعفار وفي امثالهم في
كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان
يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهي انثى فتنقدح النار باذن الله وعن ابن عباس
ليس من شجرة الا وفيها النار الا العناب قالوا ولذلك تتخذ منه كذينقات القصارين الاخضر
على اللفظ وقرئ الخضراء على المعنى ونحوه قوله تعالى من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون
عليه من الحميم • اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم
من قدر على خلق السموات والارض مع عظم شانهما فهو على خلق الاناسي اقدر وفي معناه قوله لخلق
السموات والارض اكبر من خلق الناس وقرئ يقدر وقوله ان يخلق مثلهم يحتمل معنيين ان يخلق مثلهم في
الصغر والقماءة بالاضافة الى السموات والارض وان يعيدهم لان المعاد مثل المبتدأ وليس به
وهو الخلاق الكثير المخلوقات العليم الكثير المعلومات وقرئ الخالق • انما امره اذا اراد شيئا ان
يقول له كن فيكون • انما امره انما شانه اذا اراد شيئا اذا دعاه داعي حكمة الى تكوينه ولا صارف ان يقول
له كن ان يكونه من غير توقف فيكون فيحدث اي فهو كائن موجود لا محالة فان قلت ما حقيقة قوله
ان يقول له كن فيكون قلت هو مجاز من الكلام وتمثيل لانه لا يمتنع عليه شيء من المكونات وانه بمنزلة
المامور المطيع اذا ورد عليه امر الآمر المطاع فان قلت فما وجه القراءتين في فيكون قلت اما الرفع فلا

جملة من مبتدأ وخبر لان تقديرها فهو يكون معطوفة على مثلها وهي امره ان يقول له كن واما النصب
فللعطف على يقول والمعنى انه لا يجوز عليه شيء مما يجوز على الاجسام اذا فعلت شيئا مما تقدر عليه
من المباشرة بمحال القدرة واستعمال الالات وما يتبع ذلك من المشقة والتعب واللغوب انما امره
وهو القادر العالم لذاته ان يخلص داعيه الى الفعل فيتكون فمثله كيف يعجز عن مقدوره حتى يعجز
عن الاعادة • فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون • فسبحان تنزيه له مما وصفه به
المشركون وتعجيب من ان يقولوا فيه ما قالوا بيده ملكوت كل شيء هو مالك كل شيء والمتصرف فيه
بمواجب مشيئته وقضايا حكمته وقرئ ملكة كل شيء ومملكة كل شيء وملك كل شيء والمعنى واحد ترجعون
بضم التاء وفتحها وعن ابن عباس رض كنت لا اعلم ما روي في فضائل ياسين وقراءتها كيف خصت
بذلك فاذا انه لهذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء قلبا وان قلب القرآن ياسين من
قرأ ياسين يريد بها وجه الله غفر الله له واعطي من الاجر كانما قرأ القرآن اثنين وعشرين مرة و
ايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون
بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون
عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرأ ياسين مرة وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه
حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت
روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل
الجنة وهو ريان وقال عليه الصلوة والسلام ان في القرآن سورة يشفع قارئها ويغفر لمستمعها
الا وهي سورة يس

سورة الصافات مكية وهي مائة واحدى وثمانون وقيل واثنان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم • والصافات صفا فالزاجرات زجرا
فالتاليات ذكرا ان الهكم لواحد • اقسم سبحانه بطوائف الملائكة او بنفوسهم الصافات اقدامها
في الصلوة من قوله عز وجل وانا لنحن الصافون او اجنحتها في الهواء واقفة منتظرة لامر الله فالزاجرات
السحاب سوقا فالتاليات لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها وقيل الصافات الطير من قوله تعالى

والطير صافات والزاجرات كل ما زجر عن معاصي الله والتاليات كل من تلا كتاب الله ويجوز ان يقسم
بنفوس العلماء العمال الصافات اقدامها في التهجد وسائر الصلوات وصفوف الجماعات فالزاجرات
بالمواعظ والنصائح فالتاليات آيات الله والدارسات شرائعه او بنفوس قواد الغزاة في سبيل
الله التي تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك لا تشغلها عنه تلك الشواغل
كما يحكى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه فان قلت ما حكم الفاء اذا جاءت عاطفة في الصفات قلت اما
ان تدل على ترتب معانيها في الوجود كقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب كانه قيل
الذي صبح فغنم فآب واما على ترتبها في التفاوت من بعض الوجوه كقولك خذ الافضل فالاكمل و
اعمل الاحسن فالاجمل واما على ترتب موصوفاتها في ذلك كقوله رحم الله المحلقين فالمقصرين
فعلى هذه القوانين الثلثة تنساق امر الفاء العاطفة في الصفات فان قلت فعلى اي هذه
القوانين هي فيما انت بصدده قلت ان وحدت الموصوف كانت للدلالة على ترتب الصفات في
التفاضل وان ثلثته فهي للدلالة على ترتب الموصوفات فيه بيان ذلك انك اذا اجريت هذه
الاوصاف على الملائكة وجعلتهم جامعين لها فعطفها بالفاء يفيد ترتبا لها في الفضل اما ان يكون
الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة واما على العكس وكذلك ان اردت العلماء وقواد الغزاة
وان اجريت الصفة الاولى على طوائف والثانية والثالثة على اخر فقد افادت ترتب الموصوفات
في الفضل اعني ان الطوائف الصافات ذوات فضل والزاجرات افضل والتاليات ابهر فضلا
او على العكس وكذلك اذا اردت بالصافات الطير وبالزاجرات كل ما يزجر عن معصية وبالتاليات
كل نفس تتلو الذكر فان الموصوفات مختلفة وقرئ بادغام التاء في الصاد والزاء والذال •
رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق • رب السموات خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف
والمشارق ثلثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب تشرق الشمس كل يوم في مشرق منها وتغرب في مغرب
ولا تطلع ولا تغرب في واحد والسنة ومغربيهما • انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من
كل شيطان مارد • الدنيا القربى منكم والزينة مصدر كالنسبة واسم لما يزان به الشيء كالليقة اسم

لما تلاق به الدواة ويحتملهما قوله بزينة الكواكب فإن أردت المصدر فعلى إضافته إلى الفاعل أي
بأن زانتها الكواكب وأصله بزينةٍ الكواكبُ وعلى إضافته إلى المفعول أي بأن زان الله الكواكب
وحسّنها لأنها إنما زيّنت السماء لحسنها في أنفسها وأصله بزينةٍ الكواكبَ وهي قراءة أبي بكر و
الأعمش وابن وثاب وإن أردت الاسم فللإضافة وجهان أن تقع الكواكب بيانا للزينة لأن
الزينة مبهمة في الكواكب وغيرها مما يزان به وأن يراد ما زيّنت به الكواكب وجاء عن ابن عباس
بزينة الكواكب بضوء الكواكب ويجوز أن يراد أشكالها المختلفة كشكل الثريا وبنات نعش و
الجوزاء وغير ذلك ومطالعها ومسايرها وقرئ على هذا المعنى بزينةٍ الكواكبِ بتنوين زينة وجر
الكواكب على الإبدال ويجوز في نصب الكواكب أن يكون بدلا من محل بزينة وحفظا مما حمل على
المعنى لأن المعنى إنا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من الشياطين كما قال ولقد زينا السماء
الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ويجوز أن يقدر الفعل المعلل كأنه قيل وحفظا من كل
شيطان زيناها بالكواكب وقيل وحفظناها حفظا والمارد الخارج من الطاعة المتملس منها لا
يسّمّعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب إلا من خطف الخطفة
فأتبعه شهاب ثاقب فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا إنا خلقناهم من طين لازب الضمير في
لا يسّمّعون لكل شيطان مارد لأنه في معنى الشياطين وقرئ بالتخفيف والتشديد وأصله
يتسمّعون والتسمع تطلب السماع يقال تسمّع فسمع أو فلم يسمع وعن ابن عباس هم يتسمعون ولا يسمعون
وبهذا ينصر التخفيف على التشديد فإن قلت لا يسمعون كيف اتصل بما قبله قلت لا يخلو من أن
يتصل بما قبله على أن يكون صفة لكل شيطان أو استئنافا فلا تصح الصفة لأن الحفظ من شياطين لا
يسمعون ولا يتسمعون لا معنى له وكذلك الاستئناف لأن سائلا لو سأل لم تحفظ من الشياطين
فأجيب بأنهم لا يسمعون لم يستقم فبقي أن يكون كلاما منقطعا مبتدأ اقتصاصا لما عليه حال المسترقة
للسمع وأنهم لا يقدرون أن يسمعوا إلى كلام الملائكة أو يتسمعوا وهم مقذوفون بالشهب مدحورون
عن ذلك إلا من أمهل حتى خطف خطفة واسترق استراقة فعندها تعاجله الهلكة باتباع

الشهاب الثاقب فإن قلت هل يصح قول من زعم أن أصله لئلا يسمعوا فحذفت اللام كما حذفت
في قولك جئتك أن تكرمني فبقي أن لا يسمعوا فحذفت أن وأهدر عملها كما في قول القائل ألا
أيهذا الزاجري أحضر الوغى قلت كل واحد من هذين الحذفين غير مردود على انفراده
فأما اجتماعهما فمنكر من المنكرات على أن صون القرآن عن مثل هذا التعسف واجب فإن قلت
أي فرق بين سمعت فلانا يتحدث وسمعت إليه يتحدث وسمعت حديثه وإلى حديثه قلت
المعدى بنفسه يفيد الإدراك والمعدى بإلى يفيد الإصغاء مع الإدراك والملأ الأعلى الملائكة
لأنهم يسكنون السموات والإنس والجن هم الملأ الأسفل لأنهم سكان الأرض وعن ابن عباس هم
الكتبة من الملائكة وعنه أشراف الملائكة من كل جانب من جميع جوانب السماء من أي جهة
صعدوا للاستراق دحورا مفعول له أي ويقذفون للدحور وهو الطرد أو مدحورين على الحال أو
لأن القذف والطرد متقاربان في المعنى فكأنه قيل يدحرون أو قذفا وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي
بفتح الدال على قذفا دحورا طرودا أو على أنه جاء مجيء القبول والولوع والواصب الدائم وصب
الأمر وصوبا يعني أنهم في الدنيا مرجومون بالشهب وقد أعد لهم في الآخرة نوع من العذاب دائم
غير منقطع من في محل الرفع بدل من الواو في لا يسمعون أي لا يسمع الشياطين إلا الشيطان الذي
خطف الخطفة وقرئ خِطِّف بكسر الخاء والطاء وتشديدها وخَطِّف بفتح الخاء وكسر الطاء و
تشديدها وأصلهما اختطف وقرئ فاتّبعه وفأتبعه الهمزة فإن خرجت إلى معنى التقرير فهي
بمعنى الاستفهام في أصلها فلذلك قيل فاستفتهم أي استخبرهم أهم أشد خلقا ولم يقل فقررهم و
الضمير لمشركي مكة وقيل نزلت في أبي الأشد بن كلدة وكني بذلك لشدة بطشه وقوته أم من
خلقنا يريد ما ذكر من خلائقه من الملائكة والسموات والأرض والمشارق والكواكب والشهب
الثواقب والشياطين المردة وغلب أولي العقل على غيرهم فقال من خلقنا والدليل عليه قوله بعد عد
هذه الأشياء فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا بالفاء المعقبة وقوله أم من خلقنا مطلقا
من غير تقييد بالبيان اكتفاء ببيان ما تقدمه كأنه قال خلقنا كذا وكذا من عجائب الخلق وبدائعه

فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا من ذلك ويقطع به قراءة من قرأ أم من عددنا بالتخفيف
والتشديد وأشد خلقا يحتمل أقوى خلقا من قولهم شديد الخلق وفي خلقه شدة وأصعب
خلقا وأشقه على معنى الرد لإنكارهم البعث والنشأة الأخرى وأن من هان عليه خلق
هذه الخلائق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه أهون وخلقهم من
طين لازب إما شهادة عليهم بالضعف والرخاوة لأن ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة
والقوة أو احتجاج عليهم بأن الطين اللازب الذي خلقوا منه تراب فمن أين استنكروا أن يخلقوا
من تراب مثله حيث قالوا أئذا كنا ترابا وهذا المعنى يعضده ما يتلوه من ذكر إنكارهم البعث وقيل
من خلقنا من الأمم الماضية وليس هذا القول بملائم وقرئ لازم ولاتب والمعنى واحد واللاتب
الشديد الإلصاق بل عجبت ويسخرون وإذا ذكروا لا يذكرون وإذا رأوا آية يستسخرون
وقالوا إن هذا إلا سحر مبين • بل عجبت من قدرة الله على هذه الخلائق العظيمة وهم يسخرون
منك ومن تعجبك ومما تريهم من آثار قدرة الله أو من إنكارهم البعث وهم يسخرون من أمر البعث
وقرئ بضم التاء أي بلغ من عظم آياتي وكثرة خلائقي أني عجبت منها فكيف بعبادي وهؤلاء بجهلهم
وعنادهم يسخرون من آياتي أو عجبت من أن ينكروا البعث ممن هذه أفعاله وهم يسخرون
ممن يصف الله بالقدرة عليه فإن قلت كيف يجوز العجب على الله وإنما هو روعة تعتري الإنسان
عند استعظامه الشيء والله عز وجل لا يجوز عليه الروعة قلت فيه وجهان أحدهما أن يجرد العجب
لمعنى الاستعظام والثاني أن يتخيل العجب ويفرض وقد جاء في الحديث عجب ربكم من ألّكم وقنوطكم
وسرعة إجابته إياكم وكان شريح يقرأ بالفتح ويقول إن الله لا يعجب من شيء وإنما يعجب من لا يعلم
فقال إبراهيم النخعي إن شريحا كان يعجبه علمه وعبد الله أعلم يريد عبد الله بن مسعود وكان
يقرأ بالضم وقيل معناه قل يا محمد بل عجبت وإذا ذكروا ودأبهم أنهم إذا وعظوا بشيء لا يتعظون
به وإذا رأوا آية من آيات الله البينة كانشقاق القمر ونحوه يستسخرون يبالغون في السخرية أو
يستدعي بعضهم من بعض أن يسخر منها • أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أوآباؤنا

الأولون قل نعم وأنتم داخرون • وآباؤنا معطوف على محل إن واسمها أو على الضمير في مبعوثون
والذي جوّز العطف عليه الفصل بهمزة الاستفهام والمعنى أيبعث أيضا آباؤنا على زيادة الاستبعاد
يعنون أنهم أقدم فبعثهم أبعد وأبطل وقرئ أوآباؤنا قل نعم وقرئ نعِم بكسر العين وهما لغتان
وقرئ قال نعم أي الله أو الرسول والمعنى نعم تبعثون وأنتم داخرون صاغرون • فإنما هي زجرة
واحدة فإذا هم ينظرون • فإنما جواب شرط مقدر تقديره إذا كان ذلك فما هي إلا زجرة واحدة
وهي لا ترجع إلى شيء إنما هي مبهمة موضحها خبرها ويجوز فإنما البعثة زجرة واحدة وهي النفخة
الثانية والزجرة الصيحة من قولك زجر الراعي الإبل أو الغنم إذا صاح عليها فريعت لصوته و
منه قوله زجر أبي عروة السباع إذا أشفق أن يختلطن بالغنم يريد تصويته بها فإذا هم أحياء
بصراء ينظرون • وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون •
يحتمل أن يكون هذا يوم الدين إلى قوله احشروا من كلام الكفرة بعضهم مع بعض وأن يكون من
كلام الملائكة لهم وأن يكون يا ويلنا هذا يوم الدين كلام الكفرة وهذا يوم الفصل من كلام
الملائكة جوابا لهم ويوم الدين اليوم الذي ندان فيه أي نجازى بأعمالنا ويوم الفصل يوم القضاء
والفرق بين فرق الهدى والضلالة • احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون
من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم • احشروا خطاب الله للملائكة أو خطاب بعضهم مع بعض
وأزواجهم وضرباءهم عن النبي صلى الله عليه وسلم وهم نظراؤهم وأشباههم من العصاة أهل
الزنا مع أهل الزنا وأهل السرقة مع أهل السرقة وقيل قرناؤهم من الشياطين وقيل نساؤهم اللاتي
على دينهم فاهدوهم فعرّفوهم طريق النار حتى يسلكوها • وقفوهم إنهم مسؤولون ما لكم لا تناصرون
بل هم اليوم مستسلمون • هذا تهكم بهم وتوبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعدما كانوا على خلاف ذلك في الدنيا
متعاضدين متناصرين بل هم اليوم مستسلمون قد أسلم بعضهم بعضا وخذله فكلهم مستسلم غير منتصر و
قرئ لا تتناصرون ولا تناصرون بالإدغام • وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا إنكم
كنتم تأتوننا عن اليمين • اليمين لما كانت أشرف العضوين وأمتنهما وكانوا يتيمنون بها فبها

يصافحون ويماسحون ويناولون ويزاولون اكثر الامور ويتشاءمون بالشمال ولذلك سموها
الشؤمى كما سموا اختها اليمنى وتيمنوا بالسانح وتطيروا بالبارح وكان الاعسر معيبا عندهم
وعضدت الشريعة ذلك فامرت بمباشرة افاضل الامور باليمين واراذلها بالشمال وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التيامن في كل شيء وجعلت اليمين لكاتب الحسنات والشمال
لكاتب السيئات ووعد المحسن ان يؤتى كتابه بيمينه والمسيء ان يؤتاه بشماله استعيرت لجهة
الخير وجانبه فقيل اتاه عن اليمين اي من قبل الخير وناحيته فصده عنه واضله وجاء في بعض
التفاسير من اتاه الشيطان من جهة اليمين اتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق ومن اتاه من جهة
الشمال اتاه من قبل الشهوات ومن اتاه من بين يديه اتاه من قبل التكذيب بالقيمة وبالثواب و
العقاب ومن اتاه من خلفه خوفه الفقر على نفسه وعلى من يخلف بعده فلم يصل رحما ولم يؤد زكوة
فان قلت قولهم اتاه من جهة الخير وناحيته مجاز في نفسه فكيف جعلت اليمين مجازا من المجاز قلت
من المجاز ما غلب في الاستعمال حتى لحق بالحقائق وهذا من ذاك ولك ان تجعلها مستعارة للقوة و
القهر لان اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع البطش والمعنى انكم كنتم تأتوننا عن القوة والقهر و
تقصدوننا عن السلطان والغلبة حتى تحملونا على الضلال وتقسرونا عليه وهذا من خطاب الاتباع
لرؤسائهم والغواة لشياطينهم • قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم
قوما طاغين فحق علينا قول ربنا انا لذائقون • بل لم تكونوا مؤمنين بل ابيتم انتم الايمان واعرضتم
عنه مع تمكنكم منه مختارين له على الكفر غير ملجئين اليه وما كان لنا عليكم من تسلط نسلبكم به تمكنكم
واختياركم بل كنتم قوما مختارين الطغيان فحق علينا فلزمنا قول ربنا انا لذائقون يعني وعيد
الله بانا ذائقون لعذابه لا محالة لعلمه بحالنا واستحقاقنا بها العقوبة ولو حكى الوعيد كما
هو لقال انكم لذائقون ولكنه عدل به الى لفظ المتكلم لانهم متكلمون بذلك عن انفسهم ونحوه قول القائل
لقد زعمت هوازن قل مالي • ولو حكى قولها لقال قل مالك • ومنه قول المحلف للحالف احلف لاخرجن
ولتخرجن الهمزة لحكاية لفظ الحالف والتاء لاقبال المحلف على المحلف • فاغويناكم انا كنا غاوين

فانهم يومئذ في العذاب مشتركون انا كذلك نفعل بالمجرمين • فاغويناكم فدعوناكم الى الغي دعوة
محصلة للبغية لقبولكم لها واستحبابكم الغي على الرشد انا كنا غاوين فاردنا اغواءكم لتكونوا
امثالنا فانهم فان الاتباع والمتبوعين جميعا يومئذ يوم القيمة مشتركون في العذاب كما كانوا
مشتركين في الغواية انا مثل ذلك الفعل نفعل بكل مجرم يعني ان سبب العقوبة هو الاجرام فمن
ارتكبه استوجبه • انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا
لشاعر مجنون • انهم كانوا اذا سمعوا بكلمة التوحيد نفروا واستكبروا عنها وابوا الا الشرك
لشاعر مجنون يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم • بل جاء بالحق وصدق المرسلين انكم لذائقوا العذاب
الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا عباد الله المخلصين • بل جاء بالحق رد على المشركين وصدق
المرسلين كقوله مصدقا لما بين يديه وقرئ لذائقوا العذاب بالنصب على تقدير النون كقوله ولا
ذاكر الله الا قليلا بتقدير التنوين وقرئ على الاصل لذائقون العذاب الا ما كنتم تعملون الا مثل
ما عملتم جزاء سيئا بعمل سيئ الا عباد الله ولكن عباد الله على الاستثناء المنقطع • اولئك لهم رزق
معلوم فواكه وهم مكرمون في جنات النعيم • فسر الرزق المعلوم بالفواكه وهي كل ما يتلذذ به ولا
يتقوت لحفظ الصحة يعني ان رزقهم كله فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات بانهم
اجسام محكمة مخلوقة للابد فكل ما يأكلونه يأكلونه على سبيل التلذذ ويجوز ان يراد رزق
معلوم منعوت بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر وقيل معلوم الوقت
كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وعن قتادة الرزق المعلوم الجنة وقوله في جنات يأباه وقوله
وهم مكرمون هو الذي يقوله العلماء في حد الثواب على سبيل المدح والتعظيم وهو من اعظم ما يجب
ان تتوق اليه نفوس ذوي الهمم كما ان من اعظم ما يجب ان تنفر عنه نفوسهم هوان اهل النار و
صغارهم • على سرر متقابلين يطاف عليهم بكأس من معين • التقابل اتم للسرور وآنس وقيل لا
ينظر بعضهم الى قفا بعض يقال للزجاجة فيها الخمر كأس وتسمى الخمر نفسها كأسا قال • وكأس شربت
على لذة • وعن الاخفش كل كأس في القرآن فهي الخمر وكذا في تفسير ابن عباس من معين من شراب معين

او من نهر معين وهو الجاري على وجه الارض الظاهر للعيون وصف بما يوصف به الماء لانه يجري
في الجنة في انهار كما يجري الماء قال الله تعالى وانهار من خمر لذة للشاربين • بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول
ولا هم عنها ينزفون • بيضاء صفة للكاس لذة اما ان توصف باللذة كانها نفس اللذة وعينها او هي
تانيث اللذ يقال لذ الشيء فهو لذ ولذيذ ووزنه فعل كقولك رجل طب قال • ولذ كطعم الصرخدي
تركته بارض العدى من خشية الحدثان • يريد النوم الغول من غاله يغوله غولا اذا اهلكه وافسده
ومنه الغول التي كانت في تكاذيب العرب وفي امثالهم الغضب غول الحلم وينزفون على البناء للمفعول
من نزف الشارب اذا ذهب عقله ويقال للسكران نزيف ومنزوف ويقال للمطعون نزف
فمات اذا خرج دمه كله ونزحت الركية حتى نزفتها اذا لم تترك فيها ماء وفي امثالهم اجبن من
المنزوف ضرطا وقرئ ينزفون من انزف الشارب اذا ذهب عقله او شرابه قال • لعمري لئن انزفتم
او صحوتم لبئس الندامى كنتم آل ابجرا • ومعناه صار ذا نزف ونظيره اقشع السحاب وقشعته الريح
واكب الرجل وكببته وحقيقتهما دخلا في القشع والكب وفي قراءة طلحة بن مصرف ينزفون بضم
الزاء من نزف ينزف كقرب يقرب اذا سكر والمعنى لا فيها فساد قط من انواع الفساد التي تكون في
شرب الخمر من مغص وصداع او خمار او عربدة او لغو وتاثيم او غير ذلك ولا هم يسكرون وهو اعظم
مفاسدها فافرده وافرده بالذكر • وعندهم قاصرات الطرف عين كانهن بيض مكنون • قاصرات
الطرف قصرن ابصارهن على ازواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم كقوله تعالى عربا والعين النجل
العيون شبههن ببيض النعام المكنون في الاداحي وبها تشبه العرب النساء وتسميهن بيضات
الخدور • فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم اني كان لي قرين يقول ائنك لمن
المصدقين ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون • فان قلت علام عطف قوله فاقبل بعضهم
على بعض قلت على يطاف عليهم والمعنى يشربون فيتحادثون على الشراب كعادة الشرب قال •
وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام • فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى
لهم وعليهم في الدنيا الا انه جيء به ماضيا على عادة الله في اخباره وقرئ مصدقين من التصديق و

المصدقين مشدد الصاد من التصدق وقيل نزلت في رجل تصدق بماله لوجه الله فاحتاج فاستجدى
بعض اخوانه فقال واين مالك قال تصدقت به ليعوضني الله في الآخرة خيرا منه فقال ائنك لمن
المصدقين بيوم الدين او من المتصدقين لطلب الثواب والله لا اعطيك شيئا لمدينون لمجزيون
من الدين وهو الجزاء او لمسوسون مربوبون يقال دانه ساسه ومنه الحديث العاقل من دان نفسه •
قال هل انتم مطلعون فاطلع فرآه في سواء الجحيم • قال يعني ذلك القائل هل انتم مطلعون الى النار
لاريكم ذلك القرين قيل ان في الجنة كوى ينظر اهلها منها الى اهل النار وقيل القائل هو الله عز وجل
وقيل بعض الملائكة يقول لاهل الجنة هل تحبون ان تطلعوا فتعلموا اين منزلتكم من منزلة اهل النار
وقرئ مطلعون فاطلع وفاطلع بالتشديد على لفظ الماضي والمضارع المنصوب ومطلعون فاطلع
وفاطلع بالتخفيف على لفظ الماضي والمضارع المنصوب يقال طلع علينا فلان واطلع واطلع بمعنى واحد
والمعنى هل انتم مطلعون الى القرين فاطلع انا ايضا او عرض عليهم الاطلاع فاعترضوه فاطلع هو
بعد ذلك وان جعلت الاطلاع من اطلعه غيره فالمعنى انه لما شرط في اطلاعه اطلاعهم وهو
من آداب المجالسة ان لا يستبد بشيء دون جلسائه فكانهم مطلعوه وقيل الخطاب على هذا للملائكة
وقرئ مطلعون بكسر النون اراد مطلعون اياي فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون
الخير والآمرونه او شبه اسم الفاعل في ذلك بالمضارع لتآخ بينهما كانه قال تطلعون وهو ضعيف لا
يقع الا في الشعر في سواء الجحيم في وسطها يقال تعبت حتى انقطع سوائي وعن ابي عبيدة قال لي عيسى بن
عمر كنت اكتب يا ابا عبيدة حتى ينقطع سوائي • قال تالله ان كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت
من المحضرين • ان مخففة من الثقيلة وهي تدخل على كاد كما تدخل على كان ونحوه ان كاد ليضلنا و
اللام هي الفارقة بينها وبين النافية والارداء الاهلاك وفي قراءة عبد الله لتغوين نعمة ربي
هي العصمة والتوفيق في الاستمساك بعروة الاسلام والبراءة من قرين السوء وانعام الله بالثواب و
كونه من اهل الجنة من المحضرين من الذين احضروا العذاب كما احضرته انت وامثالك • افما نحن
بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين ان هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون •

الذى عطفت عليه الفاء محذوف معناه أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا معذبين و
قرئ بمائتين والمعنى أن هذه حال المؤمنين وصفتهم وما قضى الله به لهم للعلم بأعمالهم أن لا
يذوقوا إلا الموتة الأولى بخلاف الكفار فإنهم فيما يتمنون فيه الموت كل ساعة وقيل لبعض الحكماء
ما شر من الموت قال الذى يتمنى فيه الموت يقوله المؤمن تحدثا بنعمة الله واغتباطا بحاله وبمسمع
من قرينه ليكون توبيخا له يزيد به تعذيبا وليحكيه الله فيكون لنا لطفا وزاجرا ويجوز أن يكون
قولهم جميعا وكذلك قوله إن هذا لهو الفوز العظيم أى إن هذا الأمر الذى نحن فيه وقيل هو من قول
الله عز وجل تقريرا لقولهم وتصديقا له وقرئ لهو الرزق العظيم وهو ما رزقوه من السعادة وتمت
قصة المؤمن وقرينه ثم رجع إلى ذكر الرزق المعلوم فقال • أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم إنا
جعلناها فتنة للظالمين إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم طلعها كأنه رءوس الشياطين • ذلك الرزق
خير نزلا أى خير حاصلا أم شجرة الزقوم وأصل النزل الفضل والريع فى الطعام يقال طعام كثير النزل
فاستعير للحاصل من الشىء وحاصل الرزق المعلوم اللذة والسرور وحاصل شجرة الزقوم الألم والغم
وانتصاب نزلا على التمييز ولك أن تجعله حالا كما تقول أثمر النخلة خير بلحا أم رطبا يعنى أن الرزق
المعلوم نزل أهل الجنة وأهل النار نزلهم شجرة الزقوم فأيهما خير فى كونه نزلا والنزل ما يقام
للنازل بالمكان من الرزق ومنه أنزال الجند لأرزاقهم كما يقال لما يقام لساكن الدار السكن
ومعنى الأول أن للرزق المعلوم نزلا ولشجرة الزقوم نزلا فأيهما خير نزلا ومعلوم أنه لا خير فى
شجرة الزقوم ولكن المؤمنين لما اختاروا ما أدى إلى الرزق المعلوم واختار الكافرون ما أدى إلى
شجرة الزقوم قيل لهم ذلك توبيخا على سوء اختيارهم فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم فى الآخرة وابتلاء
لهم فى الدنيا وذلك أنهم قالوا كيف يكون فى النار شجرة والنار تحرق الشجر فكذبوا وقرئ نابتة فى أصل
الجحيم قيل منبتها فى قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتها والطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة
الزقوم من حملها إما استعارة لفظية أو معنوية وشبه برءوس الشياطين دلالة على تناهيه فى
الكراهة وقبح المنظر لأن الشيطان مكروه مستقبح فى طباع الناس لاعتقادهم أنه شر محض لا يخلطه

خير فيقولون فى القبيح الصورة كأنه وجه شيطان كأنه رأس شيطان وإذا صوره المصورون جاؤوا
بصورته على أقبح ما يقدر وأهوله كما أنهم اعتقدوا فى الملك أنه خير محض لا شر فيه فشبهوا به الصورة
الحسنة قال الله تعالى ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم وهذا تشبيه تخييلى وقيل الشيطان حية
عرفاء لها صورة قبيحة المنظر هائلة جدا وقيل إن شجرا يقال له الأستن خشنا منتنا مرا منكر
الصورة يسمى ثمره رءوس الشياطين وما سمت العرب هذا الثمر برءوس الشياطين إلا قصدا إلى أحد
التشبيهين ولكنه بعد التسمية بذلك رجع أصلا ثالثا يشبه به منها من الشجرة أى من طلعها • فإنهم
لآكلون منها فمالئون منها البطون ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم • فمالئون بطونهم
لما يغلبهم من الجوع الشديد أو يقسرون على أكلها وإن كرهوها ليكون بابا من العذاب فإذا شبعوا
غلبهم العطش فيسقون شرابا من غساق أو صديد شوبه أى مزاجه من حميم يشوى وجوههم ويقطع
أمعاءهم كما قال فى صفة شراب أهل الجنة ومزاجه من تسنيم وقرئ لشوبا بالضم وهو اسم ما يشاب
به والأول تسمية بالمصدر فإن قلت ما معنى حرف التراخى فى قوله ثم إن لهم عليها لشوبا وفى قوله ثم إن
مرجعهم قلت فى الأول وجهان أحدهما أنهم يملؤون البطون من شجر الزقوم وهو حار يحرق بطونهم
ويعطشهم فلا يسقون إلا بعد ملى تعذيبا بذلك العطش ثم يسقون ما هو أحر وهو الشراب
المشوب بالحميم والثانى أنه ذكر الطعام بتلك الكراهة والبشاعة ثم ذكر الشراب بما هو أكره وأبشع
فجاء بثم للدلالة على تراخى حال الشراب عن حال الطعام ومباينة صفته لصفته فى الزيادة عليه ومعنى
الثانى أنهم يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم فى الجحيم وهى الدركات التى أسكنوها إلى شجرة الزقوم
فيأكلون إلى أن يتملؤوا ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون إلى دركاتهم ومعنى التراخى فى ذلك بين و
قرئ ثم إن منقلبهم ثم إن مصيرهم ثم إن منفذهم إلى الجحيم • إنهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم
يهرعون • علل استحقاقهم للوقوع فى تلك الشدائد كلها بتقليد الآباء فى الدين واتباعهم إياهم على
الضلال وترك اتباع الدليل والإهراع الإسراع الشديد كأنهم يحثون حثا وقيل إسراع فيه شبه
بالرعدة • ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين ولقد أرسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين

الا عباد الله المخلصين • ولقد ضل قبلهم قبل قومك قريش منذرين انبياء حذروهم العواقب
المنذرين الذين انذروا وحذروا اى اهلكوا جميعا الا عباد الله الذين آمنوا منهم واخلصوا
دينهم لله او اخلصهم الله لدينه على القراءتين • ولقد نادينا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه واهله
من الكرب العظيم وجعلنا ذريته هم الباقين • لما ذكر ارسال المنذرين فى الامم الخالية وسوء
عاقبة المنذرين اتبع ذلك ذكر نوح ودعائه اياه حين ايس من قومه واللام الداخلة على
نعم جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف وتقديره فوالله لنعم المجيبون نحن والجمع
دليل العظمة والكبرياء والمعنى انا اجبناه احسن الاجابة واوصلها الى مراده وبغيته من
نصرته على اعدائه والانتقام منهم بابلغ ما يكون هم الباقين هم الذين بقوا وحدهم وقد فنى
غيرهم فقد روى انه مات كل من كان معه فى السفينة غير ولده اوهم الذين بقوا متناسلين الى
يوم القيمة قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح وكان لنوح عليه السلام ثلثة اولاد سام وحام
ويافث فسام ابو العرب وفارس والروم وحام ابو السودان من المشرق الى المغرب ويافث
ابو الترك ويأجوج ومأجوج • وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح فى العالمين انا كذلك نجزى
المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ثم اغرقنا الآخرين • وتركنا عليه فى الآخرين من الامم هذه الكلمة
وهى سلام على نوح يعنى يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكى كقولك قرأت سورة
انزلناها فان قلت فما معنى قوله فى العالمين قلت معناه الدعاء بثبوت هذه التحية فيهم جميعا وان
لا يخلو احد منهم منها كانه قيل ثبت الله التسليم على نوح وادامه فى الملائكة والثقلين يسلمون عليه عن
آخرهم علل مجازاة نوح عليه السلم بتلك التكرمة السنية من تبقية ذكره وتسليم العالمين عليه الى
آخر الدهر بانه كان محسنا ثم علل كونه محسنا بانه كان عبدا مؤمنا ليريك جلالة محل الايمان وانه
القصارى من صفات المدح والتعظيم ويرغبك فى تحصيله والازدياد منه • وان من شيعته لابرهيم
اذ جاء ربه بقلب سليم • من شيعته ممن شايعه على اصول الدين وان اختلفت شرائعهما او شايعه على
التصلب فى دين الله ومصابرة المكذبين ويجوز ان يكون بين شريعتيهما اتفاق فى اكثر الاشياء وعن ابن

عباس من اهل دينه وعلى سنته وما كان بين نوح وابرهيم الا نبيان هود وصالح وكان بين نوح وابرهيم
الفان وستمائة واربعون سنة فان قلت بم تعلق الظرف قلت بما فى الشيعة من معنى المشايعة يعنى
وان ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه بقلب سليم لابرهيم او بمحذوف وهو اذكر بقلب سليم
من جميع آفات القلوب وقيل من الشرك ولا معنى للتخصيص لانه مطلق فليس بعض الآفات اولى من بعض
فيتناولها كلها فان قلت ما معنى المجىء بقلبه ربه قلت معناه انه اخلص لله قلبه وعرف ذلك منه فضرب المجىء
مثلا لذلك • اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون ائفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين
افكا مفعول له تقديره اتريدون آلهة من دون الله افكا وانما قدم المفعول على الفعل للعناية
وقدم المفعول له على المفعول به لانه كان الاهم عنده ان يكافحهم بانهم على افك وباطل فى شركهم و
يجوز ان يكون افكا مفعولا به يعنى اتريدون افكا ثم فسر الافك بقوله آلهة من دون الله على انها
افك فى انفسها ويجوز ان يكون حالا بمعنى اتريدون من دون الله آفكين فما ظنكم بمن هو الحقيق
بالعبادة لان من كان ربا للعالمين استحق عليهم ان يعبدوه حتى تركتم عبادته الى عبادة الاصنام
والمعنى انه لا يقدر فى وهم ولا ظن ما يصد عن عبادته او فما ظنكم به اى شئ هو من الاشياء حتى
جعلتم الاصنام له اندادا او فما ظنكم ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره • فنظر نظرة فى
النجوم فقال انى سقيم فتولوا عنه مدبرين • فى النجوم فى علم النجوم او فى كتابها او فى احكامها وعن
بعض الملوك انه سئل عن مشتهاه فقال حبيب انظر اليه ومحتاج انظر له وكتاب انظر فيه
كان القوم نجامين فاوهمهم انه استدل بامارة فى علم النجوم على انه يسقم فقال انى سقيم انى مشارف
للسقم وهو الطاعون وكان اغلب الاسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا
منه الى عيدهم وتركوه فى بيت الاصنام ليس معه احد ففعل بالاصنام ما فعل فان قلت كيف جاز له
ان يكذب قلت قد جوزه بعض الناس فى المكيدة فى الحرب والتقية وارضاء الزوج والصلح بين المتخاصمين
والمتهاجرين والصحيح ان الكذب حرام الا اذا عرض وورى والذى قاله ابرهيم صلوات الله عليه
معراض من الكلام ولقد نوى به ان من فى عنقه الموت سقيم ومنه المثل كفى بالسلامة داء

وقول لبيد • فدعوت ربي بالسلامة جاهدًا ليصحني فاذا السلامة داء • وقد مات رجل
فجأة فالتف عليه الناس وقالوا مات وهو صحيح فقال اعرابي أصحيح من الموت في عنقه وقيل
اراد اني سقيم النفس لكفركم • فراغ الى آلهتهم فقال الا تأكلون ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا
باليمين • فراغ الى آلهتهم فذهب اليها في خفية من روغة الثعلب الى آلهتهم الى اصنامهم التي
هي في زعمهم آلهة كقوله اين شركائي الا تأكلون ما لكم لا تنطقون استهزاء بها وبانحطاطها
عن حال عبدتها فراغ عليهم فاقبل عليهم مستخفيا كأنه قال فضربهم ضربا لان راغ عليهم بمعنى
ضربهم او فراغ عليهم يضربهم ضربا او فراغ عليهم ضربا بمعنى ضاربا وقرئ صفقا وسفقا و
معناهما الضرب ومعنى ضربا باليمين ضربا شديدا قويا لان اليمين اقوى الجارحتين واشدهما
وقيل بالقوة والمتانة وقيل بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم • فاقبلوا اليه
يزفون قال اتعبدون ما تنحتون • يزفون يسرعون من زفيف النعام ويزفون من ازف
اذا دخل في الزفيف او من ازفه اذا حمله على الزفيف اي يزف بعضهم بعضا ويزفون على
البناء للمفعول اي يحملون على الزفيف ويزفون من وزف يزف اذا اسرع ويزفون من
زفاه اذا حداه كان بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه فان قلت بين هذا وبين قوله
تعالى قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم كا
كالتناقض حيث ذكر ههنا انهم ادبروا عنه خيفة العدوى فلما ابصروه يكسرهم اقبلوا
اليه متبادرين ليكفوه ويوقعوا به وذكر ثم انهم سألوا عن الكاسر حتى قيل لهم سمعنا ابرهيم
يذمهم فلعله هو الكاسر ففي احدهما انهم شاهدوه يكسرها وفي الآخر انهم استدلوا بذمه على
انه الكاسر قلت فيه وجهان احدهما ان يكون الذين ابصروه وزفوا اليه نفرا منهم دون جمهورهم
وكبرائهم فلما رجع الجمهور والعلية من عيدهم الى بيت الاصنام ليأكلوا الطعام الذي
وضعوه عندها لتبرك عليه ورأوها مكسورة اشمأزوا من ذلك وسألوا من فعل هذا
بها ثم لم ينم عليه اولئك النفر نميمة صريحة ولكن على سبيل التعريض بقولهم

سمعنا فتى يذكرهم لبعض الصوارف والثاني ان يكسرها ويذهب ولا يشعر بذلك احد ويكون
اقبالهم اليه يزفون بعد رجوعهم عن عيدهم وسؤالهم عن الكاسر وقولهم قالوا فأتوا به على اعين
الناس • والله خلقكم وما تعملون • والله خلقكم وما تعملون يعني خلقكم وخلق ما تعملونه من الاصنام
كقوله بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن اي فطر الاصنام فان قلت كيف يكون الشيء
الواحد مخلوقا لله معمولا لهم حيث اوقع خلقه وعملهم عليها جميعا قلت هذا كما يقال عمل النجار
الباب والكرسي وعمل الصائغ السوار والخلخال والمراد عمل اشكال هذه الاشياء وصورها
دون جواهرها والاصنام جواهر واشكال فخالق جواهرها الله وعاملوا اشكالها الذين
يشكلونها بنحتهم وحذفهم بعض اجزائها حتى يستوي التشكيل الذي يريدونه فان قلت فما
انكرت ان تكون ما مصدرية لا موصولة ويكون المعنى والله خلقكم وعملكم كما تقول المجبرة قلت
اقرب ما يبطل به هذا السؤال بعد بطلانه بحجج العقل والكتاب ان معنى الآية يأباه اباء جليا وينبو
عنه نبوا ظاهرا وذلك ان الله عز وجل قد احتج عليهم بان العابد والمعبود جميعا خلق الله فكيف
يعبد المخلوق المخلوق على ان العابد منهما هو الذي عمل صورة المعبود وشكله ولولاه لما قدر
ان يصور نفسه ويشكلها ولو قلت والله خلقكم وخلق عملكم لم يكن محتجا عليهم ولا كان لكلامك
طباق وشيء آخر وهو ان قوله ما تعملون ترجمة عن قوله ما تنحتون وما في ما تنحتون موصولة لا
مقال فيها فلا يعدل بها عن اختها الا متعسف متعصب لمذهبه من غير نظر في علم البيان ولا
تبصر لنظم القرآن فان قلت اجعلها موصولة حتى لا يلزمني ما الزمت واريد وما تعملونه من اعمالكم
قلت بل الالزامان في عنقكم لا يفككما الا الاذعان للحق وذلك انك وان جعلتها موصولة فانك
في ارادتك بها العمل غير محتج على المشركين كحالك وقد جعلتها مصدرية وايضا فانك قاطع بذلك
الوصلة بين ما تعملون وما تنحتون حيث تخالف بين المرادين بهما فتريد بما تنحتون الاعيان التي
هي الاصنام وبما تعملون المعاني التي هي الاعمال وفي ذلك فك النظم وتبتيره كما اذا جعلتها
مصدرية • قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم فارادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين • الجحيم

النار الشديدة الوقود وقيل كل نار على نار وجمر فوق جمر فهي جحيم والمعنى ان الله تعالى غلبه عليهم
في المقامين جميعا واذلهم بين يديه ارادوا ان يغلبوه بالحجة فلقنه الله والهمه ما القمهم به
الحجر وقهرهم فمالوا الى المكر فابطل الله مكرهم وجعلهم الاذلين الاسفلين لم يقدروا عليه
وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين اراد بذهابه الى ربه مهاجرته الى حيث امره بالمهاجرة اليه
من ارض الشام كما قال اني مهاجر الى ربي سيهدين سيرشدني الى ما فيه صلاحي في ديني
ويعصمني ويوفقني كما قال موسى عليه السلم كلا ان معي ربي سيهدين كان الله وعده وقال
له ساهديك فاجرى كلامه على سنن موعده او بناه على عادة الله معه في هدايته وارشاده
او اظهر بذلك توكله وتفويضه امره الى الله ولو قصد الرجاء والطمع لقال كما قال موسى عليه السلم
عسى ربي ان يهديني سواء السبيل رب هب لي من الصالحين فبشرناه بغلام حليم هب لي من
الصالحين هب لي بعض الصالحين يريد الولد لان لفظ الهبة غلب في الولد وان كان قد جاء في
الاخ في قوله تع ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا قال عز وجل ووهبنا له اسحق ويعقوب
ووهبنا له يحيى وقال علي بن ابي طالب رضه لابن عباس رضي الله عنهما حين هناه بولده علي ابي
الاملاك شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب لذلك وقعت التسمية بهبة الله وبموهوب
ووهب وموهب فقد انطوت البشارة على ثلث على ان الولد غلام ذكر وانه يبلغ اوان
الحلم وانه يكون حليما واي حلم اعظم من حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح فقال ستجدني ان
شاء الله من الصابرين ثم استسلم لذلك وقيل ما نعت الله الانبياء عليه السلم باقل مما نعتهم
بالحلم وذلك لعزة وجوده ولقد نعت الله به ابرهيم في قوله ان ابرهيم لاواه حليم ان ابرهيم
لحليم اواه منيب لان الحادثة شهدت بحلمهما جميعا فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني ارى
في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين
فلما بلغ ان يسعى مع ابيه في اشغاله وحوائجه فان قلت معه بم يتعلق قلت لا يخلو اما ان يتعلق
ببلغ او بالسعي او بمحذوف ولا يصح تعلقه ببلغ لاقتضائه بلوغهما معا حد السعي ولا بالسعي

لان صلة المصدر لا تتقدم عليه فبقي ان يكون بيانا كانه لما قال فلما بلغ السعي اي الحد الذي يقدر
فيه على السعي قيل مع من قال مع ابيه والمعنى في اختصاص الاب انه ارفق الناس به واعطفهم عليه
وغيره ربما عنف به في الاستسعاء فلا يحتمله لانه لم يستحكم قوته ولم يصلب عوده وكان اذ
ذاك ابن ثلث عشرة سنة والمراد انه على غضاضة سنه وتقلبه في حد الطفولة كان فيه من
رصانة الحلم وفسحة الصدر ما جسره على احتمال تلك البلية العظيمة والاجابة بذلك الجواب
الحكيم اري في المنام فقيل له اذبح ابنك ورؤيا الانبياء وحي كالوحي في اليقظة فلهذا قال
اني ارى في المنام اني اذبحك فذكر تاويل الرؤيا كما يقول الممتحن وقد راى انه راكب في
سفينة رايت في المنام اني ناج من هذه المحنة وقيل راى ليلة التروية كان قائلا يقول له
ان الله يامرك بذبح ابنك هذا فلما اصبح روى في ذلك من الصباح الى الرواح امن الله هذا
الحلم ام من الشيطان فمن ثم سمي يوم التروية فلما امسى راى مثل ذلك فعرف انه من الله فمن ثم
سمي يوم عرفة ثم راى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي اليوم يوم النحر وقيل ان الملائكة
حين بشرته بغلام حليم قال هو اذا ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد السعي معه قيل له اوف
بنذرك فانظر ماذا ترى من الراي على وجه المشاورة وقرئ ماذا تري اي ماذا تبصر من رايك
وتبديه وماذا ترى على البناء للمفعول اي ماذا تريك نفسك من الراي افعل ما تؤمر اي ما
تؤمر به فحذف الجار كما حذف من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به او امرك على اضافة
المصدر الى المفعول وتسمية المامور به امرا وقرئ ما تؤمر به فان قلت لم شاوره في امر هو
حتم من الله قلت لم يشاوره ليرجع الى رايه ومشورته ولكن ليعلم ما عنده فيما نزل به من
بلاء الله فيثبت قدمه ويصبره ان جزع ويامن عليه الزلل ان صبر وسلم وليعلمه حتى يراجع
نفسه فيوطنها ويهون عليها ويلقى البلاء وهو كالمستانس به ويكتسب المثوبة بالانقياد لامر
الله قبل نزوله ولان المغافصة بالذبح مما يستسمج وليكون سنة في المشاورة فقد قيل لو شاور
آدم الملائكة في اكله من الشجرة لما فرط منه ذلك فان قلت لم كان ذلك بالمنام دون اليقظة قلت

كما اُرِيَ يوسف عليه السلام سجود ابويه واخوته له في المنام من غير وحي الى ابيه وكما وعد رسول الله صلعم
دخول المسجد الحرام في المنام وما سوى ذلك من منامات الانبياء وذلك لتقوية الدلالة
على كونهم صادقين مصدوقين لان الحال اما حال يقظة او حال نوم فاذا تظاهرت الحالتان
على الصدق كان ذلك اقوى للدلالة من انفراد احديهما • فلما اسلما وتله للجبين وناديناه
ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين • يقال سلم لامر الله واسلم واستسلم
بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعا اذا انقاد له وخضع واصلها من قولك سلم هذا لفلان
اذا خلص له ومعناه سلم من ان ينازع فيه وقولهم سلم لامر الله واسلم له منقولان منه وفي
حقيقة معناهما اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له خالصة وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه
لله وعن قتادة في اسلما اسلم هذا ابنه وهذا نفسه وتله للجبين صرعه على شقه فوقع احد جبينيه
على الارض تواضعا على مباشرة الامر بصبر وجلد ليرضيا الرحمن ويخزيا الشيطان وروي
ان ذلك المكان عند الصخرة التي بمنى وعن الحسن في الموضع المشرف على مسجد منى وعن
الضحاك في المنحر الذي ينحر فيه اليوم فان قلت اين جواب لما قلت هو محذوف تقديره فلما
اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا كان ما كان مما ينطق به الحال
ولا يحيط به الوصف من استبشارهما واغتباطهما وشكرهما على ما انعم به عليهما من دفع
البلاء العظيم بعد حلوله وما اكتسبا في تضاعيفه بتوطين الانفس عليه من الثواب والاعواض
ورضوان الله الذي ليس وراءه مطلوب وقوله انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لتخويل ما خولهما
من الفرج بعد الشدة والظفر بالبغية بعد اليأس • ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح
عظيم وتركنا عليه في الآخرين • البلاء المبين الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم
او المحنة البينة الصعوبة التي لا محنة اصعب منها الذبح اسم ما يذبح وعن ابن عباس رضي
هو الكبش الذي قربه هابيل فقبل منه وكان يرعى في الجنة حتى فدي به اسمعيل وعن الحسن البصري
بوعل اهبط عليه من ثبير وعن ابن عباس لو تمت تلك الذبيحة لصارت سنة وذبح الناس

ابناءهم عظيم ضخم الجثة سمين وهي السنة في الاضاحي وقوله استشرفوا ضحاياكم فانها على الصراط
مطاياكم وقيل لانه وقع فداء عن ولد ابرهيم وروي انه هرب من ابرهيم عند الجمرة فرماه بسبع
حصيات حتى اخذه فبقيت سنة في الرمي وروي انه رمى الشيطان حين تعرض له بالوسوسة
عند ذبح ولده وروي انه لما ذبحه قال جبريل الله اكبر الله اكبر فقال الذبيح لا اله الا الله و
الله اكبر فقال ابرهيم الله اكبر ولله الحمد فبقي سنة وحكي في قصة الذبيح انه حين اراد ذبحه
قال يا بني خذ الحبل والمدية وانطلق بنا الى الشعب نحتطب فلما توسطا شعب ثبير اخبره
بما امر فقال له اشدد رباطي لا اضطرب واكفف عني ثيابك لا ينتضح عليها شيء من دمي
فينقص اجري وتراه امي فتحزن واشحذ شفرتك واسرع امرارها على حلقي حتى تجهز علي ليكون
اهون فان الموت شديد واقرأ على امي السلام وان رايت ان ترد قميصي على امي فافعل
فانه عسى ان يكون اسهل لها فقال ابرهيم نعم العون انت يا بني على امر الله ثم اقبل عليه يقبله
وقد ربطه وهما يبكيان ثم وضع السكين على حلقه فلم تعمل لان الله ضرب صفيحة نحاس
على حلقه فقال له كبني على وجهي فانك اذا نظرت في وجهي رحمتني وادركتك رقة تحول
بينك وبين امر الله ففعل ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودي يا ابرهيم
قد صدقت الرؤيا فنظر فاذا جبريل معه كبش اقرن املح فكبر جبريل والكبش وابرهيم وابنه
واتى المنحر من منى فذبحه وقيل لما وصل موضع السجود منه الى الارض جاء الفرج وقد استشهد
ابو حنيفة بهذه الآية فيمن نذر ذبح ولده انه يلزمه ذبح شاة فان قلت من كان الذبيح من ولديه
قلت قد اختلف فيه فعن ابن عباس وابن عمر ومحمد بن كعب القرظي وجماعة من التابعين انه اسمعيل
والحجة فيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا ابن الذبيحين وقال له اعرابي يا ابن الذبيحين
فتبسم فسئل عن ذلك فقال ان عبد المطلب لما حفر بئر زمزم نذر لله لئن سهل الله له امرها ليذبحن
احد ولده فخرج السهم على عبد الله فمنعه اخواله وقالوا له افد ابنك بمائة من الابل ففداه بمائة
من الابل والثاني اسمعيل وعن محمد بن كعب القرظي قال كان مجتهد بني اسرائيل يقول اذا دعا

اللهم اله ابرهيم واسمعيل واسرائيل فقال موسى يا رب ما الجهد بني اسرائيل اذا دعا قال اللهم اله
ابرهيم واسمعيل واسرائيل وانا بين اظهرهم قد اسمعتني كلامك واصطفيتني برسالتك قال
يا موسى لم يحبني احد حب ابرهيم قط ولا خير بيني وبين شيء قط الا اختارني واما اسمعيل فانه
جاد بدم نفسه واما اسرائيل فانه لم ييأس من روحي في شدة نزلت به قط ويدل عليه ان الله تعالى
لما اتم قصة الذبيح قال وبشرناه باسحق وعن محمد بن كعب انه قال لعمر بن عبد العزيز هو اسمعيل فقال
عمر ان هذا شيء ما كنت انظر فيه واني لاراه كما قلت ثم ارسل الى يهودي قد اسلم فسأله فقال
ان اليهود لتعلم انه اسمعيل ولكنهم يحسدونكم يا معشر العرب ويدل عليه ان قرني الكبش كانا منوطين
في الكعبة في ايدي بني اسمعيل الى ان احترق البيت وعن الاصمعي قال سالت ابا عمرو بن العلاء عن
الذبيح فقال يا اصيمعي اين عزب عنك عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة وهو الذي بنى
البيت مع ابيه والمنحر بمكة ومما يدل عليه ان الله عز وجل وصفه بالصبر دون اسحق في قوله واسمعيل
واليسع وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد في قوله انه كان
صادق الوعد لانه وعد اباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به ولان الله بشره باسحق وولده
يعقوب في قوله فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فلو كان الذبيح اسحق لكان خلفا للموعد
في يعقوب وعن علي بن ابي طالب وابن مسعود والعباس وعطاء وعكرمة وجماعة من التابعين انه اسحق و
الحجة فيه ان الله تعالى اخبر عن خليله ابرهيم حين هاجر الى الشام بانه استوهبه ولدا ثم اتبع ذلك
البشارة بغلام حليم ثم ذكر رؤياه بذبح ذلك الغلام المبشر به ويدل عليه كتاب يعقوب الى يوسف من
يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابرهيم خليل الله فان قلت قد اوحي الى ابرهيم صلوات الله عليه
في المنام بان يذبح ولده ولم يذبح وقيل له قد صدقت الرؤيا وانما كان يصدقها لو صح منه الذبح و
لم يصح قلت قد بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح من بطحه على شقه وامرار الشفرة على حلقه ولكن
الله سبحانه وتعالى جاء بما منع الشفرة ان تمضي فيه وهذا لا يقدح في فعل ابرهيم الا ترى انه لا يسمى
عاصيا ولا مفرطا بل يسمى مطيعا ومجتهدا كما لو مضت فيه الشفرة وفرت الاوداج وانهر الدم

256

وليس هذا من ورود النسخ على المامور به قبل الفعل ولا قبل اوان الفعل في شيء كما يسبق الى بعض الاوهام
حتى يشتغل بالكلام فيه فان قلت الله تعالى هو المفتدي منه لانه الامر بالذبح فكيف يكون فاديا حتى قال
وفديناه قلت الفادي هو ابرهيم صلوات الله عليه والله عز وجل وهب له الكبش ليفتدي به وانما قال
وفديناه اسنادا للفداء الى السبب الذي هو الممكن من الفداء بهبته فان قلت فاذا كان ما اتى به ابرهيم
من البطح وامرار الشفرة في حكم الذبح فما معنى الفداء والفداء انما هو التخليص من الذبح ببدل قلت قد علم
بمنع الله ان حقيقة الذبح لم تحصل من فري الاوداج وانهار الدم فوهب الله له الكبش ليقيم ذبحه مقام
تلك الحقيقة حتى لا تحصل تلك الحقيقة في نفس اسمعيل عليه السلم ولكن في نفس الكبش بدلا منه فان قلت فاي
فائدة في تحصيل تلك الحقيقة وقد استغنى عنها بقيام ما وجد من ابرهيم مقام الذبح من غير نقصان قلت
الفائدة في ذلك ان يوجد ما منع منه في بدله حتى يكمل منه الوفاء بالمنذور وايجاد المامور به من كل
وجه سلام على ابرهيم كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين فان قلت لم قيل هنا كذلك نجزي
المحسنين وفي غيرها من القصص انا كذلك قلت قد سبقه في هذه القصة انا كذلك فكانما استخف بطرحه
اكتفاء بذكره مرة عن ذكره ثانية وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما
محسن وظالم لنفسه مبين نبيا حال مقدرة كقوله تعالى ادخلوها خالدين فان قلت فرق بين هذا وبين
قوله فادخلوها خالدين وذلك ان المدخول موجود مع وجود الدخول والخلود غير موجود معهما
فقدرت مقدرين الخلود فكان مستقيما وليس كذلك المبشر به فانه معدوم وقت وجود البشارة
وعدم المبشر به اوجب عدم حاله لا محالة لان الحال حلية والحلية لا تقوم الا بالمحلى وهذا المبشر
به الذي هو اسحق حين وجد لم يوجد النبوة ايضا بوجوده بل تراخت عنه مدة متطاولة فكيف يجعل
نبيا حالا مقدرة والحال صفة الفاعل والمفعول عند وجود الفعل منه او به فالخلود وان لم يكن صفتهم
عند دخول الجنة فتقديرها صفتهم لان المعنى مقدرين الخلود وليس كذلك النبوة فانه لا سبيل الى ان تكون
موجودة مقدرة وقت وجود البشارة باسحق لعدم اسحق قلت هذا سؤال دقيق السلك ضيق المسلك
والذي يحل الاشكال انه لا بد من تقدير مضاف محذوف وذلك قوله وبشرناه بوجود اسحق نبيا اي بان

يوجد مقدرة نبوته والعامل في الحال الوجود لا فعل البشارة وبذلك يرجع نظير قوله تعالى فادخلوها
خالدين من الصالحين حال ثانية وورودها على سبيل الثناء والتقريظ لان كل نبي لا بد ان يكون من
الصالحين وعن قتادة بشره الله بنبوة اسحق بعدما امتحنه بذبحه وهذا جواب من يقول الذبيح
اسحق لصاحبه عن تعلقه بقوله وبشرناه باسحق قالوا ولا يجوز ان يبشره الله بولده ونبوته معا لان
الامتحان بذبحه لا يصح مع علمه بانه سيكون نبيا وباركنا عليه وعلى اسحق وقرئ وبركنا اي افضنا عليهما
بركات الدين والدنيا كقوله تعالى وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين وقيل باركنا على
ابرهيم في اولاده وعلى اسحق بان اخرجنا انبياء بني اسرائيل من صلبه وقوله وظالم لنفسه نظيره قال ومن
ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين وفيه تنبيه على ان الخبث والطيب لا يجري امرهما على العرق والعنصر
فقد يلد البر الفاجر والفاجر البر وهذا مما يهدم امر الطبائع والعناصر وعلى ان الظلم في اعقابهما
لم يعد عليهما بعيب ولا نقيصة فان المرء انما يعاب بسوء فعله ويعاتب عليه على ما اجترحت يداه
لا على ما وجد من اصله او فرعه • ولقد مننا على موسى وهرون ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم و
نصرناهم فكانوا هم الغالبين وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم وتركنا عليهما
في الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين • من الكرب العظيم
من الغرق او من سلطان فرعون وقومه وغشمهم ونصرناهم الضمير لهما ولقومهما في قوله ونجيناهما وقومهما
الكتاب المستبين البليغ في بيانه وهو التورية كما قال انا انزلنا التورية فيها هدى ونور وقال من جوز
ان تكون التورية عربية ان يشتق من ورى الزند فوعلة منه على ان التاء مبدلة من واو الصراط
المستقيم صراط اهل الاسلام وهي صراط الذين انعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين • وان
الياس لمن المرسلين اذ قال لقومه الا تتقون اتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين الله ربكم ورب
ابائكم الاولين فكذبوه فانهم لمحضرون الا عباد الله المخلصين وتركنا عليه في الآخرين سلام على ال
ياسين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين • قرئ الياس بكسر الهمزة والياس بلفظ
الوصل وقيل هو ادريس النبي عليه السلام وقرا ابن مسعود وان ادريس في موضع الياس وقرئ

ادراس وقيل هو الياس بن ياسين من ولد هرون اخي موسى اتدعون بعلا اتعبدون بعلا وهو
علم لصنم كان لهم كهناة وهبل وقيل كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعا وله اربعة اوجه فتنوا
به وعظموه حتى اخدموه اربعمائة سادن وجعلوهم انبياءه فكان الشيطان يدخل في جوف بعل و
يتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وهم اهل بعلبك من بلاد الشام وبه
سميت مدينتهم بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن يقال من بعل هذه الدار اي من ربها والمعنى
اتعبدون بعض البعول وتتركون عبادة الله الله ربكم ورب ابائكم قرئ بالرفع على الابتداء وبالنصب
على البدل وكان حمزة اذا وصل نصب واذا وقف رفع وقرئ على الياسين وادريسين وادراسين
وادرسين على انها لغات في الياس وادريس ولعل لزيادة الياء والنون في السريانية معنى وقرئ
على الياسين بالوصل على انه جمع يراد به الياس وقومه كقولهم الخبيبون والمهلبون فان قلت
فهلا حملت على هذا الياسين على القطع واخواته قلت لو كان جمعا لعرف بالالف واللام واما
من قرا على آل ياسين فعلى ان ياسين اسم ابي الياس اضيف اليه الآل • وان لوطا لمن المرسلين اذ
نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين وانكم لتمرون عليهم مصبحين
وبالليل افلا تعقلون • مصبحين داخلين في الصباح يعني تمرون على منازلهم في متاجركم الى
الشام ليلا ونهارا افما فيكم عقول تعتبرون بها • وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون
فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا انه كان من المسبحين للبث في
بطنه الى يوم يبعثون فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه الى مائة
الف او يزيدون فآمنوا فمتعناهم الى حين • قرئ يونس بضم النون وكسرها وسمي هربه من قومه
بغير اذن ربه اباقا على طريقة المجاز والمساهمة المقارعة ويقال استهم القوم اذا اقترعوا والمدحض
المغلوب المقروع وحقيقته المزلق عن مقام الظفر والغلبة روي انه حين ركب في السفينة وقفت
فقالوا هيهنا عبد ابق من سيده وفيما يزعم البحارون ان السفينة اذا كان فيها ابق لم تجر فاقترعوا
فخرجت القرعة على يونس فقال انا الآبق وزج بنفسه في الماء فالتقمه الحوت وهو مليم داخل

في الملامة يقال رب لائم مليم اى يلوم غيره وهو احق منه باللوم وقرئ مليم بفتح الميم من ليم
فهو مليم كما جاء مشيب في مشوب مبنيا على شيب ونحوه مدعي بناء على دعي من المسبحين من الذاكرين
الله كثيرا بالتسبيح والتقديس وقيل هو قوله في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت من
الظالمين وقيل من المصلين وعن ابن عباس كل تسبيح في القرآن فهو صلوة وعن قتادة كان كثير الصلوة
في الرخاء قال وكان يقال ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا عثر واذا صرع وجد متكأ وهذا ترغيب
من الله تعالى في اكثار المؤمن من ذكره بما هو اهله واقباله على عبادته وجمع همه لتقييد نعمته بالشكر
في وقت المهلة والفسحة لينفعه ذلك عنده في المضايق والشدائد للبث في بطنه الظاهر
لبثه فيه حيا الى يوم البعث وعن قتادة لكان بطن الحوت له قبرا الى يوم القيمة وروى انه حين
ابتلعه اوحى الله الى الحوت اني جعلت بطنك له سجنا ولم اجعله لك طعاما واختلف في مقدار لبثه
فعن الكلبي اربعون يوما وعن الضحاك عشرون وعن عطاء سبعة وعن بعضهم ثلثة وعن الحسن لم يلبث
الا قليلا ثم اخرج من بطنه بعيد الوقت الذي التقم فيه وروى ان الحوت سار مع السفينة رافعا
راسه يتنفس فيه يونس ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شيء فاسلموا
وروى ان الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل والعراء المكان الخالي لا شجر فيه ولا شيء
يغطيه وهو سقيم اعتل مما حل به وروى انه عاد بدنه كبدن الصبي حين يولد واليقطين كل ما ينسدح
على وجه الارض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء والحنظل وهو يفعيل من قطن بالمكان اذا
اقام به وقيل هي الدباء وفائدة الدباء ان الذباب لا يجتمع عنده وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
انك لتحب القرع فقال اجل هي شجرة اخي يونس وقيل هي التين وقيل شجرة الموز تغطى بورقها
واستظل باغصانها وافطر على ثمارها وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب
من لبنها وروى انه مر زمان على الشجرة فيبست فبكى جزعا فاوحى اليه بكيت على شجرة ولا تبكي
على مائة الف في يد الكافر فان قلت ما معنى وانبتنا عليه شجرة قلت انبتناها فوقه مظلة له كما يطنب
البيت على الانسان وارسلناه الى مائة الف والمراد به ما سبق من ارساله الى قومه وهم اهل نينوى

وقيل هو ارسال ثان بعد ما جرى عليه الى الاولين او الى غيرهم وقيل اسلموا فسألوه ان يرجع اليهم فابى
لان النبي اذا هاجر عن قومه لم يرجع اليهم مقيما فيهم وقال لهم ان الله باعث اليكم نبيا او يزيدون في
مرأى الناظر اى اذا رآها الرائي قال هي مائة الف او اكثر والغرض الوصف بالكثرة الى حين الى
اجل مسمى وقرئ ويزيدون بالواو وحتى حين فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون ام خلقنا
الملائكة اناثا وهم شاهدون الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون اصطفى البنات
على البنين ما لكم كيف تحكمون افلا تذكرون فاستفتهم معطوف على مثله في اول السورة وان تباعدت
بينهما المسافة امر رسوله باستفتاء قريش عن وجه انكار البعث اولا ثم ساق الكلام موصولا بعضه
ببعض ثم امره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى التي قسموها حيث جعلوا لله الاناث ولانفسهم
الذكور في قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة لهن ووأدهم واستنكافهم من ذكرهن ولقد
ارتكبوا في ذلك ثلثة انواع من الكفر احدها التجسيم لان الولادة مختصة بالاجسام والثاني تفضيل
انفسهم على ربهم حين اختاروا اوضع الجنسين له وارفعهما لهم كما قال واذا بشر احدهم بما ضرب
للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم او من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين والثالث
انهم استهانوا باكرم خلق الله عليه واقربهم اليه حيث انثوهم ولو قيل لاقلهم وادناهم فيك انوثة
او شكلك شكل النساء للبس لقائله جلد النمر ولانقلبت حماليقه وذلك في اهاجيهم بين
مكشوف فكرر الله سبحانه وتعالى الانواع كلها في كتابه مرات ودل على فظاعتها في آيات قالوا
اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه
بديع السموات والارض انى يكون له ولد الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وجعلوا له من عباده
جزءا ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ام له البنات ولكم البنون ويجعلون لله ما
يكرهون اصطفى البنات على البنين ام اتخذ مما يخلق بنات واصفيكم بالبنين وجعلوا الملائكة
الذين هم عباد الرحمن اناثا ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون فان قلت لم قال وهم شاهدون
فخص علم المشاهدة قلت ما هو الا استهزاء بهم وتجهيل وكذلك قوله اشهدوا خلقهم ونحوه ما اشهدتهم

خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وذلك انهم كما لم يعلموا ذلك بطريق المشاهدة لم يعلموه
بخلق الله علمه في قلوبهم ولا باخبار صادق ولا بطريق استدلال ونظر ويجوز ان يكون المعنى انهم
يقولون ذلك كالقائل قولا عن ثلج صدر وطمانينة نفس لافراط جهلهم كانهم قد شاهدوا خلقهم
وقرئ ولد الله اي الملائكة ولده والولد فعل بمعنى مفعول يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
تقول هذه ولدي وهؤلاء ولدي فان قلت اصطفى البنات بفتح الهمزة استفهام على طريق الانكار و
الاستبعاد فكيف صحت قراءة ابي جعفر بكسر الهمزة على الاثبات قلت جعله من كلام الكفرة بدلا عن
قولهم ولد الله وقد قرأ بها حمزة والاعمش وهذه القراءة وان كان هذا محملها فهي ضعيفة والذي
اضعفها ان الانكار قد اكتنف هذه الجملة من جانبيها وذلك قوله وانهم لكاذبون ما لكم كيف تحكمون
فمن جعلها للاثبات فقد اوقعها دخيلة بين نسيبين وقرئ تذكرون من ذكر • ام لكم سلطان
مبين فاتوا بكتابكم ان كنتم صادقين وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة انهم
لمحضرون سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين • ام لكم سلطان اي حجة نزلت عليكم
من السماء وخبر بان الملائكة بنات الله فاتوا بكتابكم الذي انزل عليكم في ذلك كقوله ام انزلنا عليهم
سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وهذه الآيات صادرة عن سخط عظيم وانكار فظيع واستبعاد
لاقاويلهم شديد وما الاساليب التي وردت عليها الا ناطقة بتسفيه احلام قريش وتجهيل نفوسها
واستركاك عقولها مع استهزاء وتهكم وتعجيب من ان يخطر مخطر مثل ذلك على بال ويحدث به نفسا
فضلا ان يجعله معتقدا ويتظاهر به مذهبا وجعلوا بين الله وبين الجنة واراد الملائكة نسبا وهو
زعمهم انهم بناته والمعنى وجعلوا بما قالوا نسبة بين الله وبينهم واثبتوا له بذلك جنسية جامعة له
وللملائكة فان قلت لم سمى الملائكة جنة قلت قالوا الجنس واحد ولكن من خبث من الجن ومرد
وكان شرا كله فهو شيطان ومن طهر منهم ونسك وكان خيرا كله فهو ملك فذكرهم في هذا الموضع
باسم جنسهم وانما ذكرهم بهذا الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم وان كانوا معظمين في انفسهم ان يبلغوا
منزلة المناسبة التي اضافوها اليهم وفيه اشارة الى ان من صفته الاجتنان والاستتار وهو من

صفات

صفات الاجرام لا يصلح ان يناسب من لا يجوز عليه ذلك ومثاله ان تسوي بين الملك وبين بعض
خواصه ومقربيه فيقول لك اتسوي بيني وبين عبدي واذا ذكره في غير هذا المقام وقره وكناه
والضمير في انهم لمحضرون للكفرة والمعنى انهم يقولون ما يقولون في الملائكة وقد علم الملائكة
انهم في ذلك كاذبون مفترون وانهم محضرون النار معذبون بما يقولون والمراد المبالغة في التكذيب
حيث اضيف الى علم الذين ادعوا لهم تلك النسبة وقيل قالوا ان الله صاهر الجن فخرجت الملائكة
وقيل قالوا ان الله والشيطان اخوان وعن الحسن اشركوا الجن في طاعة الله ويجوز اذا فسر
الجنة بالشياطين ان يكون الضمير في انهم لمحضرون لهم والمعنى ان الشياطين عالمون بان الله
يحضرهم النار ويعذبهم ولو كانوا مناسبين له او شركاء في وجوب الطاعة لما عذبهم الا عباد الله
المخلصين استثناء منقطع من المحضرين معناه ولكن المخلصين ناجون وسبحان الله اعتراض
بين الاستثناء وبين ما وقع منه ويجوز ان يقع الاستثناء من الواو في يصفون اي يصفه هؤلاء
بذلك ولكن المخلصين براء من ان يصفوه به • فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين الا
من هو صال الجحيم وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون •
الضمير في عليه لله عز وجل ومعناه فانكم ومعبودكم ما انتم وهم جميعا بفاتنين على الله الا
اصحاب النار الذين سبق في علمه انهم بسوء اعمالهم يستوجبون ان يصلوها فان قلت كيف يفتنونهم
على الله قلت يفسدونهم عليه باغوائهم واستهوائهم من قولك فتن فلان على فلان امرأته كما تقول
افسدها عليه وخببها عليه ويجوز ان يكون الواو في وما تعبدون بمعنى مع مثلها في قولهم كل
رجل وضيعته فكما جاز السكوت على كل رجل وضيعته جاز ان يسكت على قوله فانكم وما تعبدون
لان قوله وما تعبدون ساد مسد الخبر لان معناه فانكم مع ما تعبدون والمعنى فانكم مع آلهتكم
اي فانكم قرناؤهم واصحابهم لا تبرحون تعبدونها ثم قال ما انتم عليه اي على ما تعبدون بفاتنين
بباعثين او حاملين على طريق الفتنة والاضلال الا من هو ضال مثلكم او يكون في اسلوب قوله
فانك والكتاب الى علي كدابغة وقد حلم الاديم • وقرأ الحسن صال الجحيم بضم اللام وفيه ثلاثة

اوجه احدها ان يكون جمعا وسقط واوه لالتقاء الساكنين هي ولام التعريف فان قلت كيف
استقام الجمع مع قوله من هو قلت من موحد اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه والصالون
على معناه كما حمل في مواضع من التنزيل على لفظ من ومعناه في اية واحدة والثاني ان يكون اصله
صائل على القلب ثم يقال صال في صائل كقولهم شاك في شائك والثالث ان يحذف لام صال
تخفيفا ويجرى الاعراب على عينه كما حذف من قولهم ما باليت به بالة واصلها بالية من بالى كعافية
من عافى ونظيره قراءة من قرا وجنى الجنتين دان وله الجوار المنشآت باجراء الاعراب على العين
وما منا احد الا له مقام معلوم فحذف الموصوف واقيم الصفة مقامه كقوله انا ابن جلا و
طلاع الثنايا بكفى كان من ارمى البشر مقام معلوم مقام في العبادة والانتهاء الى امر الله
مقصور عليه لا يتجاوزه كما روى فمنهم راكع لا يقيم صلبه وساجد لا يرفع راسه لنحن الصافون
نصف اقدامنا في الصلوة او اجنحتنا في الهواء منتظرين ما نؤمر وقيل نصف اجنحتنا حول
العرش داعين للمؤمنين وقيل ان المسلمين انما اصطفوا في الصلوة منذ نزلت هذه الاية و
ليس يصطف احد من اهل الملل في صلوتهم غير المسلمين المسبحون المنزهون او المصلون
والوجه ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله عما يصفون من كلام الملائكة حتى يتصل
بذكرهم في قوله ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون كانه قيل ولقد علم الملائكة وشهدوا ان
المشركين مفترون عليهم في مناسبة رب العزة وقالوا سبحان الله فنزهوه عن ذلك واستثنوا عباد
المخلصين وبرءوهم منه وقالوا للكفرة فاذا صح ذلك فانكم والهتكم لا تقدرون ان تفتنوا
على الله احدا من خلقه وتضلوه الا من كان مثلكم ممن علم الله لكفرهم [illegible] التعذيب وارادت تعالى
الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا انهم من اهل النار وكيف نكون مناسبين لرب العزة ويجمعنا
واياه جنسية واحدة وما نحن الا عبيد اذلاء بين يديه لكل منا مقام من الطاعة لا يستطيع
ان يزل عنه ظفرا خشوعا لعظمته وتواضعا لجلاله ونحن الصافون اقدامنا [illegible]
اجنحتنا مذعنين خاضعين مسبحين ممجدين وكما يجب على العباد لربهم وقيل ومن قول

رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني وما من المسلمين احد الا له مقام معلوم يوم القيمة على قدر عمله
من قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ثم ذكر اعمالهم وانهم الذين يصطفون في الصلوة
ويسبحون الله وينزهونه مما يضيف اليه من لا يعرفه مما لا يجوز عليه وان كانوا ليقولون لو
ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين فكفروا به فسوف يعلمون هم مشركو قريش
كانوا يقولون لو ان عندنا ذكرا اي كتابا من كتب الاولين الذين نزل عليهم التورية والانجيل
لاخلصنا العبادة لله ولما كذبنا كما كذبوا ولما خالفنا كما خالفوا فجاءهم الذكر الذي هو سيد
الاذكار والكتاب الذي هو معجز من بين الكتب فكفروا به ونحوه فلما جاءهم نذير ما زادهم الا
نفورا فسوف يعلمون مغبة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام وان هي المخففة من الثقيلة و
اللام هي الفارقة وفي ذلك انهم كانوا يقولونه مؤكدين للقول جادين فيه فكم بين اول
امرهم واخره ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم
الغالبون والكلمة قوله انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وانما سماها كلمة
وهي كلمات عدة لانها لما انتظمت في معنى واحد كانت في حكم كلمة مفردة وقرئ كلماتنا
والمراد الوعد بعلوهم على عدوهم في مقاوم الحجاج وملاحم القتال في الدنيا وعلوهم عليهم في
الاخرة كما قال الله تعالى والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة ولا يلزم انهزامهم في بعض المشاهد
وما جرى عليهم من القتل فان الغلبة كانت لهم ولمن بعدهم في العاقبة وكفى بمشاهد رسول الله صلعم
والخلفاء الراشدين مثلا يحتذى عليها وعبرا يعتبر بها وعن الحسن ما غلب نبي في حرب ولا
قتل فيها ولان قاعدة امرهم واساسه والغالب منه الظفر والنصرة وان وقع في تضاعيف
ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب وعن ابن عباس ان لم ينصروا في الدنيا نصروا
في الاخرة وفي قراءة ابن مسعود على عبادنا على تضمين سبقت معنى حقت فتول عنهم حتى حين وابصر
فسوف يبصرون افبعذابنا يستعجلون فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين فتول عنهم
فاعرض عنهم واغض على اذاهم حتى حين الى مدة يسيرة وهي مدة الكف عن القتال وعن السدي

وقف

الى يوم بدر وقيل الى الموت وقيل الى يوم القيمة وابصرهم وما يقضى عليهم من الاسر والقتل
والعذاب في الآخرة فسوف يبصرونك وما يقضى لك من النصرة والتاييد والثواب في العاقبة
والمراد بالامر بابصارهم على الحال المنتظرة الموعودة الدلالة على انها كائنة واقعة لا محالة
وان كينونتها قريبة كانها قدام ناظريك وفي ذلك تسلية له وتنفيس عنه وقوله فسوف
يبصرون للوعيد كما سلف لا للتبعيد مثل العذاب النازل بهم بعدما انذروه فانكروه بجيش
انذر بهجومه قومه بعض نصاحهم فلم يلتفتوا الى انذاره ولا اخذوا اهبتهم ولا دبروا امرهم
تدبيرا ينجيهم حتى اناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم وكانت عادة مغاويرهم
ان يغيروا صباحا فسميت الغارة صباحا وان وقعت في وقت آخر وما فصحت هذه
الآية ولا كانت لها الروعة التي تحس بها ويروقك موردها على نفسك وطبعك الا لمجيئها
على طريقة التمثيل وقرا ابن مسعود فبئس صباح وقرئ نزل بساحتهم على اسناده الى الجار
والمجرور كقولك ذهب بزيد ونزل على ونزل العذاب والمعنى فساء صباح المنذرين صباحهم
واللام في المنذرين مبهم في جنس من انذروا لان ساء وبئس يقتضيان ذلك وقيل هو نزول
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بمكة وعن انس رضي الله عنه لما اتى رسول الله صلعم خيبر وكانوا
خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحي قالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال رسول الله صلعم
الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين
وابصر فسوف يبصرون سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله
رب العالمين وانما ثنى وتول عنهم فيكون تسلية على تسلية وتاكيدا لوقوع الميعاد الى تاكيد
وفيه فائدة زائدة وهي اطلاق الفعلين معا عن التقييد بالمفعول وانه يبصر وهم يبصرون
ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وانواع المساءة وقيل اريد باحدهما عذاب الدنيا
وبالآخر عذاب الآخرة اضيف الرب الى العزة لاختصاصه بها كانه قيل ذو العزة كما تقول
صاحب صدق لاختصاصه بالصدق ويجوز ان يراد انه ما من عزة لاحد من الملوك وغيرهم

الا

وقف

261

الا وهو ربها ومالكها كقوله تعالى تعز من تشاء اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون في الله
ونسبوا اليه مما هو منزه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه في العاقبة من النصر
عليهم فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين و
الحمد لله رب العالمين على ما قيض لهم من حسن العواقب والغرض تعليم المؤمنين ان يقولوا ذلك
ولا يخلوا به ولا يغفلوا من مضمنات كتابه الكريم ومودعات قرآنه المجيد وعن علي رضي الله عنه
من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة فليكن آخر كلامه
اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام
على المرسلين والحمد لله رب العالمين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا والصافات اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد
كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين
وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه
يوم القيامة انه كان
مؤمنا بالمرسلين

